



هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

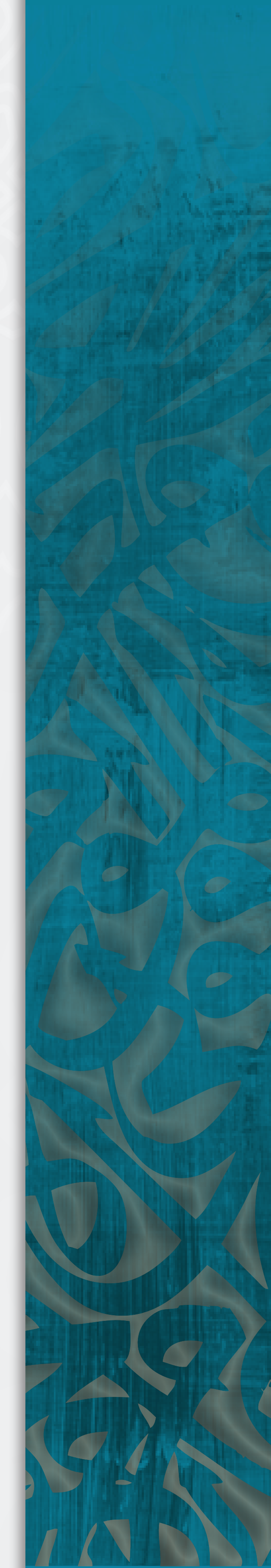
دراسات

الشِّعْرُ العَرَبي في الهِنْدِ

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين
أغراضه وخصائصه

ألطاف أحمد مالاني









الشعر العربي في الهند
في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين
أغراضه وخصائصه

ألطاف أحمد مالاني







الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦م

جميع الحقوق محفوظة

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مالاني، ألطاف أحمد
الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين: أغراضه وخصائصه./ ألطاف أحمد مالاني- الرياض، ١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ١-٦-٩٠٨٤٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الشعر العربي- نقد - الهند أ. العنوان
ديوي ٨١١،٩٥٤٠٠٩ ١٤٣٨/٤٥٨
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٥٨
ردمك: ١-٦-٩٠٨٤٧-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج



المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة،
سواء أكان إلكترونية أم يدوية أم ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو
التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المركز بذلك.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً


بسم الله الرحمن الرحيم


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللغة العربية قد شرفها الله تعالى بأن جعلها لغة كتابه الحكيم، المنـزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، فكُتب لها الخلود لاحتوائها الرسالة السماوية الخالدة، وقُدّر لها الذيوع بانتشار الإسلام في جميع الأقطار، تصديقاً لما جاء على لسان خير البشر محمد ﷺ إذ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام»[1].

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، خرجت اللغة العربية أيضاً من مهدها، وذاعت في أرجاء المعمورة، فوجدت بيئات تغلبت لغةُ الضاد على لغاتها الأصلية، ووجدت دول وأمصار - وإن لم يكتب للعربية فيها السيطرةُ على الساحة اللغوية، إلا أنها- فرضت فيها نفسها مع لغاتٍ محلية، ووجد في كل بقعة من بقاع الأرض من يسعى إلى تعلمها وتعليمها، ليقيم بها شعائر دينه، ويفهم بها كتاب ربه وسنة نبيه، ومنهم من فتح الله عليه في أمر هذه اللغة، فبلغ فيها شأواً عالياً، وأثرى ساحتها بنظمه ومصنفاته.

ومن البيئات التي دخلتها العربية فوجدت لها مجالاً رحبا - مع اللغات المحلية

١- جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الأخرى- بيئةُ الهند، فقد دخلتها العربية في القرن الأوّل مع الجيوش الفاتحة حينا، ومع الدعاة إلى الله حيناً آخر، وبقي لها فيها وجود مستمر منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا.

ونجد في تلك البلاد القاصية كثيرين ممن تملكوا ناصية البيان، وبلغوا فيها شأواً بعيداً في الإجادة والإتقان، وراضوا فيها القول فأجادوا، وقرضوا فيها الشعر فأحسنوا، هذا علاوة على عدد كبير من الذين لهم أيادٍ في خدمة العلم وتدوينه بهذه اللغة الشريفة.

ولما كانت آداب هذه اللغة في تلك البلاد النائية محجوبة عن العالم العربي -مع كثرة التطلع إليها- وكانت المكتبة العربية خالية من أيّ دراسة علمية مستفيضة، لبعد هذه الديار، ولأنه يصعب على باحثي غير تلك البلاد العثور على تلك الآثار الأدبية في بلاد الهند، عزمت -بعد الاستخارة والمشورة- على أن أدرس جانباً من آداب اللغة العربية في الهند؛ ليكون ذلك إسهاما متواضعاً في سدّ هذا الفراغ، وليكون أداءً لبعض حق تلك الديار، ووفاءً لأولئك الأعلام الأفذاذ، فاخترت جانب الشعر لما له من تأثير في النفوس، وصقل للعقول، وتهذيب للطبائع، واخترت حقبة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين؛ لكونها أقرب عهداً، وأوفر مصدراً، وأملأها بالحوادث الضخمة، والوقائع العظيمة، كانتهاء الحكم الإسلامي في الهند وسيطرة الاستعمار البريطاني عليها، وقيام الحركات المناوئة للاستعمار، الداعية إلى التحرير والاستقلال، ثم نهاية الاستعمار وقيام دولة باكستان، ثم انفصام بنغلاديش عنها. وقد جاء عنوان الرسالة على النحو الآتي:

الشعر العربي في الهند
في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين
أغراضه وخصائصه

_ وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتعقبها خاتمة وفهارس:

أما المقدمة فتتناول أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة عليه،

وفي التمهيد تحدثت عن:

بلاد الهند وجغرافيتها.

حالة الهند السياسية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

حالة اللغة العربية وآدابها في الهند.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أما الفصول الثلاثة فهي كما يأتي:

الفصل الأول : أشهر شعراء القرنين وأهم العوامل المؤثرة في شعرهم.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أشهر شعراء القرنين.

المبحث الثاني: أهم العوامل المؤثرة في شعرهم.

الفصل الثاني : أغراض الشعر العربي في الهند.

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الدعوة الإسلامية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شعر العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: شعر الزهد.

المطلب الثالث: شعر التأسف على ما آل إليه حال المسلمين والدعوة إلى استنهاض الهمم.

المطلب الرابع: شعر الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثاني: المدح.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المديح النبوي.

المطلب الثاني: مدح الخلفاء والولاة.

المطلب الثالث: مدح الشخصيات الإسلامية والعلماء والأساتذة.

المبحث الثالث: الرثاء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رثاء العظماء

المطلب الثاني: رثاء الأقارب

المبحث الرابع: الغزل

المبحث الخامس: الإخوانيات

المبحث السادس: المناسبات

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المناسبات السياسية

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المطلب الثاني: المناسبات الثقافية والاجتماعية

الفصل الثالث : الخصائص الفنية للشعر العربي في الهند

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص الشكل

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الألفاظ والتراكيب

المطلب الثاني: الصورة الفنية

المطلب الثالث: موسيقى الشعر

المطب الرابع: بناء القصيدة

المبحث الثاني: خصائص المضمون

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المعاني والأفكار

المطلب الثاني: التجربة الشعرية

أما الخاتمة فبينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وفي الفهارس ذكرت أربع فهارس:

الفهرس الأول: فهرس الآيات القرآنية

الفهرس الثاني: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

الفهرس الثالث: فهرس المصادر والمراجع.

الفهرس الرابع: فهرس الموضوعات.

_ وكان منهجي في هذا البحث يقوم على جمع المادّة العلمية من مصادرها، مستخدماً في دراستها المنهج الفني التكاملي الذي يفيد من جميع المناهج النقدية، ويتخذ من النص الشعري مجالاً للتأمل والحديث، يتذوقه ويلتحم معه، ويسبر أغواره ويستكنه العلاقة التي تربطه بصاحبه، مع الاستعانة بتلك المؤثرات التي تعين على فهم النص، وقد راعيت في منهجي وتناولي لهذا الموضوع الخطوات التالية:

عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها.

خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية.

اخترت من بين النصوص الكثيرة تلك النصوص التي رأيتها أنسب للمقام.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اضطررت إلى ابتسار بعض النصوص، وإيرادها مكررة أحياناً في عدة مواضع من البحث، وذلك لدلالات عدّة وفي سياقات مختلفة.

اعتمدت على المصادر الأصلية في استيفاء المعلومات ما أمكنني ذلك.

ضبطت الكلمات التي تحتاج إلى الضبط.

أشرت في الهامش إلى الأخطاء التي وجدت في بعض النصوص، كما أشرت فيه أيضاً إلى ما وجد من اختلاف في النص الواحد بين المصادر المتعددة.

ترجمت في الهامش للشعراء الذين أوردت نصوصهم في أثناء الدراسة، باستثناء عدد قليل منهم، حيث لم أجد المصادر التي تمدّني بمعلومات عنهم.

عرّفت بالأماكن التي رأيتها تحتاج إلى التعريف.

وقد استندت في إنجاز هذا البحث إلى مصادر متنوعة تتمثل في الدواوين والمجاميع الشعرية، وكتب التاريخ والتراجم، والرسائل والمخطوطات، والمجلات والدوريات، وهذه المصادر والمراجع تتوزع على أربع لغات: العربية، والأردية، والفارسية، والإنجليزية.

وكان «كتاب الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» المسمى بـ «نـزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» للعلامة الشريف عبد الحي الحسني، من المصادر التي استقيت منها معلومات كثيرة في مواضع متفرقة من الرسالة؛ لما يشتمل على ذكر عدد كبير من أعيان الهند من الأدباء والعلماء والزعماء؛ ولأنه يحتوي على قدر كبير من النصوص الشعرية المختارة، رفيعة المستوى، وبليغة الأسلوب؛ لما كان يتمتع به صاحبه من ذوق وحس مرهفين، ومكانة أدبية مرموقة، وكانت كتب النقد القديمة والحديثة أيضاً معينة لي في إجراء الدراسة الفنية حول النصوص الشعرية.

_ ولم أجد –حسب علمي واطّلاعي- أيّ دراسة لا في اللغة العربية ولا في غيرها، تخصّ الشعر العربي في الهند في هذه الفترة، على وجه التحديد، بيد أن هناك دراسات تناولت الموضوع من بعيد على وجه العموم، ومن أهمها وأقدمها:

«هندوستان كي عربي شاعري» أي (الشعر العربي في الهند) نال بها صاحبها د. حامد عليخان شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكرهـ، وقد تناول الباحث في رسالته هذه الشعر العربي في الهند من القرن الأول الهجري إلى سنة أربعين وتسع مائة وألف للميلاد، وهذه الرسالة إلى كونها معجم الشعراء أقرب



منها إلى الدراسة الموضوعية الفنية؛ لأن الدراسة الفنية فيها لم تعدُ خمساً وستين صفحة من بين خمس وخمسين وأربعمائة صفحة مكتوبة باليد، وموزعة على النحو التالي: من (ص٣٠٩) إلى (ص٣٣٣)، دراسة موضوعات الشعر العربي في الهند ولغته وعروضه، ومن (٣٣٤) إلى (٣٥٧) أثر البيئة الهندية في هذا الشعر، ومن (٣٥٨) إلى (٣٧٥) قيمة هذا الشعر، أما الصفحات الباقية من الرسالة فكلها مختصة بذكر تراجم موجزة للشعراء، مع إيراد نموذج موجز أو اثنين من شعر كل منهم. ولكن هذا الباحث له فضل السبق؛ فهو الرائد في دراسة الشعر العربي في الهند، وقد أفادني كثيراً في الدلالة على مظان الشعر ومراجعه.

«الشعر العربي في كيرالا، مبدؤه وتطوره»، د.ويران محيي الدين الفاروقي، نال بها صاحبها شهادة الدكتوراه من جامعة كاليكوت، وهي كسابقتها تقريباً من حيث المدة الزمنية، فقد تناولت الشعر العربي في «ولاية كيرالا» فقط من القرن الأول إلى سنة ألفين للميلاد، وجاءت أيضاً خالية من دراسة فنية، كما وجدت دراسات تناولت الأدب العربي في إقليم معين من أقاليم الهند[1] أو في مدرسة معينة فيها[2]، أو لدى عَلَم معين من أعلام الهند[3] لكن هذه الدراسات في مجملها قد لوحظ فيها ما يأتي:

١ - أنها استخدمت كلمة «الأدب» بمعنى الثقافة كما فعل الدكتور زبيد أحمد في كتابه «الآداب العربية في شبه القارة الهندية».

٢- أن هؤلاء الدارسين قد خصصوا للشعر قسماً من دراساتهم، لكن أكثرهم يكتفون بذكر أبيات من مصادرها، وقد يعلقون عليها أحياناً تعليقاً عابراً، مكتفين بذلك عن الدراسة العميقة.

وقد استفدت من بعض هذه الدراسات في الوصول إلى مراجع المادة ومظانها.

وبناءً على ما تقدم أرى أن رسالتي هذه يمكن أن تكون أول عمل منهجي يتناول

---

١ - «بيسوين صدي مين يوبي مين عربي أدب» أي (الأدب العربي في إقليم أترابراديش في القرن العشرين) د. أطهر حسين، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كرهـ، سنة ١٩٩٤م، «حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر» د. جميل أحمد، جامعة دمشق.

٢- «مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م» د. زبير أحمد الفاروقي، الجامعة الملية الإسلامية بدلهي.

٣- «عربي أدب مين سيد سليمان ندوي كي خدمات» أي (جهود السيد سليمان الندوي في خدمة أدب اللغة العربية) د. سطوت ريحانه، قسم اللغة العربية، جامعة عليكرهـ.



الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين بدراسة موضوعية فنية.

هذا، وأشكر الله الكريم المنان على نعمة الإسلام، وأن وفقني لطلب العلم في مدينة المصطفى ﷺ كما أشكر جميع من أعانني على طلب العلم وعلى رأسهم الوالدان الكريمان والأساتذة الأفاضل، والقائمون بمؤسسات التعليم، وأخصّ بالشكر جامعتنا العريقة التي شرفها الله تعالى بقيامها في مهبط الوحي، ومهاجر رسول الله ﷺ، فاشكر جميع القائمين عليها، وأساتذتها الأجلاّء، وأزجي أسمى آيات الشكر والامتنان إلى جميع أساتذة كلية اللغة العربية وعميدها ورئيس قسم الأدب والبلاغة الذين يبذلون كل غال ونفيس في تثقيف أبنائهم، إذْ أتاحوا لي فرصة مواصلة الدراسات العليا، وأرى نفسي مدينة بالشكر لأساتذتي الأفاضل المشرفين على الرسالة الدكتور عبد الله الطرازي حفظه الله الذي أشرف عليّ طوال هذه الرحلة العلمية الممتعة النافعة، والدكتور حسن عبد السلام حفظه الله الذي غرس بذور هذا البحث ورعاه حتى قام على سوقه، والدكتور محمد عبد الجواد الفاضل الذي أنعم الله عليّ بإتمام البحث تحت إشرافه، فلولا توجيهات هؤلاء الجهابذة الكرام لم يكن من الممكن أن يخرج العمل بهذه الصورة الأنيقة، فجزاهم الله خير ما يجزي عباده الصالحين، وبارك فيهم، كما لا يفوتني أن أشكر جميع من ساعدوني في إنجاز هذا البحث بإعارة كتاب، أو توجيه رأي أو غيره وأرجو لهم حسن المثوبة، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا الإخلاص في كل قول وعمل، وأن يجنبنا طريق الضلال، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم، إنه خير هادٍ وأكرم مسئول، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

●●●


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التمهيد

بلاد الهند وجغرافيتها

الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين- اللذين هما حقبة الدرس -كانت تطلق على شبه القارّة الهندية، وهي تضم في الوقت الراهن ثلاث جمهوريات: الهند، وباكستان، وبنغلاديش. والمقصود بالهند في عنوان الرسالة هو شبه القارة الهندية كلها.

وتحدها شمالاً جبال «الهمالايا» الفاصلة بينها وبين بلاد «التبت»، وجنوباً المحيط الهندي، وشرقاً جبال آسام، وغرباً جبال «الهندوكوش».

ويلاحظ الدكتور جمال حمدان أن أهم ما يميّز جغرافية الهند هو العزلة الجغرافية الكبيرة[1]، إذْ تنفصل الهند عن بقية بلاد آسيا بحاجز من الجبال الشاهقة، منها «همالية» التي تفصلها عن الصين، وتعد أعلى جبال العالم إذ تصل أكثر قممها ارتفاعاً إلى علو ٨٨٨٨م. وجبل «قراقرم» في كشمير، ومنها جبال «سليمان» التي تفصلها عن بلاد الأفغان، وفي هذه الأخيرة ممّرات تصل بين الهند وأفغانستان، وأشهرها ممر «خيبر» وممر «بولان». ومن هذه الممرات دخل الفاتحون، وعبر المستوطنون، وسلك طرقها النازحون والمهاجرون.

١- تاريخ الهند الحديث، د. عادل حسن نعيم ود. عبد الرحيم عبد الرحمن، ص١٣، مكتبة الخانجي بمصر، ط١، ١٩٨٠م (بتصرف).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وفي جنوب هذه الجبال تنفرج سهول واسعة تمتدّ من الغرب إلى الشرق بطول ٣٥٠٠كم من البحر العربي إلى خليج البنغال ، ويتراوح عرضها بين ٣٥٠-٥٠٠كم. وتنقسم هذه السهول بهضبة قليلة الارتفاع تقع إلى الغرب من مدينة «دلهي» أو أن هذه المدينة تقع على سفوح الهضبة الشرقية، وتنقسم السهول إلى قسمين: يجري في الجزء الغربي نهر السند، ويجري في القسم الشرقي نهر «الكنج» وفيه تكثر الأمطار الموسمية فتزداد الفيضانات، وتحدث النكبات بالأرض والسكان.

وفي جنوب هذه السهول يمتدّ شبه جزيرة ذات صخور قديمة على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب، ويعد «رأس كماري»[١] نهاية شبه الجزيرة التي تكوّن هضبة تعرف باسم هضبة «الدكن» ويبلغ معدل ارتفاعها ١٠٠٠م وترتفع عن السهول السّاحلية على شكل درجات تعرف باسم «الـگهات»[٢] أي: السلالم، ويعرف الرابط الساحلي الضيق في الغرب باسم «مالابار»[٣]، وفي الشرق باسم «كورومندل»[٤]، وتنحدر الأنهار من الهضبة نحو الغرب ونحو الشرق، وتكون قصيرة نسبياً وغير منتظمة الجريان.

تعد هذه المنطقة من البلاد الحارّة إذ تمتدّ بين خطّي عرض ٨-٣٧ شمالاً، وتغزر الأمطار الصيفية فيها بسبب الرياح الموسمية حتى لَتُعدُّ من أغزر بلدان العالم وبخاصة على سفوح جبال «الهمالايا»، وأما فصل الشتاء فيكون جافاً، وتعد صحراء «تهر» الواقعة في الغرب عن مدار السّرطان أكثر المناطق جفافاً. وفي نهاية الشهر الجاف ترتفع الحرارة وتزداد حتى تبدأ الأمطار في الانهار في فصل الصيف، وتحميها الجبال الشمالية من الرياح الآسيوية الباردة[٥].

وأهم مدن الهند: بشاور، ولاهور، وملتان، وكراتشي، وتقع الآن في باكستان ودكا، وجاطكام، وتقعان في بنغلاديش، ودلهي ولكهنؤ، وكلكلتة، وبومباي، ومدراس، وحيدرآباد، وبتنة ، وبهوفال، وأحمدآباد، وبنجلور وغيرها وتقع في الهند[٦].

١- وتعرف الآن باسم «كَنيِّا كماري» Kanya Kumari .

٢- گ يرمز هذا الحرف إلى الكاف المجهورة، ونطقها كالقاف باللهجات السعودية المعاصرة.

٣- وتعرف الآن باسم «كيرلا» Kerala .

٤- قد انقسم الآن بين ولايتي « تامل نادو» و « آندهرابرديش».

٥- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، إعداد: د. إسماعيل أحمد ياغي، والشيخ محمود شاكر ص ٣١٦-٣١٧. مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٩هـ.

٦- للاستزادة في الموضوع ينظر: الهند في العهد الإسلامي، للشريف عبد الحي الحسني. ص ٣١. ص ١٢٣. ط دار عرفات رائي بريلي، الهند. ١٤٢٢هـ.



حالة الهند السياسية

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين

إن مما لاحظه الباحثون في تاريخ الهند القديمة والحديثة أن الهند وإن جمعتها الوحدة الاسمية فهي بلاد كثيرة، مختلفة باختلاف أقطارها، ومختلفة باختلاف أصول سكّانها، قديماً وحديثاً، ومختلفة باختلاف عقائد أهلها وتفكيرهم.

هذا بالإضافة إلى أن هذه البلاد لم تكن في يوم من الأيّام بلداً واحداً بكل معنى الكلمة، ولا كانت تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة[١]، بل كان هناك عشرات من الوحدات السياسية المستقلة[٢] ولم تجمع الهند تحت تاج واحد إلا زمن الإمبراطوريات الإسلامية التي حكمت الهند وخاصة المغولية، وزمن الإمبراطورية الإنجليزية، إذ كانت السّلطة المركزية تسيطر على الهند كلها مع وجود إمارات مستقلة استقلالاً داخلياً يتسع أو يضيق[٣].

وتدل المعلومات التي بين أيدينا على أن أهل الهند الأصليين يرجعون في أصولهم إلى أصول سكان سوماطرة وأستراليا وسيلان، ويغلب على الظن أنهم كانوا يعيشون حياة بدائية، ثم جاء الدرافيديون فاتحين، فاستولوا على شمالها. وزحزحوا أهله عنها. ففرّ من فرّ منهم إلى الجنوب –وأحفاد هؤلاء لا يزالون موجودين في جنوب الهند حتى يومنا هذا– واندمج من بقي في الشعب الفاتح، وانصهروا فيه وانصهر فيهم، حتى أصبحوا أمة واحدة، وأنشأوا مدنية ذات شأن كبير، عاشت ثلاثة آلاف سنة، ثم انقرضت بمجيء الآريين.

ويرجح العلماء أن استيلاء الآريين على الهند كان في بدء الألف الثانية قبل الميلاد، وقد أصاب الدرافيديين من جرّاء هذا الفتح ما أصاب أهل الهند الأصليين من قبل، إذ فرّ فريق منهم، من وجه الفاتح إلى الجنوب، وبقي آخرون فانصهروا في الآريين، وكان استيلاء الآريين على شمال الهند، وأسسوا فيه مدنية عظيمة وأقاموا هناك ستّ عشرة

١– تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، إحسان حقي، ص ٨، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط أولى ، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م (بتصرف).

٢– تاريخ الهند الحديث، ص ١٩، (بتصرف).

٣– تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٩ (بتصرف).



إمارة أعظمها شأناً وأكبرها أهمية إمارة مكده[١] التي قضى عليها التتر في نهاية القرن الخامس الميلادي، ثم ظهرت إمارات كثيرة منها إمارة السند التي فتحها المسلمون بقيادة محمد بن قاسم الثقفي الذي انتزعها من يد واليها «داهر» سنة ٧١٢م أيام الوليد بن عبد الملك الأموي، وبهذا أصبحت السنده تابعة للخلافة الأموية في دمشق.

ثم امتدت الفتوحات الإسلامية في الهند على يد الغزنويين ابتداء من القرن الرابع الهجري. فقد بدأت غزوات الأتراك من أفغانستان إلى شمال الهند عندما وصلت قوات السلطان محمد الغزنوي عام ١٠٠١م. وقد قام هذا السلطان بسبع عشرة غزوة واستطاع أن يتوغل في قلب السهول الهندية على الرغم من المقاومة الهندوكية الشديدة، وأن يقيم حكماً إسلامياً في مناطق شبه الجزيرة الهندية.

لكن النفوذ الإسلامي لم يتوطّد في الهند إلا في أواخر القرن الثاني عشر على يد الدولة الغورية عندما تمكّن قطب الدين أيبك من الاستيلاء على المناطق الهندية شمال مرتفعات فنديا، ودخل دلهي عام ١١٩٣م، واستمرت الدولة الغورية في الهند حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي عندما سيطر المماليك على مقاليد الحكم ما يقرب من قرن من الزمان، ثم تبعهم الأمراء الخِلجيون (١٢٩٠-١٣٢١م)، ثم دولة آل تغلق (١٣٢١-١٤٢١م) التي حدثت في نهايتها غزوة تيمورلنك للهند سقطت خلالها مدينة دلهي في يد القوات التيمورية عام ١٤١٤م، وكانت هذه الغزوة العامل الرئيس في تفكك دولة تغلق إلى عدة ولايات يخضع كل منها لإحدى الأسر الإسلامية الحاكمة، وهيأت تلك الأوضاع السياسية المتفسخة الفرصة لظهير الدين محمد بابركي يندفع بقواته إلى شمال الهند ليستولي على دلهي ويؤسس الدولة المغولية التي تعدّ أكبر وأهمّ دولة إسلامية عرفتها الهند في تاريخها الطويل.

وكان أهم غزوات بابر للهند سنة ١٥٢٦م في وقعة باني بت[٢] حيث لقي ملك الأفغان السلطان إبراهيم لودهي واقتتل الفريقان، فسحق الجيش الهندي، وقتل السلطان إبراهيم في هذه المعركة التي كانت حاسمة في تاريخ الهند، إذ سار بابر بعدها حتى دخل دلهي من غير أن يلقى مقاومة. وبعد معارك حاسمة مع القوى المناوئة

١- مملكة قديمة في الهند، كانت تقع في ولاية بهار الحالية، وكانت نواة لممالك وإمبراطوريات كثيرة (الموسوعة البريطانية مادة: Encyclopedia of Bretanica Magadha).

٢- اسم مدينة، تقع الآن في ولاية «هريانه».



من كل من الأفغان وملوك راجبوتانة[1] استطاع بابر أن يوطد سلطانه في الهند، ويضع أساساً قوياً لإمبراطورية مترامية الأطراف خلال خمس سنوات فقط.

ولما مات بابر سنة ١٥٣٠م خلفه ابنه همايون، وفتح أكثر بلاد الهند، ثم خرج عليه شير شاه وقاتله أشد القتال، فانهزم هُمايون على يده، ولم يبق معه إلا القليل فقصد عراق العجم، والتجأ إلى طهماسب شاه الإيراني فاستقبله طهماسب باحترام لا مزيد عليه، فأقام عنده مدة، ثم قصد الهند، وفتح قندهار[2] وكابل[3] وجمع أسباب السلطة، ورجع إلى الهند، وكانت مدة خروجه من الهند نحو ١٣ سنة.

استقل شير شاه بالملك حوالي خمس سنوات، وكان من أحسن ملوك الهند، أدخل إصلاحات كثيرة في النظام الإداري، واهتم بمجال الزراعة وأحوال الفلاحين، كما وحّد الأحكام والنظم، وأدخل إصلاحات كثيرة على النقد والمحاكم والبريد، وكان عصره عصر ازدهار وقوة للهند، ولما مات سنة ١٥٤٥م خلفه ابنه إسلام شاه (١٥٤٥-١٥٥٤م) ثم محمد عادل شاه (١٥٥٤-١٥٥٦م) ثم اسكندر شاه.

ولم يكن خلفاء شير شاه -على الرغم من قوة بعضهم- قادرين على الحفاظ على قوة الدولة وتماسكها مما شجّع همايون على استعادة ملكه المفقود.

وإذا كان همايون قد استطاع أن يرى الهند ثانية وأن يدخلها فاتحاً منصوراً بعد أن فرّ منها خائفاً يترقب، فإنه لم يستطع بأن ينعم بهذا النصر إذ سقط سنة ١٥٥٥م -قضاءً وقدراً- من الطابق الأوّل في قصره إلى الأرض فمات، وخلفه ابنه جلال الدين وتلقب بـ«أكبر» وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره، وبالنظر إلى صغر سنّه فقد تولّى إدارة الملك القائد الحازم الأمين «بيرم خان» نيابةً عن الملك[4].

وكان أكبر رحيماً، لطيف المعاشرة، ظريف المحاضرة، شجاعاً مقداماً، محظوظاً جداً، حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح، ولا يقدم على أمر مبهم إلا اتضح، ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجح، وهو أوّل من أظهر بالهند هيبة الملك بسعده، وأسس قواعد السلطة

١- مجموعة إمارات، كانت تقع فيما يعرف الآن باسم راجستهان، وتعني كلمة راجبوتانا: أرض الراجبوت (الموسوعة البريطانية Rajputana).

٢- اسم مدينة في أفغانستان.

٣- اسم مدينة في أفغانستان.

٤- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، د.إحسان حقي ، ص ١٤١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

بعد الخلجي، والسوري، ومهّدها لمن بعده، واجتمع لديه من أهل السيف والقلم ما لم يجتمع عند غيره بعد الخلفاء العباسيين، وفي أيامه فتحت بلاد كشمير، وبلاد السند، وبلاد البنغال، وبلاد كجرات، ومالوة، وبرهانبور، وغيرها. وأصبحت الهند خلال حكمه أغنى دول القارة الآسيوية وأكثرها هدوءًا واستقراراً، وذكر أغلب المؤرخين أنّه أنشأ ديناً جديداً يسمى بالدين الإلهي، وكان يرى أن نبوة محمد ﷺ ودينه كانا لمدة ألف سنة، ولذا أنشأ هذا الدين للألفية الثانية، مات سنة أربع عشرة وألف للهجرة، وكانت مدة حكمه إحدى وخمسين سنة.

وبعد وفاة أكبر ولي ابنه سليم ولقب نفسه «جهانكير» واستمر في الحكم ٢٢ سنة حتى توفي سنة ١٠٣٧هـ.

وبعد وفاة جهانكير ولي ابنه شهاب الدين محمد شاهجهان السلطة وافتتح بالعدل والسخاء والكرم، ورفع سجدة التحية التي اخترعها جدّه أكبر، وأزال المظالم عن البلاد وعمّرها، وأخمد الفتنة والبدعة وأسس المساجد والرباطات. وكان عصره أحسن الأعصار وزمانه أنضر الأزمنة.

وبعد أكثر من ثلاثين سنة حكم خلالها شبه القارة الهندية، وبعد سجل حافل بالفتوحات والتحسينات الإدارية، وما امتاز به عصره من الرقي والازدهار في العامرة الإسلامية وتشييد المباني أقعده ابنه أورنكزيب سنة ١٦٥٨م بقصر الإمارة بأكبر آباد (آكرا) ليستريح، فعاش بعد ذلك عشر سنين وتوفي سنة ١٠٧٨هـ.

تولى أورنك زيب عرش الدولة المغولية سنة ١٦٥٨م بعد صراع كبير دار بينه وبين إخوته الثلاثة حول تولّيّ العرش، وافتتح أمره بالعدل والإحسان، واعتنى بإقامة الجمع والجماعات، وإعلاء الشرع والدين، وفصل القضايا على وفق الشريعة الإسلامية، وأمر العلماء بتدوين الفقه، حتى جمعت بأمره «الفتاوى الهندية»، وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين، ونصب الجزية على الكفار -بعد أن لم تكن- وأقام دولة العلم، وبالغ في تعظيم أهله، وفتح الفتوحات العظيمة، ووسّع ملكه حتى بلغت حدود ملكه في الجهة الشرقية إلى «بوري»[1] في منتهى «أريسه»، وفي الجهة الغربية إلى «سومنات» على شاطئ بحر الهند، وفي الجهة الشمالية إلى «خيوة أو بخاري» وفي الجهة الجنوبية إلى المحيط الهندي.

١- اسم مدينة مقدسة لدى الهندوس.



مات على فراشه سنة ١١١٨هـ وعمره تسعون سنة، ومدة ملكه خمسون سنة[١].

ومما يؤسف له أن هذا الإمبراطور كان آخر إمبراطور قوي من بني أباطرة المغول المسلمين، فقد جاء بعده خلفاء ضعاف لم يكونوا في مثل قوته وحزمه وتدبيره، فأخذت الدولة الإسلامية تتهاوى من فوق القمة التي أقعدها فوقها. وبدأت رقعتها الواسعة تنقص شيئاً فشيئاً، ويستقل هنا أو هناك أمير بحكم ولايته، وتتاح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ويشنّوا حرباً على الدولة الإسلامية، ويقطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها، ويتمكن الفرس والأفغان من غزو الهند وإحداث مجزرة عظيمة في دلهي تضرب بها المثل، والاستيلاء على مناطق مختلفة، والملوك المسلمون في دلهي يضعفون شيئاً فشيئاً، وينحسر نفوذهم وينكمش حتى لم يعد لهم مع الأسف سلطان ولا نفوذ[٢].

الهند والاستعمار البريطاني

في الوقت الذي كان المغول يجتاحون الهند من الشمال الغربي كان القراصنة الأوربيون ينـزلون على السّواحل الهندية، ويقومون بهجمة صليبية على المسلمين.

فبعد ما طرد النصارى البرتغاليون والأسبان المسلمين من الأندلس، وضعوا مخططاً لمتابعة المسلمين ومطاردتهم والالتفاف عليهم من الجنوب والشرق لإمكانية تطويقهم. وحسب هذا المخطط كان على البرتغاليين أن يتجهوا إلى جنوب بلاد المسلمين، فانطلقوا في المحيط الأطلسي فعرفوا رأس الرجاء الصالح، والتفوا حول إفريقية عام ٩٠٣هـ وبعد عام وصلوا إلى الهند، ونزلوا على ساحلها الغربي، واستولوا على «غوا»[٣] التي غدت منذ عام ٩٣٧هـ (١٥٣١م) عاصمة الهند البرتغالية.

وظهرت محاكم التفتيش في هذه المدينة على النحو الذي حدث في الأندلس، ولم تكن طلائع الصليبيين لتدخل إلى الداخل وإنما تكتفي بالمراكز الساحلية، إذ كانت على خوف من المسلمين.

وبعد أن كانت أوربا تدعم الأسبان والبرتغال في قتال المسلمين وملاحقتهم لأسباب

١- الهند في العهد الإسلامي، ص ١٨٥-١٨٩ بتصرف.

٢- كفاح المسلمين في تحرير الهند، د. عبد المنعم النمر، ص ٢٠-٢١، مكتبة وهبة بمصر، ١٣٨٤هـ.

٣- مدينة على الساحل الغربي للهند، ومازال يكثر فيها النصارى، وهي منطقة شهيرة لجمال طبيعتها، وفساد سكانها، وانتشار الخمر والقبائح فيها إلى الآن.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

عدائية أو صليبية محضة بدأت دولها المتعددة تنافسهم وتحسدهم لما حصلوا عليه من غنىً وثروات، فقد استطاع الهولنديون القضاء على نفوذ البرتغاليين في ساحل «مالابار» واتبعوا سياسة احتكارية ارتكبوا في سبيلها أبشع الجرائم وأخسّ الأساليب[1].

وفي بداية القرن السابع عشر الميلادي دخل البريطانيون في هذه الحلبة ينافسون الهولنديين في تجارة الهند وأسسوا شركة الهند الشرقية الإنجليزية. وبدأت هذه الشركة تسعى ما أمكنها السعي حينذاك لتحظى بالمقام الأوّل في الحصول على مركز تجاري يتيح لها مكسباً تجارياً في محصولات الهند التي كانت تصدرها إلى أوربا، وكان الأباطرة المغول في أوج قوتهم، فلا ينظرون إلى هؤلاء إلا نظرتهم لتاجر يريد أن يكسب مالاً من تجارته، لا أن يكسب أرضاً ويبسط نفوذاً، ولذلك تركوهم يتاجرون، وربما منحوهم بعض التسهيلات التجارية.

ولكن هؤلاء كانوا كالمرابي الذي لا ينظر إلى فائدته الربوية بقدر ما يرمي من بعيد للحصول على الأرض والاستيلاء عليها. وكانت الشركات تعمل ومن ورائها حكوماتها التي تسعى إلى التوسع والاستعمار، وأتتها الفرصة حين ضعف الحكم الإسلامي، وتفككت وحدة البلاد، وانشغلت بحرب بعضها بعضاً، فبدأت هذه الشركات في دور جديد وهو دور بسط النفوذ على البلاد، وأخذت تتصارع على اللقمة الدسمة الكبيرة التي أمامها.

واستطاعت شركة الهند الإنجليزية أن تحظى بالمقام الأوّل في الهند حيث صارت لها مراكز تجارية كبيرة في كل من مدراس وبومباي وكلكتة، وحصلت على امتياز لتشييد القلاع والحصون وتحصين هذه المدن. وبدأت في بسط نفوذها عن طريق ضرب الولايات بعضها ببعض، وإعانة بعضهم على بعض مقابل تنازلات عن بعض مناطقها، حتى استولت على مدراس سنة ١٠٤٩هـ الموافق ١٦٩٣م.

وكان المسلمون الغياري يحاولون أن يوقفوا هذا السرطان الذي يسري في جسم البلاد دون جدوى.

فقام الأمير «سراج الدولة» في البنغال بالهجوم على حصونهم ليقضي عليهم ويريح البلاد من شرورهم سنة ١١٧٠هـ الموافق ١٧٥٨م، وكان من الممكن أن يحقق للبلاد ما

١- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل أحمد ياغي والشيخ محمود شاكر، ١/ ٣٢١ بتصرف، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٩هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

تصبو إليه لولا خيانة بعض قواده فكانت نهاية هذه الحرب هزيمة المسلمين، ومن ثم إلقاء القبض على الأمير وقتلهُ. وأتاحت هذه النهاية المؤلمة للنفوذ الإنجليزي أن يزداد في البنغال ويتخذ منها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها[١].

وفي عام ١٧٦٤م حارب الإنجليزَ قاسمُ علي خان حاكم البنغال، وشجاعُ الدولة أميرُ أوده، وشاه عالمُ ملك الهند المغولي، ولكن هزمهم الإنجليز في «بكسر»[٢] هزيمة فاحشة، وقبضوا على شاه عالم، ثم حصلوا منه على حق جباية ضرائب البنغال، وبهار، وأريسة، لقاء راتب قدره ٩٠٠٠٠ روبية سنوياً، يتقاضاه منهم، ولم يعد هو وأعقابه إلا موظفين عند الشركة، ولم تكن أحكامهم تتجاوز قصرهم وهو القلعة الحمراء بدلهي.

وفي عام ١١٩٥هـ الموافق ١٧٨١م قام حيدر علي حاكم ميسور[٣] للقضاء على النفوذ الإنجليزي، ثم جاء من بعده ابنه الباسل الشجاع فتح علي المعروف بـ«تيبو سلطان» وأخذ على عاتقه هذه المهمة، ودخل مع الانجليز في حروب عديدة، كاد يتم له فيها النصر لولا خيانة بعض قواده، وضعف نفوس بعض أمراء الولايات الذين استمالهم الإنجليز، فَهُزِم القائد الشجاع وخرّ شهيداً في المعركة وذلك في عام ١٧٩٩م. وتنفس الإنجليز الصعداء واستراحوا من أقوى خصم لهم في الهند[٤]كاد يقضي على كل آمالهم فيها، ولم يبق هناك من يستطيع الصمود أمام هذا النفوذ الإنجليزي وإن كانت هناك إمارات إسلامية وهندوكية لكن أغلبها كانت تابعة للاستعمار البريطاني، فانطلقوا بعد ذلك ينفذون المخطط الذي رسموه، ويستعجلون التهام اللقمة الناضجة[٥].

ولم تمض على شهادة السلطان تيبو بضع وعشرون سنة إلا ونرى حركة شعبية أخرى تقوم في الجزء الشمالي الغربي للهند يتزعمها السيدان الشهيدان والعالمان الشامخان سليل بيت النبوة ورضيع لبان الشرف والعلم السيد أحمد بن عرفان وزميله وصاحبه قرة عين بيت ولي الله ودرّة تاجه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني فحصلت في الهند بهذه

١- كفاح المسلمين في تحرير الهند، د. عبد المنعم النمر، ص ٢١-٢٢.

٢- اسم موضع في البنغال.

٣- اسم مدينة في جنوب الهند، كانت عاصمة ملوك الهندوس، واستولى عليها حيدر علي بقوة شخصيته وحنكته السياسية.

٤- مما يدلّ على هيبة السلطان تيبو في قلوب الإنجليز أنه لما بلغ القائد الإنجليزي هورس Horse شهادة السطان حضر ووقف على جثته وقال: اليوم الهند لنا. ينظر المسلمون في الهند للشيخ أبي الحسن علي الندوي، ص٨٣، وسيرة تيبو سلطان شهيد لمحمد إلياس الندوي).

٥- كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص ٢٣. بتصرف.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الدعوة المباركة نهضة دينية جديدة مستقيمة معتدلة سائرة على طريق الشريعة المستقيمة اخترقت السهول والجبال واجتازت العقبات والعراقيل حتى بلغت الحدود الشمالية الغربية واستقرت في كهوفها وشعابها وتغلغلت في مغاراتها وأوديتها، تدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله، وكان هدفهما من هذه الدعوة هوّ إقامة الجهاد على الوجه المشروع، وتنظيم جيش المسلمين على الطريق الأقوم، وكانا يسعيان لإجراء العمل بقانون الشرع وتنفيذ أحكام الله تعالى في معظم بلاد الهند بل في جميع أقطار العالم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله[1].

فأعلنوا الجهاد الشرعي -بعد جمع العُدّة والعَدَد- على السيخ Sikhs الطغاة الذين كانوا يعيشون في الأرض فساداً. ويتعاطون المنكرات من قتل النساء والعجزة وهتك الأعراض وسفك دماء الأبرياء من أبناء الإسلام وهتك حرمة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام إلى غيرها مما جعلهم أعدى عدو للإسلام وأشد أعدائه بغضاً وأكثرهم خبثاً وعداءً للمسلمين في هذه البلاد في تلك الفترة الحرجة الشديدة.

واشتدت المعارك بعد سنة ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٧م وبقيت الحرب سجالاً بين الفريقين أربع سنين اعترف خلالها العدو الغاشم بشدة بأسهم وصلابة قناتهم، ولكن خيانة بعض العشائر الأفغانية أدّت إلى القضاء على هذه الدعوة المباركة واستشهد الإمامان وصفوة من خيار علماء المسلمين ورجالهم في أرض «بالاكوت»[2] بعد معركة حامية الوطيس.

وكان لهذه الدعوة المباركة والنهضة الإصلاحية والحركة الجهادية أثر عميق بارز ملموس في ثورة سنة ١٨٥٧م وفي حياة المسلمين من النواحي العقدية والاجتماعية ومازالت[3].

وتمكن الإنجليز في الفترة ١٨٤٦-١٨٤٨م من ضم آخر الممالك الهندية المستقلة إلى نفوذهم وهي مملكة البنجاب وبذلك أصبحت ممتلكات شركة الهند الشرقية الإنجليزية تمتد من كشمير إلى رأس كماري ومن جبال هندوكوش إلى آسام.

وقد تم تسلط الإنجليز على أرض الهند -مع قلة عددهم وجنودهم- بقوة الأسلحة الحديثة، والتنظيم الجيد، وأهل الهند يومئذ في دور تقهقرهم وانحلال دولتهم وانقسامٍ على أنفسهم، فوقعت هيبة الإنجليز في قلوبهم واحتملوا نيرهم مرغمين وفي نفوسهم

١- ينظر كتاب سيرة سيد أحمد شهيد بالأردية للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص ١١٠-١١١.

٢- موقعها الآن في مديرية «هزارة» من مقاطعة «سرحد» على تخوم ولاية كشمير الباكستانية، وهي كلها بلاد جبلية.

٣- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، مسعود الندوي، ص١٦٣-١٧٥، دار العربية (بيانات النشر غير موجودة في الكتاب).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

غل عميق وفي قلوبهم كراهية شديدة، ولما رأى الإنجليز انقياد أهل الهند ازدادوا عتواً واستبداداً واستخفوا بذلك الشعب ملوكاً وعامةً وسوقة، وأهانوا معاملتهم ونهبوا خيرات البلاد وعادوا بها إلى وطنهم، ويضاف إلى ذلك تدخلهم في شؤون الشعب الدينية -مسلمين وهنادك- ومنعهم من ممارسة بعض طقوسهم، ومحاولة نشر النصرانية وتنصير أهل البلاد بالجبر والإكراه. فملئت البلاد بالغيظ وانتشر الاضطراب وعمّ القلق في الجيش الحكومي المؤلف من الهنود.

فلما أقبلت سنة ١٨٥٦م أخذ أهل الهند يسعون في تدبير الوسائل لخلع ذلك النير، فألفوا عصابات سرية، وأصبحت نفوس الناس مضطربة تنتظر من يشعل فتيلها لتنفجر، فثارت الجنود -لأسباب هيأها الإنجليز أنفسهم- في مايو سنة ١٨٥٧م في ميرته[١] وانتشرت الثورة في جميع أرجاء الهند انتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية ساهم فيها المسلمون والهنادك سواءً بسواء. وتوجه الثوار إلى دلهي مقر الملك المغولي الأخير أبوظفر سراج الدين بهادر شاه وجعلوه قائداً للثورة، ورمزاً للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي، ونادوا به ملكاً شرعياً للهند وخليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة، وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه ناظرين له زعيماً للجهاد الديني والوطني، وينظرون إلى دلهي عاصمة الحكومة الهندية.

ورأى الإنجليز أن يقضوا على رأس الثورة في دلهي ليقضوا على آمال الثوار فيها ثم يتجهوا إلى النواحي الثائرة، وهكذا كان، فقد استولى الإنجليز من جديد على زمام الأمور في دلهي ولكهنو وكانفور وغيرها من المدن الرئيسة التي كانت المقاومة فيها قوية ومنظمة، وظلوا بعد ذلك نحو سنتين وهم يقاتلون الهنود في كل مكان حتى أعادوا فتح الهند من جديد وقضوا على جذور الثورة، وقد رافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية لا نستطيع تبريرها إلا بأنهم كانوا في حالة حرب مع عدو، والحرب -حينما تخرج عن الإطار الإسلامي- لا تعرف قانوناً، ولا ترعى محظوراً، ولا تقيم للاعتبارات الإنسانية وزناً. وقد صبوا جام غضبهم على أهل دلهي ولكهنو ومدن كبيرة أخرى رأوا أنها مراكز للثورة، وصاروا يأخذون الناس بالشبهات فساقوا آلافاً من الناس إلى المحاكم التي حكمت عليهم بالموت بعد أن عذبوهم عذاباً أليماً.

١- بلدة في غرب دلهي على بعد أربعين ميلاً.



يقول أحد المؤرخين الإنجليز: «إن ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثيلاً في أي عصر ومصر»[1].

وكتب جون لورنس الحاكم الإنجليزي المشهور في ديسمبر ١٨٥٧م إلى القائد الإنجليزي: «أعتقد أن الطريقة التي انتهبنا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستصب علينا السخط العام، وستصب علينا اللعنات إلى الأبد، وإننا نستحق ذلك».

وكانت المجزرة شعبية وطنية عامة ولكن لما كان للمسلمين النصيب الأكبر في القيادة والتوجيه وكان منهم العدد الأوفر والأهم من القادة والزعماء مثل الشيخ مولانا أحمد الله ومولانا لياقت علي، والجنرال بخت خان، والحاج إمداد الله التهانوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي، والحافظ محمد ضامن شهيد وغيرهم، ولما كان الإنجليز يرون أنها ثورة إسلامية، وأن المسلمين هم أصحاب فكرتها كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الإهانات والفتك الذريع.

يقول أحد المؤرخين المعاصرين: «قد كان شعار بعض رؤساء الإنجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائراً، وكانوا يسألون الرجل أ هندوكي أنت أم مسلم؟ فإذا قال مسلم، قتلوه بالرصاص»[2].

ويقول آخر: «إن سبعة وعشرين ألفاً من المسلمين قتلوا شنقاً، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما السلالة التيمورية فقد حاول الإنجليز أن يستأصلوا شأفتها فقتلوا حتى الصبيان، وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود»[3].

ويقول قائد قواد الجيوش الإنجليزية اللورد روبرتس Lord Roberts : «إن هدفنا أن نثبت للمسلمين الأشرار أن الإنجليز لا يزالون –بنصر الله– سادة الهند»[4].

وهكذا أخفقت هذه الثورة الهائلة ولو كتب لها النجاح لغيّرت مجرى السياسة العالمية، ولكن كل شيء بقدر.

وعلى إثر هذه الثورة نفي الملك المغولي بهادر شاه ظفر إلى «رنجون» في بورما حيث بقي مسجوناً إلى أن لقي ربه سنة ١٨٥٨م ودفن بأرضها. وكان ذلك إعلاناً بالقضاء على

١– تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٠٢.

٢– المسلمون في الهند ص ٨٨.

٣– المصدر السابق، ص ٨٢–٩٠.

٤– المسلمون في الهند، ص٨٢–٩٠.



الدولة الإسلامية في الهند ما عدا بعض الإمارات التي بقيت تابعة للهند إلى الاستقلال.

وأعلنت الملكة فيكتوريا ضم الهند إلى التاج البريطاني مباشرة وانتهى حكم الشركة المشئوم.

ولما رأى المسلمون معاملة الإنجليز لهم -بعد الثورة- وسياستهم بإضعاف المسلمين سياسياً واقتصادياً بمصادرة أملاكهم وأوقافهم ومحاكمة زعمائهم وعلمائهم والحكم عليهم بالإعدام أو النفي أو السجن، وكان أهم ما يقض مضاجع المسلمين هو خوفهم على دينهم إذ رأوا المحتل يركز حربته ضد هذا الدين فأكثر من فتح المدارس الحديثة، وساند المبشرين بقوته. فرأى بعض المفكرين من المسلمين أن سلطانهم وإن ضاع منهم فإنهم يستطيعون أن يبذلوا من نفوسهم ومن أموالهم ما يحفظون به دينهم حتى لا تكون نكبتهم في سلطانهم ودينهم معاً، وكانت الفكرة التي تستولي عليهم هي أن يربّوا شبابهم تربية بعيدة عن التيار الاستعماري الجديد، تربية مستقلة، تغرس فيهم روح الدين، وكراهية المستعمر، وتحفظهم من الانحلال والذوبان في الغرب وشخصيته. ولا سبيل إلى ذلك إلا بإنشاء مدارس دينية مستقلة في كل شيء عن الحكومة، فكانت أول مدرسة قامت على هذا الأساس مدرسة «دار العلوم» بديوبند[1] على يد الشيخ محمد قاسم النانوتوي سنة ١٢٨٣هـ الموافق ١٨٦٧م ثم أنشئت على غرارها مدارس أخرى في طول الهند وعرضها، وكانت تدعو إلى مقاطعة الثقافة الإنجليزية بكل مظاهرها، وقد نتج عن هذه الروح أن قاطع المسلمون المتأثرون بالعلماء -وكثير ما هم- مدارس الحكومة بينما انصرف إليها غيرهم من الطوائف الأخرى وتعلموا فيها وتخرجوا ليتولوا الوظائف الحكومية الصغيرة.

وسار ركب الحياة في الهند إبّان العهد الأول من الاحتلال الإنجليزي على هذا الأساس، أكثرية غير مسلمة تتعاون مع المحتل، وتقبل على مدارسه ووظائفه، وأقلية مسلمة تحجم عن هذا التعاون بل وتحاربه، وتلاقت نتائج هذه الفكرة مع فكرة الإنجليز العدائية للمسلمين ورغبتهم في قتلهم عملياً ومالياً وإبعادهم عن الحياة العامة.

وقد هالت هذه الحالة نفراً من المسلمين الذين لا ينظرون إلى الإنجليز وثقافتهم النظرة العدائية التي يحملها العلماء المجاهدون ومن سار على فكرتهم، ورأوا أن النتيجة الطبعية لنظرية العلماء هذه أن يتأخر المسلمون عن ركب الثقافة الحديثة، بينما يتقدم غيرهم من

١- بلدة تقع شمال دلهي بنحو ٩٠ ميلاً، من بلاد مديرية سهارنفور.



أبناء البلاد ويسيطرون شيئاً فشيئاً على مقاليد الأمور في بلادهم، علاوة أن النظرة العدائية المتبادلة بين المسلمين وبين أسياد البلاد الجدد لا تؤدّي في نهايتها إلا إلى حرمان المسلمين.

من أجل هذا قام هؤلاء النفر وعلى رأسهم السيد أحمد خان يدعون إلى إزالة الجفوة بين المسلمين والإنجليز، وإلى غرس الثقة في نفوس الفريقين حتى يتقبل كل منهم الآخر فيفيد ويستفيد[١].

وفي سنة ١٨٦٩م ذهب السيد أحمد خان إلى إنجلترا، ومكث فيها سنة ونصف السنة يدرس برامج التعليم الإنجليزي ومناهجه، وانتهى إلى الاعتقاد بأن طريقة مماثلة من التعليم تجعل الشباب المسلمين قادرين على خوض معترك الحياة إلى جانب الأقوام الناهضة، فلما عاد إلى الهند سنة ١٨٧٠م بدأ بالسعي إلى إقناع المسلمين بالإقبال على هذا التعليم الجديد، وتمكن هو وزملاؤه سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م من إنشاء مؤسسة علمية إسلامية يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث مع تعاليم دينهم في جو مأمون موثوق به وذلك في مدينة على كرهـ[٢] وسموها «مدرسة العلوم للمسلمين» وعمل على توسيعها لتصير جامعة ذائعة الصيت داخل الهند وخارجها، وكانت هذه الجامعة المصنع الذي صنع كثيراً من رجالات مسلمي الهند الذين قادوا الحركات ا لعلمية والوطنية[٣].

ولم يلبث أن تحول هذان المركزان الجديدان للتعليم في الهند «مركز ديوبند» و«مركز علي كرة» إلى مدرستين للفكر وحركتين للتعليم، وكانتا على طرفي نقيض، وبدأ الصراع بينهما، وظهرت آثاره في كل فرع من فروع الحياة، إضافة إلى خلافات بين علماء الدين أنفسهم في مسائل في الفقه والعقيدة، وأحس جماعة واعية من العلماء وأولي الرأي بالخطر الداهم وأرادوا أن يتداركوه قبل أن يتفاقم الخطب ويتسع الخرق، فأسسوا سنة ١٣١١هـ - ١٨٦٣م جمعية «ندوة العلماء» وكانت غايتهم القصوى إيجاد حل لخلافات الطائفتين وإدخال إصلاحات في مناهج المعاهد الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنة والعلوم العصرية، ولقيت هذه الحركة مخالفة شديدة في بداية أمرها إلا أنها لاقت رواجاً كبيراً فيما بعد وآتت ثماراً يانعةً[٤].

١- كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٣٥-٤٧. بتصرف.

٢- اسم مدينة على بعد ١٣٠ كيلو من دلهي، اشتهرت بجامعة إسلامية، أنشأها سر سيد أحمد خان.

٣- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٦٠.

٤- صدائي رستاخير، أعده للنشر خليل أحمد الحامدي، ٥٦-٥٨، إدارة معارف إسلامي،لاهور، باكستان، ١٩٩٣م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ونرى أن فترة مابين عامي ١٨٥٧-١٩١٤م مرت على الهند هادئة ساكنة لم يشهد المسرح السياسي في الهند خلالها أحداثاً ذات شأن كبير ماعدا تأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندي سنة ١٣٠٣هـ-١٨٨٥م باقتراح وسعي بعض الإنجليز، وتأليف حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦م وصار لهذين الحزبين أثرهما وثقلهما في مجريات الأحداث عند الاستقلال والتقسيم.

وبقي الإنجليز ينعمون بالحكم في الهند -على أنقاض الدولة الإسلامية- غير مبالين بما يحتمله أبناؤها من الويلات والمصائب بسبب سياستهم المدمرة لاقتصاد البلاد وأهاليها، ونهب لثرواتها وخيراتها على أيدي نوائب طبيعية من المجاعة وانتشار بعض الأمراض والأوبئة الفتاكة مكتفين بإدخال بعض الإصلاحات في إدارة البلاد وإدخال بعض وسائل التقنية الحديثة كالتلغراف والسكة الحديدية ونحوهما.

نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م وكانت انجلترا بحاجة شديدة إلى الجندي الهندي، فأخذت الدولة الإنجليزية تغدق الوعود للزعماء الهنود وقامت بدعاية أن الخلافة العثمانية في خطر وأن انجلترا وحلفاءها يريدون إنقاذها، واستطاعت بهذه الوعود أن تسوق إلى ساحات الوغى مئات الآلاف من الهنود من المسلمين والهنادكة، وربحت بفضلهم هذه الحرب[١].

وعادت الجنود الهندية إلى الوطن وقد أدركوا أشياء كانوا يجهلونها، وعرفوا أنهم قادرون على نزع استقلالهم من بريطانيا إذا أخلفت الوعود. وبدأت المطالبة بالحكم الذاتي[٢].

وفي سنة ١٩١٦م أسرت حكومة الشريف حسين في مكة الشيخ محمود الحسن الذي كان يسعى على حصول التأييد السياسي والعسكري من الدولة العثمانية ومن حكومة أفغانستان لطرد الإنجليز من الهند وإعادة الحكم إلى أهلها. وطردته الحكومة الإنجليزية وأعوانه إلى مالطة[٣] فبقوا هناك إلى سنة ١٩٢٠م[٤].

ولما رأى المسلمون ازورار انجلترا عن الدولة العثمانية قاموا سنة ١٩١٩م بإنشاء

١- كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٥٠-٧٧، تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٠٥-٣٢٧، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١/ ٣٢٥-٣٢٦.

٢- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص٣٢٧.

٣- جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، كانت مستعمرة بريطانية.

٤- المسلمون في الهند، ص٩٧.



حركة الخلافة كي يضغطوا على الإنجليز للبر بوعودهم بإبقاء الخلافة[١]، وكان يتزعمها الأخوان محمد علي وشوكت علي بمساندة مئات العلماء[٢]، واتحد المسلمون والهنادكة تحت لوائها في مهاجمة الحكومة الإنجليزية وسياسة حلفائها في قضية الحكومة العثمانية، فأصبحت الهند كمرجل يغلي، واشترك في هذه الحركة «غاندي» بكل نشاط وحماسة، وقام برحلات طويلة مع محمد علي وشوكت علي يخاطبون الجمهور ويخطبون في الحفلات الكبيرة التي لم تشهد البلاد مثلها وكان الجمهور يستقبل هؤلاء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم.

وفي سنة ١٩٢٠م اقترح غاندي ومولانا أبو الكلام آزاد مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة الحكومة الإنجليزية والإضراب عن التعاون معها في دوائرها وفي جيوشها فكان أمضى سلاح استعمل في حرب التحرير وكاد يشلّ الجهاز الإداري وينشر الثورة العامّة[٣].

وكانت هذه الأحداث جرس إنذار بنهاية الحكومة الإنجليزية في الهند، وظهر تفوق المسلمين وحماستهم وحسن نظامهم في حركة الخلافة والتحرير إذ كانت القيادة السياسية في أيديهم، فأطلقت السياسة الإنجليزية سهمها الأخير الذي لا يطيش عادة وهو سهم التفريق والإفساد[٤]. فظهرت –على إثارة الإنجليز– الدعوة لهندكة المسلمين والآرية، وتنظيم الهنادك على طراز حربي، وانفجرت الاضطرابات الطائفية واستمرت وعنفت حتى كانت حديث النوادي والصحف والشغل الشاغل للبلاد[٥] ولم يستطع زعماء المؤتمر وحركة الخلافة أن يوقفوا هذه الاضطرابات ويرجعوا المسلمين والهنادك إلى الصفاء والثقة التي كانت تسود قبل ذلك، ولم تزل الفجوة بين الطائفتين –الهنادك والمسلمين– تتسع وتتعمق، وكان المسلمون يشعرون أن غاندي وزملاءه لم يستخدموا كل نفوذهم في إيقاف هذه الاضطرابات الدينية وفي محاسبة شعبهم وأصحاب ديانتهم

١– باكستان ماضيها وحاضرها ص ١٧٩.

٢– تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٢٨.

٣– المسلمون في الهند ص ٩٧–٩٨.

٤– المسلمون في الهند، ص٩٨.

٥– للاستزادة في الموضوع ينظر: صدائي رستاخيز ص ٩٦، ١١٢–١١٦، ١٢١–١٢٥، ١٥٠، ٢٣٤–٢٤٣، ٢٦٢–٢٦٤، ٣٨٢.



مما أجبرهم إلى الشكوى من ضيق تفكير زعماء حزب المؤتمر فيما يتصل بالمسلمين، وأدى إلى انفصال مولانا محمد علي وكثير من زملائه عن المؤتمر، وانضموا إلى الرابطة الإسلامية وقويت حركة الانفصال التي كان يتزعمها السيّد محمد علي جناح.

واستمر العصيان المدني ضد الانجليز، وتتابعت الاضطرابات الدامية بين الطائفتين الهندوس والمسلمين، وطفق الإنجليز يشركون الهنود في الحكم شيئاً فشيئاً حتى بدأت الحرب العالمية الثانية وتيقن الإنجليز على أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بالهند بعد الحرب فعملوا على كسب الهند إلى جانبهم خلال مدة الحرب، وحتى لا يسببوا لأنفسهم مشكلة تشغلهم مدة الحرب[١].

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى أعلنوا -تحت ضغط أمريكا- رغبتهم في منح الهند الاستقلال التام. وأرسلت الحكومة الإنجليزية سنة ١٩٤٦م وفداً لدراسة كيفية نقل السلطات من الإنجليز إلى الهنود[٢].

وفي عام ١٩٤٧م حصلت الهند على استقلال عن الاستعمار الإنجليزي، وقسمت إلى دولتين: جمهورية الهند العلمانية، وجمهورية باكستان الإسلامية[٣]، وأعطيت باكستان الشمال الغربي من الهند وجزءاً من البنغال في الشرق، وليس بين جزئي هذه الدولة أي اتصال إلا عن طريق الجو أو المرور بالأرض الهندية. واندمجت الإمارات في الجمهورية التي كانت تقع في حدودها.

ولما كان التقسيم على أساس الدين لم يتم الأمر بسهولة، بل حدثت مذابح وكانت أشد بكثير من المذابح التي قامت قبل التقسيم وانعدم الأمن وعمت الفوضى واستمرت شهوراً عدة[٤].

يقول الشيخ عبد المنعم النمر: «كانت فتنة عمياء، لم تبق ولم تذر، ولم تفرق بين البريء والمذنب، وتحول شمال باكستان وشرقها، وشمال الهند وشرقها ووسطها على الخصوص إلى ميدان حرب في كل مكان، في القرية والمدينة، والحقل والمصنع،

١- تاريخ الهند الحديث ١٧٥.

٢- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٣٧-٣٤٠.

٣- لمعرفة ملابسات التقسيم والدور الذي أداه فيه كل من المسلمين والهندوس ينظر كتاب مولانا أبي الكلام آزاد «الهند تنال الاستقلال» بالأردية همارى آزادي ص ٢٠٨-٣٠٩.

٤- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٣٩-٣٤٧. وتاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١/ ٣٢٩-٣٣١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والسيارات والقطارات، والمساجد والمعابد، في كل مكان تجد ضحايا، وتجد دماء، وتجد أشلاء متناثرة، رأس وحده، تنبئ عن صاحبه، ويد متطايرة تخبر عن صاحبها، وجسم مهشم ضاعت معالمه، ودماء تفصح عن اعتداء، أهوال ومناظر بشعة ورعب في كل نفس وفي كل مكان، أعمال وحشية اشترك فيها المسلمون في باكستان والهندوس والسيخ في الهند»[١].

وذهب ضحيتها مئات الآلاف من الضحايا من المسلمين والهندوس، إلا أن المسلمين كانوا هم الأكثر اكتواء بنارها وذلك لوقوعهم في وسط أغلبية هندوسية في شمال الهند وشرقها ووسطها، ولأن المسلمين كانوا يطمعون في إقامة دولة لهم وقد فازوا بما يطمعون فيه وفرحوا به في الوقت الذي أثار نفوس الحاقدين عليهم من الهندوس والسيخ فانطلقوا يشفون غيظهم وحقدهم في صور شتى من البشاعة المنقطعة النظير.

وهجر الناس بلادهم فارّين إلى أبناء دينهم فهجر الهندَ سبعة ملايين مسلم إلى باكستان، وهجر باكستان ستة ملايين هندوكي إلى الهند.

وكانت هذه الهجرة في غير صالح المسلمين، وفي غير صالح باكستان أيضاً، لأن كل هذه الملايين من النفوس البشرية التي هاجرت إلى باكستان لم تكن تحمل معها إلا ما في صدورها من إيمان، بينما كان الهنادكة الذين هاجروا إلى هندوستان في حالة اقتصادية حسنة وقد حملوا معهم كل ما يملكونه من مال ومتاع، كما كانوا بالنسبة إلى سكان الهندَ أقلية ضئيلة يسهل على البلاد احتمالها.

وقررت الحكومتان سنة ١٩٤٨م منع الهجرة، وأن تعمل كل منهما على تهدئة الخواطر، وتقديم الضمانات لغير أبناء دينها حتى يطمئنوا ويستقروا[٢].

ويقول الشيخ عبد المنعم النمر معلقاً على التقسيم وما أعقبه من أحداث فظيعة: «لقد قلت: إن الجيل الذي عاصر تقسيم الهند إلى دولتين يعتبر أتعس جيل سكن الهند، وحقاً هذا فقد رأى من الأهوال والمصائب والمناظر والغدر ما لم يره جيل سابق، وكابد من الآلام ما لم يكابده غيره من الأجيال»[٣].

١- كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٢٥٢.

٢- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٤٠-٣٤١.

٣- كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٢٥٣.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الهند بعد الاستقلال:

نالت الجمهوريتان: الهند وباكستان الاستقلال في منتصف أغسطس ١٩٤٧م وقبل أن تتم فرحتهما وتستكمل حدثت مذابح ومجازر لأصحاب كلتا الديانتين وكانت في الهند جماعات وعصابات متطرفة مثل «مهاسبها» ومنظمة «خدام الشعب»[١] (R.S.S) تدعو إلى القضاء على الإسلام والمسلمين، وترى فيهما أكبر خطر على الشعب الهندوكي[٢] وكانت تسعى إلى إجبار مسلمي الهند على اعتناق الهندوكية وإقامة دولة هندوكية بحتة[٣] ومحاولاتها ما زالت حثيثة، وهي لا تبرح تخطو إلى أهدافها بخطوات جريئة.

وفي يناير سنة ١٩٤٨م اغتيل غاندي اغتالته تلك الطوائف المتطرفة إذ كانت تكرهه بحجة أنه يسعى لإرضاء المسلمين وأنه حرم الشعب الهندوكي من مزاياه وحقوقه[٤].

ومرت الهند بخطوات واسعة إلى التقدم والازدهار في شتى ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والتقنية والعسكرية، كما استمرت الاضطرابات والمذابح الطائفية بين الهندوس والمسلمين بين فترة وأخرى هنا وهناك، وواجه المسلمون كثيراً من الصعاب والعراقيل في مجال التعليم والتوظيف وعوملوا معاملة غير عادلة في الاقتصاد، وحوربت اللغة الأردية لأنها تضم مكتبة دينية لمسلمي الهند[٥].

وعلى صعيد آخر لم تصفُ العلاقات بين الجارتين الهند وباكستان بل كانت كلتاهما تخاف صاحبتها وتنظر إليها نظرة الخوف والكراهية والعداوة[٦] ووقعت الحرب بين باكستان والهند عام ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م بشأن كشمير وامتدت على طول الحدود الهندية الباكستانية، ثم توقفت بعد التقاء الطرفين في طاشقند[٧] عام ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

وفي شوال من عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م أجريت الانتخابات العامة في باكستان وأسفرت نتائجها عن فوز «حزب عوامي» من باكستان الشرقية وحصل على أغلبية

١- للاستزادة حول هذه المنظمة وتاريخها وأهدافها ينظر «آر، إيس، إيس ايك مطالعة، حارث بشير. كاسمز بكز. دلهي. ط١. مارس ٢٠٠٣م.

٢- المرجع السابق ص ٧٠.

٣- صدائي رستاخير. أبو الأعلى المودودي ص ١٢٢-١٢٤. تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٣٧٤.

٤- هماري آزادي. (الهند تنال الاستقلال). أبو الكلام آزاد ص ٣٠٧ بتصرف.

٥- المسلمون في الهند. ص ١٠٣-١٠٢ بتصرف.

٦- الهند تنال الاستقلال ص٣١٥ بتصرف.

٧- مدينة شهيرة ذات تاريخ حافل بخدمة الإسلام في مجال العلم والسياسة، تقع في أوزبكستان، وهي عاصمتها الآن.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في المجلس النيابي، وكان على الجنرال يحيى خان أن يدعو المجلس النيابي للانعقاد ويسلم السلطة لمجيب الرحمن لكنه أجّلَ انعقاد المجلس النيابي مما أثار هياجاً شعبياً كبيراً، وقامت الاضطرابات وحركات العصيان في باكستان الشرقية وحاول يحيى خان القضاء عليها بقوة السلاح ورفض تسوية هذا النـزاع السياسي القائم على مائدة المفاوضات بدلاً من استخدام العنف، فقامت حرب أهلية واستغلت الهند هذه الفرصة واقتحمت قواتها العسكرية حدود باكستان الشرقية لمساعدتها ضد الجيش الباكستاني، وفي ١٧/ ١٢/ ١٩٧١م أمر الرئيس يحيى خان بوقف إطلاق النار رافقه استسلام تسعين ألف جندي باكستاني[1] للجيش الهندي وأسفر ذلك عن تنحي يحيى خان وتعيين ذي الفقار علي بوتو رئيس حزب الشعب رئيساً لباكستان دون باكستان الشرقية التي انفصلت واتخذت اسم بنغلاديش.

وبعد تولية ذي الفقار علي بوتو مهام منصبه عقد مؤتمر «شملة»[2] لتسوية الخلافات بين الهند وباكستان عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، وقامت الدول الإسلامية الصديقة بالوساطة بين باكستان وبنغلاديش للتوفيق بينهما وتم اعتراف باكستان بالدولة الجديدة بنغلاديش. وفي عام ١٣٨٩هـ حكم على «بوتو» بالإعدام بعد انقلاب الجيش عليه إثر اضطرابات ومظاهرات استمرت في البلاد ما يزيد على خمسة أشهر.

وهكذا رأينا أن فترة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين لم تكن فترة هدوء واستقرار بل كانت فترة مليئة بالاضطرابات الشديدة والأحداث الجسيمة لجميع أبناء الهند عموماً وللمسلمين خصوصاً الذين فقدوا ذلك الفردوس الذي نعم بحكمه آباؤهم أكثر من ثمانية قرون وأوصلوه إلى أوجه في الازدهار والرقي والرفاهية والمدنية والتقدم والعمران والعلم والعرفان والعدل والمساواة.

ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب بل تعرض المسلمون للاستعباد من أمة غريبة تختلف معهم في الدين وفي الوطن وفي اللغة وفي كل شيء حاولت جاهدة إذلال المسلمين وتوهينهم وقمعهم واستئصال شأفتهم والقضاء عليهم دينياً وعلمياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً.

ولما رحل ذلك العنصر الغريب ترك المسلمين هدفاً لحقد رعاياهم السابقين بعد ما

١- باكستان ماضيها وحاضرها، د. إحسان حقي ص٢٨٠

٢- اسم مدينة هندية تعد من أجمل مصايفها.



أشعل النار في قلوبهم وأضرم فيها حتى اكتوت بتلك النار ملايين المسلمين سواء في الإضرابات الدامية أو المذابح الجماعية والمجازر الشعبية أو عن طريق الهجرة الإجبارية.

وهذه الأحداث لم تكن لتمر سهلة يسيرة بل تركت بصماتها واضحة في الشعر العربي.

وتمت أحداث أخرى -لها أهميتها في أماكنها- لكنني أغفلت ذكرها لأنها لم يكن لها أثر مباشر في موضوعنا.

حالة اللغة العربية وآدابها في الهند

كانت الهند على اتصال وثيق بالجزيرة العربية وباللغة العربية منذ آلاف السنين، يقول الشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي بعد إيراده الدلائل والشواهد التي تدل على قدم هذه الأواصر: «استمرت حلقات سلسلة الوشائج فيما بين العرب والهند متواصلة ومتلاحقة على تعاقب الأزمان إلى أن انبثق فجر الإسلام. ثم حصل انغراس بذرة في بلاد الهند الواسعة الأرجاء من أقصاها إلى أقصاها»[(١)].

وبدأت أشعة الإسلام تنير هذه البقعة النائية منذ وقت مبكر، فقد ثبت تاريخياً أن جيش المسلمين وصل إلى أرض «تانه»[(٢)] أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولما فتح السند سنة ٩٢هـ رحب أهلها بالإسلام والمسلمين وأقبلوا على الثقافة العربية بشوق وحماس[(٣)].

وتوطنت في بعض أمصار السند جالياتٌ عربيةٌ فاستوطن هذا اللسان المبين تلك المنطقة في وقت مبكر في القرن الأول الهجري[(٤)]. كما نجح تجار العرب ودعاة الإسلام في تكوين جاليات عربية على سواحل الهند الغربية أيضاً[(٥)].

١- بحوث وتنبيهات لأبي محفوظ الكريم المعصومي، ١/ ٤١٩-١٢٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط أولى ،٢٠٠١م. وللاستزادة في الموضوع ينظر الصلات بين الهند والعرب لسيد سليمان الندوي.

٢- تانة وتنطق في الأردية تهانه (Thane) وهي بلدة على الساحل الغربي للهند، متصلة الآن بمدينة بومباي في ولاية مهاراشترا.

٣- دراسات أدبية إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، ص ١٥٨. محاضرة للدكتور عبد المقصود شلقامي، وعنوانها : الآداب العربية في شبة القارة الهندية ص ٥.

٤- بحوث وتنبيهات لأبي محفوظ الكريم المعصومي ص ٤٢٢.

٥- تقويم البلدان عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفداء ص ٣٦١، دار صادر بيروت، طبعة مصورة من طبعة باريس سنة ١٨٥٠م تاريخ الطبع غير مذكور، مروج الذهب للمسعودي ١/ ١٧٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٢٠هـ، العرب وبلاد الهند لخواجه بهاء الدين إكرامي الندوي ص ٥١، دار السلام بهتكل الهند ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.



ولما صارت الهند أحد المواطن المخلدة -إن شاء الله- للإسلام والمسلمين تمتعت اللغة العربية فيها بنفوذ ظاهر، واهتم المسلمون بها واستمروا يعضون عليها بالنواجذ لكونها لسان القرآن الكريم ولسان رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين -عليه الصلاة والتسليم-، فلا يتأتى العكوف على معالم الدين الحنيف إلا بالوقوف على هذه اللغة الشريفة ودراستها دراسة جادّة. بيد أن الظروف لم تسمح للعربية أن تتمتع بسلطان النفوذ تماماً فترقى إلى مستوى اللغة الرسمية ولغة التعليم المنهجي في المراحل كلها لأن الفارسية كانت تتمتع بتفوق مستمر في البيئة والبلاط الملكي والنظم الإدارية وحلقات الدروس[1]، وذلك لأسباب جغرافية وتاريخية منها أن السلاطين الذين استقر على أيديهم الحكم الإسلامي في الهند قد دخلوها من أفغانستان وإيران وكانت لغتهم الفارسية فكان من السهل للغة الفارسية أن تحل محل اللغة الرسمية في هذه البلاد الجديدة أيضاً، كما كان هناك اتصال مباشر بين الهند وفارس بينما البحر يفصل الهند عن البلاد الناطقة بالعربية[2]، فبغض النظر عن مقررات الدراسة الدينية كادت اللغة العربية أن تصل إلى درجة الشيوع السائد التي استقرت بها اللغة الفارسية طوال ثمانية قرون متتالية لكنها ظلت تؤدي دورها من حيث إنها لغة دينية صميمة تهم المسلمين أجمعين[3].

ولما كان التأثر والتأثير والأخذ والعطاء سنّة معهودة وناموساً متبعا بين اللغات وخاصة اللغات المجاورة[4] كان للغة العربية أثر بارز ملموس في اللغات الهندية، وقد تجلى هذا التأثير في عدة صور وأشكال مثل إيجاد لهجة مستقلة جديدة في لغة ما متأثرة باللغة العربية فحسب كما حصل في لغة ماليالم[5] حيث وجدت لهجة جديدة مستقلة سميت بماليالم العربية، وكتب الدكتور محيي الدين الآلوائي أنها: «تعتبر لغة مستقلة ذات خصائص ومميزات»[6].

١- بحوث وتنبيهات ١/ ٤٢١-٤٢٢ بتصرف.

٢- الآداب العربية في شبه القارة الهندية، د. زبير أحمد، ص ٢٣، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٣- بحوث وتنبيهات ص ٤٢٢.

٤- للاستزادة في الموضوع ينظر علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٢٣٣-٢٣٩ دار النهضة مصر الطبعة السابعة.

٥- لغة أهالي منطقة كيرالا الواقعة على الساحل الجنوبي العربي للهند.

٦- الأدب الهندي المعاصر للدكتور محيي الدين الألوائي ص ١٣٣ دار العلم للطباعة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.



ومن صور هذا التأثير ما نراه من تأثير واضح وشديد للعربية في الأردية في نواح عدة: في الخط وفي الأصوات والمفردات والأبنية والتراكيب[١] وفي العروض أيضاً. ولشدة هذا التأثر ظن بعض الباحثين أنها مزيجة بأربع لغات وهي: الفارسية والعربية والسنسكريتية والتركية ووليدها جميعاً[٢].

ولم يقتصر تأثير اللغة العربية على هذين الشكلين وعلى هاتين اللغتين فحسب بل تجاوزهما إلى اللغات واللهجات الأخرى وإن اختلفت درجات هذا التأثير. يقول الشيخ المعصومي: «قلما توجد في الهند لغة إلا وهي تزخر بقليل أو كثير من المفردات العربية كالآسامية والأردية والمليبارية والهندية وما إليها. فكما أن لغات الهند القديمة صَدَّرت إلى العربية قبل الإسلام وبعده عدداً من الألفاظ الهندية، فكذلك اللغة العربية لم تتأخر بدورها عن تزويد لغات الهند ولهجاتها بجمهرة من نفائس معدنها العربي الأوّل ومجوهراتها الرائعة و﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[٣].

ولم يكتف العلماء في الهند بالاقتباس من لغة القرآن الكريم ولغة الرسول الأمين –عليه الصلاة والتسليم– بل ضربوا بسهم كبير في مجال إثراء هذه اللغة الشريفة بالكتابة والتأليف في كل عصر وحين «ونراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام»[٤].

ومؤلفات المسلمين في الهند في اللغة العربية والعلوم الإسلامية لا تحصى كثرة –وذلك موضوع كتاب كبير– ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون لحاجي خليفة، وجولة في كتاب الثقافة الإسلامية في الهند للعلامة السيد عبد الحي الحسنى تدل على مركز الهند العلمي وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر. وكان من بين هذه الكتب التي تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بها الركبان واحتفى بها علماء العرب مثل كتاب «العباب الزاخر» للإمام حسن بن محمد الصغاني اللاهوري الذي يعدّ من

١– للاستزادة في هذا الموضوع ينظر رسالة «أثر اللغة العربية في اللغة الأردية، دراسة لغوية» إعداد محمد قاسم خواجة تحت إشراف الدكتور ف. عبد الرحيم بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إلا أن الرسالة لم تناقش لأسباب صحية لدى الباحث فشفاه الله تعالى عاجلاً.

٢– الأدب الهندي المعاصر ص ٥٨ .

٣– بحوث وتنبيهات ١/ ٤٢٣.

٤– المسلمون في الهند ص ٣٥.



مراجع اللغة العربية وغرر كتبها، وقد عُني به أئمة اللغة قديماً وحديثاً واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادّة، واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة في هذا الشأن. وكذلك كتابه «مشارق الأنور» في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الإسلامي.

ومنها كتاب «كنز العمال» للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانفوري وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطي، وهو من الكتب التي انتفع بها علماء الحديث كثيراً واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم.

ومنها كتاب «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» للشيخ محمد طاهر الفتني جمع فيه المؤلف كل المؤلفات في غريب الحديث، فجاء كالشرح للصحاح الستة وكذلك كتابه «تذكرة الموضوعات» من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع.

ومنها «الفتاوى الهندية» التي تُعَدّ من المراجع الفقهية الكبرى التي عليها العمدة في كثير من الأقطار الإسلامية التي تحكم بالفقه الحنفي.

يقول الشيخ عبد الحي الحسني: «أما الفتاوى العالمكيرية ويسمونها الفتاوى الهندية فهي أجلها وأنفعها في كثرة المسائل وسهولة العبارة وحل العقد، وهي التي اشتهرت في بلاد العرب بالفتاوى الهندية، وهي في ست مجلدات كبار، وقد ولّى السلطان أورنك زيب عالمكير التيموري –أنار الله برهانه– الشيخ نظام الدين البرهانفوري في أوائل سلطنته تدوينها بمشاركة الفقهاء الحنفية»[1]. ثم ذكر المؤلف أربعة وعشرين رجلاً من كبار علماء الهند في ذلك العصر ممن ساهموا في تدوينها.

ومنها كتاب «مسلم الثبوت» في أصول الفقه للعلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري وقد رزق القبول العظيم في الأوساط العلمية المدرسية في الهند وبلاد الإسلام، وتناوله كبار العلماء في عصورهم بالتدريس والشرح، وله عشرة شروح لكبار الأساتذة الفضلاء في الهند.

ومنها كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» للشيخ محمد أعلى التهانوي وهو كتاب عظيم النفع تلقاه المشتغلون بالعلم في بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغني عن مراجعة الآلاف من الصفحات والمئات من الكتب، وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه.

١– الثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبد الحي الحسني ص ١١٠ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وفي هذا الموضوع كتاب آخر وهو «جامع العلوم» المشهور بدستور العلماء في أربعة مجلدات للشيخ عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري.

ومنها بل من أعظمها كتاب «حجة الله البالغة» للإمام ولي الله الدهلوي في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي، وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة العربية على سعتها وقد أجلّه علماء هذا الموضوع. ويتسم هذا الكتاب بنصاعة العربية وقوّة العبارة وانسجامها ويعدّ بحق المثال الثاني للنثر الطبعي السلسال والتعبير العلمي الحاضر بعد مقدمة ابن خلدون في عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين في العالم الإسلامي[١].

ومنها كتاب «تاج العروس في شرح القاموس» للسيد مرتضى بن محمد البلكرامي المشهور بالزبيدي، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشر مجلدات كبار، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثماني نسخة ،وسلطان دارفور[٢] نسخة ،وملك المغرب نسخة ،وغيرهم أيضاً[٣].

وقد نبغ في الهند مؤلفون اشتهروا في العالم الإسلامي كله بسرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج وكان كل واحد منهم مجمعاً علمياً نشيطاً وقد قام بعضهم شخصياً بما لا تقوم به مجاميع علمية في أكثر الأحيان، فالأمير صديق حسن خان أمير بهوفال بلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومئتي كتاب منها ستة وخمسون كتاباً في اللغة العربية وفيها كتب كبار ذات قيمة علمية منها: «فتح البيان في تفسير القرآن» في عشر مجلدات كبار، و«أبجد العلوم» و«التاج المكلل» و«البلغة في أصول اللغة» و«العلم الخفاق من علم الاشتقاق».

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند فخر المتأخرين الشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي مائة وعشرة كتب منها ستة وثمانون كتاباً بالعربية من أشهرها وأجملها «السعاية في شرح الوقاية» و«مصباح الدجى» و«التعليق الممجد على مؤطّأ الإمام محمد» و«ظفر الأماني» ولا يزال كتابه «الفوائد البهية» عمدة المؤلفين في تراجم علماء المذهب الحنفي ومرجعهم الكبير.

١- المسلمون في الهند، ص٣٩، (بتصرف).

٢- مملكة في السودان.

٣- المسلمون في الهند، ص٣٩، (بتصرف).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ومن الكتب المؤلفة في الهند والتي عُني بها العلماء في الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب في الموضوع كتاب «إظهار الحق» و«إزالة الأوهام» للشيخ رحمة الله الكيرانوي و«الإمعان في أقسام القرآن» و«جمهرة البلاغة» للعلامة حميد الدين الفراهي.

وكان للأدب أيضاً بقسميه النثر والشعر نصيب وافر في الهند، فوجد من أقسام النثر الخطابة والمقامة والقصة والمنتخبات الأدبية وشروح القصائد والمقال. كما وجد شعراء مفلقون ملكوا ناصية البيان وعبروا في الشعر عن مشاعرهم وأحاسيسهم من أمثال القاضي عبد المقتدر الكندي الذي قال في قصيدته اللامية[1]:

يَـا سَائِقَ الظَّعْنِ فِي الأَسْحَارِ وَالأُصُلِ ... سَلِّمْ عَلَى دَارِ سَلْمَى وَابْكِ ثُمَّ سَلِ

عَنِ الظِّبَاءِ الَّتِي مِنْ دَأْبِهَا أَبَداً ... صَيْدُ الأُسودِ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالنُّجُلِ

وَعَنْ مُلُوكٍ كِرَامٍ قَدْ مَضَوْا قِدَداً ... حَتَّى يُجِيْبَكَ عَنْهُمْ شَارِدُ الطَّلَلِ

أَضْحَتْ إِذْ أُبْعِدَتْ عَنْهَا كَوَاعِبُهَا ... أَطْلَالُهَا مِثْلَ أَكْفَانٍ بِلَا مُقَلِ

يَا طَالِبَ الْعِزِّ فِي الْعُقْبَى بِلَا عَمَلٍ ... هَلْ تَنْفَعُنَّكَ فِيْهَا كَثْرَةُ الأَمَلِ

اقْنَعْ مِنَ الْعَيْشِ بِالأَدْنَى وَكُنْ مَلِكاً ... إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَنْزٌ عَنْكَ لَمْ يَزُلِ

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد التهانيسري الذي يقول في داليته:

أَطَارَ لُبِّيْ حَنِيْنُ الطَّائِرِ الْغَرِدِ ... وَهَاجَ لَوْعَةَ قَلْبِيْ التَّائِهِ الْكَمِدِ

وَأَذْكَرَتْنِيْ عُهُوْداً بِالْحِمَى سَلَفَتْ ... حَمَامَةٌ صَدَحَتْ مِنْ لَاعِجِ الْكَبِدِ

ومن هؤلاء شاعر الهند الكبير غلام على آزاد البلجرامي الملقب بحسان الهند لإكثاره من المديح النبوي، والذي ترك وراءه عشرة دواوين وأرجوزة طويلة جداً، ويرى بعض الباحثين[2] أنه يقف بمدحه للرسول ﷺ في مستوى القمة بل يسمو فوق كثير من أعلام

١- الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٤، دراسات أدبية ٤/ ١٦٩.

٢- دراسات أدبية ٤/ ١٦٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المديح النبوي أحياناً وذلك عندما يصف الأماكن المقدسة، ومن قوله في المدينة المنورة[1]:

سَوحُ الْمَدِيْنَةِ مَا أَجَلَّ تُرَابَهَا ... تَجْلُو الْبَصَائِرُ فِيْهِ فِعْلَ الْإِثْمِدِ

وَغُبَارُهَا الْمَحْسُوسُ فَوْقَ هَوَائِهَا ... كُحْلُ الْيَقِيْنِ لِمُقْلَةِ الْمُتَرَدِّدِ

نُصِبَتْ لِمَنْ ضَلَّ الطَّرِيْقَ بِسَوْحِها ... عَلَمُ الْهُدَى مِنْ أُصْبُعِ الْمُتَشَهِّدِ

قَلْبِيْ حَمَامٌ فِي الْمَدِيْنَةِ طَائِرٌ ... لَكِنَّ جِسْمِيْ مُوْثَقٌ فِيْ مَسْجِدِيْ

قَالَتْ لِطَرْفاءِ الْفَلاَةِ حَمَامَةٌ: ... لِمَ تَمْرَحِيْنَ وَتَفْخَرِيْنَ فَارْشُدِيْ

قَالَتْ لَهَا: أَوَمَا تَرَيْنَ مَكَانَتِيْ ... قَدْ كَانَ مِنَّا مِنْبَرٌ لِمُحَمَّدِ

وله قصيدة تبلغ مائة وخمسة أبيات في وصف أعضاء المرأة من شعرها إلى أخمص قدميها على الترتيب، لكل عضو بيتان وسمى هذه القصيدة «مرآة الجمال».

وقد حاول آزاد أن يدخل إلى العروض العربي أشكالاً على نظام الطريقة الفارسية، وترجم الشعر الهندي إلى الشعر العربي، ويرى على شعره أثر لبعض عادات الهنود[2].

وتوجد في الهند آلاف من المدارس الأهلية العربية تبذل قصارى جهدها في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية تدريساً وتأليفاً كما وجدت أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية في العشرات من الجامعات الحكومية أيضاً والتي تعنى بتدريس اللغة العربية وتمنح درجات الماجستير والدكتوراه.

وقد أصدرت في الهند في فترات مختلفة مجلات وصحف عربية تدل على عنايتهم بهذه اللغة ونشرها وإحيائها منها: مجلة «البيان» الشهرية التي كانت تصدر من لكهنؤ، وصحيفة «الجامعة» الأسبوعية التي كانت تصدر من كلكتا، ومنها مجلة «الضياء» الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ، ومجلة «المجمع العلمي الهندي» الصادرة من جامعة على كرة، ومجلة «الدّاعي» والتي تصدر من دار العلوم بديوبند.

كما تصدر وزارة الثقافة الهندية مجلة «ثقافة الهند» والتي أنشأها مولانا أبو الكلام

١- المرجع السابق ٤/ ١٧٣.

٢-المرجع السابق ٤/ ١٧٤-١٧٥.



آزاد ولها اهتمام خاص بصلات الهند والعرب، وقد نشرت فيها بحوث ومقالات جيدة.

وقد خصصت الدولة جائزة سميت بـ«جائزة رئيس الجمهورية التقديرية» تشجيعا للباحثين على بذل مزيد من الجهد في سبيل نشر هذه اللغة وتقديراً لجهودهم السابقة.

وعلى هذا يمكن القول بأن اللغة العربية وجدت - ولا تزال- عناية فائقة في ا لهند في مختلف المجالات درساً وتأليفاً، وساهم أبناء الهند في نمائها وإثرائها في شتى ميادين العلم، وفي فروعه المتعددة.

● ● ●

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الفصل الأول

أشهر شعراء القرنين
وأهم العوامل المؤثرة في شعرهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل : أشهر شعراء القرنين.

المبحث الثاني : أهم العوامل المؤثرة في شعرهم.

المبحث الأول

أشهر شعراء القرنين

لقد وجد في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين عدد كبير ممن لهم مشاركات في الشعر العربي، لكن أغلب هؤلاء لم يكن الشعر العربي همّهم الوحيد أو صناعتهم الأولى، بل كان معظمهم من طلبة العلم الشرعي وحملته، وكان دافعهم إلى الاهتمام باللغة العربية الحرص على فهم الكتاب والسنة، والتعمق في أحكامها واستنباط هديها، حتى وصل كثير منهم إلى درجة استطاعوا أن يعبروا فيها عن مشاعرهم وخلجات أنفسهم بالشعر والقريض، ومن ثم قلّ أن نعثر على عالم اشتهر كشاعر عربي، بل كان معظمهم ممن اشتهر بفرع من فروع العلم كالفقه أو الحديث أو التفسير أو غير



ذلك. وكان مع تمكنه في فنه يجيد قرض الشعر، ويعبر به عمّا يدور في خلده؛ ولذا كان من الصعب جداً تحديد أولئك الذين يمكن أن نطلق عليهم أشهر شعراء القرنين.

كما كان هناك عامل آخر زاد هذا التحديد صعوبة وعسراً، وهو كون الهند شبه قارة واسعة، شاسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، لم تكن فيها – خلال مدة الدرس– وسائل المواصلات والاتصال ميسّرة موفورة مثل الآن، ومن ثمّ يمكن أن نرى شاعراً أو عالماً يلمع نجمه في أفق من آفاق الهند، ويبقى مغموراً فيما سواه.

وبعد ملاحظة هذين الأمرين المهمين يمكننا القول بأن الشيخ باقر بن مرتضى المدراسي كان أشهر من نظم الشعر العربي في الهند في هذه الفترة، لكن أغلب نتاجه الشعري كان قبل هذه الفترة أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، كما ذكرت الدكتورة ذاكرة غوث[1]. هذا الشاعر الكبير يأتي بعده في الشهرة بالشعر العربي والاشتغال بالأدب العربي عموماً الشيخ فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي السهارنفورى، ولد سنة ١٢٣٢هـ-١٨١٦م، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، لم يكن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، قرأ على والده وعلى الشيخ فضل حق الخير آبادى في رامفور، ثم سافر إلى دهلى وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري، وأخذ الطب عن الحكيم إمام الدين، ثم صرف عمره في الدرس والإفادة . له مصنفات جليلة ممتعة، منها : حاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على تفسير البيضاوى، وحاشية على مشكوة المصابيح، وشرح على ديوان الحماسة على المعلقات السبع، ومصنف جليل فى الأنساب وأيّام العرب، والتحفة الصديقة رسالة فى شرح حديث أم زرع، وديوان شعر بالعربية .توفى سنة ١٣٠٤هـ[2]، ومن جيد شعره، قوله في رثاء الشيخ محمد قاسم النانوتوي[3]:

نَـعَى نَـاعِياً حِبِّي الْكَرِيْمَ فَأَسْمَعَـا   نَعْيـــًّا يَـدُقَّ الْحِـلَّ مِنْـهُ فَصَدَّعـــا
جَــوَاداً جَلِيْـداً لَــوْ رَمَتْـهَ بِجَنْـدَلٍ   يَـــدَا حَــادِثٍ لَـمْ تُلْفِـهِ مُتَصَدِّعـــا

١– مولانا باقر آكاه ويلوري، شخصيت اور فن، د. ذاكرة غوث (ص٥٢٦-٥٣٢)، تملنادو اردو ببلي كيشنز، مدراس ١٩٩٥م، ويلحظ أن المؤلفة إحدى حفيدات الشاعر.

٢– الإعلام ٣/ ١٣٢٨-١٣٣٠.

٣– ديوان الفيض ، ص٨٣-٨٦، تحقيق الدكتور ظهور أحمد أظهر، المجمع العربي الباكستاني، لاهور – باكستان ١٩٩٥م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَكَـــانَ مَعِيْ دَهْـــراً فَفُـــرِّقَ بَيْنَنَـــا ... فَصِرْنَـــا كَـــأَنَّا لَـــمْ نَبِتْ لَيْلَـــةً مَعَـــا

مَـضَى بَـاسِقـاً فِيْ الْقَولِ وَالْفِعْلِ صَـادِقـاً ... أَعَـزَّ كَـرِيْمَ النَّـفْسِ نَدْبـاً سَمَـيْدَعَـــا

لَطِيْفَـــاً، نَظِيْفَـــاً، مُسْتَعِفَـــاً، مُوَفَّقـــاً ... نَقِيـــاً، تَقِيـــاً، عَالِمـــاً، عَامِـــلاً مَعَـــا

مَـضَى حِيْنَ أَضْحَى قَابِضَ الجُودِ والنَّدَى ... وَلِلـــنَّفْـعِ مِـــدْرَاراً وَلِلْـخَـيْرِ مَنْبَعَـــا

مَـــلاَذَ الْيَتَـــامَى، مُسْتَغَـــاثَ أَرَامِـــلٍ ... يَبِيْتُ خَمِـيْصَ الْبَطْـنِ مُلْتَصِقَ الْمِـعَى

لَـقَدْ كَـانَ مَرْعَـانَـا خَصِيْبـاً وَمُمْرِعـاً ... فَـلَمَّا تَـوَلَّى صَـارَ قَفْـراً وَبَلْقَعَـــا

رُزِيْنَـــا فَـــتىً لَـوْ نِيْـلَ فِتْيَانُ أَرْضِنـــا ... بِـمَا نَالَـهُ مَـا كَـانَ أَبْـكَى وَأَوْجَعَـــا

فَـــوَيْلٌ لِعَـــيْنٍ لَمْ تَجُـدْ يَـوْمَ مَـــوْتِهِ ... بِـدَمْعٍ وَفِيْنَـا أَعْـيُنٌ فِـضْنَ أَدْمُعَـــا

أَقَـــامَ بِـــأَرْضٍ لَـــوْ أَقَـــامَ بِغَـيْرِهَـــا ... لَـزُرْنَـاهُ صَيْفَـاً أَوْ لَـقِيْنَـاهُ مَـرْبَعَـــا

وَلَـــكِنَّهُ قَـــدْ حَـــلَّ أَرْضـاً لَـظِيَّـةً ... أَرَى دُوْنَـهَـا لِلْعِيْسِ وَالرَّكْـبِ مَصْرَعَـــا

عَـــصَى نَفْسَـــهُ فِيْـــمَا أَطَـــاعَ إِلَهَـــهُ ... فَـهَـلْ مِـــنْ فَتىً يَسْعَى عَصِـيّاً وَطَيِّعَـــا

عَفَـا اللهُ عَـمَّـنْ غَـــادَرُوْهُ بِمَـضْجَـعٍ ... مُقِـــضٍّ، وَلَمْ يَـرْضَوْا لَهُ ثَمَّ مَضْجَعَـــا

وَمَـــا كُـنْتُ أَرْجُو أَنْ يُصَـــابَ وَأَنْ أُرَى ... سَلِيْـمًـا وَلَـكِنْ كَـــانَ لِيْ أَنْ أُفْجَعَـــا

وَمَـــا عِشْـتُ إِلاَّ لِلشُّجُـوْنِ فَلَـمْ أَزَلْ ... أُرَاعُ وَلاَ يَـنْفَـكُّ قَلْـبِيْ مُرَوَّعَـــا

لَـقَـدْ نُعِـيَتْ لِيْ فِتْـيَةٌ مِـــنْ أَحِــبَّةٍ ... عَـلَيَّ كِـرَامٍ كُـنْتُ فِيْهِـمْ مُـمَتَّعَـا

دَهَـاهُـمْ فَأَفْنَـاهُـمْ وَمَنْ كَـانَ قَبْلَهُـمْ ... مُـصَـابٌ إِلَى لُـقْمَانِ عَـادٍ وَتُبَّعَـــا

عَفَـــا اللهُ عَنْهُمْ مَا رَأَى مِـــنْ ذُنُوْبِهِـمْ ... وَمَـنْ يَعْـفُ عَـنْهُ اللهُ فَـازَ وَأَنْجَعَـا

أَبَـعْدَ أَخِـــلاَّئِي الَّذِيْـنَ تَتَـابَعُـوْا ... أُبَـالِيْ بِـأَنْ أَلْـقَى حِمَـامِيْ فَـأُصْرَعَـا



فَــإِنْ مِــتُّ فَــادْعُـوا لِيْ بِخَـيْرٍ فَـرُبَّـمَا ... يَكُــوْنُ دُعَـاءُ الْـخَـيْرِ لِلْـمَيْتِ أَنْـفَعَـا
وَمَــنْ ظَــنَّ أَنْ لاَ نَـفْـعَ مِنـاًّ لِـمَيِّـتٍ ... بِــقَــوْلٍ وَلاَ فِعْــلٍ فَضَــلَّ وَأُفْظِعَــا

ومنهم الشيخ فضل حق بن فضل إمام بن محمد أرشد العمري الخير آبادي ، ولد سنة ١٢١٢ هـ، ودرس على والده وعلى الشيخ عبد القادر بن ولي الله العمرى الدهلوي، وحفظ القرآن في أربعة أشهر، وقرأ فاتحة الفراغ وله ثلاث عشرة ستة، وفاق أهل زمانه في الخلاف والجدل، والميزان والحكمة ، واللغة وقرض الشعر وغيرها، ونظمه يزيد على أربعة آلاف بيت.

من مصنفاته : الجنس الغالي في شرح الجوهر العالي، والهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية، وحاشية على شرح السلم، وتاريخ فتنة الهند، وغيرها.

توفي سنة ١٢٧٨ هـ في جزيرة من جزائر « السيلان»[١]، ومن جيد قوله[٢]:

فُــؤَادِيْ هَــائِمٌ وَالــدَّمْـعُ هَــامِ ... وَسُــهْــدِيْ دَائِــمٌ وَالـجَــفْنُ دَامِ
فَقَــلْبٌ مَــا فَـتِي بِجَــوىً وَلَــوعٍ ... وَلُــوعٌ فِي اضْــطِرَابٍ وَاضْـطِـرَامِ
وَدَمْـعٌ بَـلْ دَمٌ صَــرْفٌ جَـرَى مِــنْ ... نِيَــاطِي سَــاجِمًــا أَيَّ انْسِجَــامِ
وَطَــرْفٌ أَرْمَــدٌ يُؤْذِيْــهِ غَـمْـضٌ ... وَلَــيْلٌ سَــرْمَدٌ سَــاجِي الظَّــلاَمِ
طَــوِيْــلٌ لاَ يُقَــاسُ بِــهِ زَمَــانٌ ... فَسَــاعَــتُهُ كَشَهْــرٍ بَــلْ كَـعَـامِ
كَـأَنَّ كَـوَاكِبَ الْـجَــوْزَاءِ نِيْــطَتْ ... بِــأَجْــفَــانٍ دَوَامٍ بِــالــدَّوَامِ
حَمَــامِيْ حَــاضِـرٌ، وَالْـوَجْـدُ بَــادٍ ... وَجِــسْمِيْ ذَابِــلٌ، وَالــشَّوْقُ نَــامِ
أَذَابَ الــشَّــوْقُ أَحْـشَــائِيْ وَأَوْرَى ... لَــظىً فِيْ أَضْلُــعِيْ أَبْــلَى عِظَــامِيْ

١- الإعلام ٣/ ١٠٦٣-١٠٦٥، باغي هندوستان ١١/ ١٩٥.

٢- آثار الصناديد، سرسيد أحمد خان ،ص٥٧١، ترتيب وتدوين: خالد نصير هاشمي، سنترل بكدبو، دهلي ١٩٦٥م، والإعلام ٣/ ١٠٦٥.



سَـــرَى فِيَّ الْـــغَرَامُ فَصَـــارَ غُرْمــاً وَذَاكَ الْـــغُرْمُ مِــــنْ أَدْهَــى الْـغَـــرَامِ

ومنهم الشيخ السيد أحمد بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي، ولد سنة ١٢٤٦هـ وأخذ العلوم متفرقة في بلاد شتى عن أساتذة عصره، أجلهم الشيخ عبد الجليل الكوئلي، والشيخ المحدث عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي، فاق أقرانه في الذكاء والفطنة، وقوة الحفظ وجودة الذهن، سافر إلى الحجاز قاصداً الحج، لكن لما بلغ مدينة «برودة» في أرض غجرات، مرض هناك وتوفي سنة ١٢٧٧هـ وعمره آنذاك ثلاثون سنة وبضعة أشهر.

كانت له اليد الطولى في الشعر العربي والفارسي، ومن مصنفاته «الشهاب الثاقب» في مبحث الاجتهاد والتقليد[١]، ومن عيون شعره قوله[٢]:

يُعَـــاقِبُنِيْ بُـــؤْسُ الزَّمَـــانِ وَخَـفْـضُـهُ وَأَدَّبَــنِيْ حَـــرْبُ الزَّمَــــانِ وَسِلْــــمُهُ

وَمَـــا الْـمَـــرْءُ إِلاَّ نَهْـبُ يَـــوْمٍ وَلَيْـــلَةٍ تَــلُمُّ بِـــهِ شُهْـــبُ الْفَنَـــاءِ وَدُهْمُـــــهُ

يُـعَـلِّـلُهُ بَـــــرْدُ الْـحَيَـــاةِ يَـمَـسُّــــهُ وَيَغْــــتَرُّهُ رَوحُ الـنَّسِيْـــمِ يَشُـــــمُّهُ

أَلاَ إِنَّ خَــــيْرَ الــــزَّادِ مَـــا سَـــدَّ فَاقَـةً وَخَـــــيْرَ بِـــلاَدِي الَّـــذِيْ لاَ أُجِـمُّـــــهُ

وَإِنَّ الطَّـوَى بِـالْـعِـزِّ أَحْـسَنُ يَـــا فَـتـىَ إِذَا كَــــانَ مِـنْ كَـسْبِ الْـمَذِلَّـةِ طَعْمُـــهُ

وَإِنِّيْ لَأُنْهِـى النَّفْـــسَ عَـنْ كُـــلِّ لَــــذَّةٍ إِذَا مَــا ارْتَقَى مِنْهَـــا إِلَى الْعَرْضِ وَصْمُـــهُ

وَأُعْــرِضُ عَــنْ نَيْـــلِ الثُّرَيَّـــا إِذَا بَـــدَتْ وَفِيْ نَيْلِــــهِ سَـــوْءُ الْـمَقَـــامِ وَذَمُّــــهُ

ومن الشعراء المشهورين جداً أيضا الشيخ عبد الحميد بن عبد الكريم، ولد في قرية «فريها» من مديرية أعظم كرهـ سنة ١٢٨٠هـ-١٨٦٢م، كان اسمه الذي سماه به والده «حميد الدين» لكنه كان يفضل عبد الحميد لما فيه إظهار التذلل والعبودية لله تعالى.

بدأ دراسته بحفظ القرآن، ثم بالدراسات الفارسية، وبعدها بدأ يتلقى اللغة

١- أبجد العلوم سيد صديق حسن خان القنوجي ٣/ ٢٦٨، والإعلام ٣/ ٨٩٧-٨٩٩.

٢- ديوان الشاعر المخطوط برقم: ١٤٦٢، كتب خانه شبلي نعماني دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ، صفحاته غير مرقمة، الإعلام ٣/ ٨٩٩.



العربية من الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ شبلي نعماني، والشيخ عبد الحي الفرنجي محلي، وتفرغ من الدراسات الإسلامية وعمره عشرون سنة، ثم التحق بالدراسات الانجليزية وحصل فيها شهادة الليسانس، وكان يرغب في مواصلة دراسة الماجستير ولكنه لم ينجح.

عمل مدرساً في مدرسة الإسلام في كراتشي من ١٨٩٧م إلى ١٩٠٦م وطبع له خلال هذه المدة ديوان شعر بالفارسية، ورسالة جمهرة البلاغة بالعربية، ثم انتقل إلى جامعة علي كرهـ، وتلقى فيها اللغة العبرانية عن زميله المستشرق البروفيسور هارويز، وعلمه العربية، ثم عمل أستاذاً للعربية في جامعة إله آباد من ١٩٠٨م إلى ١٩١٣م، وفي ١٩١٤م تولى عمادة دار العلوم الحكومية العثمانية في حيدر آباد، وشارك في تدوين المصطلحات، وترجمة الكتب، وإعداد المناهج، رجع من حيدر آباد سنة ١٩١٩م لعدم ملاءمة الجوّ له، وتفرغ لمدرسة الإصلاح التي أسسها سنة ١٩١٠م، وكان من أهم مقاصدها تحسين طريقة تعليم العربية والاختصاص في علوم القرآن، انتخب رئيساً للجنة «دار المصنفين» الإدارية، نال شهرة عظيمة كمفسر للقرآن، وأديب متضلع في العربية.

له مؤلفات عدّة بالفارسية والعربية، من أهمها: دلائل نظام القرآن، الإمعان في أقسام القرآن، القائد في عيون العقائد، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، أساليب القرآن، جمهرة البلاغة، ديوان شعر بالعربية وبالفارسية، توفي سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م في متهرا[١].

ومن جيد شعره قوله[٢]:

سِرْ مَـــعَ الْعَقْـــلِ أَيْنَمَا سَـــارَا   دُرْ مَـــعَ الْـحَـــقِّ حَيْثُـــمَا دَارَا

لاَ تَهُـوْلَنَّــكَ لَيْلَـــةٌ عَـكَـــرَتْ   إِنَّ بَـعْـــدَ الظَّـــلاَمِ أَنْـــوَارا

١- مجلة «معارف» الصادرة من دار المصنفين «أعظم كرهـ» المجلد ٢٧، عدد ١/ ٨-١٧ والعدد ٢ ص٨٥-٩٤، الإعلام ٣/ ١٢٦٧، علامه حميد الدين فراهي، ايك عظيم مفسر، ايك مايه ناز محقق، ايك بلند بايه مجدد، محمد عنايت الله سبحاني إصلاحي، ص٧-١٤، مكتبة الإصلاح، سرائى مير أعظم كره نوفمبر ١٩٧٨م.

٢- ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، جمعه: بدر الدين الإصلاحي ٣٥، الدائرة الحميدية بسرائمير، أعظم كرهـ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقوله[1]:

يَـا بُـؤْسَ لِلدُّنْيَـا شَقِـيًّـا سَعِيْدُهَـا ... فَيَا وَيْـلَ مَـنْ يَسْعَى لَهَـا يَسْتَزِيْدُهَـا

فَـلاَ يَرْجِـعَـنْ إِلاَّ إِلَى الضُّرِّ نَفْعُهَـا ... وَلاَ يَـرْجِـعَـنْ إِلاَّ إِلَى الشُّـحِّ جُوْدُهَـا

فَسِيَّـانِ عِنْـدِيْ عَدْمُهَـا وَوُجُوْدُهَـا ... وَصِنْـوَانِ عِنْـدِيْ وَصْلُهَـا وَصُدُوْدُهَـا

ومن الشعراء المشهورين أيضاً الشيخ أبو محفوظ الكريم بن الشيخ محمد أمير حسن ابن الشيخ محمد معصوم، ولد سنة ١٩٣١م في بهار شريف، كان أبوه وجده من العلماء الأفاضل، فعنى الوالد بتربية ابنه تربية دينية، فدرس العربية، وشاركه فيه ابنه الأكبر د. محمد صغير حسن المعصومي أيضاً، حتى فاق هذا الابن الذكي، واستطاع أن ينظم أوّل قصيدة له في العربية وعمره ٩ سنوات، كما تتلمذ على أساتذة آخرين من أمثال الشيخ ولايت حسين، والشيخ عبد المنعم الجاتكامي، والشيخ عبد الرحمن الكاشغري الندوي، نجح في عدة اختبارات حكومية في اللغتين : العربية والانجليزية بتفوق وحصل على عدة أوسمة، عمل في المدرسة العالية بداكا باحثاً، ثم في المدرسة العالية بكلكتا مدرساً مساعداً إلى أن ترقى إلى درجة الأستاذ وأحيل إلى المعاش سنة ١٩٩١م، نال جائزة رئيس الهند لخدمة اللغة العربية سنة ١٩٩١م. وهو لا يزال حيًّا[2] –حفظه الله وبارك في علمه.

له بحوث وتنبيهات، في مجلدين، ومقالات كثيرة منشورة في دوريات ومجلات، ومن غرر قصائده قوله: في قصيدته التي سماها بـ«ذكرى العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي» يقول فيها[3]:

تَحَدَّثْ عَنِ الْحَبْرِ الْمُشَاطِـرِ لِلْبَحْـرِ ... وَعَـنْ لُجَجِ الْبَـحْرِ الْـمُسَـايِرِ لِلْحِـبْرِ

حَدِيْثُـكَ عَـنْ حَـبْرٍ تَصَـدَّرَ لاَفِظًـا ... بِـدُرٍّ وَمَرْجَـانٍ حَدِيْـثٌ عَـنِ الْبَحْـرِ

١- ديوان الفراهي ص٣٦.

٢- بحوث وتنبيهات ، أبو محفوظ الكريم المعصومي ، ص٦٣-٧٠، باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب إصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ٢٠٠١م.

٣- مجلة المجمع العلمي الهندي، العدد الممتاز عن الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله على مرور مائة عام على ميلاده ٢/ ٣١٤-٣٢٣، شوال ١٤٠٥هـ-يونيو ١٩٨٥م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

سَــوَاءٌ إِذَا لَقَّبْتَهُ الْبَحْــرَ طَامِيًــا ... أَوِ الْـحَـبْـرَ غَوَّاصًــا عَـلَى نَاصِـعِ الــدُّرِّ

سِـمِيُّ (ابْنِ مَرْوَانَ) الْأَمِـيْرِ عَـلَى (مِصْرِ) ... عَـلَى أَنَّــهُ حَــقًّا سِـــمِيُّ أَبِي (الْبَــكْرِيْ)

إِخَــالُ أَبَــا الْـحَجْنَـاءِ وَافَـاهُ مُنْشِــدًا ... (لِعَبْدِ الْعَزِيْـزِ) الْمُطْلَعِ الْغَـضِّ بِالْـجَـهْرِ

فَهَــبْنِيْ (نَصِــيْبًا) عَــنْ سِـمِيِّ أَمِــيْرِه ... تَحَدَّثْتُ مَــا اسْطَــاعَتْ مُطَاوِعَـةُ الْفِـكْرِ

إِذَا كَـــانَ حَــيًّا، لَمْ أَزُرْهُ مُـشَافِهًــا ... فَجَـاءَ قَـرِيْضِي الْيَــوْمَ مُنْجَــبِرَ الْكَـسْرِ

عِبَارَاتُنَـا عَنْهَــا سَنَـا الْــبَدْرِ فِيْ غِــنًى ... فَهَـلْ نَحْـنُ عِشْنَـا فِيْ غِـنًى عَـنْ سَنَـا الْبَدْرِ

يَفُــوْقُ الْــفَـتَى أَقْــرَانَـهُ، فَكَــأَنَّهُ ... حَـكَى الْقَمَرَ السَّارِيْ، لَـدَى الْأَنْجُمِ الزَّهْـرِ

تُجَــلِّيْ عِبَــارَاتِيْ عَــنِ الْبَــدْرِ زَاهِــيًا ... فَهَـبْهُ رَدِيْـفَ (الْـمَيْمَنِيِّ) عَـلَى ظَــهْرِ

لَــهُ مِــنَنٌ فِيْ جِيْــدِ فُصْــحَى لُغَاتِنَــا ... قَلَائِـدُهَــا ازْدَانَـتْ بِمُـلْتَمِـعِ الشَّــذْرِ

تُبَــاهِيْ بِهِ الْهِــنْدُ الْكَرِيْمَــةُ مَوْطِنــاً ... فَقَـدْ أَنْجَـبَتْهُ (الرَّاجَكُوْتُ) مِـنَ (الْـجَزْرِ)

أَقَـــامَ (بِـدِهْـيْ) فِيْ ذُرَا أُدَبَـائِهَـــا ... وَفِيْ (رَامَـفُوْرَ) عِـــنْدَ أَعْيَــانِهَا الْــغُرِّ

ويقول بعد ذكر مشايخ الميمني، ورحلاته التي قام بها، وذكر الأماكن التي درّس فيها، ومكانته لدى المستشرقين والعرب وبعد ذكر أعماله وهجرته إلى باكستان، والردّ على حسّاده وأعدائه، وبعد ذكر أشهر تلاميذه وأعمالهم يتحسر على أنه لم يستطع اللقاء بهذا الجبل الشامخ، والعلم البارز، يقول:

وَلَـهْـفِيْ عَــلَى أَنِّيْ حُــرِمْتُ لِقَــاءَهُ ... وَإِنْ خِـلْتُنِيْ مِــنْ كُـتْبِهِ فِي دُمَى الْقَــصْرِ

دُمَى الْقَـصْرِ، كَـلَّا بَـلْ جَـآذِرِ (جَـاسِمٍ) ... مَسَــارِبُـهَــا بَــيْنَ الْأَعَــارِيْبِ فِيْ قَــفْرِ

فَطَــابَ بِهَــا عَهْـدِيْ خَدِيْنًـا مُنَـاغِمًا ... لَهَــا، حَيْثُ أَهْوَاهَا بِحَقِّ الْهَــوى الْـعُذْرِيْ

وَمَـدْرَسَةٍ لِلضَّادِ قَدْ كَــانَ قُطْبَهَــا ... وَإِنِّيْ لَمِــنْ أَقْـلَامِهَــا الْقَـلَمُ الْـمَـبْرِيْ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَهـذِي بَرَايَاتِي أَحَبُّ إِلَى الْحِجى ... مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ وَالنَّعَمِ الْحُمْرِ

ثم يشيد باللغة العربية، ويمجدها فيقول:

هِيَ اللُّغَةُ الْفُصْحى الضَّمِيْنَةُ لِلْهُدى ... وَكُبْرى سَعَادَاتِ الأَنَامِ بِلاَ حَكْرِ

وَجَامِعَةِ الدُّنْيَا إِلَى قِمَّةِ الْعُلى ... مِنَ السِّلْمِ وَالإِسْلاَمِ لاَ الْبَطْشِ وَالْقَهْرِ

وَقَامِعَةِ الأَهْوَاءِ وَالضَّيْمِ وَالْجَنَا ... وَمَا سَوَّلَتْهُ أُمُّ دَفْرٍ مِنَ النُّكْرِ

فَإِنَّ (كِتَابَ اللهِ) غُرَّةُ وَجْهِهَا ... وَ(قَوْلَ رَسُولِ اللهِ) تِقْصَارُهَا الدُّرِّيْ

فَسَارَتْ مَسِيْرَ الشَّمْسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... تَجُوْبُ بِإِذْنِ اللهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرِ

بِأَسْمَى رِسَالاَتِ الإِلَهِ، تُفِيْدُهَا ... شُعُوْبًا وَأَجْيَالًا إِلَى مُنْتَهَى الدَّهْرِ

لَهَا فِيْ قَرَارَاتِ النُّفُوْسِ تَغَلْغُلٌ ... إِلَى مُنْتَهَى الأَعْمَاقِ أَقْوَى مِنَ الخَمْرِ

تُنَادِيْ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ جَهْرَةً ... إِلَى جَفَلَى لِلْحَقِّ وَالصَّحْوِ لاَ السُّكْرِ

زَهَاهَا (كِتَابُ اللهِ) نُوْرًا وَبَهْجَةً ... وَ(سُنَّةُ خَيْرِ الْخَلْقِ) مَدًّا بِلاَ جَزْرِ

لَهَا غَيْرُ مَغْنَاهَا الْعَتِيْقِ مَوَاطِنٌ ... عَلَى طُوْلِ ظَهْرِ الأَرْضِ شِبْرًا إِلَى شِبْرِ

تَفُوْقُ لُغَاتِ الأَرْضِ طِيْبًا وَحِكْمَةً ... كَمَا فَاقَ زَهْرُ الْوَرْدِ مُخْتَلَفَ الزَّهْرِ

فَسُبْحَانَ مَنْ أَنْشَا اللُّغَاتِ بِأَسْرِهَا ... سَوَاسِيَّةً فِيْ قُوَّةِ النُّطْقِ بِالسِّرِّ

وَأَبْدَعَ فِيْ تَفْوِيْفِهَا فَقَضَى لَهَا ... بِشَتَّى أَسَالِيْبِ الْبَلاَغَةِ وَالْفَسْرِ

فَطَبْعًا أَتَى بَعْضُ اللُّغَى فَوْقَ بَعْضِهَا ... مُشَاكَهَةَ الْبَيْضَاءِ تُضْفِيْ عَلَى الْبَدْرِ

فَمَا ذَنْبُهَا إِنْ عَطَّرَتْ نَفَحَاتُهَا ... جَمِيعَ جِهَاتِ الأَرْضِ فَوْقَ شَذَا العِطْرِ

وَلَوْلاَ مَزَايَا الضَّادِ لَمْ تَصْمُ مُهْجَتِيْ ... (عُيُوْنَ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ)

فهؤلاء الشعراء هم إن شاء الله –حسب علمي واطّلاعي- أهم من اشتهر بالشعر



العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، من بين شعراء كثيرين سيواجهوننا في صفحات البحث القادمة.

المبحث الثاني

أهم العوامل المؤثرة في شعرهم

الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين تنازعته عوامل ساعدت على وجوده وازدهاره وعوامل أخرى أدت إلى ضعفه وقلته؛ ولذا كان الأجدر بنا أن نتناول كلا الأمرين:

أولاً- عوامل ازدهاره:

تلك المؤثرات التي كان لها دور عظيم في وجود الشعر العربي وازدهاره في الهند خلال فترة الدرس، ومن أبرز هذه العوامل أمران:

(أ) المدارس الإسلامية:

ازدهر التعليم في الهند إبان الحكم الإسلامي ازدهاراً عظيماً، فكانت في كل بقعة من بقاع الهند مدارس وكتاتيب، يؤمها الطلاب، ويقصد إليها العلماء من داخل الهند وخارجها، وقد ذكر غاندي «أنّ الهند الإسلامية كانت تزخر بالمدارس، حتى كان لكل ٤٠ شخصاً مدرسة مستقلة»[١].

وكان التعليم في هذه المدارس الإسلامية على عدّة مراحل ومستويات، ويُدَرَّسُ فيها منهج معين يُسمّى بـ«المنهج النظامي» نسبة إلى واضعه «الملا نظام الدين» وهو المنهج السائد في جميع مدارس شبة القارة الهندية، والمدارس التي أقامها متخرجو هذه المدارس في عدة أقطار في العالم كسري لنكا، وجنوب إفريقيا، وكينيا، وموزمبيق، وبريطانية وغيرها، وكان العلماء يطورون هذا المنهج ويعدلون فيه بين فينة وأخرى؛ ليلائم العصر والبيئة، ويلبي حاجات العصر، ويواكب تطوراته.

وكان في هذا المنهج نصيب كبير للعربية، لقواعدها وآدابها، فكانت تدرس عدّة كتب في الأدب العربي منها: المقامات[٢]، وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، والمعلقات السبع،

١- مجلة «سه ماهي» تحقيقات إسلامي، علي كرهـ، ص ٨٦ عدد يوليو-سبتمبر ١٩٩٤م.

٢- الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي الحسني، ص١١، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

وكانت ثقافة علماء الهند الأدبية – في الغالب– مقصورة على هذه الكتب وعلى الدواوين الشهيرة؛ ولذا كثر لديهم تتبع الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين. وترسخت في أذهان هؤلاء العلماء أساليب هؤلاء الشعراء ومعانيهم وأفكارهم، ورأوا فيهم النموذج الأمثل للشعر العربي، فدانوا لهم بالفضل، وأقرّوا لهم بالسبق والتقدم في حلبة الشعر، وترسموا خطاهم في شعرهم.

وبهذا كانت هذه المدارس أوّل عامل أثر في هؤلاء الشعراء في تكوينهم الثقافي، وحبب إليهم الشعر العربي، وأطلعهم على أفضل نماذجه، وزوّدهم بمعانيه وأفكاره، ولغته وأساليبه، وشجعهم على قرض الشعر والنظم باللغة العربية.

(ب) الهجرة:

إن للهجرة آثاراً عظيمة في تاريخ الأمم والشعوب دينياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فكم من أمة كانت خاملة الذكر في موطنها، نالت العزّة والسّيادة في المهاجر، وكم من أمة كانت متمسكة بالوحي السماوي، ولما هاجرت أو هاجر إليها قوم آخرون، تأثرت بعقيدتهم، وسري إليها الفساد من أخلاقهم.

وقد هاجر إلى الهند منذ القدم أقوام كثيرون، منهم الآريون، والأفغان، والمغول، ومنهم الإنجليز والأوربيون الآخرون وغيرهم، وكما هاجرت إلى الهند طوائف وجماعات، هاجر إليها أفراد وأعيان أيضاً، طلباً للعلم، أو كسباً للمال، أو فراراً من الظلم، أو بحثاً عن رفاهية العيش.

ونجد أن كثيراً ممن اشتهر في الهند بالشعر والأدب العربي –في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين– كان من أولئك الشعراء الذين هاجروا إلى الهند لأسباب عديدة، كأمثال الشيخ محمد بن أحمد اليمني، والشيخ محمد بن حسين اليماني، والشيخ محمد طيب مكّي، والشيخ تقي الدين الهلالي، والشيخ عبد الرحمن الكاشغري الندوي، والشيخ عبد الحق حقي العظمي، والشيخ محمد الجفري وغيرهم.

كما تنقل بعض الشعراء واغتربوا في داخل الهند من منطقة إلى أخرى لأسباب معيشية على نحو ما حصل للشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ ألطاف حسين حالي، والشيخ أحمد بن مصطفى الكوبامئوي. وقد ساهمت هذه الهجرات والتنقلات في ازدهار الشعر العربي في الهند بطرق مختلفة على النحو التالي:

ساعد هؤلاء الشعراء المهاجرون والمغتربون في إيجاد جو ملائم لازدهار الشعر في



بيئاتهم التي انتقلوا إليها، بوجودهم وبما كان بينهم من مجالس ومكاتبات شعرية، كما سنري بين الشيخ محمد بن حسين الأنصاري، والشيخ محمد طيب مكي، وبين الشيخ محمد اليمني والشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي، وغيرهم. كما كان لهم أثر بارز وملموس في توجيه تلاميذهم، فكثير من هؤلاء الشعراء كان لهم دروس وحلقات علم، وكان الطلاب يؤمونهم من كل فجّ وشعب، وكانوا يتأثرون بملازمتهم والتتلمذ عليهم. فكان هذا التتلمذ حافزاً لصقل مواهبهم الشعرية، ومشجعاً لهم على قرض الشعر، والتعبير عن أحاسيسهم في القالب الشعري.

كان هؤلاء الشعراء المهاجرون والمغتربون يشعرون بألم الفراق والغربة، ويتشوقون إلى ديارهم، ويحنون إلى ذويهم وأقاربهم في بلدانهم التي غادروها، فكانت هذه العاطفة تذكي ملكاتهم الشعرية للتنفيس عن خلجات صدورهم في هذا القالب، كما نرى أثر هذه العاطفة واضحاً في قصائد محمد اليمني، وألطاف حسين حالي، وفيض الحسن السهارنفوري، يضاف إلى ذلك تلكم التجارب التي كانوا يمرون بها خلال هذه التنقلات والهجرات، فكانت توحي إليهم بموضوعات يعبرون عنها في شعرهم كما نرى ذلك في بعض قصائد الشيخ أحمد الكوبامئوي.

ثانياً: عوامل القلة والضعف:

مع وجود العاملين السابقين لازدهار الشعر العربي في الهند كانت هناك عوامل أخري، لها أثرها في ضعف المستوى الشعري لدى شعراء العربية هناك، ومن أهم هذه العوامل:

(أ) قلة العناية بالنقد:

لم يكن للنقد وكتبه أيُّ مجال في المنهج النظامي، ولعل واضعي هذا المنهج لا يرون للدراسات النقدية تلك الأهمية في الهند، في منهاج المدارس الدراسي؛ لأنّ مهمتهم الأولى في هذه البيئة هي الحفاظ على عقيدة الإسلام الصّافية، وتعليم المسلمين أحكام دينهم، ونشر الإسلام وتبليغه لغير المسلمين.

ولذا كان تركيزهم على العلوم الشرعية، ولم يكن لديهم تلك الفسحة الكافية للاشتغال والتعمق في الدراسات الأدبية والنقدية.

وكان من نتائج غياب هذه الدراسات النقدية أن الأدباء والشعراء كانوا يبالغون في الثناء على بعضهم وعلى أعمالهم الأدبية والشعرية، ويفرطون في الإشادة بها، فلم يكن النقد لدى هؤلاء الشعراء أداة رفع الشعر، وتقويمه، ورقيه، والنهوض بمستواه، بل



كان لهذه التقريظات وتلك المبالغات آثار سلبية على هؤلاء الشعراء؛ إذ فرح كل منهم بما لديه، وبقي معجباً بنفسه وشعره، ولم يكن لديه ما يدفعه إلى تعميق ثقافته الأدبية، والعمل على رفع مستواه الشعري ومعلوم لدينا أنّ كثرة الخداع في كثرة المجاملة كما يقول المثل الإنجليزي: «full of courtesy، full of craft»[1].

(ب) وجود بيئة أجنبية:

سبق أن ذكرتُ في التمهيد أن الفارسية كانت هي اللغة الرسمية في الهند أيام الحكم الإسلامي، ولما جاء الاستعمار البريطاني بدأت الإنجليزية وآدابها تنافس الفارسية حتى أزالتها عن مكانتها السابقة، وحلّت محلّها، وبعد الاستقلال عن الاستعمار البريطاني بدأت اللغات المحلية تقوم وتنفض عن نفسها الغبار، وتحيي آدابها ومآثرها، كما حلت اللغة الأردية مكان اللغة الفارسية لدى المسلمين. فلم يكن للعربية سيادة في الدواوين الرسمية في الهند، كما لم يكن لها رواج لدى عامة الشعب، ولذا قل في الهند –على مستوى العامة والخاصّة– من يتذوق الشعر العربي، بينما لقيت الآداب الأخرى تشجيعاً من الولاة والعامة، فكانت تُصرف لأدبائها مكافآت جزيلة، وهدايا قيمة؛ ولذا انصرفت الهمم واتجهت الأنظار إلى لغات أخرى، وبقيت العربية في معاقلها في المدارس والزوايا، ولم يلق أصحابها وأدباؤها من الدعم والتشجيع ما يدعوهم إلى بذل جهودهم في سبيل النهوض بالشعر العربي. فنرى مثلاً أن أصحاب المواهب الجبارة التي وجدت في الهند في هذه الفترة كأسد الله خان غالب، ومحمد إقبال، ورابندر ناتهـ طاغور، وغيرهم لم يستخدموا العربية للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، بل لجأوا إلى لغات أخرى تضمن لهم نشر رسالتهم، واكتساب جمهور كبير، كالفارسية والأردية أو لغات أخرى محلية كالبنغالية وغيرها.

فكما ضعف الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني بسبب عدم التشجيع من قبل الأمراء، ضعف الأدب العربي في الهند أيضاً لهذا السبب نفسه.

(ج) قصور المواهب وضعفها:

لما انصرف أصحاب المواهب الجبارة، والعقول الفذّة، والقدرات العالية، إلى آداب

1-See: English proverbs explained by Ronald Ridout & Clifford Witting – page: 72 – printed in Lebanon by Typo Press – 1976..

وطبيعة الأمثال بين العربية والإنجليزية، د. محمد عبد الجواد فاضل، ص١١١، ط١، ١٩٩٢م.



أخرى، لم يبق للعربية إلا من قلت مواهبهم، وضعفت ملكاتهم، عن السابقين، بل عن كثيرين من غيرهم أيضاً. ومن دلائل هذا الضعف والقصور، أن كثيراً من هؤلاء الشعراء لهم مشاركات في الشعر الفارسي والأرديّ، مثل المفتي صدر الدين آزرده، وألطاف حسين حالي، وباقر آكاه المدراسي، وغيرهم، ولكن لم تكن لهم –في الغالب– منـزلة عالية أو مرتبة سامية في تلك الآداب أيضاً، مع أن تلك الآداب كانت في لغاتهم الأصلية التي كان لهم فيها مجال رحب للبراعة والإبداع والإجادة والتفوق.

(د) قرب العهد بعصور الضعف والانحطاط:

من العوامل التي أدّت إلى ضعف الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أن هذه الفترة تالية لعصر يُعدُّ من عصور الضعف في الأدب العربي، وهو العصر العثماني الذي يرى أغلب مؤرخي الأدب العربي أن الضعف نال الأدب العربي في هذا العصر بسبب عدم تشجيع الخلفاء الأتراك له، فلم يكن الضعف لدى شعراء العربية في الهند ناتجاً من أنفسهم فقط دون غيرهم، بل كان متوارثاً من عصور سابقة، فظلوا عليه، مع محاولاتهم للتخلص منه.

ويلحظ أن هذه الفترة كانت فترة نهوض وإحياء للشعر العربي في موطنه في مصر والشام والجزيرة العربية، وظهرت هناك مواهب جبارة، ومدارس عديدة، ونظريات جديدة في الأدب والنقد، إلا أن قلة المواصلات في أكثر هذه الفترة، وقلة اهتمام العلماء الهنود بالأدب والنقد، حالا دون الاطلاع على هذا النتاج الجديد، والتأثر به، والسّير على خطاه، وإن حاول بعض الأدباء في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ممن تمكنوا من الدراسة في الجامعات العربية إخبار الشعراء الهنود بما جدّ في العالم العربي.

وقد بدا لي أن هذه العوامل التي أثرت في شعر هؤلاء الشعراء المشهورين لم تكن خاصة بهم، بل كان لها آثارها في غيرهم من الشعراء أيضاً وسيبدو ذلك جليلاً وواضحاً في الصفحات القادمة –إن شاء الله تعالى–[١].

●●●

١– أكثر ما ورد في هذا المبحث هو استنتاج من دراسة ما لديّ من الشعر؛ لأني لم أجد – فيما لديّ من المراجع– مادّة علمية في هذا الخصوص.



الفصل الثاني

أغراض الشعر العربي في الهند
ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأوَّل : الدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني : المدح.

المبحث الثالث : الرثاء.

المبحث الرابع : الغزل.

المبحث الخامس : الإخوانيات.

المبحث السادس: المناسبات.



المبحث الأول

الدعوة الإسلامية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوَّل	:	**شعر العقيدة الإسلامية والشعائر.**
المطلب الثاني	:	**شعر الزهد.**
المطلب الثالث	:	**شعر التأسف على ما آل إليه حال المسلمين والدعوة إلى استنهاض الهمم.**
المطلب الرابع	:	**شعر الجهاد في سبيل الله.**

المطلب الأول

شعر العقيدة الإسلامية والشعائر

العقيدة من أهم ركائز الدين الإسلامي، وتمتاز العقيدة الإسلامية بنقائها ووضوحها، إذ لا لبس فيها ولا تعقيد، ولا إبهام ولا غموض، كما تمتاز ببراءتها من أي شائبة من الشرك بالله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وألوهيته وربوبيته، والإيمان بالله تعالى هو الركن الأوّل من بين أركان الإيمان الستة.

كما انفردت العقيدة الإسلامية برؤيتها الواضحة ليوم القيامة والتي توافق جميع مقاييس العدل والعقل، وتبين ما يحصل في ذلك اليوم العسير من أهوال ومقامات، وحشر وميزان للأعمال، وعبور للصراط ثم الجنة بظلالها ونعيمها أو النار بشقائها وعذابها.



وتبدو آثار هذه العقيدة واضحة في الشعر العربي في الهند على نحو ما نجد لدى الشيخ محمد كفاية الله[1] إذ يعبر عن معرفته بالله - عزوجل - وإيمانه به رباً وإلها، ويذكر بعض صفاته العلى كالرحمة والعلم، وأنه سبحانه وتعالى منزه عن جميع صفات النقص، لا يماثله شيء، هو قادر، حي، قيوم، عالم الغيب والشهادة، خالق الخلق، وهاديهم إلى الصراط المستقيم، يقول[2]:

عَرَفْتُ اللهَ رَبِّيْ مِنْ بَعِيْدٍ ... فَكَمْ بَيْنَ الإِلَهِ وَالْعَبِيْدِ

عَرَفْتُ اللهَ رَبِّيْ مِنْ قَرِيْبِ ... أَشَدَّ الْقُرْبِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ

قَرِيْبٌ رَحْمَةً مِنَّا وَعِلْمًا ... بَعِيْدٌ فِي اكْتِنَاهٍ عَنْ بَعِيْدٍ

تَعَالَى عَنْ سِمَاتِ النَّقْصِ طُرًّا ... تَقَدَّسَ فِي الصِّفَاتِ عَنِ النَّدِيْدِ

فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَيْسَتْ ... مُشَارَكَةُ الأَسَامِيْ فِي الْعَدِيْدِ

تَنَزَّهَ عَنْ مُشَابَهَةٍ وَجِنْسٍ ... فَسُبْحَانَ الْمُقَدَّسِ وَالْمَجِيْدِ

أَظَلَّ عَلَى رُؤُوْسِ الْخَلْقِ فَضْلاً ... بِظِلٍّ مِنْ عَطَايَاهُ مَدِيْدِ

مَلِيْكٌ، قَادِرٌ، حَيٌّ، قَدِيْمٌ ... عَلِيْمٌ بِالْمَغِيْبِ وَبِالشَّهِيْدِ

١- هو الشيخ المفتي: كفاية الله بن عناية الله بن فيض الله الحنفي، ولد ١٢٩٢هـ بشاهجهانفور، درس في مدرسة شاهي مراد آباد، ودار العلوم بديوبند، من أشهر أساتذته شيخ الهند محمود الحسن، والشيخ خليل أحمد الأنبيتهوي، والشيخ منفعة علي الديوبندي.

له مشاركات سياسية قوية في الدعوة إلى استقلال الهند، وفي انتصار الخلافة العثمانية، كما له الفضل في تأسيس جمعية العلماء، وكان من كبار أنصار الحركة الوطنية التحريرية، سجن مرتين، قاوم حركة الردّة، وشارك رئيساً لوفد جمعية العلماء لحضور المؤتمر الإسلامي الذي عقده الملك عبد العزيز آل سعود، وشارك في مؤتمر فلسطين، كان قليل الاشتغال بالتصنيف لكثرة أشغاله الإدارية والسياسية، وكان منصرفاً إلى الإفتاء والتدريس، حتى اشتهر بـ«المفتي»، من أشهر تلاميذه: الشيخ إعزاز علي الديوبندي، سحبان الهند أحمد سعيد الدهلوي، مفتي ضياء الحق الدهلوي، محمد حسين الرانديري.

له شعر بالعربية، وتعليم الإسلام في ٤ أجزاء، ومجموع فتاواه في مجلدات كبار، توفي سنة ١٣٧٢هـ (البلاغ، تعليمي نمبر ٢٨٦-٣٠٠، كريمي بريس بومباي ١٣٧٤هـ، مختصر تاريخ مدرسة أمينه إسلامية دهلي، حفيظ الرحمن واصف ٣١-٧٦، يونين برنتنك بريس دهلي، ١٣٧٧هـ، الإعلام ٣/ ١٣٣٢-١٣٣٤).

٢- روض الرياحين محمد كفايت الله ، ص١ ، أفضل المطابع دهلي سنة ١٣٢٧هـ.



تَـــبَارَكَ مِــنْ حَكِــيْمٍ ذِي اخْـــتِرَاعٍ وَمُـــبْدِعِ ذَلِكَ الــنَّسَقِ السَّـــدِيْدِ
بَـــرَى خَلْـــقًا وَآتَـــاهُمْ هُـــدَاهُمْ وَعَقْـــلاً لِلْـــفِرَارْ عَـــنِ الْـمَـحِـيْدِ

ونجد القاضي محمد ارتضا خوشنود[1] يذكر أنّ الله تعالى ليس له شريك في القضاء، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه واحد، صمد، سميع، عالم بكل شيء، يقول[2]:

وَأَنْـــتَ الْـــفَاعِـلُ الْـمُـخْتَـارُ رَبِّيْ شَرِيْكُـكَ لَـيْسَ أَحَــدٌ فِي الْـقَضَـاءِ
وَأَنَّـــكَ وَاحِــدٌ، صَمَــدٌ، سَمِـيْعٌ بَـصِـــيْرٌ، عَـــالِمٌ بِـالِاحْـــتِوَاءِ
وَلَمْ تَلِـــدِ الْـــبَنِيْنَ وَلاَ بَـــنَاتٍ وَلَمْ يُـوْلِـدْكَ فَـــرْدٌ يَـامُنَـائِيْ[3]

ويذكر الشيخ محمد ناصر البلياوي[4] أن الله تعالى هو الملك السلام، ذوالفضل العظيم، مستحق الحمد والثناء، لا يموت ولا ينام، خالق الخلق ومعيدهم بعد الفناء، هو الرقيب وبه الاعتصام، يقول[5]:

تَـبَـارَكَ أَيُّهَـا الْـمَـلِكُ السَّـلاَمُ وَأَنْـتَ اللهُ يُحَـمَـدُكَ الأَنَـــامُ
وَنَـشْـهَـدُ أَنَّـــهُ أَحَـدٌ جَلِـيْلٌ مَـلِيْـكٌ لاَ يَـمُـوْتُ وَلاَ يَـنَـامُ
وَنَـحْـمَدُ رَبَّنَـا سَعَـةً وَضِيْقًـا عَظِـيْمٌ شَـأْنُـهُ وَهْـوَ الْعُظَـامُ

١- هو الشيخ محمد ارتضاء علي بن مصطفى علي خان، سافر إلى لكهنؤ وسنديلة وبلكرام لتلقي العلم، ودرس على الشيخ حيدر علي بن حمد الله، والشيخ إبراهيم المليباري، تولى القضاء الأكبر في مدراس.
من مصنفاته: منحة السراء في شرح الدعاء، النفائس الارتضائية، ورسائل وشروح، توفي سنة ١٢٧٠هـ (حركة التأليف باللغة العربية ص٣٠٣-٣٠٤).

٢- النفائس الارتضائية، ارتضا عليخان الكوبامئوي ، ص٦، دائرة المعارف، حيدر آباد، بدون تاريخ.

٣- الصحيح: لم يلدك، لكن الشاعر لعله اضطر إلى هذه الصيغة الخاطئة لاستقامة الوزن.

٤- هو الشيخ محمد ناصر من أهالي «بليا» من أترابراديش، تلقى العلوم في دار العلوم بديوبند، وعمل فيها موظفاً، (جرعة الضرب ص٢-٣)، لم أعثر له على تاريخي الميلاد والوفاة.

٥- جرعة الضرب في مدح سيد العرب، محمد ناصر البلياوي ، ص٦، مطبعة الجامعة الملية دهلي ١٣٥١هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَرَبِّي وَاحِـــدٌ مَـــلِكٌ عَظِـــيْمٌ رَقِـــيْبٌ خَـالِـــقٌ وَبِـــهِ اعْتِصَـــامُ
نَـــظِيْفٌ ذَاتُـــهُ مِـــنْ كُـــلِّ عَـيْبٍ جَلِـــيْلُ الشَّـــأْنِ يَـذْكُـــرُهُ الْـــكِرَامُ
وَلاَ يَخْـــفَى عَـــلَى الرَّحْمَـــنِ شَيْءٌ مُحِـــيْطُ الْـــعِلْمِ ذُو الْفَـضْلِ الْعُـظَامِ[1]
وَإِنَّ اللهَ لَـــيْسَ لَـــهُ شَرِيْـــكٌ وَلَـــيْسَ كَـــمِثْـلِهِ شَيْءٌ فَـــخَـامُ
لَـهُ مُـــلْكُ الـــسَّمَاءِ وَمُـــلْكُ أَرْضٍ هُـــوَ الْـحَيُّ الْقَـدِيْمُ لَـــهُ الـــدَّوَامُ
هُـــوَ اللهُ الْـــعَـظِيْمُ مُعِـــيْدُ خَـــلْقٍ هُـــوَ الـــرَّحْمَنُ ذُو الْـعَرْشِ السَّـــلاَمُ

ويرى الشيخ عبد الأوّل الجونفوري[2] أن الله هو الأوّل والآخر، وأنه هو الظاهر والباطن، يجيب دعوة المضطرين، ويعلم أحوال المبتلين، ويدفع الضرّاء والبأساء يقول[3]:

تَبَـــارَكَ رَبِّيْ وَحْـــدَهُ وَلَـــهُ حَمْـــدُ وَلَـــيْسَ لَـهُ ضِـــدٌّ وَلاَ نِـــدٌّ وَلاَ حَـــدُّ
عَلِـيْمٌ، عَـــلِيٌّ، أَوَّلٌ، آخِـــرٌ، مَـــوْلى سَـلاَمٌ، عَـزِيْـزٌ، ظَـاهِـرٌ، بَـاطِـنٌ، فَـرْدُ
فَسُبْــحَـانَ رَبِّيْ لاَ يَـــزَالُ وَلَمْ يَـــزَلْ مُجِـــيْبًا، سَـــوَاءٌ عِـــنْدَهُ الْـقُرْبُ وَالْـبُعْدُ
قَـــرِيْبٌ مِـــنَ الدَّاعِـــيْنَ رَبِّيْ وَإِنَّـــهُ يُجِـــيْبُ دُعَـــا الْمُضْـطَرِّ إِذْ مَا دَعَـا الْعَـبْدُ[4]
عَلِـــيْمٌ بِحَـــالِ الْـمُبْتَلِـيْنَ وَدَافِـــعٌ لِمَـــا مَسَّـــهُمْ سُبْـــحَانَهُ وَلَـــهُ جِـــدُّ

١- وقع الشاعر هنا في عيب من عيوب القافية يسمى الإيطاء وهو إعادة القافية بلفظها ومعناها قبل مضيّ سبعة أبيات.

٢- هو الشيخ: عبد الأول بن كرامة على بن إمام بخش بن جار الله بن كل محمد بن دائم الجونفوري. ولد سنة ١٢٨٤هـ تتلمذ على تلامذة مولانا عبدالحي بن عبدالحليم اللكهنوي، ثم سافر إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ رحمة الله الكيرانوي، والشيخ عبدالله بن السيد حسن المرحوم، ثم لازم الشيخ عبدالحق بن شاه محمد الإله آبادي المهاجر. توفى ١٣٣٩هـ في كلكته جاوزت مؤلفاته ١٠٠ كتاب ورسالة، منها: الطريف للأديب الظريف، عرائس الأفكار في مفاخرة الليل والنهار. ينظر لترجمته: الإعلام ٣/ ١٢٥٨-١٢٥٩.

٣- الدر النضيد ، ص٢٨.

٤- في المرجع : إذا ما ، لكن فيه انكسار لوزن البيت .



المطلب الثاني

شعر الزهد

لقد جاء الإسلام فأخبر الإنسان أن الكون وما فيه لم يخلق سدى، ولم يترك هملا، وإنما كل شيء بحق وغاية، فالدنيا دار ابتلاء واختبار للإنسان، وفرصة استعداد وتزود لما بعد الممات، حيث القبر ثم النشر والحشر، وعندئذ يُحاسب العبد ويُسأل عن كل قول وعمل، ويجازى على كل صغيرة وكبيرة، ومن هنا دعا الإسلام الإنسان إلى الاستعداد للآخرة بالتقوى وعمل الصالحات وترك السيئات، وعدم الانشغال بزخارف الدنيا ومتعها ولذاتها، وحث على التذكر الدائم للموت وسكراته، ودعا إلى تدبر حال المرء وعجزه وفوات فرصته بعد وفاته.

وكان هذا هو الأساس والمنطلق للزهد والزهاد في الإسلام وبين المسلمين، فكانت كل حياتهم هي الإقبال على الله تعالى بالتضرع والابتهال، طلباً لغفران الذنوب، ودخول الجنة وحصول رضا الرحمن، وكان شعارهم الرضا بالقضاء، والقناعة بما حصل دون الاستشراف إلى المزيد، والإعراض عن الدنيا، واستحضار الموت ومباغتته للمرء.

وكان شعر الزهد تعبيراً صادقا عما تجيش به خواطرهم، وصورة واقعية لحياتهم وأحاسيسهم ومشاعرهم، ومن أمثلة هذا الشعر في الهند ما قاله الشيخ السيد سليمان الندوى[1] في الحث على الرضا بالقدر، فذكر أن كل شيء في الحياة الدنيا زائل فانٍ

١- هو الشيخ: سليمان بن أبي الحسن الحسيني الزيدي الدسنوي البهاري. ولد بدسنه سنة ١٣٠٤هـ ونشأ بها. وقرأ على صنوه الشيخ أبي حبيب النقشبندى ثم سافر إلى «بهلوارى» و«دربهنغه» لتلقي العلم، وأخيرا وصل إلى دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ وتخرج فيها. وتأدب على العلامة شبلى بن حبيب الله البندولي، ولازمه وشارك في تحرير مجلة «الندوة» «والهلال» وعمل أستاذا في دارالعلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، وكلية «بونا» التابعة لجامعة مومباي، أستاذا للألسنة الشرقية، وتولى نظارة «دارالمصنفين» ورئاسة تحرير مجلة «المعارف» بأعظم كره بعد وفاة العلامة شبلى النعماني.

زار لندن، وباريس، والقاهرة مشاركا ورئيسا في حركة الخلافة، وزار المملكة العربية السعودية على دعوة الملك عبد العزيز يرحمه الله، وزار أفغانستان مع الشاعر الإسلامي محمد اقبال على دعوة واليها الملك نادر خان، وتولى رئاسة القضاء هناك، ورئاسة الجامعة الأحمدية، والإشراف على التعليم الديني والمعاهد الدينية في ولاية «بهوفال» ولما ضمت الولاية إلى الحكومة الهندية هاجر إلى باكستان، وشارك في وضع الدستور الإسلامي هناك، كما اختير رئيسا للجنة التعليمات الإسلامية، توفي في باكستان في كراتشي سنة ١٣٧٣هـ.

كان من كبار المؤلفين في هذا العصر، ومن المكثرين من الكتابة والتأليف مع سعة علم ودقة بحث وتنوع مقاصد، له تكملة «سيرة النبي» لأستاذه شبلى النعماني في خمسة مجلدات كبار، تعتبر موسوعةً في السيرة النبوية والعقيدة الإسلامية، و«خطبات مدراس» من خير ما كتب في السيرة النبوية، ونقل إلى الإنجليزية والعربية، و«أرض القرآن» و«سيرة عائشة، و«سيرة مالك» و«خيام» و«نقوش سليماني» في البحوث اللغوية والأدبية، و«حياة شبلي» في سيرة أستاذه، و«عرب وهند كي تعلقات» (الصلات بين العرب والهند) ونقل إلى الإنجليزية، وعربون كى جهازرانى (الملاحة عند العرب). (الإعلام ٣/ ١٢٣٨، مجلة «الضياء» ص ٢٠، عدد رمضان).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لا يدوم، فعلى المرء ألا يتضجر بما يصيبه من المصائب والصعوبات، بل يرضى بما قدر له الرحمن، يقول[١]:

يا أيُّهَا النَّاسُ مَادُمْتُمْ عَلَى الأَرْضِ ... لا تَخْلُصُوْنَ مِنَ الإبْرَامِ وَالنَّقْضِ

فَإِنَّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ قَاضِيَكُمْ ... مِنْ شِدَّةٍ وَرَخَاءٍ كُلِّهِ يَمْضِيْ

وينكر على من يخشى الموت، مع أنه آت يقيناً، وقد أفنى قبلنا أجيالا وأقواماً، ويشبهه بالدنس على الأثواب، فكما أن الأثواب لا بد أن تتدنس ولو بعد حين، فكذلك المنية لا بد أن توافي الإنسان، يقول[٢]:

حَتَّامَ تَخْشَى الْمَنَايَا فَهْيَ آتِيَةٌ ... وَيَنْفَدُ الْمَوْتُ أَعْدَادًا مِنَ النَّفَسِ

إِنَّ الْحَيَاةَ ثِيَابٌ وَالرَّدَى دَنَسٌ ... حَتَّى مَتَى تَتَّقِي الأَثْوَابَ مِنْ دَنَسِ

وأرى أن الشاعر خالفه التوفيق في استخدامه كلمة «الدنس» للموت، لما توحي كلمة الدنس من معاني الإهانة والصغار، مع أن الله خلق الموت لحكم عظيمة، حيث قال عزوجل: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

ويدعو العلامة مرتضى البلكرامي الزبيدى[٤] إلى التوكل على الله تعالى، والخشية من عقابه، وحفظ الجوارح، وتقديم أعمال البر وما يرضي الله سبحانه، وعدم المبالاة

١- الإعلام ٣/ ١٢٣٨.

٢- المرجع السابق نفسه.

٣- سورة الملك، الآية:١.

٤- هو الشيخ الإمام العالم المحدث: مرتضى بن محمد بن قادري بن ضياء الله الحسيني الواسطي البلكرامي نزيل مصر ودفينها المشهور بالزبيدي، ولد بـ«بلكرام» سنة ١١٤٥هـ.
تلقى العلم من أساتذة بلده ثم سافر إلى «خير آباد» و«دهلي» و«سورت» ثم سافر إلى الحجاز واليمن، ومصر واستوطن بها، له نحو من ثلاثمائة شيخ من أهمهم الشيخ ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، والشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي، والشيخ أحمد الملوي.
توفي في شعبان سنة ١٢٠٥هـ، له مصنفات كثيرة من أهمها: تاج العروس شرح القاموس، وتكملة القاموس وإنالة المنى في سرّ الكني وألفية السند، والأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة.
(الإعلام ٣/ ١١٠٨-١١١٢).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

بأقاويل الناس حيث إن رضا الناس غاية لا تدرك، يقول:

تَوَكَّلْ عَلَى مَوْلاكَ وَاخْشَ عِقَابَهُ ... وَدَاوِمْ عَلَى التَّقْوَى وَحِفْظِ الجَوَارِحِ

وَقَدِّمْ مِنَ الْبِرِّ الَّذِيْ تَسْتَطِيْعُهُ ... وَمِنْ عَمَلٍ يَرْضَاهُ مَوْلاكَ صَالِحِ

وَأَقْبِلْ عَلَى الْفِعْلِ الْجَمِيْلِ وَبَذْلِهِ ... إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْطَعْتَ غَيْرَ مُكالِحِ[1]

وَلاَ تَسْمَعِ الأَقْوَالَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... فَلاَ بُدَّ مِنْ مُثْنٍ عَلَيْكَ وَقَادِحِ[2]

ويذم الشيخ عبد الجبار[3] الدنيا ويبين أنها فتانة، تُوقع في البلاء والحيرة، خضرتها أشواك يأس وحسرة، ونضارتها سقم للروح، عاشقها في تعب، وراغبها في نصب، لامنجى منه ولا منقذ، زخارفها تثير المرء وتجعله يحترق في حبّها، يقول:

لَحَا الله دُنْيًا فَتَّنَتْنِيْ بِزَهْرَةٍ ... وَقَدْ أَوْقَعَتْنِيْ فِيْ بَلاَءٍ وَحَيْرَةٍ

بِخُضْرَتِهَا أَشْوَاكُ يَأْسٍ وَحَسْرَةٍ ... بِنُضْرَتِهَا أَسْقَامُ رُوْحٍ وَمُهْجَةٍ

غَدَائِرُهَا حَيَّاتُ حُزْنٍ وَوَحْشَةٍ ... عَقَارِبُ أَدْوَاءٍ وَزَوْرٍ وَنَكْبَةٍ

لَقَدْ لَدَغَتْ مَنْ كَانَ يَهْوَى وِصَالَهَا ... فَلاَ زَالَ فِيْ بُؤْسٍ وَكَرْبٍ وَنِقْمَةٍ

فَلَيْسَ لَهُ رَاقٍ وَوَاقٍ وَنَافِعٌ ... وَلَمْ يَسْتَرِحْ مِنْ كُرْبَةٍ وَصُعُوْبَةٍ

زَخَارِفُهَا قَدْ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ الْهَوَى ... فَأَوْرَتْ بِنَفْسِي وَالْفُؤَادِ بِشُعْلَةٍ[4]

ويبدأ الشيخ حبيب الرحمن العثماني[5] قصيدته بذكر الأحباب الذين حال الموت

١- من كَلَحَ فلان يَكْلَحَ كُلُوحاً. عبس وزاد عبوسه (المعجم الوسيط).

٢- الإعلام ٣/ ١١١٢.

٣- هو الشيخ: عبدالجبار بن بدرالدين العمر بوري، ولد سنة ١٢٧٧هـ بعمربور قرية من أعمال «مظفرنغر» قرأ على مولانا محمد مظهر النانوتوي، والشيخ أحمد على بن لطف الله، والعلامة فيض الحسن السهارنفوري، ثم لازم السيد نذير حسين الدهلوي المحدث وأخذ عنه الحديث، له رسائل في الخلاف والمذهب، وله ديوان الشعر العربي، ولم نعثرله على تاريخ الوفاة. (الإعلام ٣/ ١٢٦٠، تراجم علماء اهلحديث هند ١/ ١٦٥-١٦٦).

٤- الإعلام ٣/ ١٢٦٠.

٥- هو الشيخ حبيب الرحمن بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي، ولد في ١٢٧٩هـ في مدينة ديوبند، ودرس في دارالعلوم بديوبند من المرحلة الابتدائية حتى تخرج فيها عام ١٣٠٠هـ ورشح لوكالة إدارة الدار سنة ١٣٢٥هـ. ثم سافر إلى حيدرآباد



بينه وبينهم، فلا لذة بعدهم في العيش، ويذكر أن كل حي مصيره إلى الفناء، وأن الموت لا مفر منه لأحد، ولا ينفع دونه شيء، وهو خير واعظ للمرء يذكره الآخرة، ويوقظه من سبات الغفلة، وهو جسر للقاء الأحبة، ومن يحب لقاء الله ويستعد له يفز برضاه ويدخل جنته، يقول:

مَضَى قَبْلَنَا مَنْ كَانَ يُخْشَى فِرَاقُهُمْ ... وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَفُلُّ الصَّوَاكِمَا[1]

وَكَانُوْا لَنَا إِلْفًا فَبَانُوْا وَلاَ قِلًى ... وَنَحْنُ عَلَى الآثَارِ نَقْفُو الْمَنَاسِمَا[2]

فَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَهُمْ مِنْ لَذَاذَةٍ ... وَلاَ طِيْبُ نَوْمٍ يَطْرُقُ الْمَرْءَ حَالِمَا

هُوَ الْمَوْتُ لاَ يُبْقِي لِجَلْدٍ جَلاَدَةً ... يَحُصُّ الْقَوَافِيْ ثُمَّ يُوْدِي الْقَوَادِمَا

هُوَ الْمَوْتُ مُرٌّ طَعْمُهُ وَمَذَاقُهُ ... يُخَيِّبُ آمَالاً وَيُرْدِي الدَّعَائِمَا

هُوَ الْمَوْتُ لاَ يَرْثِيْ لِبَاكٍ وَلاَ شَجٍ ... وَلاَ لأَنِيْنِ الثُّكْلِ يَرْحَمُ وَاجِمَا[3]

هُوَ الْمَوْتُ مَا نَجَّى الشَّجَاعَةُ خَالِدًا ... حَنِيْفًا وَلاَ نَجَّى السَّخَاوَةُ حَاتِمَا

هُوَ الْمَوْتُ لَمْ يَتْرُكْ لُيُوْثًا حَوَارِدَ ... بِغَابٍ وَلَمْ يَتْرُكْ نُسُوْرًا قَشَاعِمَا[4]

هُوَ الْمَوْتُ إِلاَّ أَنَّهُ خَيْرُ وَاعِظٍ ... يُرَوِّعُ مَنْهُوْمًا وَيُوْقِظُ نَائِمَا

وَلَكِنَّهُ جِسْرٌ لِوَصْلِ أَحِبَّةٍ ... إِذَا كَانَ حُبُّ اللهِ فِي الْقَلْبِ قَائِمَا

أَخِلاَّيَ مَنْ يُحْبَبْ وَيَشْتَقْ لِقَاءَهُ ... تَلَقَّاهُ رِضْوَانٌ يُرَحِّبُ قَادِمَا[5]

وتولى منصب الإفتاء هناك عام ١٣٤٤هـ ثم رجع إلى ديوبند بأقل من سنة وعين مديراً لدار العلوم بعد وفاة الشيخ محمد أحمد في السنة نفسها.
توفي في سنة ١٣٤٨هـ وكان إداريا ماهرا وأديبا بارعا، له ديوان شعر بالعربية (تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب رضوي ٢/ ٥٩).

١- هكذا في الديوان، ولعل الصواب: الصوارما.

٢- المناسم: جمع منسم: خفّ البعير (القاموس المحيط مادة ن س م).

٣- وجم يجم وَجْما وَوُجوما: سكت على غيظ (القاموس المحيط مادة و ج م).

٤- حوارد: جمع حارد، الحرد: الغضب، ومنه قل: أسد حاردوليوت حوارد (لسان العرب مادة: ح ر د).

٥- معين اللبيب في جمع قصائد الحبيب، جمع محمد اعزاز على، ص ٧٨-٦٨.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ثم يتطرق الشاعر- بعد تقريع النفس وزجرها على الغفلة والمعاصي- إلى بيان حقيقة الدنيا وأنها مثل ظل شجرة يستريح تحتها الراكب ليستظل بها ويستعين على إتمام سفره، وأن الإنسان يدفن في القبر الذي هو روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ويأتيه ملكان يسألانه، ويُذكِّر بشدة الموقف يوم القيامة حيث تعرض الأعمال، وتبلى السرائر، وتكشف الأسرار، ويحث على التزود بالتقوى لذلك اليوم الرهيب، يقول:

وَمَا هِيَ إِلاَّ مُسْتَظَلٌّ لِرَاكِبٍ ... يُجِدُّ مَسِيْرًا لِلْمَنَازِلِ عَازِمَا

فَهَاذَاكَ قَبْرٌ رَوْضَةٌ أَوْ حُفَيْرَةٌ ... مِنَ الرَّوْحِ أَوْ مِنْ لَهْبِهَا الْمُتَرَاكِمَا

وَيَأْتِيْ لَمِثْوَاهُ نَكِيْرٌ وَمُنْكَرٌ ... يَزُوْرَانِ لِلتِّسْآلِ مَيْتًا، وَمَاهُمَا

أَلاَ وَاذْكُرَا هَوْلاً لِمَوْقِفِ مَحْشَرٍ ... يُصَيِّرُ رِعْدِيْداً أُسُوداً ضَرَاغِمَا

وَتُعْرَضُ أَعْمَالٌ وَتُبْلَى سَرَائِرُ ... وَيُكْشَفُ فِيْ عَيْنَيْكَ مَا كُنْتَ كَاتِمَا

أَعِدُّوْا لَهُ زَاداً وَمَا الزَّادُ نَافِعاً ... إِذَا لَمْ تَكُنْ تَقْوَى الإِلَهِ مُلاَزِمَا[1]

ونجد في شعر الزهد عند بعض الشعراء التضرع إلى الله تعالى بطلب العفو والتوبة، والاعتراف باقتراف الذنوب والمعاصي، والتحسر على اتباع الهوى وإطاعة النفس، والتندم على ما سلف، وذكر رجاء المغفرة من الله تعالى وأنه أهل لذلك، وجوده عميم، وفضله واسع، ورحمته هي المرجوة، وأنه إن شاء عذبهم فهو قادر عليه، وهو عدل منه، إلا أن عفوه أوسع، يقول الشيخ أحمد بن مصطفى الكوبامئوي[2]:

ظَلَمْتُ وَكُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَا ... تَرَحَّمْ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِيْنَا

١- معين اللبيب ص ٦٨-٦٩.

٢- هو الشيخ العالم الفقيه: أحمد بن مصطفى بن خيرالدين بن خيرالله العمرى الكوبامئوي. ولد ونشأ «بكوبامئو» وقرأ العلم على رحيم الدين الكوبامئوى، وغلام طيب البهاري، والعلامة حيدر على بن حمد الله السنديلوي، ثم سافر إلى مدراس فولاه والاجاه حاكم مدراس التدريس بمدرسته التي كانت في كوبامئو، ثم تولى قضاء «ترتشنافلى» ولما توفي به قاضي القضاة محمد مستعد خان المدراسي قام مقامه في القضاء الأكبر واشتغل به مدة حياته.
توفى بمدراس سنة ١٢٣٤هـ له ديوان الشعر الفارسي في مجلد، وله قصائد بالعربية. (الإعلام ٣/ ٩٠٤-٩٠٥.)

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَضَـعْتُ الْعُـمْرَ فِيْ كَسْبِ الْـخَطَـايَـا ... وَصِـرْتُ بِـمَـا اكْتَسَبْتُ بِــهِ رَهِــيْنا

أَطَـعْتُ النَّفْسَ حِـيْنًا بَعْـدَ حِـيْنٍ ... وَإِنَّ النَّفْـسَ شَـرُّ الْـحَـاكِمِـيْنَا

أَنَـخْتُ النُّـوْقَ فِيْ بَيْـدَاءِ غَيٍّ ... وَلَمْ أَسْـمَعْ لِوَعْـظِ الْوَاعِظِـيْنَا

فَـإِنْ جَـازَيْتَنِي شَـرّاً بِشَـرٍّ ... فَعَـدْلٌ مِنْـكَ رَبَّ الْعَالَمِـيْنَا

وَإِنْ جَـاوَزْتَ عَـنْ ذَنْبِي فَعَـفْوٌ ... وَفَضْـلٌ رَبَّنَـا فَضْـلاً مُبِـيْنا[1]

ويقول الشيخ محمد يوسف البنوري[2]:

سَـأَلْتُـكَ يَـا إِلَهِي فِيْ لَـيَالٍ ... بِخَـوْفٍ قَـدْ عَـرَانِيْ فِيْ دُجَاهَـا

أَتَيْتُـكَ سَائِـلاً وَالنَّفْـسُ تَرْجُـوْ ... وَأَنْـتَ الْـمُنْعِـمُ الْـمُـوْفِيْ مُنَـاهَـا

فَـطَنِّبْ فَوْقَهَـا فُسْطَـاطَ عَفْـوٍ ... وَقَـوِّضْ مِنْ خَـطَايَاهَـا خِبَاهَـا

ذُنُـوْبِيْ إِنْ عَـدَتْ عَـداً وَحَـصْرًا ... فَفَضْـلُكَ يَـا إِلَهِيْ قَـدْ عَدَاهَـا

فَعَـامِلْنِي وَجَـامِلْنِيْ بِفَضْـلٍ ... كَـمَا أَنْتَ لَـهُ أَهْـلٌ إِلَهَـا[3]

ويكثر في هذا الشعر أسلوب النداء ويتكرر تأدبا مع الله عزوجل، وإظهاراً للتذلل

١- الإعلام ٣/ ٩٠٤، ٩٠٥.

٢- هو الشيخ محمد يوسف بن سيد محمد زكريا بن مير مزمل شاه بن مير أحمد شاه البنوري الحسيني، ولد سنة ١٣٢٦هـ في قرية بمديرية بشاور، ودرس القرآن على والده وخاله، ثم ذهب إلى كابل وبشاور وتلقى العلم هناك، ثم رحل إلى دار العلوم ديوبند لدراسة الحديث ولازم العلامة محمد أنور شاه الكشميري.

عمل مدرسا في جامعة دابهيل في الهند ثم اختير رئيسا لهيئة أعضاء التدريس ثم شيخ الحديث، وبعد انفصال باكستان من الهند هاجر إلى باكستان وعين شيخ التفسير في دار العلوم الإسلامية في «تندو الله يار» ثم انتقل إلى كراتشي وأقام معهد التربية، لخريجي المعاهد والمدارس العربية الإسلامية تعرف الآن بجامعة بنوري تاون بكراتشي.

زار الحجاز، ومصر والعراق وليبيا، والأردن، وسوريا، وبيروت، وأفغانستان وتركيا، واليونان وشرقي إفريقيا، نشرت له مقالات في مجلات مصر وسوريا.

توفى سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م في راولبندي.

له معارف السنن في شرح الترمذي في ستة مجلدات، وله نفحة العنبر في حياة الشيخ الأنور، وكتب أخرى (مجلة البينات كراتشي، العدد الخاص يناير، فبراير ١٩٧٨م).

٣- القصائد البنورية، ص ١٤٢،١٤١.



والخضوع، كما يكثر ذكر بعض صفات الله العليا مثل الرحمة والمغفرة والفضل والإنعام، ويتكرر ذكر شدة الحاجة إلى الله تعالى، كما نرى ذلك عند الشيخ عبد الأول الجونفوري يقول:

يَـــارَبِّ إِنَّـــا خَـــائِفُوْنَ مِـــنَ اللَّظَى   وَارْحَـمْ عَلَـيْنَا إِنَّنَـا نَتَـوَاضَعُ[1]

وَإِلَـيْكَ قَـــدْ رُفِـعَتْ أَكُـفُّ تَضَـرُّعٍ   مَـنْ لَّمْ يُؤَمِّـلْ مِنْـكَ خَيْرًا ضَـائِع

وَاغْـــفِرْ ذُنُوْبَ الْـمُسْلِمِـيْنَ تَحَـنُّـنًا   وَذُنُـوْبِيَ اللّـــهُمَّ إِنَّـكَ وَاسِــعُ

وَانْصُرْ عُصَـاةَ الْـمُسْلِمِـيْنَ وَعَـافِهِمْ   وَاقْـبَلْ دُعَـائِيْ رَأْفَـةً يَاسَـامِعُ[2]

ويكثر في هذا المقام التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة من الإيمان بالله تعالى، وإثبات توحيده وعدم الإشراك به، والإيمان باليوم الآخر، والإقرار برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتعلق الرجاء بالله تعالى وحسن الظن به، كما يقول القاضي طلا محمد البشاورى[3]:

تَجَــاوَزْ وَلاتَسْخَــطْ وَأَسْبِغْ عَلَى طَــلاَ   عَطَــاءَكَ جَمًّا أَنْتَ بِالْجُـوْدِ وَاسِــعُ

وَسَـامِحْ بِـهِ وَاغْـفِرْ وَأَحْسِنْ فَـإِنَّـهُ   فَقِــيْرٌ حَقِــيْرٌ عِـنْدَ بَابِكَ قَـــارِعُ

أَتَـيْتُ مُنِيْبًـا حُسْنَ عَفْـوِكَ رَاجِيًـا   وَجَـلَّتْ خَطِيْئَـاتِيْ فَمَا أَنْـتَ صَـانِعُ

إِلَهِيْ لَقَـدْ أَبْـرَزْتُ كَـفِّيَ سَـائِلاً   فَـأَعْطِ، فَـإِنِّيْ فَـاقِدُ الـزَّادِ طَـامِعُ

إِلَهِيْ أَذِقْـنِيْ بَـرْدَ عَـفْـوِكَ إِنَّـنِيْ   ضَئِيْلٌ ذَلِـيْلٌ خَـائِفٌ لَكَ ضَـارِعُ

١- الصواب: وارحمنا، لكن الشاعر وقع في هذا الخطأ بسبب ترجمة الأسلوب الأردي.

٢- الطريف للأديب الظريف، ص٢٩، مطبعة مجتبائي دهلى، ١٩٦٤م.

٣- هو الشيخ القاضي: طلا محمد بن القاضي محمد حسن بن محمد أكبر بن خان العلوم الأفغاني البشاوري، كان جده قاضي القضاة بأفغانستان، وكذلك صنوه عبدالكريم وابن أخيه عبدالقادر، وكان الشيخ طلا محمد متوليا بديوان الإنشاء في كلكته، وولده محمد أسلم كان واليا من تلقاء الإنجليز في بعض المتصرفات.
تأدب على ذويه وتفقه، ثم أخذ الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي المحدث المشهور، ولازم الشيخ عبدالله بن محمد أعظم الغزنوي، توفي سنة ١٣١٠هـ بمكة المكرمة. له نشأة الطرب في أسواق العرب. (الإعلام ٣/ ١٢٥١-١٢٥٢).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

إِلَهِي لَئِنْ نَاقَشْتَنِي أَوْ أَمَرْتَنِي ... حِسَابًا وَمِيزَانًا فَهَا أَنَا ضَائِعُ[1]
وَأَشْهَدُ يَا رَحْمَنُ أَنَّكَ وَاحِدٌ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ الدِّيْنَ لاَ شَكَّ وَاقِعُ
وَأَشْهَدُ بِالتَّسْلِيْمِ أَنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُوْلُكَ حَقًّا وَهُوَ هَادٍ وَشَافِعُ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ حُوْبَةٍ ... صَنَعْتُ قَدِيمَ الْعَصْرِ أَوْ أَنَا صَانِعُ
إِلَهِي فَأَكْرِمْ وَاغْفِرِ الْحُوْبَ رَحْمَةً ... وَفَضْلاً فَإِنِّيْ خَاشِعٌ لَكَ خَاضِع[2]

ويذكر الشيخ حبيب الرحمن العثماني أن الله تعالى خلق الخلق على صنفين: سعيد يفوز بدخول الجنة، ورضا المنان، وشقي يدخل النار ويبوء بالخسران، والله سبحانه وتعالى فعال لما يريد، يجعل من يشاء من أهل السعادة بفضله وإحسانه، وآخر يدخله في الأشقياء بعدله وحكمته، ثم يسأله الجنة، والنعيم تفضلا ورحمة، كما يسأله الإيناس في القبر، والوقاية من الجحيم، ويشبه عفوه بالحصن المتين، وبالشمس المشرقة التي ينجلي منها ظلام الذنوب، ويذكر أن العفو من الله تعالى هو أعلى منيته وبغيته.

ويظهر في هذا تأثر واضح بالكتاب المجيد والحديث الشريف في ذكر أصناف الناس، وفي طلب الجنة تفضلاً من الله سبحانه، يقول[3]:

إِلَهِي خَلَقْتَ الْخَلْقَ لِلنَّارِ عُصْبَةً ... وَأُخْرَى لِرَوْضِ الْخُلْدِ قَسْمًا مُوَزَّعَا
وَلَسْتَ تُبَالِي مَنْ جَعَلْتَ لَهُ اللَّظَى ... وَمَنْ شِئْتَ خَلَّدْتَ النَّعِيمَ مُمَتَّعا
وَلاَ عِلْمَ لِيْ أَيُّ الْفَرِيْقَيْنِ عُصْبَتِيْ؟ ... سَعِيْدًا أُنَادَى أَمْ شَقِيًّا مُقَرَّعَا؟
إِلَهِي ، فَأَدْخِلْنِي بِفَضْلِكْ وَاحْبُنِي ... نَعِيمًا مُقِيمًا خَالِدًا وَمُوَسَّعَا
وَلَسْتُ بِأَعْمَالِي أُرِيْدُ كَرَامَتِي ... وَلاَلِي أَنْ أَرْجُو وَأَنْ أَتَوَقَّعَا

١- هكذا في المصدر لكن فيه انكسار الوزن ، ولعل الصواب « فإني لضائع».
٢- نشأة الطرب في أشواق العرب محمد طلا البشاوري ص ٤٣ .
٣- معين اللبيب ص٦-٧.



وَلكَــنَّكَ التَّــوَّابُ وَالْعَــبْدُ مُــذْنِبٌ ... وَأَنْــتَ كَــرِيْمٌ، لِلْــخَلاَصِ مُوَقَّــعَا

إِلَهِيْ، وَآنِــسْ وَحْــشَتي وَارْث غــربتي ... إِذَا بِتُّ فِيْ لَحْــدِيْ أُجَــاوِرُ بَلْــقَعَا

وَأُخْــلَى بِأَعْــمَالِيْ وَحِــيْدًا بِـحُفْرَتِيْ ... وَلَــيْسَ أَنِيْسٌ غَــيْرَ لُطْفِــكَ مُمْتِــعَا

وَكُنْ لِيْ وِقَــاءً عَنْ جَحِــيْمٍ وَنَارِهَــا ... إِذَا صُــبَّتِ الأَهْــوَالُ وَالأَمْرُ أَقْــطَعَا

إِلَهِيْ رَجَــائِيْ فَــوْقَ ذَنْبِيْ وَإِنَّــنِيْ ... لأَعْــلَمُ أَنَّ الْعَفْوَ يُنْجِي الْمُرَوَّعَــا

وَعَــفْوُكَ مَحَّــاءٌ، وَعَــفْوُكَ شَــامِــلٌ ... وَعَفْــوُكَ حِصْنٌ كَــانَ أَرْسَى وَأَمْــنَعَا

وَعَفْــوُكَ شَمْسٌ لاَيَقُــوْمُ لَهَــا الــدُّجَى ... وَذَنْبِيْ ظَــلاَمٌ يَنْــجَلِيْ مُــتَقَشِّعــا

وَتِــلْكَ مُــنَى قَلْــبِيْ وَتِيْ بُغْــيَتِي الَّــتِيْ ... إِذَانِلْــتُهَا حَــازَتْ لِيَ الْفَــوْزَ أَجْمَعَــا

المطلب الثالث

شعر التأسف على ما آل إليه حال المسلمين والدعوة إلى استنهاض الهمم

للإسلام في الهند وجود قديم، يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري، وخلال هذا الزمن المديد تراوحت أحوال المسلمين في هذه البلاد بين قوة وضعف، وعز وذل، وتوحّد وافتراق.

وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين - وهما الإطار الزمني لهذه الدراسة - انتاب المسلمين من الضعف والهوان ما أفزع المهتمين بشؤون الإسلام والمسلمين في تلك البلاد.

والشعراء - بما منحهم الله من حسّ مرهف- أدركوا خطورة هذا الأمر وأسبابه، ووصفوا للمسلمين في تلك الأحوال ما يكفل لهم إعادة مجدهم التليد وماضيهم المجيد.

فنرى في هذه الحقبة جملة من الشعر يتأسف اصحابها على ما آل إليه حال المسلمين



من ضعف وذلّ وهوان، وما شاع بينهم من حقد وضغائن وخلافات، يقول عبد الحميد الصادق بوري[1]:

فَصِرْنَا نَحْنُ فِي وَهْنٍ وَهُوْنٍ ... يَرِقُّ لَنَا الْمُعَانِدُ وَالْحَسُوْدُ

سَعَى فِي الأَرْضِ طُغْيَانًا وَعَدْوًا ... مَعَ الأَحْزَابِ شَيْطَانٌ عَنُوْدُ

يَشِيْعُ الْبُغْضَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ... فَفَرَّ الْجَمْعُ وَانْهَزَمَ الْجُنُوْدُ

وَكَانَ النَّاسُ قَبْلاً فِي شِقَاقٍ ... وَنَارُ الضِّغْنِ يُوْقِدُهَا الْوَقُوْدُ

وَشَبَّ ضِرَامُ نِيْرَانِ النِّفَاقِ ... وَنَارُ الْبَغْيِ لَيْسَ لَهَا خُمُوْدُ

وَفِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالُ غِلٍّ ... وَمِنْ حِقْدٍ بِأَرْجُلِهِمْ قُيُوْدُ

وَهُمْ عَنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ رَغِبُوا ... وَقَدْ بَعُدُوا كَمَا بَعُدَتْ ثَمُوْدُ[2]

ويذكر الشاعر أبوسلمى محمد جمال الدين[3] على لسان الإسلام أنه قد أطبق عليه الظلام، بسبب الضلال المنتشر في العالم وبسبب فقدانه البصر بكثرة البكاء، على ما أصابه من رزايا ومصائب، وأنها لو أصابت السماء لتبعثرت نجومها، ولم يبق لها ضياء وزينة، وأنه قد ألبس زياًّ شوه منظره للناظرين بعد ما كان أجمل ما يرى، يقول:

غَارَ النُّجُوْمُ وَلاَ صَبَاحٌ يَظْهَرُ ... وَانْبَثَّ فِي الأَرْضِ الظَّلاَمُ الأَكْبَرُ

١- هو الشيخ عبدالحميد بن أحمد الله بن إلهي بخش بن هداية علي الهاشمي الصادق بوري العظيم آبادي. ولد سنة ١٢٤٥هـ ببلدة عظيم آباد، وقرأ المختصرات على عمه الشيخ فياض علي، ثم سافر إلى لكناؤ، ولازم دروس المفتي واجد على البنارسي وأخذ عنه العلوم الحكمية، وأخذ الطب عن الحكيم طالب علي اللكهنوي توفي سنة ١٣٢٣هـ بعظيم آباد. (الدر المنثور في تراجم أهل الصادقفور، عبد الرحيم زبيري هاشمي ٨٢-٨٤، مطبع يوناني دوا خانه، إله آباد، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م، الإعلام ٣/ ١٢٦٦).

٢- الإعلام ٣/ ١٢٦٦.

٣- هو أبو سلمى محمد جمال الدين بن كنج أحمد كوتي «ولد في قرية» كيزال» بولاية كيرالا، سنة ١٩١١م: تلقى التعليم الابتدائي في الكتاتيب، ثم التحق بجامعة دارالسلام بعمرآباد وتخرّج فيها وعمل مدرسا في عدة مدارس. من أساتذته: عبدالرحمن مسليارتركنديل، ومحمد بن أحمد الشيرازي. توفي سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م (الشعر العربي في كيرالا مبدوه، وتطوره، د.ويران محي الدين الفاروقي، ص ٢٢٤، مكتبة عربنيت، كاليكوت سنة ١٤٠٠هـ).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَبَدَتْ نَوَائِبُ لَوْ أُصِيبَ بِهَا السَّمَا ... لَرَأَيْتَ كُلَّ نُجُوْمِهُا تَتَنَثَّرُ
وَابْيَضَّ عَيْنِيْ بِالْعَوِيْلِ وَبِالْبُكَا ... وَانْسَابَ مِنْهَا سَيْلُ دَمْعٍ يَغْمُرُ
أُلْبِسْتُ زِيَّ تَشَوَّهٍ مِنْ بَعْدِمَا ... قَدْ كُنْتُ أَجْمَلَ مَا يَرَى مَنْ يَّنْظُرُ[1]

ويصرخ الشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكني[2] صرخات عالية متتابعة تحسرا على ما آلت إليه أحوال المدارس الإسلامية من درس وعفاء، فهي تبكي العلم والعلماء، وتصرخ مثل صراخ الثكلى على وليدها الذي اخترمته المنية، وما يرى من تعطل شعائر الدين، ونقص في أرضه، وما يجد من خذلان المسلمين وتقاعسهم عن نصرة دينهم، فليس هناك من يقوم بنصرة الدين ويحمى حوزته، يقول:

عَفَّى دِيَارَ عُلُوْمِ الدِّيْنِ قَاطِبَةً ... نَسْجُ الدَّبُوْرِ وَأَرْيَاحٌ جَرَتْ نِقَمَا
يَا لَلْمَدَارِسِ أَضْحَتْ وَهِيَ دَارِسَةٌ ... يَا لَلْمَكَاتِبِ تَبْكِي الْعِلْمَ وَالْعُلَمَا
أَمَا سَمِعْتُمْ بُكَاهَا وَهِيَ صَارِخَةٌ ... صُرَاخَ ثَكْلَى عَلَى مَوْلُوْدِهَا اخْتَرَمَا
هَذِي الْمَشَاعِرُ ضَيْمُ الدَّهْرِ عَطَّلَهَا ... وَرَدَّ وَارِدَهَا غَيْظاً وَمَا كَظَمَا
هَذِي الشَّعَائِرُ لَمْ تُبْقِ الصُّرُوْفُ بِهَا ... مِقْدَارَ عُشْرِ الْعَشِيرِ الْوَزْنَ وَالْقِيَمَا
وَا رَحْمَتَاهُ لأَرْضِ الدِّينِ يَنْقُصُهَا ... رَيْبُ الْمَنُوْنِ مُمِدًّا سَيْلَهَا الْعَرَمَا
وَارَحْمَتَاهُ لِدِيْنٍ قَلَّ عُصْبَتُهُ ... مِنْ كُلِّ حَامٍ حِمَاهُ رَاسِخٍ قَدَمَا[3]

ونلاحظ مثل هذه الصيحات الصارخة عند صنوه وشقيقه الشيخ عبد الله الجيتيكر[4] أيضاً، فهو يدعو إلى الجد وترك الهزل، ويدعو إلى الاستعداد لرفع ما نزل بالمسلمين من

١- الشعر العربي في كيرالا، ص ٢٢٥.

٢- هو الشيخ أحمد بن عبد القادر الجيتيكر الشافعي الكوكني، ولد سنة ١٢٧٢هـ له شعر رائق، توفي سنة ١٣٢٠هـ في مدينة بومباي. (الإعلام ٣/ ١١٧٣).

٣- الإعلام ٣/ ١١٧٤.

٤- هو الشيخ عبدالله بن المفتي عبدالقادر الجيتيكر الشافعي الكوكني، ولد ونشأ بمدينة بومباي، وقرأ العلم على صنوه الكبير الشسخ أحمد، وعلى غيره من العلماء، توفي سنة ١٣٢٥هـ في بومباي. (الإعلام ٣/ ١٢٩٤).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الخطوب ويتأسف على ما اعتاده المسلمون من البطالة والكسل، فلا يتحرك لهم حراك، مع شدّة النوازل، وكثرة المصائب، وتكثر عنده الاستفهامات التوبيخية، محاولا إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق، يقول:

دَعْ ذِكْــــرَ رَبَّـــاتِ الْكِـــلَلْ[1] وَذَرِ الصَّبَـــــابَةَ وَالْغَـــــزَلْ
اَلْقَـــلْبُ مَـــشْغُـولٌ، فَـــمَا لِلْـــعِشْقِ فِيْــــهِ مِــــنْ مَحَـــلْ
يَـــا لَلرِّجَـــالِ أَلَمْ تَــــرَوْا مَـــاذَا بِقَـــوْمِكُــمْ نَـــزَلْ؟
هَـــلْ عُــــدَّةٌ مَـــعَ عِـــدَّةٍ نَرْجُـــوْ بِهَـــا دَفْـعَ الْـجَـــلَلْ؟
قَـــدْ عَمَّنَـــا الــدَّاءُ الْعُضَـــا لُ مِـــنَ الْبَطَـــالَةِ وَالْكَسَـــلْ
دَاءٌ بِـــــهِ فَسَـــــدَ الْمِـــزَا جُ وَفِي الطِّبَـــاعِ بَـــدَا الْـخَــلَلْ
دَاءٌ تَعَـــطَّـلَ مِـــنْهُ إِحْـــ سَـــاسُــنَا وَالْـخَــطْبُ جَـــلّْ
خَـطْـبٌ أَبَـــادَ جُمُـوْعَنَـــا حَـــتَّى وُصِـفْنَـــا بِالْفَشَـــلْ
خَـطْـبٌ لِهَـــوْلِ وُقُـوْعِـــهِ الْـــ وِلْـــدَانُ شَـــيْبُهُمُ اشْتَعَـــلْ[2]
خَـطْـبٌ تَـــزَلْـــزَلَـــتِ الأَرَا ضِـــيْ مِـــنْهُ وَانْـدَكَّ الْقُـــلَلْ[3]
خَـطْـبٌ أَقَـــامَ قِيَـــامَـــةً قَبْـلَ الْـقِيَـــامَةِ مُــنْذُ حَــلّْ
وَا رَحْمَتَـــاهُ لِحَـــالِنَـــا إِذْ نَـجْـمُ عِـــزَّتِنَـــا أَفَـــلْ[4]

ومما زاد الطين بِلّةً، والمرض فتكا، أن المسلمين، مع سوء أحوالهم الدينية والدنيوية قد قام فيهم متنبئ يدعي النبوة كذبا وبهتانا، ويزعم نفسه المسيح عليه السلام، ويرى أن النبوة لا تزال مستمرة، وصار له شأن- بحماية الانجليز- وأتباع كثيرون، وكان مقرهم في «قاديان».

١- في الأعلام: الكليل، ولعل الصواب ما أثبته.

٢- في الإعلام: والسهم اشتغل ، ولعل الصواب ما أثبته.

٣- في الإعلام: من ، ولعل الصواب هو ما أثبته.

٤- الإعلام ٣/ ١٢٩٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد تصدى له الغياري من أبناء الأمة الإسلامية، فبينوا زيغه وضلاله، وحاولوا استرداده إلى الصراط المستقيم ، ولكن الله قد طبع على قلبه فمات على ضلاله، واتفقت كلمة المسلمين على خروجه من الإسلام.

وكان من المتصدين من له باع طويل في الشعر العربي، فاستخدمه لكشف زيغه، وهتك ستره، وبيان باطله، وبينوا أن من انخدع به لم ينخدع إلا لجهله، وأن القوم لم يعلموا أبناءهم القرآن، ولم يجهروا بالأذان إلا لبسا لباطلهم بالحق الإلهي، يقول الشيخ حبيب الرحمن العثماني في مقدمة قصيدته التي قسمها إلى ثلاثة أقسام، المقدمة، والغرض، والخاتمة، والتي بين في مقدمتها عظم المصيبة التي حلت بالمسلمين ورأى أن السبب هو وانتشار الجهل واختفاء العلم، يقول:

مَا بَالُ عَيْنِكَ بِالْعَبْرَاتِ لاَ تَكِفُ ... وَمَا لِقَلْبِكَ لاَ هَمٌّ وَلاَ أَسِفُ[1]

وَكَيْفَ تَرْقُدُ طُولَ اللَّيْلِ فِي دَعَةٍ ... وَلاَ يَرُوْعُكَ أَمْرٌ دُوْنَهُ تَلَفُ

أَمَا تَرَى الأَرْضَ اِسْوَدَّتْ مَعَالِمُهَا ... وَأَدْرَكَ الْبَدْرَ وَاسْتَوْلَى بِهِ الْكَلَفُ

كَذَا إِذَا فَشَتِ الْفَحْشَاءُ فِيْ مَلأٍ ... يُوْدَى الْبَرِيُّ مَعَ الْجَانِيْ وَيُنْتَصَفُ

رَزِيَّةٌ فَجَعَتْنَا لاَ يُدَانُ بِهَا ... تَكَادُ مِنْهَا فِقَارُ الظَّهْرِ تَنْقَصِفُ

عَمَّ الْبَلاَءُ وَشَاعَ الْجَهْلُ وَانْقَشَعَتْ ... سَحَائِبُ الْفَضْلِ لاَ ظِلٌّ وَلاَ وَكِفُ

وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِيْ عَمْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لاَ يَهْتَدُوْنَ لِمَعْرُوْفٍ وَلاَ عَرَفُوْا

إِذَا عَلَتْ هَيْعَةٌ مِنْ مُبْطِلٍ تَبِعَتْ ... لَهَا الرِّجَالُ فَلاَ وَاعٍ وَلاَ تَقِفُ

فَهَمُّهُمْ لِاتِّبَاعِ الزَّيْغِ مُتَّفِقٌ ... وَرَأْيُهُمْ فِيْ قُبُوْلِ الْحَقِّ مُخْتَلِفُ

إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً مَالُوا لِوَجْهَتِهِ ... وَلاَ يُنَهْنِهُهُمْ دِيْنٌ وَلاَ شَرَفُ[2]

وبعد هذه المقدمة الطويلة يشرع في بيان ادّعاء هذا الكاذب المفتري، ويكشف زيف

١- وَكَفَ يَكِفُ وَكْفاً: الدمع والماء: سال (اللسان مادة: وك ف).

٢- معين اللبيب ص٧١-٧٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

دعواه، وأنه متبع للضالين السابقين كالخرمية والباطنية، كما يبين ما يقومون به من أعمال لخداع المسلمين فيقول:

تَزَعْزَعَتْ جَنَبَاتُ الأَرْضِ عَنْ حَدَثٍ ... شُمُّ الْجِبَالِ لَهُ تَهْوِي وَتَنْتَسِفُ

بِقَادِيَانَ تَنَبَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَنْ جَاءَنَا بِفُضُوْلِ الْقَوْلِ يَحْتَرِفُ

دَعَا إِلَى الْكُفْرِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ دَعَا ... إِلَى نُبُوَّتِهِ يَهْذِي وَيَقْتَرِفُ

أَبْدَى مِنَ الزُّوْرِ وَالْبُهْتَانِ مَا عَجَزَتْ ... عَنْهُ الدَّجَاجِلَةُ الْمَاضُوْنَ وَالْخَلَفُ

أَوْحَى إِلَيْهِ شَيَاطِيْنٌ تُلاَعِبُهُ ... وَزَيَّنُوا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ مَا خَطَفُوْا

وَكَانَ مِنْ إِفْكِهِ أَنْ جَاءَ يُخْبِرُنَا ... أَنَّ النُّبُوَّةَ مَنْشُوْرٌ لَهَا الصُّحُفُ

وَمَا دَرَى الْمَرْءُ جَهْلاً أَنَّهَا خُتِمَتْ ... وَأَنَّهَا بَعْدَهُ سُدَّتْ لَهَا الْغُرَفُ

بِالْبَاطِنِيَّةِ[1] حَذْوَ النَّعْلِ قَدْ شَبَهُوْا ... وَالْخُرَّمِيَّةِ[2] لاَ يَأْلُوْنَ إِذْ خَلَفُوْا

صَالُوْا عَلَى الدِّيْنِ وَالإِسْلاَمِ فِيْ مَلأٍ ... وَلَوْ خَلاَ مُسْلِمٌ فِيْ جَمْعِهِمْ خَطَفُوْا

أَلْقَوْا عَلَى الْكُفْرِ سِتْراً مِنْ شَعَائِرِنَا ... عَلَى الْمَنَائِرِ بِالتَّأْذِيْنِ إِذْ هَتَفُوْا

يُعَلِّمُوْنَ كِتَابَ اللهِ صِبْيَتَهُمْ ... كَيْ يَخْدَعُوْنَا إِذَا مَا نَابَهُمْ شَظَفُ

ويختم قصيدته بالدعاء عليهم بالهلاك بالرجم أو الخسف أو نزول الصّاعقة، ويدعو المسلمين إلى عدم الاغترار إن طال مكثهم؛ لأن عاقبة أمرهم إلى الخسران في الدنيا والآخرة فيقول:

يَالَيْتَ صَاعِقَةً حَلَّتْ بِدَارِهِمُ ... وَلَيْتَهُمْ هُلِكُوْا بِالرَّجْمِ أَوْ خُسِفُوْا

فَلاَ تَظُنَّ لَهُمْ خَيْراً أُرِيْدَ بِهِمْ ... إِنْ طَالَ مُكْثُهُمُ أَو عَمَّهَمْ تَرَفُ

١– الباطنية: فرقة من فرق المجوس، ظهرت دعوتهم في أيام المأمون، (الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ٢٨٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، التاريخ غير مذكور).

٢– تخرم: دان بدين الخرمية وهم أصحاب التناسخ والإباحية (القاموس المحيط: خ ر م).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

عَـلَى شَفَـا حُفْـرَةٍ تَهْـوِيْ بِصَـاحِبِهَـا إِلَى جَحِـيْمِ اللَّظَى هَـارٍ بِـهِ جُـرُفُ[1]

وذكر الشعراء أن الفساد لم يقتصر على الجانب الديني فقط، بل تعداه إلى الجانب الاجتماعي أيضاً، وصوروا ضعف أحوال المسلمين الاقتصادية في تلك الفترة، وما عمهم من الجهل والفقر، وما شاع في أثريائهم من الترف والتبذير وغير ذلك من عادات مؤسفة، وأنهم إن ينتهوا عن أفعالهم القبيحة فهم لا ينتهون عنها رهبة من عقاب الله أو رغبة في ثوابه، بل لما بلغوه من الضعف والعجز بسبب تقدم السنّ أو نفاد المال، ولم تفش فيهم هذه العادات القبيحة مع أنهم مؤمنون إلا بسبب بعدهم عن الدين وضلالهم عن الحق، يقول المولوي نذير أحمد الدّهلوي[2]:

اَلْـمُتْرِفُوْنَ هُـمُ الْفُسَّـاقُ أَكْثَـرُهُمْ يُبَـذِّرُوْنَ تِـلاَدَ الْـمَـالِ وَالنَّشَبَـا
إن يَنْتَـهُوْا يَنْتَـهُوْا عَـنْ سُوْءِ فِعْـلِهِمُ لِلْعَـجْزِ وَالضَّعْفِ لاَخَوْفًـا وَلاَرَهَبَـا
أَخْـلاَفُ قَوْمٍ عَـلَوْا فِي الأَرض مرتبـةً وَآمَـنُوْا بِـنَـبِيٍّ شَـرَّفَ الْعَـرَبَـا
ضَلُّـوْا طَرِيقَ الـهُدَى وَالـدِّينَ قَدْنَبَـذُوْا وَرَاءَهُمْ فَاسْتَحَقُّـوا الْـمَقْتَ وَالْغَضَـبَا
لِيَهْـلِكَ الْقَوْمُ حَـتَّى لاَمَعَـاشَ لَنَـا وَلاَ كَفَـافًـا إِذَا لَمْ نَـأْلُهُ دَأَبَـا
اَلْـجَـهْلُ فَقْرٌ وَدَاءٌ لاَ شِفَـاءَ لَـهُ وَلاَ نِهَـايَـةَ إِلاَّ الْـمَـوْتَ وَالْعَطَـبَا
بِالْقُـلِّ وَالـذُّلِّ دُنْيَـانَـا مُكَـدَّرَةٌ وَالْـجَهْـلُ فِيْنَـا يُنَـادِي الْوَيْلَ وَالْحَرَبَا[3]

ويذكر الشيخ حبيب الرحمن العثماني في قصيدته الطويلة المشهورة التي مطلعها:

١- معين اللبيب ص ٧١-٧٢.

٢- هو الشيخ نذير أحمد بن سعادة علي بن نجابت علي الأعظمبوري البجنوري، أحد الأدباء المشهورين، أعان على نقل القوانين الهندية من الإنجليزية إلى الأردية، ثم استقدمه وزير الدولة الآصفية إلى الدكن وولاه بعض الأقطاع، حفظ القرآن بعد كبر سنه، ونقل معانيه إلى الأردية، وكان كثير الافتخار بها، ويؤخذ عليه أنه قد يختار التعبير الذي لا يليق بالملك العلام وجلال الكلام. توفي بالشلل سنة ١٣٣٠هـ ببلدة دهلي. له «ما يغنيك في الصرف» و«الحقوق» و«الفرائض» وروايات عديدة وله شعر رقيق رائق (الإعلام ٣/ ١٣٨٩-١٣٩١، نقوش شخصيات نمبر ٥٦٣-٥٦٦، الطبعة الثانية يناير ١٩٥٦هـ، مطبع فروغ أردو).

٣- الإعلام ٣/ ١٣٩٠.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

أَلاَ مَــــا لِلـــــدَّوَائِــرِ لاَ تَـــــزُوْلُ   وَمَـــا لِلنَّـــازِلاَتِ لَهَـــا انْهِـمَالُ

يذكر فيها بعد ذكر ما نال المسلمون من عزّ ومجدّ، ورفعة وشرف، وعلم وعرفان، وملك وسلطان، وتقدم في جميع مجالات الحياة، بسبب اتباعهم الحق وإطاعتهم للملك العلام، واجتماع كلمتهم ووحدة صفهم، يذكر متأسفاً ما آلت إليه حال المسلمين من ضياع وفرقة، وذل ومهانة، وانحلال ومعصية، وما ذاقوا من الويل والخزي على أيدي أقوام قد ملكهم المسلمون زمناً، وما ذاك إلا بسبب بعد المسلمين عن طاعة المولى جل وعلا، واتباعهم لسلطان الهوى، يقول:

أَضَعْـــنَا الدِّيْنَ لَـمَّـــا أَنْ بَـطِرْنَـــا   وَغَـرَّتْنَـــا الأَمَـــانِيْ وَالْمُحَـــالُ

وَضَيَّعْنَـــا الشَّرِيْـعَـــةَ فَافْتَضَـحْنَـــا   وَصِرْنَـــا صَـاغِـــرِيْنَ وَلاَ نُـــدَالُ

وَخَلَّفْنَـــا أُصُـــوْلَ الـدِّيْـنِ زَهْـــوًا   وَرَاءَ الـظَّـــهْـرِ فَـانْـحَلَّ الْعِقَـــالُ

رَكِبْنَـــا مَـــا نُهِيْنَـــا وَانْتَهَكْنَـــا   مَحَـــارِمَـــهُ وَذَا دَاءٌ عُضَـــالُ

وَلَمْ نَـــبْرَحْ مِـــنَ الْحَانَـاتِ سُكْــرًا   وَحُـــبِّبَتِ الْـمَبَـــازِلُ وَالْبُـــزَالُ

وَلَمْ تَـــزَلِ الْـمَعَـــابِدُ مُخْرَبَـــاتٍ   وَلَمْ تَـــزَلِ الْـمَبَـــانِيْ تُسْتَطَـــالُ

ظُلِمنَـــا إِذْ ظَلَمْنَـــا وَاسْتَلَبْنَـــا   وَمَـــا كِلْنَـــا لَـهُـمْ فَبِهِ نُكَـــالُ

سُلِبْنَـــا الْـمُــلْكَ وَالأَمْـــوَالَ طُـــرًّا   وَفِـيْـهَا بَـيْـنَنَا نَـحْـنُ الأُكَـــالُ

وَصِـــرْنَا بعْـــدَ أَنْ كُنَّـــا مُلُوْكًـــا   عَـبِيْـداً تُـسْتَهَـــانُ وَلاَ تُـشَـــالُ

وَدَاسَتْـــنَـــا بِـأَرْجُلِهَـــا فِئَـــامٌ   مَـلَكْنَـــاهُمْ فَيَـــا بِـئْسَ الـــزَّوَالُ

أَذَاقُوْنَـــا الْـهَـــوَانَ وَجَـرَّعُوْنَـــا   شَرَابـــاً مَجَّـــهُ عَـيْفًـــا بِـغَـــالُ

تَـــدُوْرُ رَحَـــاهُمْ دَوْرًا سَرِيْعًـــا   فَتَـعْرُكُنَـــا وَنَـــحْنُ لَهَـــا ثِفَـــالُ[1]

سَقَوْنَـا مِـنْ كُؤُوْسِ الْـمَـوْتِ صِـرْفًـا   فَنَشْـــرَبُ مُكْـرَهِـــيْنَ وَلاَ نُقَـــالُ

١- ثفال: جلد يبسط فتوضع فوقه الرحى، فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق... وربما سمّي الحجر الأسفل بذلك، (الصحاح: ث ف ل).



ثم يبين طريق الخلاص من هذه الحالة المؤسفة المزرية التي تذيب القلوب وتدمع العيون، والذي يتمثل في التوبة الصادقة، والأوبة الخالصة إلى الله تعالى، وينفر من اليأس والقنوط ويدعو إلى الأمل، فيقول:

وَإِنْ تُبْنَـــا إِلَيْـــهِ يَتُـبْ عَلَيْنَـا ... وَيَـكْشِفَ ضُـرَّنـا المـنَنُ الجْـزَالُ

وَلاَ تَقْنَطْ فَـإِنَّ الْيَـأْسَ كُـفْـرٌ ... وَإِنَّ الْـحَـرْبَ فِي الـدُّنْيَـا سِـجَالُ

وَوَعْـدُ اللهِ حَـقٌّ لَيْسَ خُـلْفٌ ... وَمـا فِـيهِ لِـمُرْتَـابٍ مَقَـالُ[1]

وقد خص بعض الشعراء فئات معينةً من المجتمع بتوجيه الخطاب لما رأوا لهم من دور بارز في الأمة، في صلاحها وفسادها، وحاولوا تذكيرهم بتلك المسؤلية العظيمة التي أنيطت بأعناقهم، وألقيت على أكتافهم، فيخاطب الشيخ عبد الحميد النعماني[2] زعماء الأمة، ووكلاء الأحزاب، ويبين لهم ما عليه المسلمون من جهل وفوضى، معنوياتهم متدهورة، وقواهم منهوكة، تخدرت أعصابهم وتفككت أوصالهم، ثم يتطرق إلى ذكر حال الزعماء وأن بهم استبداداً بآرائهم، ويريدون بناء المجد على إثارة العواطف المؤقتة، ويبين خطأهم فيه، يقول:

هَـلْ يَقْظَـةٌ هِـيَ أَمْ هِيَ الأَحْـلاَمُ؟ ... أَمْ ذَاكَ مَـا حَمَلَـتْ بِـهِ الأَيَّـامُ؟

فَـأَرَى الْـكَرَامَةَ دُوْنَ كُـلِّ دَنَـاءَةٍ ... وَأَرَى الْـحَقَـائِـقَ فَوْقَهَـا أَوْهَـامُ

يَـا لَلرَّزَايَا مَـا يُشَـاهَدُ بَيْنَنَـا ... غَشَّى عَـلَى وَجْـهِ الضِّيَـاءِ ظَـلاَمُ

نُكِـسَتْ بُنُـوْدُ الْعِـلْمِ رَغْـمَ أُنُوْفِنَـا ... وَالْـجَهْـلُ قَـدْ رُفِعَـتْ لَـهُ الأَعْـلاَمُ

سُنَّتْ لَـهُ الْـفَوْضَى إِمَامًـا فَيْصَلًا ... "وَلِكُـلِّ قَـوْمٍ سُنَّـةٌ وَإِمَـامُ"

وَالـشَّعْبُ مَنْهُـوْكُ الْـقُوَى مُتَخَـاذِلٌ ... مُتَكَـاسِلٌ حَـلَّـتْ بِـهِ الأَسْقَـامُ

١- معين اللبيب ٣٩-٤٥.

٢- لم أعثر له على ترجمة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَتَخَدَّرَتْ أَعْصَابُهُ، وَعُرُوْقُهُ ... جَفَّتْ، فَلَمْ تَنْهَضْ بِهِ الأَقْدَامُ
وَتَفَكَّكَتْ أَوْصَالُهُ فَتَنَاثَرَتْ ... وَتَفَرَّقَ الأَحْزَابُ وَالأَحْلامُ
وَزَعِيْمُ حِزْبٍ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ... فِيمَا يُرِيْدُ فَمَا لَهُ إِحْجَامُ
يَبْدُو كَسِرْحَانِ الْغَضَا مُتَنَمِّراً ... وَالنَّاسُ فِيْمَا حَوْلَهُ أَغْنَامُ
أَفَمِثْلُهُمْ يَأْتِيْ يَقُوْدُ زَمَانَنَا ... فَعَلَيْكَ مِنِّيْ يَا زَمَانُ سَلامُ
يَبْنُوْنَ بَيْتَ الْمَجْدِ فَوْقَ عَوَاطِفٍ ... وَبِأَنْ يُثِيْرُوْهَا يَكُوْنُ قِوَامُ
وَهِيَ الَّتِيْ تَنْهَالُ أَمْثَالَ الرِّمَا ... لِ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ بِنَا أَوْهَامُ
يَا أَيُّهَا الْوُكَلاَءُ عَنْ أَحْزَابِنَا ... مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى الرِّمَالِ دَوَامُ[1]

ويرى الشيخ عبد الله الجيتيكر أن اختلاف العلماء وتشاجرهم وتكفير بعضهم بعضا سبب مهم في وصول المسلمين إلى هذه الحالة السيئة، وهو السبب في ضياع المسجد الأقصى وبيت المقدس وسقوطه في أيد اليهود الغاصبين، ويدعو إلى رأب الصدع ، وإصلاح الأمر، وحفظ الذمم ورعاية حقوق الأخوة الدينية، يقول في قصيدته التي مطلعها:

يَاشَوْقُ، بَلِّغْ إِلَى سَادَاتِيَ الْعُلَمَا ... سَلامَ عَبْدٍ كَئِيْبٍ كَابَدَ الأَلَمَا

يقول فيها:

أَلَمْ تَرَوْا فَاتَ مِنْ تَشَاجُرِكُمْ ... فَوَائِدُ، وَاسْتَفَادَ الْغَيْرُ مُغْتَنَمَا
قَدْ حَيَّرَتْنِيْ أُمُوْرٌ مِنْكُمُ صَدَرَتْ ... وَقَدْ تَرَكْتُمْ وَرَاءَ الظَّهْرِ مَا لَزِمَا
كَانَ اخْتِلَافُكُمُ لِلْقَوْمِ رَحْمَتَهُمْ ... فَصُحِّفَتْ لِنِزَاعٍ بَيْنَكُمْ دُهُمَا

١ – مجلة «الضياء» جمادى الثانية سنة ١٣٥١هـ، ص ٢٨.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَمَا لَدَيْكُمْ كِتَابٌ جَلَّ مَنْزِلَةً ... هُدًى وَنُوْرٌ وَتَفْصِيْلٌ حَوَى حِكَمَا

كَمْ آيَةً خَاطَبْتَكُمْ فِيْ إِقَامَةِ مَا ... أَتَى الْبَشِيْرُ وَقَدْ أَحْيَا بِهِ أُمَمَا

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَبِالإِصْلَاحِ آمِرَةٌ ... آيَاتُ حَقٍّ فَمَنْ يَّعْمَلْ بِهَا سَلِمَا

فَأَصْلِحُوْا مَا اسْتَطَعْتُمْ ذَاتَ بَيْنِكُمُ ... وَارْعَوا حُقُوْقَ إِخَاءٍ وَاحْفَظُوا ذِمَمَا

كَمْ ذَا الخِصَامُ، وَكَمْ ذَا الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ ... لَقَدْ فَشِلْتُمْ، وَرُزْءٌ فِيْكُمُ عَظُمَا

كَمْ ذِي الْفَتَاوى، وَكَمْ تَكْفِيْرُ بَعْضِكُمُ ... بَعْضًا، وَكَيْفَ إِذَا شَدَّدْتُمُ الرضَمَا

قُوْمُوْا فَكُوْنُوْا كَنَفْسٍ وَهِيَ وَاحِدَةٌ ... إِنَّ التَّفَرُّقَ مِنْكُمْ ضَيَّعَ الْحَرَمَا[1]

وقد خصّ بعضهم أمة العرب بتوجيه الخطاب لما ميزها الله تعالى بإرسال آخر رسله منهم، وإنزال أفضل كتبه بلغتهم، فذكرهم ماضيهم المجيد، ونعم الله التي كانت تأتيهم، حيث قادوا العالم أجمعه في حركة العلم والإصلاح، وبددوا ظلام الجهل من الكون، وأخذوا بنواصيه إلى الخير والهدى، ونشروا الألفة والمحبة، والأخوة والصداقة، وعلموا الناس المدنية، والحضارة، وفاقوا بالآداب والأخلاق، وامتازوا بالرأي السديد والشجاعة الخارقة.

ثم يريهم صورة أخرى مؤسفة محزنة، حاضرة قائمة، لما هم عليه من سلب العز والسلطان، وتغيير الحال والشأن، وتدمير الديار والبلدان، وتضيع الأملاك والأوطان، وتفكيك روابط الاتحاد، وفصم عرى المحبة والوداد، وتبديد الأحساب والأمجاد، وتحول الأخلاق الفاضلة إلى صفات سافلة، والمساعي الحميدة، إلى أعمال مبيدة، وتفريق الكلمة وتمزيق الشمل، ونزول المصائب الجمة، وتبديل العسر باليسر، والمر بالحلو، والسقوط بالرفعة، والقنوط بالرجاء، والصبب بالرقي، والتعب بالراحة، والكسل بالنشاط، والجهل بالعلم، والعبودية بالحرية، والتبعية بالاستقلال، فيقول:

يَا أُمَّةَ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ مَالَكِ قَدْ ... أَصْبَحْتِ نَهْبًا بِأَيْدِي كُلِّ مُنْتَهِبِ

١- الإعلام ٣/ ١٢٩٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَصْبَحْتِ هَاوِيَةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَرَعْتِ ذِرْوَتَهَا الْعُلْيَا مِنَ الرُّتَبِ

أَصْبَحْتِ فَائِضَةً بِالذُّلِّ خَائِضَةً فِي مَنْقَعِ السَّوْءِ لِلأَذْقَانِ وَالرُّكَبِ

أَصْبَحْتِ فِي ضَعَةٍ مَا مِثْلَهَا ضَعَةٌ وَمَا كَمِثْلِ الَّذِي قَاسَيْتِ مِنْ تَعَبِ

وَبِتِّ فِي نُوَبٍ لِلظَّهْرِ قَاصِمَةٍ لَمْ يَذْكُرُوا مِثْلَهَا فِي سَائِرِ النُّوَبِ

وَبِتِّ لاَ أَنْتِ فِي عِيرٍ إِذَا ذَكَرُوا عِيرًا وَلاَ فِي نَفِيرِ السَّادَةِ النُّجُبِ

بَلْ فِي تَفَرُّقِ شَمْلٍ وَاخْتِلاَفِ هَوىً وَفِي تَخَاذُلِ سَادَاتٍ وَفِي عَطَبِ

فَمَنْ يَحِدْ عَنْ سَبِيلِ الجِدّ جدَّ بِهِ صَرْفُ الزَّمَانِ وَلاَقَى حَسْرَةَ اللَّعِبِ

أَنْهَبْتِ مُلْكَكِ لاَ تَدْرِينَ مِنْ سَفَهٍ أَنَّ الْبِلاَدَ غَدَتْ لِلأَجْنَبِ الثَّلِبِ

أَضْحَتْ دِيَارُكِ غُنْمًا لِلشُّعُوبِ وقَدْ حُرِمْتِ مِمَّا بِهَا مِنْ خَيْرِهَا السَّرِبِ

هَدَمْتِ أَرْكَانَ مَجْدٍ قَدْ بَنَاهُ لَنَا أَجْدَادُنَا الصِّيْدُ مِنْ أَسْلاَفِنَا الْعَرَبِ

قَوَّضْتِ أَطْنَابَ عِزٍّ شَامِخٍ فَمَضَى وَصِرْتِ لاَ فِي عُلًى مِنْهُ وَلاَ عَتَبِ

وَمَنْ يُضَيِّعْ تَلِيدَ الْمَجْدِ ضَاعَ بِهِ وَهَانَ فِي قَوْمِهِ الأَدْنَيْنِ وَالْجَنَبِ

أَفْرَطْتِ فِي جَمْعِ مَا يُخْزِي بَنِيكِ وَقَدْ صَيَّرْتِهِمْ هَدَفًا لِلأَسْهُمِ الصُّيَبِ

نَصَبْتِهِمْ غَرَضًا لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُمْ بِأَنْصُلٍ أَكَلَتْهُمْ أَكْلَ ذِي كَلَبِ

مُفَوَّقَاتٍ إِلَيْهِمْ مِنْ هِنَا وَهِنَا بِالإِثْمِ وَالْعَارِ مِنْ بُعْدٍ وَمُقْتَرَبِ

فَأَصبَحَ الْعِزُّ فِي ذُلٍّ وَفِي ضَرَعٍ وَأَصْبَحَ الأَمْنُ فِي وَيْلٍ وَفِي حَرَبِ

وبعد هذا العرض الطويل لحالتهم المؤسفة، انتقل إلى تذكيرهم بماضيهم المشرق، لعل ذلك يحيي في نفوسهم الأمل، ويحثهم على العمل، يقول:

فَأَصْبَحَ الْعَرَبُ الأَمْجَادُ قَاطِبَةً عَنْ مَجْدِهِمْ وَعَنْ الأَوْطَانِ كَالغُرَبِ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

بِـالأَمْسِ هُمْ سَادَةُ التَّارِيْخِ إِنْ ذُكِـرُوْا ... وَالْيَـوْمَ هُمْ جُزْءُ تَـارِيْـخٍ مِنَ الـنَّسَبِ

بِـالأَمْسِ هُمْ سَاسَـةُ الدُّنْيـا بِأَجْمَعِهَـا ... وَالْيَـوْمَ هُمْ سَوْقَةٌ بِـالرَّحْـلِ وَالْـقتَبِ

بِالأَمْسِ أَوْطَـانُهُـمْ بِالْـعِـزِّ عَـامِـرَةٌ ... وَالْيَـوْمَ أَوْطَـانُهُمْ كَالْـمِـقْفَرِ الْـخَـرِبِ

بِالأَمْسِ تَمْتَـلِكُ الأَقْطَـارَ أُمَّـتُهُمْ ... وَالْيَـوْمَ أُمَّتُهُمْ مَمْـلُوْكَـةُ الرَّقَـبِ

كَـمْ بَيْنَ أَمْسٍ وَبَيْنَ الْيَوْمِ مِـنْ عِـبَرٍ ... وَمِـنْ تَجَارِيْبَ لِلسَّاهِيْ وَمِـنْ دُرَبٍ[1]

يَـا خَـيْرَ مَـنْ أُخْـرِجَتْ لِلنَّـاسِ مِـنْ أُمَـمٍ ... نَعْـتٌ نُعِـتِّ بِـهِ فِيْ أَصْـدَقِ الْـكُتُبِ

قَـدْ كُنْتِ رَأْسـاً لأَجْيَالِ الْوَرَى عَصْـرًا ... فَصِـرْتِ مِنْ جيل هَذَا الْعَصْرِ فِي الـذَّنَبِ

وَكُـنْتِ تَـاجًا عَلَى رَأْسِ الأَعَـاظِمِ مِنْ ... مُلُوْكِهـا فَغَـدَوْتِ الْـيَوْمَ فِي الْـعَقَبِ

وَكُـنْتِ بَيْتَ قَصِيْـدِ الـشِّعِرِ إِنْ مُدِحُـوا ... وَكُـنْتِ إِنْ خَطَبُـوْا مَمْدُوْحَـةَ الْخُطَـبِ

وَكُـنْتِ مَحْـبُوْبَةً لِلـنَّاسِ كُلِّـهِمِ ... وَالـنَّاسُ نَـحْوَكِ مِنْ هَـاوٍ وَمُنْجَذِبِ

فَصِـرْتِ مَذْمُوْمَـةً فِيْ كُـلِّ مَجْمَعَـةٍ ... مَعْصُـوْبَةَ الـذَّمِّ فِي الأَقْـوَامِ وَالْعُصُبِ

وَكُـنْتِ هَـذَّبْتِ أَخْـلاَقَ الْـوَرَى زَمَنـًا ... وَالْـيَوْمَ مِنْـكِ سِـوَى الأَخْـلاَقِ لَمْ يُعَبِ

وَكُـنْتِ حَـرَّرْتِ مِـنْ رِقِّ الطُّغَـاةِ وَمِـنْ ... أَغْـلاَلِهِمْ أُمَمـاً عُـدَّتْ مِنَ الـسَّلَبِ

وَكُـنْتِ أَنْـقَذْتِ مِـنْ ظُلْمٍ وَمِـنْ عَنَتٍ ... قَوْمـاً مِـنَ الـظُّلْمِ وَالـظَّلاَّمِ فِيْ نَـصَبِ

فَالْـيَوْمَ تَـظْلِـمُـكِ الـدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَـا ... وَلاَ يَهِيْجُـكِ هَيَّـاجٌ إِلَى الْـغَضَـبِ

وَكُـنْتِ أَنْـقَذْتِ مِـنْ جَـهْلٍ وَمِـنْ عَـمَهٍ ... بَـنِيْ جِهَالَتِهَـا الْـهَـاوِينَ فِي الـرِّيَبِ

وَالْـيَوْمَ أَنْـتِ أَبُـو جَـهْلٍ وَزِدْتِ بِهِ ... زِيَـادَةَ الْـحَمْقِ فِيْ حَـمَّالَةِ الْـحَطَبِ

١- الدرب: ما يتدرب به كالتجاريب.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَكُنْتِ آمِرَةَ الْمَعْرُوْفِ قَائِمَةً ... بِالنَّهْيِ عَنْ مُنْكَرَاتِ السُّوْءِ فِيْ دَأَبِ
فَصِرْتِ أَنْتِ عَنِ الْمَعْرُوْفِ مُعْرِضَةً ... وَصِرْتِ لِلْمُنْكَرِ الْمَذْمُوْمِ فِيْ طَلَبِ
وَكُنْتِ مُوْفُوْرَةَ الْخَيْرَاتِ صَاعِدَةً ... بِالدِّيْنِ ذِرْوَةَ عِزٍّ غَيْرِ مُضْطَرِبِ
فَصِرْتِ أَسْفَلَ سُفْلاَهَا كَمَا انْقَلَبَتْ ... بِالْخَسْفِ ذِرْوَةُ طَوْدٍ شَرَّ مُنْقَلَبِ
يَا عُرْبُ كُلُّ الذِيْ قَدْ كَانَ فِيْ مَدْحٍ ... فِيْ مَجْدِكُمْ عَادَ لِلرَّاثِيْنَ مِنْ نُدَبِ[1]

ولم يكتف الشعر بتصوير مآسي المسلمين وتوبيخهم وتقريعهم، بل حاول الشعراء أن يصفوا للأمة الدواء، وأن يدلوها على طريق العزة والنصر.

وقد سلكوا في ذلك سبلاً شتى، فأحدهم كان يدعو إلى هذا بتذكير المسلمين حال أسلافهم وما كانوا فيه من عزّ وشأن، وتمكين وإقبال، ومنعة وكرامة، لعل ذلك يعيد إلى نفوس المسلمين بعض الآمال، ويحثهم على التطلع والاجتهاد لنيل تلك المآثر والأمجاد، وفي هذا يقول عبد الحميد الصادقبوري:

فَوَا أَسَفًا وَنَحْنُ بَنُو كِرَامٍ ... تُوُوْرِثَ[2] فِيْهِمُ عِلْمٌ وَجُوْدُ
ذَوِي الأَعْلاَمِ وَالأَقْلاَمِ طُرًّا ... يَزِيْنُهُمُ الْمَكَارِمُ وَالْجُنُوْدُ
وَهُمْ قَدْ سَخَّرُوْا شَرْقًا وَغَرْبًا ... مِنَ الأَقْطَارِ وَافَاهُمْ وُفُوْدُ
وَقَدْ كَانُوْا مَلاَذَ النَّاسِ طُرًّا ... لِكُلِّ مُصِيْبَةٍ خُصُّوْا وَنُوْدُوْا
وَقَدْ كَانُوْا أُوْلِيْ طَوْلٍ وَمُلْكٍ ... تُطِيْعُهُمُ الْعَسَاكِرُ وَالْجُنُوْدُ
وَتَخْضَعُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ رِقَابٌ ... وَتَرْتَعِدُ الْهَزَابِرُ وَالْفُهُوْدُ.[3]

١- أعجب العجب من أحوال العرب في ماضيهم المنيف وحاضرهم المخيف، للسيد عبدالحق حقي الأعظمي البغدادي، ص ٢٣-٢٨.

٢- في الإعلام: توراث، ولعل الصواب ما أثبته.

٣- الإعلام ٣/ ١٢٦٦.



ويقوم آخر بالمقارنة بين حالهم السيئة وبين حال أقوام حكمهم المسلمون مدة طويلة وما وصلوا إليه من عز وسلطان، ورفعة وتمكين بسبب جدّهم واجتهادهم في تحصيل العلوم وكسب المعالي، وبفضل اختراعاتهم الحديثة في وقت نام فيه المسلمون في سباتهم العميق، وعمهم الكسل، وشاع فيهم الجهل، ونشأ فيهم فتور الهمة، وعدم المبالاة بكسب المعالي، يقول الشيخ حكيم محمد وحيد الدين عالي الحيدرآبادي[1]:

يَا مَعْشَرِيْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى وَطَمَا ... بحرُ الخُطُوْبِ، بهَا في الأَرْضِ طُوْفَانُ

يَا لَهْفَ أَنْفُسِكُمْ أَنْتُمْ ذَوُوْ سِنَةٍ ... جَهْلاً وَغَيْرُكُمْ ذُو الرَّأْيِ يَقْظَانُ

أَمَا بِكُمْ خَبَرٌ مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ ... فِيْ كُلِّ مُتَّسَعٍ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

مَنْ كَانْ فِيْ أَرْضِهِمْ قَدْ كَانْ مُهْتَضِمًا ... يُغْضَى عَلَى الضَّيْمِ وَهُوَ خِزْيَانُ

سَادُوا الأَنَامَ وَقَادُوْهُمْ بِسَعْيِهِمُ ... فَفِيْ أَكُفِّهِمُ لِلْمُلْكِ أَرْسَانُ

قَوْمٌ إِذَا نَهَضَتْ بِالْعِلْمِ طَالَ لَهَا ... إِلَى نُجُوْمِ السَّمَا بِالْعِزِّ بُنْيَانُ

فِي الْمَاءِ تَرْقُمُ حِذْقًا حَيْثُ إِنَّ لَهَا ... مَهَارَةً وَصِنَاعَاتٍ لَهَا شَانُ

يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مَنْ فِي الدَّهْرِ مُخْلِصُكُمْ ... عَنْ كُلِّ خَطْبٍ بِهِ ذُو الحَزْمِ خَشْيَانُ

مَا عِنْدَكُمْ مِنْ فُنُوْنٍ عِنْدَ غَيْرِكُمُ ... يَزُوْلَ عَنْكُمْ بِهَا ذُلٌّ وَحِرْمَانُ

إِنَّ الأُلَى بَلَغُوْا فِي الْعِلْمِ غَايَتَهُ ... فِي النَّوْعِ لَيْسَ لَهُمْ فَضْلٌ وَرُجْحَانُ

هُمْ مِثْلُنَا بَشَرٌ مَا فِيْ عُرُوْقِهِمُ ... إِلاَّ دَمٌ كَدِمٍ تَحْوِيْهِ أَبْدَانُ

وَمِثْلُنَا لَهُمُ أَيْدٍ وَأَرْجُلُهُمْ ... كَمِثْلِنَا وَكَذَا مُقَلٌ وَآذَانُ

١- هو الشيخ محمد وحيد الدين بن منشي محمد كلال، ولد في ١٢٨٨هـ في حيدر آباد الدكن، تيتم في صباه، لكن استمر في طلب العلم وسافر من أجله إلى شمال الهند، وأخذ الطب عن الحكيم منصور عليخان المراد آبادي، اشتغل بالطب، وتصحيح الكتب في دائرة المعارف، له قصائد في الفارسية والعربية، توفي سنة ١٣٤٤هـ.(عقد اللآلي، حكيم نظام الدين، ص٥/ ٢٤، طبع حيدرآباد ١٣٦٦هـ، ونقوش شخصيات نمبر ٢/ ١٢٦٦-١٢٦٨).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لَـكِنَّهُمْ مِنْـكُمْ أَوْفَى بِـمَا لَـهُـمُ ... بِـهِ يُـرَجَّحُ لِلتَّفْضِيْلِ مِـيْزَانُ
قَدْ شمَّرُوا الذَّيْلَ عَنْ سَاقِ اجْتِهَادِهِمُ ... فَأَدْرَكُوْا غِبَّ أَحْوَالٍ بِهَا ازْدَانُوا
إِنَّ الأُلَى لَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ سَعْيُهُمُ ... وَلاَ وَرَى زَنْدُهُمْ فِيْهِ لَذُلاَّنُ
قُومُوْا لِكَسْبِ مَعَالٍ عَنْكُمُ ذَهَبَتْ ... وَاسْعَوْا لَهَا وَهِيَ لِلأَرْوَاحِ أَثْمَانُ[1]

وهكذا نرى أن الشعر العربي في الهند قد أدّى دوره في تصوير حالة المسلمين في ذلك الزمن العصيب، ولم يكتف بالتصوير فقط، بل حاول الشعراء تغيير تلك الحالة المؤسفة، وإيقاظ المسلمين، وسلكوا في هذه السبيل طرقاً عدة ومسالك شتى، ببيان الداء، والتنبيه على أسباب التخلف، والدعوة إلى العمل، ودعوا إلى الاتعاظ بالتاريخ، والتأمل في سيرة السابقين، والاعتبار بالآخرين، لعل كل هذا يجدي شيئاً، ولم تذهب جهودهم سدى، فإننا نرى ثمراتٍ لهذه الجهود في التقدم الذي أحرزه المسلمون في القرن الراهن.

المطلب الرابع

شعر الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله من أهم أحكام الإسلام، وله منـزلة سامية ومكانة عالية بين شرائع الإسلام، لما يترتب عليه من نتائج عظيمة في إرجاع الحق إلى أهله، وتيسير السبل وتمهيد الطرق لإنقاذ العباد والبلاد من نجاسة الشرك، ونشر عقيدة التوحيد في أرجاء الأرض ، ودفع الظلم والطغيان، وإقامة العدل بين الأنام، ولذا عبرّ عنه بذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قوله: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»[2].

ولما كان الأدب مرآة الحياة، فقد انعكس فيه آثار هذا العمل الجليل، فمنذ زمن الرسول الكريمﷺ أكثر الشعراء من قرض الشعر في الجهاد، حثا على هذه الفريضة

١- قصيده عربية محمد وحيد الدين عالي، ص١٢-١٩.

٢- أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة عن معاذ بن جبل (٢٦١٦).



العظيمة، وبيانا لأهميتها وعظم شأنها، ووصفا للمعارك، وتهنئة بالنصر والظفر، وثناءً على من أبلوا فيه بلاء حسنا، ورثاء لمن نالوا فيه مرتبة الشهادة.

ولقد سار الشعر العربي في الهند على هذا النهج في جهاد الغزاة والمستعمرين الذين استهدفوا بلاد المسلمين في المشرق والمغرب، فوصف المعارك الحربية، وأشاد بالأبطال، وحث على استمرار القتال، حتى الوصول إلى الهدف المنشود، ومن أمثلة هذا الشعر ما نراه لدى الشاه عبدالعزيز الدهلوي[1] الذي يذكر في قصيدته التي بعث بها إلى عمه «شاه أهل الله» يذكر فيها تلك الأحوال المريرة التي كانت تمر بها عاصمة المسلمين دلهي بسبب غارات أهل الكفر عليها، ويدعو عليهم، ويذكر أنهم يقومون كل سنة بنهب البلاد، وقتل العباد، ويستغيث من تلك المصيبة الدهماء لعله يجد من يجير العباد منها ويخلصهم من ضيقهم يقول: [2][3][4]

جَزَى اللهُ عَنَّا قَوْمَ سِكَّهٍ[2] وَمَرْهَتٍ[3] ... مَثُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ
وَقَدْ قَتَلُوْا جَمْعًا كَثِيْرًا مِنَ الْوَرَى ... وَقَدْ أَوْجَعُوْا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ[4]

١- هو الشيخ العلامة: عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، ولد ١١٥٩هـ، أخذ العلم عن والده الشاه ولي الله الدهلوي، وبعد وفاته درس على الشيخ نور الله البرهانوي، والشيخ محمد أمين الكشميري، من أجلة أصحاب والده.

ثم اشتغل بالتدريس والإفادة وعمره خمس عشرة سنة، وقرأ عليه إخوته عبد القادر، وعبد الغني ورفيع الدين وغيرهم كالمفتي إلهي بخش الكاندهلوي، وسبطه إسحاق بن أفضل العمري، وآخرون كثيرون.

له مصنفات كثيرة، منها: تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز، والفتاوى في المسائل المشكلة، وتحفه اثنا عشرية، في الرد على مذهب الشيعة، وهو كتاب لم يسبق مثله، وبستان المحدثين، والعجالة النافعة، وله شرح على أرجوزة الأصمعي، وشعر حسن رائق، توفي سنة ١٢٣٩هـ، (حياتِ ولي،محمد رحيم بخش دهلوي ص٣٢٠-٣٤٤ أفضل المطابع دهلي ١٣١٩هـ، تذكره علماء هند،رحمان علي ١٢٢، مطبع نولكشور، لكهنؤ ١٩١٤م، حديقة الأفراح لإزالة الأتراح ، أحمد الشرواني ٢٣٢-٢٣٣ طبع كلكته ١٣٣٦هـ، حدائق الحنفية،حافظ فقير محمد جهلمي لاهوري ٤٧٠ مطبع نولكشور لكهنؤ ١٣٠٣هـ، الإعلام ٣/ ١٠١٤-١٠١٨).

٢- سكهـ: أو السيخ (Sikh) ومعناه التلميذ، اسم أطلق على طائفة هندوسية اتبعت تعاليم كورونانك (١٤٦٩هـ-١٥٣٨م)، مؤسس هذه الطائفة، بنيت عقائدهم على أساس أقوال وتعاليم الأولياء والصوفية من المسلمين والنُسّاك من الهندوس والبوذيين، حاربوا الفوارق الطبقية بين الهندوس، كانت الطائفة في البداية سلمية ثم أخذت طابع العنف. (الموسوعة البريطانية مادة:SIKH)

٣- مرهتا: شعب كبير في الهند، عرفوا بكونهم غزاة وحماة للهندوسية، وطنهم «مهاراشترا» الحالية: المناطق الناطقة باللغة المرهتية التي تمتد من بومباي إلى غوا على الساحل الغربي وشرقاً إلى ناغفور (الموسوعة البريطانية مادة Marhatha).

٤- شاء جمع شاة، وجامل: قطيع من الإبل مع رعاته وأربابه (الصحاح).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

لَهُمْ كُلَّ عَامٍ نَهْبَةٌ فِيْ بِلاَدِنَا   يَخُوْضُوْنَ فِيْهَا بِالضُّحَى وَالأَصَائِلِ
فَهَلْ هَهُنَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذٍ   وَهَلْ مِنْ مُغِيْثٍ يَتَّقِي اللهَ عَادِلِ[١]

ويقول في قصيدة أخرى:

ثُمَّ إِنَّ الْبِلاَدَ فَاسِدَةٌ   مِنْ أَيَادِي الْغَشُوْمِ وَالظَّلاَّمِ
غَيْرُ خَافٍ عَلَيْكَ مَا صَنَعَتْ   قَوْمُ سِكٍّ بِجَانِبِ التُّوْشَامِ[٢]
خَضَعُوْا كُلَّ قَرْيَةٍ وَمَضَوْا   يَفْتَحُوْنَ الْحُصُوْنَ وَالآطَامِ
نَهَبُوْا عِدَّةً مِنَ الأَمْوَالِ   أَوْثَقُوْا عِدَّةً مِنَ الأَيْتَامِ[٣]

فقد رأينا في الأبيات السابقة شكوى الشاعر لما أصاب المسلمين من قتل ونهب، وما شاع في الأرض، من فساد وخوف ورعب.

ونرى الشيخ أبا الزبرقان عبد الرحمن الكاشغري الندوي[٤] يشكو لما أصاب المسلمين في الهند وفي الشام بأيدي الغرب، ويذكر أن الهند تبكى ماضيها الغابر المجيد وليس الهند فقط بل كل الشرق في بؤس وشقاء بسببهم، ويدعو لله تعالى ألا يسلط الله الغرب على أي قوم فيذيقهم عذاب السوء، ويلتمس من المخاطب الشامي أن يبلغ المسلمين القاطنين في أرجاء المعمورة أحوال إخوانهم المسلمين في الهند، يقول:

قَدْ حَلَّ بِالْهِنْدِ مَا قَدْ حَلَّ بِالشَّامِ   مِنْ ضَرْبَةِ الْغَرْبِ، فَاعْلَمْ أَيُّهَا الشَّامِيْ
فَحَاضِرُ الْهِنْدِ يَبْكِيْ مَجْدَ غَابِرِهَا   وَأَهْلُهَا كَمَهَاةٍ صَادَهَا الرَّامِيْ

١- تذكره شاه عبد العزيز، مولانا نسيم أحمد فريدي أمروهي ، ص٣٦، ط لكهنؤ ١٩٩٢م.

٢- اسم مكان في ولاية «هريانه».

٣- شاه ولي الله اور ان كى سياسي تحريك ، ص٢٥٦.

٤- هو الشيخ عبد الرحمن الكاشغري، ولد في مدينة كاشغر عاصمة تركستان سنة ١٩١٢م وتتلمذ على علمائها، ثم سافر إلى الهند للدراسة فيها وهو ابن عشر سنين، والتحق بدار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ، سنة ١٩٢٢م وتخرج فيها عام ١٩٣٠، عمل مدرساً في دار العلوم ندوة العلماء ثم في المدرسة العالية بكلكتة ثم بداكا.
من مصنفاته: المفيد لمن يستفيد، المجمهرات في المؤنثات والمذكرات، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (تعريب وتنقيح وتعليق)، الزهرات- ديوان شعر بالعربية، وغيرها. (مقدمة الزهرات للشيخ مسعود عالم الندوي ص٢٥-٢٩، مجلة «الرائد» الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ص٩، عدد١١-٢٦، صفر ١٤١٤هـ).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

هُمُ الرّمَايَا وَلَكِنْ فِيْهِمُ رَمَقٌ — لاَ البُرْءُ يُرْجى لَهُمْ إلاَّ بِإِزْهَامِ

لاَ سَلَّطَ الله ذَا الْغَرْبَ النَّحِسِ عَلَى — قَوْمٍ فَيُسْلِمُهُمْ يَوْماً إِلَى السَّامِ

قَدْ عَذَّبَ الله أَقْوَاماً ذَوِيْ عَدَدٍ — بِالْغَرْبِ فَالشَّرْقُ فِيْ بُؤْسٍ وَآلاَمِ

جَاؤُوْا بِدَاهِيَةٍ عَمْيَاءَ مُنْكَرَةٍ — يَجْرِيْ بِنَا وَبِكُمْ تَيَّارُهَا الطَّامِيْ

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ الْجَوَّابُ مُخْتَبِرًا — أَحْوَالَنَا، ذَاكَ حَالُ الْمُسْلِمِ الدَّامِيْ

إِنْ زُرْتَ أَرْضًا وَفِيْهَا الْمُسْلِمُوْنَ فَقُلْ — لَهُمْ سَلاَمِيْ وَأَنْذِرْهُمْ بِأَيَّامِ[1]

ولم يكتف الشعراء في الهند بتصوير مصائب المسلمين الهنود، بل شاركوا إخوانهم المسلمين في محنتهم وآلامهم في مشارق الأرض ومغاربها فهذا الشيخ عبد الحميد الفراهي نراه مرة يذكر ما ذاقته ليبيا على أيدى الإيطاليين من الظلم والهوان، وقتل الأهالي، وتدمير البلدان بوسائلهم الحربية الحديثة المتطورة، بدون وازع من الضمير، أو زاجر من أقوام أخرى، ويرى أنهم لاينتمون إلى النصرانية إلا كذبا وزوراً، حيث ينافي عملهم تعاليهم الديانة النصرانية يقول في قصيدته التي سماها «في ذكر هجوم الطليان وظلمهم»:

يَا عَيْنُ بَكِّيْ بِالْهَوَامِعْ[2] — لاَ تَرْقَأَنَّ لَكَ الْمَدَامِعْ

قَتْلَى طَرَابُلُسِ الَّذِيْـ — ـنَ تَطَحْطَحَتْ[3] بِهِمُ الْقَوَارِعْ

نَبْكِيْ عَلَى إِخْوَانِنَا — أَهْلِ الْمَكَارِمِ وَالدَّسَائِعْ[4]

دَهَمَتْهُمُ الرُّوْمُ الْفَوَا — تِكُ بِالْمَرَاكِبِ وَالْمَدَافِعْ

١- مجلة «الضياء» ربيع الآخر ١٣٥٤هـ ص ١٣٨.

٢- الهوامع: من هَمَعَ يَهْمَعُ هَمْعاً وهُمُوعاً: سال (اللسان. مادة هـ م ع)

٣- طحطح الشيء طحطحة: كسره وبدّده إهلاكا.(القاموس مادة:طحح)

٤- في الأصل الدسائس، لعله خطأ مطبعي، والصواب: الدسائع ج دسيعة: الجفنة الواسعة، المائدة الكريمة، العطية الجزيلة، والقوة. لسان العرب مادة (دس ع)

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

جَـــارُوْا عَـلى حَـــرْدٍ بِجَمْـــ	ـعِهِم فَضَـاقَ بِنَـا الْمَفَـازِعْ
دَخَلُـوا الْمَـدِيْنَةَ يَـقْـتُـلُوْ	نَ بِهَـا الْمَشَـايِخَ وَالـرَّعَـارِعْ[1]
قَتَلُـوا الْمَرَاضِـعَ فِي الْمَضَـا	جِـعِ، وَالـضَّوَارِعَ فِي الشَّوَارِعْ
وَعَـلَوْا بِطَـيَّارَاتِهِمْ	يَتَـحَسَّسُوْنَ لَـنَـا الْمَـوَاقِعْ
صَـارَتْ تُحَـلِّقُ فَـوْقَـنَـا	مِثْلُ الْغَـرَانِـيْـقِ[2] الـطَّـوَالِـعْ
يَـرْمُـوْنَ مِنْهَـا بِالْـكِرِيْـ	ـنِ تَمُـجُّ بِالـزُّبُرِ الْقَـوَارِعْ
لِـيُبَـدِّدُوْا أَفْـرَاسَنَـا	وَيُحَـرِّقُوْا مِنَّـا الْـوَشَـائِـعْ[3]
لاَ دِيْـنَ عِـنْـدَهُـمُ وَلاَ	حِـلْـمٌ عَـنِ الْـعُـدْوَانِ وَازِعْ
يُـبْدُوْنَ نَـصْـرَانِـيَّةً	زُوْراً وَقَـدْ رَفَضُـوا الـشَّرَائِعْ
بَـلْ يَـشْـمَئِزُّ الْـكُـفْرُ مِـمَّـا	يَـرْكَـبُوْنَ مِـنَ الـشَّـنَائِعْ
اَلْبَـغْيُ مِـنْ أَخْـلاَقِـهِمْ	وَالْغَـدْرُ سِيْـطَ مِـنَ الـطَّبَائِعْ[4]

ونراه تارة أخرى يصور ما أصاب إخواننا المسلمين من فتن بثورة البلقان[5] ضد أهل الإيمان، ويستنفر المسلمين شرقا وغربا إلى الجهاد ونصرة دين الله القويم، ويوبخهم لما يرى منهم من التباطؤ والتثاقل، ويبشرهم بالفتح والنصر إذا صبروا وقاموا بواجبهم تجاه الدين وتجاه إخوانهم المسلمين، يقول في قصيدته المساة «في ثوران الفتنة البلقانية»:

١- الرعارع: جمع رُعرع ورَعرع ورَعُرَاعٌ: مراهق وقيل: محتلم (لسان العرب مادة رع ع).

٢- الغرانيق: جمع غُرنوق وغِرنوق وغِرنيق: نوع من الطير (لسان العرب مادة غ ر ن ق).

٣- الوشائع: جمع الوشيع: الخُصُّ، وقيل: هو شريجة من السعف تلقى على خشبات السقف (اللسان: مادة: وش ع).

٤- ديوان الفراهي ص١٧-١٨.

٥- منطقة جبلية في جنوب أوربا، أهم دولها: رومانيا، ألبانيا، بلغاريا، اليونان، يوغسلافيا، البوسنة والهرسك، وتركيا الأوربية (المنجد في الأعلام، ص١٤١، الطبعة الثانية عشرة).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

شَبَّتْ عَلى بِلْقَانَ نَارُ الْحُرُوْبْ ... أَشْعَلَهَا بِالْبَغْيِ أَهْلُ الصَّلِيْبْ

لَمْ تَبْقَ فِيْ الآفَاقِ أَرْضٌ بِهَا ... الإِسْلاَمُ إِلاَّ نَالَهَا مِنْ لَهِيْبْ

قَدْ حَزَّبَ الشَّيْطَانُ أَحْزَابَهُ ... وَحَثَّهُمْ لِكُلِّ شَرٍّ وَحُوْبْ

شَنُّوْا عَلَى الإِسْلاَمِ غَارَاتِهِمْ ... يَذْهَلُ فِيْهَا عَنْ حَبِيْبٍ حَبِيْبْ

يَا كُرْدُ، يَا تَاتَارُ، يَا كَابُلُ ... يَا كُلَّ مَنْ للهِ عَبْدٌ مُنِيْبْ

فِيْ مَشْرِقِ الآفَاقِ أَوْ مَغْرِبٍ ... أَوْ فِيْ شَمَالِ الأَرْضِ أَوْ فِيْ جُنُوْبْ

يَدْعُوْكُمُ الإِسْلاَمُ جَهْرًا إِلَى ... ذَبِّ الْعِدَى عَنْهُ فَهَلْ مِنْ مُجِيْبْ

قُوْمُوْا لِنَصْرِ الْحَقِّ مِنْ فَوْرِكِمْ ... وَاسْتَنْفِرُوْا مِنْ كُلِّ مُرْدٍ وَشِيْبْ

مُسْتَنْصِرِيْنَ اللهَ يَنْصُرُكُمْ ... بِنَصْرِهِ الْمَوْعُوْدِ غَيْرِ الْكَذُوْبْ

كُنْتُمْ سُيُوْفَ اللهِ مِنْ وَقْعِهَا ... فِيْ الْكُفْرِ وَالأَوْثَانِ تبقى تَذُوْبْ

فَالآنَ يَا إِخْوَانُ مَا لَكُمْ ... قَدْ مَسَّكُمْ مِنَ الْجِهَادِ لُغُوْبْ

مَا بَالُكُمْ لاَ تَنْفِرُوْنَ وَقَدْ ... حَلَّ عَلى الإِسْلاَمِ يَوْمٌ عَصِيْبْ

يَبْلُوْكُمُ اللهُ بِبَأْسِ الْعِدَى ... فَإِنَّ أَمْرَ اللهِ يَبْلُو الْقُلُوْبْ

إِنْ تَصْبِرُوْا لِلّهِ لاَ يُخْزِكُمْ ... فَإِنَّ للهِ عَلَيْنَا رَقِيْبْ

يَا قَوْمَنَا إِنْ تَصْبِرُوْا يَأْتِكُمْ ... "نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبْ"[1]

ونرى في هذه القصيدة تأثراً واضحا بالقرآن الكريم حيث أكثر الشاعر فيها من استخدام الكلمات الواردة في القرآن الكريم نحو: لغوب، يوم عصيب، مرد وشيب، عبد منيب، شروحوب، أحزاب الشيطان، الكفر، الأوثان، الإسلام، الجهاد، كما كرّر فيها لفظ الجلالة ثماني مرات، وختم القصيدة بجزء من الآية الكريمة في سورة الصف

١- ديوان الفراهي، ص١١-١٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وهو قوله تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾[1].

ونراه في قصيدة أخرى يبدى أسفه الشديد وألمه البالغ مما أصاب المسلمين في طرابلس بيد الإيطاليين من قتل وتشريد ونهب وتدمير، ويحرض المسلمين ويحثهم على مساعدة إخوانهم ويستنكر عليهم إخلادهم إلى الراحة في مثل هذا الوقت العصيب، ويذكرهم بنوايا الأعداء في القضاء على المسلمين والسيطرة على بلادهم واحدة تلو الأخرى، بدءاً بليبيا ثم تركية ثم القدس، كما فعلوا بالأندلس، وأخبرهم أنهم إن لم يفيقوا من غفلتهم فسوف ينجح الأعداء في خططهم الماكرة، ولذا يدعوهم إلى الاستعداد وأخذ الأهبة بكل ما يلزم، وطلب النصر بالناصر القوي، يقول:

كَـيْفَ الْـقَرَارُ وَقَـدْ نَـكَسْ ... أَعْـلاَمُـنَا بِـطَـرابُـلُسْ

كَـيْفَ الْـقَرَارُ وَحَوْلَـنَا الـ ... أَعْـدَاءُ تَـرْتَـقِبُ الْخَـلَسْ

مِـنْ كُـلِّ ذِئْـبٍ إِنْ رَأَى ... مِـنْ عِـزَّةٍ فِيْنَـا اخْتَلَسْ

أَوْ أُفْـعُـوَانٍ مُـطْـرِقٍ ... إِنْ لَمْ نُـبَـادِرْهُ نَهَـسَ

نَـبْـكِيْ عَـلَى إِخْـوَانِـنَا ... بَـيْنَ الْـقَتِيْلِ وَمَـنْ حُـبِسْ

كَـمْ مِـنْ تَـقِيٍّ طَـاهِرٍ ... فِـيْـهِمْ، وَنِحْـرِيْـرٍ نَـدُسْ[2]

نَبْـكِيْ لِـرَبَّاتِ الْخُـدُو ... رِ شَـرِقْـنَ بِـالْمَـاءِ السَّـلِسْ

جَـرَتِ الْحُـتُـوْفُ عَـلى الأُلُـوْ ... فِ مِـنَ الـزُّحُـوْفَ وَمَـنْ جَـلَسْ

هُـمْ أَهْـلُنَا وَعَشِـيْرُنَـا ... أَفَـيَـأْلَـمُـوْنَ وَلاَ نُـحِـس

يَـا أُمَّـةَ الإِسْـلاَمِ يَـا ... أَبْـنَـاءَ آبَـاءٍ شُـمُسْ

هَـلْ تَـنْعَسُوْنَ وَخَـصْمُـكُمْ ... عَـنْ كَـيْدِهِ مَـا إِنْ نَـعَسْ

١- الصفّ: - الآية ١٣.

٢- نحرير: العالم الحاذق في علمه ج نحارير، النَدُس: الذي يخالط الناس دون أن يثقل عليهم ج، ندُسون.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

إِلاَّ تَهُبُّوا الْيَوْمَ فَالْـ ... إِسْلاَمُ يَتْعَسُ[1] بَلْ تَعِسْ

قَدْ زُلْزِلَتْ أَرْكَانُهُ ... حَتَّى تَقَعْقَعَتِ الأُسُسْ

فَالْخَصْمُ يَجْهَدُ أَن يَرَى ... الإِسْلاَمَ فِيْ بُؤْسٍ بَئِسْ

هَلاَّ ذَكَرْتُمْ مَا أَصَا ... بَ الْمُسْلِمِيْنَ بِأَنْدَلُسْ

سَلَبُوْكُمْ شَطْرَ الْبِلاَ ... دِ وَمَا لَهَا مِنْ مُلْتَمِسْ

أَفَكُلَّ يَوْمٍ يَنْكُصُ الْـ ... إِسْلاَمُ حَتَّى يَنْدَرِسْ

هَلْ يَذْهَبُ الْحَقُّ النَّقِـ ... يُّ وَيَغْلِبُ الْكَذِبُ الرَّجِسْ

هَلْ تَرْتَضُوْنَ بِذُلِّ دِيْـ ... ـنِكُمْ وَلَيْسَ بِمُلْتَبِسْ

وَاللهِ لاَ نَرْضَى بِهِ ... مَادَامَ فِيْنَا مِنْ نَفَسْ

فَالْيَوْمَ إِنْ لَمْ تَدْفَعُوْا ... فَلْيَأْتِيَنْ يَوْمُ النَّحسْ

إِنِّي أَرَى فِتَنًا تَمُوْ ... جُ وَقَدْ ظَهَرْنَ لِمَنْ حَدَسْ

نَاراً تَأَجَّجُ فِي الْبِلاَ ... دِ وَقَدْ تَلَهَّبَتِ الأُطُسْ

يَبْغُوْنَ قُسْطُنْطِيْنِيَّةَ ... وَبَعْدَهَا أَرْضَ الْقُدُسْ

قَدْ صِيْحَ فِيْ حُجُرَاتِهَا ... وَلَتَسْمَعُنَّ لَهَا الْجَرَسْ

فَلْنَنْضَحَنْ أَوْ نَقْتُلَنْ ... عَنْ قُدْسِنَا الْقَوْمَ النَّجِسْ

فَاحْمُوْا ذِمَارَ الْمِلَّةِ الْـ ... ـبَيْضَاءِ كَالأَسَدِ الشَّكِصْ

وَاسْتَجْمِعُوْا عَدَداً فَمَا ... تَجْرِي السَّفِيْنُ عَلَى الْيَبَسْ

١ – في الديوان: تيعس، لكن الصواب هو ما أثبته.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَعْــنِي الْمَــرَاكِبَ وَالْمَــدَا فِـعَ وَالْــكَتَائِبَ وَالْحَــرَسْ
وَتَعَــلَّمُوْا حِيَــلَ الْحُــرُوْ بِ لِتَغْلِبُوا الْخَصْمَ الشَّرِسْ
فَتَــأَهَّبُوْا وَتَــأَلَّبُوْا وَتَــلَبَّبُوْا لِلْــوَغَى ضَرِسْ
وَاسْتَنْصُــرُوا اللهَ الْمُهَيْـ ـمِنَ فِي الْعَشِيِّ وَفِي الْغَلَسْ
"وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَــنْ يَنْصُــرُهُ"[1] فَلْـيَحْتَمِسْ[2]

ونرى أن هذه القصيدة أيضاً كسابقتها - ختمت باقتباس جزء من الآية الواردة في موضوع الجهاد في سبيل الله.

وكأن الشيخ الفراهي كان يتابع الأحداث بدقة، فكما رأيناه في النماذج السابقة يحث المسلمين على قتال إيطاليا، ويخبرنا بما ارتكبته به من مذابح ضد المسلمين، نراه في القصيدة القادمة يستبشر بنجدة الأتراك لأهالي طرابلس ومن ثم ما أحرزوا به من نصر وفتح، وما منيت به إيطاليا من هزيمة، ويفند مزاعم الإيطاليين الباطلة، فيقول:

غَــدَرَتْ بِنَــا الــرُّوْمُ الْفَــوَاجِرْ ذَاكَ الَّــذِيْ كُــنَّا نُحَــاذِرْ
شَــبَّتْ إِطَــالِيَّةُ الْحُــرُوْ بَ وَمَــالَهَــا فِي الــنَّاسِ عَــاذِرْ
لِتَنَــالَ فَــخْرًا ثُــمَّ ذُخْــرًا لَــوْ أَطَــاعَ لَهَــا الْمَقَادِرْ
حَــثَّتْ لَهَــا أَبْــنَاءَهَــا الْ غَــاوِيْنَ فِي الْهَيْجَــاءَ الْمَضَــاجِرْ
لِـيُدَوِّخُوْا مُلْــكًا وَيَنْـ ـتَهِبُوْا الْمَــدَائِنَ وَالْــعَمَائِرْ
فَــأَتَوْا طَــرَابُلُسَ الَّــتِيْ لاَحَــتْ لَهُــمْ أَدْنَى الْمَــعَابِرْ
هَــجَمُوْا عَلَــيْهَا مُــفْعِمِيْـ ـنَ الْبَحْرَ بِالسُّفُنِ الْمَــوَاخِرْ

1- سورة الحج: ٤٠
2- الديوان ص ١٥-١٦

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

دَخَلُوا الْمَدِينَةَ يَقْتُلُو ... نَ بِهَا الأَكَابِرَ وَالأَصَاغِرْ
لَمْ يَتَّقُوْا إِثْمًا وَقَدْ ... أَلْقَوْا عَلَى الشَّرِّ الشَّرَاشِرْ[1]
لاَ دِيْنَ عِنْدَهُمُ وَلاَ ... حُلْمٌ عَنِ الْعُدْوَانِ زَاجِرْ
غَرُّوا بِأَنَّ التُّرْكَ لاَ ... تَأْتِي إِلَيْهِمْ بِالْعَسَاكِرْ
وَبِأَنَّ شِدَّةَ وَقْعِهِمْ ... تُوْهِي مِنَ الْعَرَبِ الْمَرَائِرْ[2]
غَرَّتْهُمُ الآمَالُ مِثْلُ ... سَرَابِ مَعْمَعَةِ الْهَوَاجِرْ[3]
فَرَأَوْا بِلاَدَ الْمُسْلِمِيْـ ... ـنَ كَفَقْعِ قَاعٍ بِالْقَرَاقِرْ[4]
وَالْكَلْبُ يَجْهَلُ أَنَّ بَعْـ ... ـضَ الْعَظْمِ يَنْشَبُ فِي الْحَنَاجِرْ
فَإِذَا هُمُ يَتَغَلَّبُوْ ... نَ جَرَاهُمُ بِالشُّؤْمِ طَائِرْ
كَرَّتْ عَلَيْهِمْ شَجْعَةُ الـ ... أَتْرَاكِ كَالأُسْدِ الْهَوَاصِرْ
وَأَتَتْهُمُ الأَعْرَابُ تَخْـ ... طِفُهُمْ كَعُقْبَانٍ كَوَاسِرْ
فَتَفَلَّلُوْا بِدَدًا كَمَا ... ذُعِرَتْ مِنَ الصَّقْرِ الْغَرَاغِرْ[5]
فَاقْنِي حَيَاءَكِ يَا إِطَا ... لِيَّةُ الْمُرْغِمَةِ الْمَنَاخِرْ
أَوْضَعْتِ نَفْسَكِ بَيْنَ أَقْوَا ... مٍ كِرَامٍ فِي الْمَفَاخِرْ
وَلأَنْتِ فِي الدُّوْلِ الْعِظَا ... مِ، كَمَا مِنَ الأَيْدِي الْخَنَاصِرْ

١- الشراشر: مفردها: شُرْشُرْة، يقال: ألقى عليه شراشره، أي ألقى عليه نفسه حرصا ومحبة.

٢- المريرة ج المرائر: العزيمة. وعزة النفس (اللسان. مادة م ر ر)

٣- الهواجر: مفردها هاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر (اللسان: مادة ه ج ر).

٤- القراقر: جمع قرقر، وقرقرة: الصحراء البارزة، أرض مطمئنة ليّنة (لسان العرب. مادة: ق ر ر).

٥- الغراغر: غرغرة: دجاج الحبشة (اللسان: مادة غ ر ر.)

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ولما عقد الأتراك الصلح مع إيطاليا - بعد ما أحرزوا من فتح في ليبيا - نراه ينكر ذلك عليهم، ويعتب على الأتراك بلسان العرب، وينهاهم عن الاستمرار في الصلح، ويذكرهم بما ارتكبت إيطاليا من شنائع ومجازر، كما يذكرهم بما بين العرب والأتراك من جامع الدين والخلافة، ويستنكر عليهم خذلانهم لإخوانهم، ثم يرفض الصلح مع الإيطاليين حتى يتركوا ليبيا، ويفضل الموت على الصلح معهم بالشجاعة والصبر والخوض في الحروب، ويتبرأ من الدنيا وزهرتها ويعلن إفراد عبادته لرب العالمين، وعدم رضاه بعباد الصليب، يقول:

يَا تُرْكُ، لاَ تَبْغُوا الْهُوَيْنَا ... لاَ تُنْعِمُوا الْحُسَّادَ عَيْنَا

أَتُسَالِمُوْنَ الظَّالِمِيْنَ الـ ... ـغَانِمِيْنَ لِمَا حَمَيْنَا

اَلنَّاهِبِيْنَ بِلاَدَنَا ... وَالْغَاصِبِيْنَ لِمَا حَوَيْنَا

أَتُسَالِمُوْنَ عَدُوَّنَا ... وَتَرَكْتُمُوْنَا بَيْنَ بَيْنَا

هَلاَّ ذَكَرْتُمْ يَوْمَ أَلْـ ... ـقَيْتُمْ أُمُوْرَكُمُ إِلَيْنَا

كُنْتُمْ لَنَا الإِخْوَانَ إِذْ ... فِي الدِّيْنِ وَالْوُدِّ اسْتَوَيْنَا

فَنُفُوْسُنَا وَنُفُوْسُكُمْ ... خَلَطَتْ مَعاً لَمَّا الْتَقَيْنَا

حَتَّى تَخَالَطْنَا كَأَمْـ ... ـوَاجِ الْخَلِيْجِ إِذَا جَرَيْنَا

نَحْمِي الْخِلاَفَةَ بِالسُّيُوْ ... فِ الْبَاتِرَاتِ إِذَا انْتَضَيْنَا

فَرَبَتْ حَدَائِقُ مَجْدِهَا ... بِدِمَائِنَا لَمَّا سَقَيْنَا

تُنْبِي عُيُوْنَ الْكَاشِـ ... ـحِيْنَ الْحَاسِدِيْنَ لِمَا سَعَيْنَا

أَفَبَعْدَ ذَاكَ تُخَاذِلُوْ ... نَ وَتَذْهَبُوْنَ فَأَيْنَ أَيْنَا

إِنَّ الْعَدُوَّ هُمُ هُمُ ... لَوْ تَبْصُرُوْنَ كَمَا رَأَيْنَا



هَلْ تَأْمَنُوْنَهُمُ فَقَدْ ... غَرَّوْكُمُ زَوْراً وَمَيْنَا

كَالصِّلِ يَطْرُقُ ثُمَّ يَقْـ ... ـطُرُ نَابُهُ سُمًّا وَحِينَا

فَلَئِنْ بَدَا لَكُمُ مُسَا ... لَمَةَ الْعَدُوِّ لَقَدْ أَبَيْنَا

لاَسِلْمَ بِالطُّلْيَانِ حَـ ... ـتَى يَتْرُكُوْا بَلَداً ثَوَيْنَا

نَنْفِيْهِمُ عَنْ أَرْضِنَا ... لاَنَرْعَوِيْ عَمَّا قَضَيْنَا

فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَا ... ةٍ تَحْتَوِيْ ذُلاًّ وَشَيْنَا

إِنَّا لأَحْرَارٌ نَعُدْ ... دُ الْقَتْلَ لِلأَحْرَارِ زَيْنَا

صُبْرٌ إِذَا لَجَّ الْوَغَى ... لاَ نَشْتَكِيْ نَصَباً وَأَيْنَا[1]

مِثْلُ الْجِبَالِ الشُمِّ نَحْتَقِـ ... ـرُ السُّيُوْلَ إِذَا أَتَيْنَا

لاَ نَرْهَبُ الطُّلْيَانَ إِن ... يَسْتَكْثِرُوْا فَلَقَدْ كُفِيْنَا

نَلْقَاهُمُ بِهِشَيْنٍ[2] نَقْـ ... ـرِيهِمْ كَمَا كُنَّا قَرَيْنَا

بِيْضًا كَشَحْمِ الْكُوْمِ لَمْ ... تَرَ فَوْقَهَا صَدْءًا وَرَيْنَا

حَتَّى يُقَالَ لَنَا بِحَقْ ... قِ النَّازِلِيْنَ لَقَدْ وَفَيْنَا

كَمْ نَابَنَا حَرْبُ الْمُلُو ... كِ فَلَمْ نَمَلَّ وَلاَ وَنَيْنَا

لَمْ يَبْسُطُوا الأَيْدِيَ إِلـ ... ـلاَ مَا كَسَرْنَا أَوْ لَوَيْنَا

لَمْ يَرْفَعُوا الأَعْنَاقَ إِلـ ... ـلاَ مَا قَطَعْنَا أَوْ كَوَيْنَا

١- الأين: الإعياء والتعب (القاموس المحيط واللسان: مادة: أ ي ن)

٢- لم أجد هذه الكلمة في القاموس واللسان، وهو هكذا في الديوان، ولعله: مَشين: والمشين: الآلة بالإنجليزية، أو هي اسم موضع.



حَـــتَّى انْثَنَــوْا طُـــرًّا سِــوَى جَمْــــعٍ قَتَلْــــنَا أَوْ سَــبَيْنَا

لَـــوْلاَ الْحَــمَاسَةُ وَالْحِـــمَا يَـــةُ قَـــفْرَ لِـــيْبِيَا مَـــا امْتَطَيْنَـــا

فَـــخُرُوْرُهَــــا وَصُــخُوْرُهَــــا مِمَّـــا ارْتَدَيْنَـــا وَاحْتَذَيْنَـــا

نَصْلِيْ بِنَــــارِ الْحَـــرْبِ أَجْـــسَـادًا صَهرْنَــــا وَاشْتَوَيْنَـــا

لاَ نَبْتَـــغِي الدُّنْيَــــا وَزَهْـــرَتَهَـــا فَبِـــاللهِ اكْتَفَيْنَــــا

لاَ هَــــمَّ فِيْ تَـــرَفٍ فَـــأَسْبَا بَ الْـغِوَايَةِ مَـــا ارْتَضَيْنَـــا

فَـــاللهَ نَعْبُــــدُهُ وَعُبْــــبَادَ الـصَّلِيْبِ فَقَـــدْ قَلَيْنَـــا[1]

ونرى الشيخ ذا الفقار علياً[2] يصف إحدى تلك المعارك التي خاضتها الجيوش العثمانية ضد الروس، ويشيد فيه بقائد الجيش العثماني وأبطاله، ويصفهم بالشجاعة والبسالة والإقدام ورباطة الجأش، ويدعو الله لهم بالجزاء الحسن والنصر المبين، ويحثهم على قتال أهل الكفر، ويصف ما أصابهم من الذلّ والفشل والهلاك، جزاء وفاقا لكفرهم النعم ولتزويرهم ومكرهم، حتى صار الكفر في خطر، ويصفهم بالغباء والوقاحة، ويدعو عليهم بالخزي، ويذكرهم أنهم إن عادوا لحربهم عادوا ندامى، مخاطبا الخليفةَ العثمانيَّ السلطانَ عبد الحميد، بعد التشبيب ومدح الخليفة، يقول:

للهِ جَـيْشُكَ أَبْطَـــالُ الـــنِّـزَالِ وَمَــنْ فِي الْكَرِّ كَاللَّيْثِ، فِي التَّمْكِيْنِ كَـالْجَبَـلِ

١- الديوان ص ٢١-٢٣.

٢- هو الشيخ ذو الفقار علي بن فتح علي الحنفي، ولد ١٢٧٤هـ في ديوبند، وسافر للعلم إلى دلهي، فَقَرَأَ على مملوك علي النانوتوي، والمفتي صدر الدين ولازمها مدة طويلة، حتى برع وفاق أقرانه في اللغة والأدب وفرض الشعر، تولى رئاسة قسم الأدب في دار العلوم بديوبند.

من مصنفاته: الهدية السنية في ذكر المدرسة الإسلامية الديوبندية، وشرح ديوان الحماسة، وشرح ديوان المتنبي، وشرح السبع المعلقات بالأردية، توفي سنة ١٣٢٢هـ.(علماء هند كا شاندار ماضي ٢/ ١٩٥، شمعِ انجمن ١٦٢، الإعلام ٣/ ١٢٢٥-١٢٢٧).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَبْنَــاءُ حَــرْبٍ، قِتَــالُ الْعِـلْجِ بُغْيَتُهُمْ ... آسَــادُ حَـرْبٍ لَـهُمْ غَــابٌ مِـنَ الأُسُــلِ

اَلْخَـائِضُوْنَ غِـمَارَ الْـمَـوْتِ مِنْ طَـرَبٍ ... وَالْقَـاهِرُوْنَ عَلَى الأَقْيَــالِ وَالبُسُــلِ

قَضَـوْا حُقُـوْقَ الْـمَعَـالِي بِالسَّلاهِبِ وَالْـ ... ـبِيْضِ الْقَــوَاضِبِ وَالْعَتَّالَـةِ الذُّبُـلِ[1]

عَبْدُ الْكَرِيْمِ عَظِيْمُ الْجَـيْشِ يَقْـدُمُهُمْ ... ثَبْتُ الْجَـنَانِ، قَـوِيُّ الْقَـلْبِ فِي الْجَـلَلِ

اَلنَّصْـرُ يَقْدُمُــهُ وَالْــفَتْحُ يَخْدِمُـــهُ ... وَاللهُ يَحْـمِيْهِ مِـنْ زَلَلٍ وَمِــنْ خَـلَلِ

تَبًّــا لِـــقَوْمٍ بَغَـــوْا كُـفْرًا بِنِعْمَتِكُمْ ... فَــأُهْلِكُوْا لِوَبَـالِ الْـمَكْرِ وَالدَّغَــلِ

فَــأَصْبَحُوْا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَــاكِنُهُمْ ... بَــيْنَ الْبَـلاَقِعِ وَالْغَابَــاتِ وَالطَّلَلِ

لِلْهَــدْمِ مَــا رَفَعُــوْا، لِلْخَرْقِ مَـا رَقَعُوْا ... لِلنَّهْبِ مَــا جَمَعُــوْا بِالـزُّوْرِ وَالْـبُخُلِ

لِلسَّبْيِ مَــا وَلَـدُوْا، لِلْحَرْقِ مَـا حَصَـدُوْا ... لِلسَّلْبِ مَــا حَشَدُوْا، بِالْـغَدْرِ وَالـدَّغَلِ

للهِ دَرُّكُــــــــمُ، للهِ دَرُّكُــــــــمُ ... إِذْ قَــدْ تَدَارَكْتُمُ الْـعَطْشَى عَلَى عَجَــلِ

سَقَوْا كُؤُوْسَ الـرَّدَى كُرْهًــا وَقَـدْ شَرِبَتْ ... طَوْعًــا دِمَــاءَهُمُ الأَسْيَافُ بِالْـعِلَلِ

حَمَــاكُمُ اللهُ، مَــا أَمْــضَى سُيُوْفَـكُمُ ... قَطَعْتُمُوْهُمْ وَهُمْ أَكْسَى[2] مِنَ الْبَصَلِ

يَــا أَيُّهَــا الْـمَـلِكُ الْـمَيْمُـوْنُ طَلْعَتُهُ ... أَمَــا تَـرَى الرُّؤوسَ[3] فِي التَّزْوِيْرِ وَالحِيَلِ

وَكَـيْفَ دَسُّــوْا وَقَدْ حَـثُّوا الْبُغَاةَ عَلَى الـْـ ... ـغَدْرِ الـشَّنِيْعِ فَجُوْزُوا الــذُّلَّ بِالْـفَشَلِ

جَــاؤُوْا لِـحَـرْبِكُمُ مَعَهُــمْ فَرَدَّهُمُ ... ظُــبَا سُيُــوْفِكُمُ بِالْــوَيْلِ وَالأَلَلِ[4]

---

١ – السلاهب ج سلهب: وهو الطويل من الخيل والناس (لسان العرب س ل هـ ب).العتلة: العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح (لسان العرب ع ت ل).

٢ – يقال: فلان أكسى من بَصَلَةٍ: إذا لبس الثياب الكثيرة: (اللسان: ك س ى).

٣– الألل: الأنين (اللسان: أ ل ل)، الرؤوس، هكذا في الأصل، والصواب: الروس.

٤ – الصَّحل: حدّة الصوت مع بَحَح: (اللسان: ص ح ل).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لَمَّا رَأَوْكُمْ مُدْبِرِيْنَ وَمَخْذُوْلِيْـ ... ـنَ مَا اكْتَرَثُوْا بِالأَهْلِ وَالثِّقَلِ

فَالْكُفْرُ فِيْ خَطَرٍ، وَالدِّيْنُ فِيْ ظَفَرٍ ... وَالرُّوْسُ فِيْ خَجَلٍ وَالرُّوْمُ فِي جَذَلِ

أَضْحَى سُيُوْفُهُمْ، أَمْسَى مَدَافِعُهُمْ ... فِي الْغِمْدِ مِنْ عَطَلٍ وَالْحَرْسِ مِنْ صَحَلِ[1]

يَابِئْسَ مَا اقْتَرَحُوْهُ مِنْ وَقَاحَتِهِمْ ... بِدْعًا فَيَأْنَفُ مِنْهُ كُلُّ ذِي نُبُلِ

وَقَدْ أَصَبْتُمْ إِذَا أَعْرَضْتُمُ أَنفًا ... عَنْ قَوْلِ كُلِّ سَخِيْفِ الرَّأْيِ مُبْتَذِلِ

أَخْزَاهُمُ اللهُ مَا أَغْبَاهُمُ فَنَسُوا ... قُدُمًا هَزِيْمَاتِكُمْ فِي الأَعْصُرِ الأُوَلِ

هَذَا، وَإِذْ جَرَّبُوْا فِيْكُمْ مُجَرَّبَهُمْ ... عَادُوْا نَدَامَى، كَمَا قَدْ قِيْلَ فِي الْمَثَلِ

وَقَدْ دَعَانِي إِلَى الإِنْشَادِ مَجْدُكُمْ ... قَسْرًا فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشِّعْرِ وَالْغَزَلِ

أَبْقَاكُمُ اللهُ فِيْ عِزٍّ، وَفِيْ شَرَفٍ ... وَفِيْ عُلُوٍّ، وَفِيْ مَجْدٍ، وَفِيْ زَعَلٍ[2]

أَعْدَاؤُكُمْ فِي حَضِيْضِ الذُّلِّ مِنْ حِيَلٍ ... أَحْبَابُكُمْ مِنْ ذُرَى الْعَلْيَاءِ فِيْ قُلَلِ

بِهَاشِمِيٍّ كَرِيْمٍ سَيِّدٍ سَنَدٍ ... هَادٍ بَشِيْرٍ نَذِيْرٍ سَيِّدِ الرُّسُلِ[3]

وفي هذه القصيدة الطويلة تأثر واضح بأبي تمام في قصيدته البائية في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

في كثير من المعاني والأفكار، وفي كثرة استخدام المحسنات البديعية، مع صدق العاطفة وحرارتها، والشعور بالفرح والنشوة.

١- الصَّحَل: انشقاق في الصوت من غير أن يستقيم (القاموس ص ح ل).

٢- الزَّعَلُ: النشاط (القاموس ز ع ل).

٣- الإعلام ٣/ ١٢٢٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المبحث الثاني

المدح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل : المديح النبوي.

المطلب الثاني : مدح الخلفاء والولاة.

المطلب الثالث : مدح الشخصيات الإسلامية والعلماء والأساتذة.

المديح أهم أغراض الشعر العربي قديما وحديثا، حاز ضمن الأغراض الشعرية الأخرى بنصيب الأسد، وأخذ حيزاً كبيراً من ديوان الشعر العربي، وهو سجل مفاخر الأمة العربية والإسلامية، حفظ حوادث كثيرة مما غفل عنه التاريخ، كما كان صحيفة تربية للأجيال الناشئة، تدلهم على تلك الخصال الكريمة، والسجايا الحميدة التي ينبغي لهم أن يتحلوا بها، لكي ينالوا رضا شعبهم وأمتهم في الدنيا، ويقوموا بأداء تلك الأعباء والمسؤوليات التي تناط بهم، حتى ينالوا رضا الله في الآخرة، يقول الدكتور شوقي ضيف:

«لقد ظهر العرب في مسرح التاريخ منذ العصر الجاهلي وهم يتغنون بمديح شيوخهم وأبطالهم، راسمين فيهم الأمجاد الحربية لقبائلهم، ومثاليتهم الخلقية الكريمة، مذكين بذلك الحماسة في نفوس الشباب، وبذلك كان الشعر ديوان مفاخرهم، أو بعبارة أدق كان المديح هو هذا الديوان، وأيضا كان ديوان مثلهم الخلقية من الجود وعزة النفس والكرامة، وانضمت إلى ذلك إشعاعات إسلامية منذ ظهر الدين الحنيف، إذ مضى شعراء المديح حين يمدحون خليفة أو واليا يتحدثون عن العدل أو العدالة التي لا تصلح حياة الناس بدونها، كما يتحدثون عن تقواهم وصدورهم في الحكم عن روح الإسلام وتعاليمه، ولم يتركوا معركة بينهم وبين أعدائهم من الأجانب إلا سجّلوا مجدنا الحربي فيها ليدفعوا الشباب إلى سلّ السيوف وقطع رقاب الأعداء ومحقهم محقا، وبذلك كله كان المديح صحيفةَ تربيةٍ يجد فيها الشبابُ القدوة الحسنةَ في العمل المجيد،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وفي الخلق الحميد »[1] ويقول سامي الدهان:

«المدح فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا، وكشف عن بعض الزوايا، وأضاف إلى التاريخ – صادقا أو كاذبا – مالم يذكره التاريخ، فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان، لم تكن تُعلم لولاه [2]».

وهذا الدور وهذه المكانة اللذان تمتع بهما المدح في الشعر العربي في بيئات عربية مختلفة تمتع بهما في الشعر العربي في الهند أيضا، فنرى له مكان الريادة بين أغراض أخرى من الشعر العربي في الهند، ويمتاز بالوفرة والكثرة. وبالنظر إلى الموضوعات التي قيل فيها المدح يمكننا تقسيمه إلى أقسام آتية:

أولا- المديح النبوي.
ثانيا- مدح الخلفاء والولاة والوزراء.
ثالثا- مدح الشخصيات الإسلامية والعلماء والأساتذة.
وسأتحدث فيما يلي عن كل قسم حديثاً مستقلاً.

المطلب الأول

المديح النبويّ

المديح النبوي قديم منذ عهد الرسول ﷺ ومديح حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما من الشعراء له، تنويهاً بخلقه الكريم، ورسالته العظمى، وجهاده في سبيل الله وفتوحه[3].

واستمر فيه الشعراء من بعدهم وأكثروا من تدبيج المدح النبوي في كل عصر وقطر، وإن تعددت الأغراض وتنوعت المسالك، فشاعرٌ يمدحه حيث يطلب عليه الأجر

١- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، (الجزيرة، العراق، إيران) ، ص ٣٣٦ ، دار المعارف مصر ، ط٢.

٢- المديح، سامي الدهان، ص٥، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٣- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (مصر والشام)، د. شوقي ضيف، ص٧٦٠، ط. دار المعارف بمصر، ط٢.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والثواب من الله تعالى، وآخر ينظم فيه القريض لبيان مكارمه وإذاعة شأنه، وآخر يُعمل فكره ويمدحه دفاعا له وذبا عنه، وكما تنوعت الأغراض وتفرقت، فكذلك تعددت الطرق، فبعض الشعراء يمدحه ببيان شمائله الحميدة، وبعضهم يختار جانبا آخر وهو نظم المعجزات التي أيده الله بها، وأظهرها على يديه تأييداً له، وبعضهم يمدحه ويمدح معه أهل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار أيضا، وبعضهم يطيل وبعضهم يقصر، وقد أفرد بعضهم قصائد كاملة في مدح المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وبعضهم بدأ قصيدته بالتشبيب أو النسيب أو الغزل مجارةً للشعراء العرب القدماء.

وكل هذا نجده في الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين كما نجده في غير هذا العصر، وفي غير هذه البيئة، فمثلا هذا الشيخ محمد يوسف البنوري قرض قصيدة طويلة بدأها بأبيات في التشبيب تخلص منها إلى ذكر شمائله الحميدة التي بينها الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين- في أحاديث مختلفة، في أسلوب بديع رائع، يقول:

يَا مُذْنِفًا فِيْ حُبِّهِ وَجَمَالِهِ ... مُتَحَيِّرًا لِكَمَالِهِ إِكْبَارَا
أُلْقِي عَلَيْكَ شَمَائِلاً مِنْ حُسْنِهِ ... فِيْ عِقْدِ دُرٍّ يَحْجُبُ الأَنْظَارَا

هُوَ أَدْعَجُ، كَحِلُ الْعُيُوْنِ، وَأَبْلَجُ ... أَقْنَى أَزَجُّ وَأَهْدَب أَشْفَارَا[١]
هُوَ لَمْ يَكُنْ بِمُطَهمٍ وَمُكَلْثمٍ ... حَسَنُ الْمُحَيَّا فِي الأَسَالَةِ دَارَا[٢]
طَلْقُ الْجَبِيْنِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... فَاقَتْ أَسَارِيْرُ الْجَمَالَ نَضَارَا[٣]
فَجَبِيْنُهُ كَالْبَدْرِ يُشْرِف دُجْنَةً ... قَدْ فَاقَ بَدْرًا وَجْهُهُ إِذْ نَارَا

١- دعجت العين دعجاً: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها أدعج.بلج الرجل: صار طلق الوجه، قني الأنف: ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه.زجّ حاجبه زججاً: رق في طول، الأهدب: الذي طال هدب عينيه وكثرت أشفارها، الأشفار جمع الشفر، وهو أصل منبت شعر الجفن.

٢- المطهم: من الأضداد: قيل: السمين، وقيل: النحيف الجسم، المكلثم: كثير لحم الوجه، المحيَّا: الوجه، أسل أسالة: لان واستوى وطال وصار أملس.

٣-الأسارير: جمع السِّر: الخط في الجبهة أو الكف، ويقال لمحاسن الوجه أيضاً. نضار: الجوهر الخاص من التبر، أو الخالص من كل شيء.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَتَـشَعْشَعَتْ أَنْـوَارُهُ بِجَـبِيْنِـهِ ... مُتَهَـلِّلٌ سِيْـمَاؤُهُ أَنْـوَارَا[1]

مَـا شَمْسُ جَـوْزَاءَ وَمَاذَا بَدْرُهَـا ... بِجَـمَالِ وَجْـهٍ لِلرَّسُوْلِ أَنَـارَا[2]

هَـلْ بَـدْرُ نَثْرَةَ وَالذُّكَـاءُ بِنُوْرِهَـا ... إِلاَّ كَـمُزْنٍ قَـدْ حَـوَى أَقْتَـارَا[3]

وَتَحَـيَّرَتْ شَمْسُ السَّـمَا وَتَخَجَّـلَتْ ... بِجَـلاَلِ وَجْـهِ الْمُـصْطَفَى إِكْبَارَا

وبعد ما انتهى الشاعر من وصف جماله الخلقي يبدأ بذكر مكانته الدينية، ومرتبته السامية التي خصه الله بها بين الأنام، وفضّله بها بين سائر الأنبياء والرسل الكرام من عموم رسالته، وكونه رحمة للعالمين جميعا، وبعثه إلى العرب والعجم كافة، يقول:

هُـوَ شَمْسُ فَضْلٍ لِلنُّبُوَّةِ فِي الْـوَرَى ... فَتَهَـلَّلَتْ فِيْ مَـوْهِـنٍ وَنَهَـارَا

شَـمْسُ النُّـبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْهُـدَى ... لِلْعَـالَمِيْنَ جَمِـيْعِهِمْ أَقْطَـارَا[4]

هُـوَ رَحْمَـةٌ لِلْعَـالَمِيْنَ وَنِعْمَـةٌ ... عَـمَّ الْبِـلاَدَ ضِيَـاؤُهُ وَدِيَـارَا

هُـوَ ذَلِكَ الْهَـادِي الْـبَشِيْرُ وَمُنْذِرٌ ... عَـجَمًا وَعَـرَبًـا مُدُنَهَمْ وَقِفَـارَا

نُـوْرٌ تَـأَصَّلَ فِي الْـبَسِيْطِ وَضَوْؤُهُ ... يَتَجَـاوَزُ السَّبْـعَ الطِّبَـاقَ جِهَـارَا

ثم يعود إلى ذكر شمائله الكريمة من جديد، والتي لم يذكرها في السابق، فذكر منها ما ورد في صفة مشيه، وقامته، وطيب رائحته، وعرقه، وختم النبوة، يقول:

وَإِذَا مَـشَى مُتَقَلِّعًـا فَكَـأَنَّمَا ... يَنْـحَطُّ فِيْ صَـبَبٍ هُـنَاكَ فَسَارَا[5]

رَبْـعُ الرِّجَـالِ بِقَـامَةٍ مُزْدَانَـةٍ ... فِيْ جِيْـدِ دُمْيَـةَ رَائِـقٍ أَبْصَـارَا

---

١ – شعشعت الشمس: انتشر ضوؤها، وشعشع الضوء: انتشر.

٢ – الجوزاء: برج في السماء، تحلّ فيه الشمس.

٣ –النثرة: من منازل القمر، الأقتار جمع قترة: العنبرة.

٤ –أقطاراً: جمع قطر: الإقليم، أقطار الدنيا: جهاتها الأربع.

٥ –تقلع في مشيه: مشى كأنه ينحدر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لاَ بِالطَّـــوِيْلِ وَلاَ الْقَصِــــيْرِ وَإِنْ مَشَى ... بَـــيْنَ الـــطِّوَالِ فَفَــاقَهُمْ إِبْصَـــارَا

أَعْطَـــاهُ سِيْــمَاءَ الـــنُّبُوَّةِ خَـــاتَـمًـا ... مِـــنْ فَـــوْقِ كَـتَفٍ تَخْتَفِي أَسْـــرَارَا

فِيْ حَــجْمِ زِرٍّ أَوْ كَبَيْــضِ حَمَــامَـةٍ ... شَـــعَرَاتُــهُ قَــد أُسْبِــلَتْ أَسْتَــارَا

طِـيْبٌ تَضَــوَّعَ مِـنْ رَوَائِـحِ جِسْمِهِ ... فَاقَتْ أَرِيْجَ الْـمِسكَ إِذْ هُــوَ فَــارَا[1]

عَـرْقٌ عَــبِيْرُ الْــوَرْدِ يَخْـجَلُ دُوْنَــهُ ... عَرَفًـــا شَــذِيًّــا فَـــائِقٌ أَزْهَــارَا[2]

ثم يتطرق الشاعر إلى بيان خصائله الحميدة، وسجاياه النبيلة، من جود فائق النظير، وكثرة عبادته ومناجاته للرب - جل وعلا - وإيوائه الأيتام والأرامل، يقول:

قَـــدْ كَـــانَ أَجْـــوَدَ ذَا سَخَـــاءٍ مُدْهِشٍ ... مَـــنْ لاَ يَخَـــافُ إِلَهَـــهُ إِقْتَـــارَا

قَـــدْ فَـــاقَ فِيْ رَمَضَـــانَ رِيْحـاً مُرْسَلَهْ ... بِعَــظِيْمِ جُـــوْدٍ فِي الْـــوَرَى إِكْـــثَارَا

وَتَــوَرَّمَتْ قَـدَمَـــاهُ مِـــنْ طُوْلِ الْـقِيَا ... مِ مُنَاجِــيًـــا مُتَضَرِّعًـــا أَسْحَـــارَا

مَـــأْوَى الأَرَامِــلِ غَوْثُــهُمْ وَمَــلاَذُهُمْ ... تَـــرْوِيْ سَحَــائِبُهُ الْـــوَرَى مِـــدْرَارَا

ثم يذكر الشاعر إسراءه إلى بيت المقدس ومعراجه إلى السماوات السبع، ولقاءه ودنوه من رب العالمين، ومشاهدته لآيات كبيرة من آيات أحسن الخالقين، يقول:

أَسْــــرَاهُ رَبُّ الْعَـــالَـمِيْـنَ بِلَيْـــلَةٍ ... وَاللَّيْلُ أَحْــــرَى لِلْحَبِيْبِ مَــــزَارَا

فَتَـــجَاوَزَ السَّـــبْعَ الشِّــدَادَ مُشَـاهِدًا ... آيَـــاتِ رَبٍّ فِي الـــسَّمَاءِ كِبَـــارَا

فَسَـــمَا بِــهِ مَجْـــداً أَثِيْـــلاً بَــاذِخــاً ... وَدَنَـــا بِـــهِ رَبُّ الْـعِبَادِ حِـــوَارَا[3]

حَـازَ الْـمَحَـاسِنَ وَالْـمَفَـاخِرَ وَالْعُــلاَ ... بِمَــآثِرٍ غُــــرٍّ عَلَــتْ أَقْــدَارَا[4]

١- فار المسك: تضوع وانتشر.

٢- شذا شذواً: تطيب بالمسك.

٣-أثل أثالة: تأصل في الشرف أو في الأرض، فهو أثيل ومؤثل، وبذخ باذخاً: عظم شأنه وارتفع.

٤-القصائد البنورية (ص٨٢).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وتستمر القصيدة على هذا النمط البديع الرائع.

وللشيخ أنور شاه الكشميري[1] قصائد رائعة في مدح النبي ﷺ وآله الطاهرين منها تلك القصيدة الشهيرة التي مطلعها:

بَــرْقٌ تَــأَلَّقَ مَوْهِنًــا بِالْــوَادِيْ ... فَــاعْتَادَ قَلْبِيْ طَـائِفُ الإِنْجَـادِ[2]

يذكر فيها كثيرا من سجاياه الحميدة، وفضائله الشهيرة، يقول:

أَنَــا فِي أَمَــانٍ مِــنْ دَآدِئِ حَــيْرَةٍ ... وَلِيَ اهْتِــدَاءٌ بِالــنَّبِيِّ الْـهَــادِيْ[3]

شمسُ الضُّـحَى بَدْرُ الـدُّجَى صَـدْرُ الْعُلَى ... عَلَمُ الْـهُــدَى هُــوَ قُـدْوَةٌ لِلْـقَادِيْ

مَــوْلَى الْــوَرَى وَبَشِــيْرُهُمْ وَشَفِيْعُهُمْ ... وَخَــطِيْبُهُمْ فِي مَشْــهَدِ الأَشْهَــادِ

سَهْـلُ الْـعَرِيْـكَـةِ أَكْـرَمُ الْـعَـرَبِ الأُلَى ... خَــيْرُ الْــعِبَادِ وَخِــيْرَةُ الْــعُبَّادِ[4]

١- هو العلامة: أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الكشميري، أحد كبار الفقهاء الحنفية، وعلماء الحديث الأجلاء في الهند. ولد في قرية « ودوان » في كشمير سنة ١٢٩٢هـ قرأ على والده، وعلى مشايخ آخرين، ثم سافر إلى ديوبند، وقرأ على مولانا محمد إسحاق الأمروهي، والشيخ خليل أحمد الانبيتهوي، والعلامة محمود الحسن الديوبندي، ثم ولي التدريس بالمدرسة الأمينية بدلهي، ثم سافر إلى الحجاز، فحج وزار واستفاد وأفاد.

ولما سافر شيخه العلامة محمود حسن إلى الحجاز.... استخلفه في تدريس الحديث وولاه رئاسة التدريس في ديوبند، فانتهت إليه نهاية تدريس الحديث في الهند، ثم اعتزلها بعد ١٣ سنة لبعض الأسباب، وتوجه إلى « دابهيل » فأسس له هناك بعض التجار مدرسة سموها « الجامعة الإسلامية » فعكف فيها على الدرس والإفادة، وانتفعت به هذه البلاد، وأمه طلبة علم الحديث والعلماء من الآفاق.

توفي سنة ١٣٥٢هـ كان الشيخ نادرة عصره في قوة الحفظ، وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع من الفقه والأصول والرسوخ في العلوم الدينية والمطنق والفلسفة.

من مصنفاته: تعليقات على صحيح مسلم، تعليقات على الأشباه والنظائر، تعليقات على فتح القدير لابن الهمام إلى كتاب الحج، (نفحة العنبر من هدي الشيخ الأنور، علماء هند كا شاندار ماضي، محمد ميان ٣/ ٢١٢-٢٣٠، مجله « البلاغ » تعليمي نمبر ص ٢٨٢-٢٨٣، الأنور، عبد الرحمن كوندو ص ٣٠-١٥٠ ندوة المصنفين، أردو بازار، جامع مسجد، دهلي ١٩٧٥هـ، الإعلام ٣/ ١١٩٩).

٢- الوهن، والموهن: نحو من نصف الليل، وقيل هو بعد ساعة منه، وقيل: هو حين يدبر الليل، ويقال: لقيته مَوْهنا: أى بعد وهن.

٣- دآدئ: قال في لسان العرب: دآدئ: والواحدة: دأدأة وفي الصحاح: الدآدئُ: ثلاث ليال من آخر الشهر قيل ليالي المحاق، والمحاق آخرها، وقيل: هي هي. (لسان العرب: دأدأ).

٤-العريكة: الطبيعة. يقال: لانت عريكته: إذا انكسرت نخوته، وفي صفته - صلى الله عليه وسلم - أصدق الناس لهجة وألينهم عريكة والجمع: عرائك. (لسان العرب مادة: عرك).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اَلْعَاقِبُ الْمَاحِيْ وَأَكْثَرُ تَابِعًا ... وَالْقَاسِمُ الْمَبْعُوْثُ لِلإِرْشَادِ

وَلَرُعْبُهُ سَارٍ مَسِيْرَةَ أَشْهُرٍ ... وَلَذِكْرُهُ بَاقٍ عَلَى إِخْمَادِ

قَدْ جَاءَ وَالدُّنْيَا عَلَى ظُلُمَاتِهَا ... وَالْجَهْلُ وَالْبُؤْسَى عَلَى أَعْتَادِ

فَأَضَاءَ كَالْبَدْرِ الْمُنِيْرِ وَوَجْهُهُ ... نُوْرٌ مُبِيْنٌ فِيْ ظَلاَمٍ دَآدِيْ

فتحت به غلف القلوب وبصرت ... عمي العيون بسنة وسداد

قَدْ أَيَّدَ التَّقْوَى وَشَيَّدَ أَمْرَهَا ... بِقَواعِدِ التَّأْبِيْدِ ذَاتِ عِمَادِ

لاَ يَهْتَدِيْ لِلْخَيْرِ إِلاَّ خَيِّرٌ ... وَبِمَعْزِلٍ عَنْهُ أَخُو الإِنْكَادِ[1]

قِفْ نَبْكِ أَطْلاَلاً -لاَ وَهَتْ أركانُها- ... أَخْنَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالْمِرْصَادِ[2]

سُبْحَانَ مَنْ صَرَفَ الأُمُوْرَ وَمَا أَتَتْ ... غَيْرٌ عَلَيْهِ عَلى مَدَى الآبَادِ

ثُمَّ الصَّلاَةُ مَعَ السَّلاَمِ عَلَى النَّبِيْ ... يِ وَآلِهِ مَعَ صَحْبِهِ الأَمْجَادِ[3]

وللشيخ رفيع الدين الدهلوي[4] قصيدة بارعة في مدح صاحب المعراج - عليه صلوات ربي والسلام - بين فيها تفاصيل ما حدث للنبي ﷺ في حادثة الإسراء

١- الإنكاد: النَّكَدُ: الشؤم واللؤم.

٢- أخنى عليها الدهر: أهلكها وأتى عليها (اللسان: خ ن ى).

٣- نفحة العنبر، ص ١٥٣-١٥٦، القاسم، شوال ١٣٢٩هـ ص ٣٤-٣٦.

٤- هو الشيخ: رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المحدث المتكلم الأصولي، ولد بمدينة دهلي سنة ١١٦٣هـ ونشأ بها. واشتغل بالعلم على صنوه عبد العزيز وقرأ عليه ولازمه مدة، وأفتى ودرس وله نحو العشرين، وصنف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة أخيه المذكور، وقام مقامه في التدريس بعد ما أصيبت عيناه. توفي سنة ١٢٣٣هـ بدهلي.
من مصنفاته: تكميل الصناعة، ودمغ الباطل، وأسرار المحبة، ورسالة في تفسير آية النور، ورسالة في العروض، ورسالة في التاريخ، ورسالة في آثار القيامة، وغيرها من رسائل كثيرة. وله قصيدة بليغة تدل على علو كعبه في العلوم الفلسفية واقتداره على العربية، عارض بها قصيدة «الروح» لأبي علي بن سينا. (حيات ولي ٣٤٤-٣٤٨، تراجم علماء هند ٦٥-٦٦، تذكره علماء هند ٦٦، يادكار دهلي ١٠٣، الإعلام ٣/ ٩٧٦ حيات ولي ٣٤٤-٣٤٨).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والمعراج من صحبة جبريل له، وعرض اللبن والخمر عليه واختياره اللبن، وتقدمه على الأنبياء في إمامة الصلاة، وتجاوزه سدرة المنتهى بعد ما وقف عندها جبريل – عليه السلام – ولقائه بالله – سبحانه وتعالى – ورؤيته إيّاه – على ما يرى الشاعر – وإتمام النعمة عليه، واطلاعه على الأسرار وغير ذلك، يقول:

يَا أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ يَا زَيْنَ الْوَرَى ... يَا خَاتِمًا لِلرُّسْلِ مَا أَعْلاكَا
يَا كَاشِفَ الضَّرَّاءِ مِنْ مُسْتَنْجِدٍ ... يَا مُنْجِيًا فِي الْحَشْرِ مَنْ وَالاكَا
هَلْ كَانَ غَيْرُكَ فِي الأَنَامِ مَنِ اسْتَوَى ... فَوْقَ الْبُرَاقِ وَجَاوَزَ الأَفْلاكَا
وَاسْتَمْسَكَ الرُّوحُ الأَمِينُ رِكَابَهُ ... فِي سَيْرِهِ وَاسْتَخْدَمَ الأَفْلاكَا
عَرَضَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَدَاعُو مِلَّةٍ ... نُسِخَتْ بِبَعْثِكَ، طَامِعِيْنَ رَدَاكَا
فَرَدَدْتَهُمْ فِي خَيْبَةٍ عَنْ قَصْدِهِمْ ... اَللهُ صَانَكَ عَنْهُمُ وَوَقَاكَا
وَاخْتَرْتَ مِنْ لَبَنٍ وَخَمْرٍ فِطْرَةَ الْـ ... إِسْلامِ بِالْهَدْيِ إِلَيْهِ هَدَاكَا
قَعَدَتْ لَكَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ تَرَقُّبًا ... فَعَلَوْتَ مَغْبُوطًا لَهُمْ مَسْرَاكَا
وَأَمَمْتَهُمْ فِي الْقُدْسِ بَعْدِ تَجَاوُزٍ ... مِنْهُمْ بِأَمْرِ اللهِ إِذْ وَلاَّكَا
وَبَكَى الْكَلِيْمُ لِمَا رَآكَ عَلَوْتَهُ ... وَمُنَافِسُوكَ يَحِقُّ لَهُمْ ذَاكَا
وَتَزَيَّنَتْ حُورُ الْجِنَانَ بَشَاشَةً ... بِكَ سَيِّدِي شَوْقاً إِلَى لُقْيَاكَا
وَتَبَشَّشَ الْعَرْشُ الْعَظِيْمُ مُلاثِمًا ... رِجْلَيْكَ، نَالَ الْفَضْلَ إِذْ آوَاكَا
خَلَّفْتَ رُوحَ الْقُدْسِ عِنْدَ السِّدْرَةِ الْـ ... قُصْوَى يَخَافُ مِنَ الْجَلالِ هَلاكَا
أَدْنَاكَ رَبُّكَ فِي مَنَازِلِ قُرْبِهِ ... جَلَّى لَكَ الأَكْوَانَ ثُمَّ حَوَاكَا
وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ فَلَمْ تَسَلْ ... أَنْ تُؤْثِرَ الإِنْفَاقَ وَالإِمْسَاكَا
أَلْقَى إِلَيْكَ كُنُوزَ أَسْرَارٍ سَمَتْ ... مِنْ حِيطَةِ الأَفْهَامِ إِذْ نَاجَاكَا

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَسَأَلْتَ فِيْنَا الْعَفْوَ مِنْهُ شَفَاعَةً ... فَأَجَابَ رَبُّكَ: قَدْ وُهِبْتَ مُنَاكَا

فَلَكَ الْمَنَاصِبُ وَالسِّيَادَةُ وَالْوَرَى ... وَخِلاَفَةُ الرَّحْمَنِ يَا بُشْرَاكَا[1]

ويلحظ أن الشاعر في البيت الثاني وقع في تجاوز إذ وصف النبي ﷺ بكشف الضر مع أن ذلك لا يستطيعه أحد غير الله – سبحانه وتعالى –كما قال – عزوجل– :
﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ....﴾.[2]

وللشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكني قصيدة ممتازة في مدح صاحب الرسالة – عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات – على غرار بردة البوصيري ، ذكر فيها ما أصابه من الجهد والمشقة في حب النبي ﷺ حتى إنّ ذكر معالم المدينة فقط يكفي لأن يثير حزنه، ويبعث فيه الشجى، تذرف من عينيه الدموع، ويدعو لوّامه إلى الكف عن العزل واللوم لأن ذلك لا يزيد المحب إلا حباً، والمشوق إلا شوقا وحنينا، ويذكر أن حبه قديم، لا يبرح، حتى أنّ عيونه نفدت دموعها لكثرة البكاء، ثم يتساءل متحيراً عن غاية خلقه متحسراً على كثرة ذنوبه، ويتسلى بتذكر شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة للعصاة والمجرمين، يقول:

يَا شَوْقُ بَلِّغْ إِلى جِيْرَانِ ذِيْ سَلَمِ ... سَلاَمَ صَبٍّ سَلِيْمِ الْهَمِّ وَالأَلَمِ

وَاسْتَمْطِرَنْ مِنْ نَدَى أَلْطَافِهِمْ شَبَمًا[3] ... يُطْفِيْ لَظَى لاَعِجٍ فِي الْقَلْبِ مُضْطَرِمِ[4]

وَقُلْ لَهُمْ أَرْسِلُوْا طَيْفًا فَطَيْفُهُمُ ... رُوْحُ الْمُحِبِّيْنَ، يُحْيِيْ مَيِّتَ النَّسَمِ

مَنْ لِيْ بِهِ وَسُهَادِيْ ظَلَّ يَمْنَعُهُ ... أَوْ بِالْكَرَى وَهُوَ مَدْفُوْعٌ بِبَيْنِهِمِ

لَوْلاَهُمُ مَا كَلاَتُ اللَّيْلَ مُكْتَئِبًا ... أَرْعَى النُّجُوْمَ حَلِيْفَ الْوَجْدِ وَالسَّقَمِ

وَلاَ جَرَى دَمْعُ عَيْنِيْ كَالْعَقِيْقِ عَلَى ... ذِكْرِ الْعَقِيْقِ وَذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

١– رياض الفردوس ص٢٧، حيات ولي ٣٤٧، الإعلام ٣/ ٩٧٦.

٢– سورة يونس :جزء من الآية ١٠٧.

٣– الشَبَمُ: البرد، (اللسان: ش ب م).

٤– لاعج: الهوى المحرق، لعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا: استحرّ في القلب، ولعجه لعجا: أحرقه. (لسان العرب:شبم، لعج).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لَـوْ لاَ اضْـطِرَابُ فُؤَادِيْ مِـنْ مَبَـاسِمِهِمْ مَـا زَادَهُ خَفَقَـانًـا بَـارِقُ الـظُّلَمِ

وَلاَ صَـبَا الْقَلْـبُ أَوْ هَـاجَ الْبُكَى وَصَبَا إِنْ هَـبَّ رِيحٌ جَـرَتْ مِـنْ رَقْمَتَيْ إِضَمِ[1]

يَـا لاَئِـمِي وَشَرَابُ الْـحُبِّ أَسْكَـرَنِيْ لَـوْ ذُقْتَ لَذَّةَ كَـأْسِ الْـحُبِّ لَمْ تَلُـمِ

أَلَـسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعَذْلَ فِيْ مُهَجِ الْعُشَّـاقِ يَـفْعَلُ فِـعْـلَ الـزَّيْتَ فِيْ الـضَّـرَمِ[2]

أَعَـانَ شَوْقِي جَوًى قَدْ شَبَّ فِيْ كَبِـدِيْ وَخَـانَنِيْ فِي الْـهَوَى صَـبرِيْ وَمُعْـتَزَمِي

هَـوًى سَرَى فِي دَمِي قُدُماً فَلاَ عَـجَبٌ إِنَّ ضَـنَّ عَيْنِيْ بِدَمْـعِيْ وَهُوَ عَـيْنُ دَمِيْ

يَـا لَيْتَ شَعْـرِيْ لِمَ الْـخَلاَّقُ أَنْشَـأَنِيْ أَلِلـتَّحَسُّـرِ وَالآلاَمِ وَالـنَّدَمِ؟

هَـبْنِي ذُنُـوْبِيَ قَدْ جَمَّتْ أَلَيْسَ لَـهَـا مِـنَ الرَّسُـوْلِ شَفِـيْعٌ رَحْمَةُ الأُمَـمِ

مُحَـمَّدٌ بَهْـجَةُ الـدَّارَيْنِ نُوْرُهُـمَـا سِـرُّ الْوُجُوْدِ، وَعَيْنُ الْجُـوْدِ وَالْـكَرِمِ[3]

ومما يلحظ على الشاعر أنه اعتمد في مديحه للنبيﷺ في هذه القصيدة على حديث اتفق العلماء على وضعه، وهو الحديث المشهور بحديث لولاك[4].

وقد انتشر هذا المعنى وتردد لدى كثير من مادحي الرسولﷺ من الشعراء المتأخرين، لكنه لا ينبغي الاعتماد على مثل هذه المعاني المستقاة من الأحاديث غير الثابتة، لما فيها من خطورة عظيمة على الدين، بانتشار الكذب والزيف، واختفاء الصحيح الثابت في خضمه، وقد ورد في ترويج الأحاديث الموضوعة عمداً وعيدٌ شديدٌ من الرسول الكريم ﷺ[5]، صيانة منه لهذا الدين من كل شائبة.

١- الرقمة: الروضة وإِضَمٌ: بكسر الهمزة: اسم جبل. (لسان العرب: رق م، أ ض م).

٢- الضرم: مصدر ضَرِمَ يضرم ضَرَماً، وضَرَمت النار وتضرمت واضمرت: اشتعلت والتهبت. (لسان العرب: ض ر م).

٣- الإعلام ٣/ ١١٧٣.

٤- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، ابن الجوزي ٢/ ١٩، تحقيق: د. نور الدين جيلار، أضواء السلف – الرياض ١٤١٨هـ، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن عراق الكناني ١/ ٣٢٥، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ.

٥- أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تكذبوا عليّ، فإنه من كذب عليّ فليلج النار»، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ.



وقدكثر مثل هذه التجاوزات والمخالفات في شعر المديح النبوي في الهند وغيره ، ومن أمثلته لدى شعراء الهند ما قاله السيد صديق حسن خان القنوجي في « القصيدة العنبرية في مدح خير البرية» :

لَا غَــــرْوَ إِنْ أَلْفَــيْتُ زَوْرَةَ كَهْفِنَـــا   حَــــقٌّ عَــــلى الآبَــــاءِ لِلأَبْنَــــاءِ

يَـــا مَقْصَدِيْ يَـــا أُسْوَتِيْ وَمُعَاضِـــدِيْ   وَذَرِيْعَتِـــيْ يَـــا مَرْصَـــدِيْ مَــــوْلَايَ

قَــــدْ جِئْتُ بَابَكَ خَائِفـــاً مُتَرَقِّبـــاً   مُتَــــأَوِّهـــــاً بِتَنَفُّسِ الصُّعَـــــدَاءِ

شَفَّــعْتُ جَاهَـكَ ضَـارِعـــاً مُتَذَلِّـلاً   مَــــالِيْ وَرَائَكَ صَــــارِفُ الضَّــــرَّاءِ

اِرْحَـــمْ فَقِيْـــراً جَاءَ بَـابَكَ رَاجِيـــاً   أَنْــتَ الضَّمِـــيْنُ بِحُرْمَـــةِ الْفُـقَـرَاءِ

مَـــا لِيْ وَرَائَكَ مُسْتَغَـــاثٌ فَــارْحَمَـــنْ   يَــــا رَحْمَــةً لِلْعَــالَمِــيْنَ بُكَـــائِيْ[1]

كما كثر التوسل بالنبي ﷺ وغيره في الهند ، ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي :

وَيَجْمَـعُـنَـا بِمَـنْ نَـهْـوَى قَــرِيبًـــا   فَــــإِنَّ الْقَــــلْبَ آذَنَ بِانْصِــــدَاعِ

بِـجَـــــــاهِ الْـمُــــصْـطَفَى وَآلٍ   وَصَحْبٍ قَدْ قَفَــــوْهُمْ بِاتِّبَـــــاعِ[2]

ومما يزيد الامر استغراباً واستنكاراً أن هذه الأخطاء والمخالفات صدرت من أناس هم حملة العلم وحماة العقيدة.

١– الامير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره ، د. محمد اجتباء الندوي ، ص٨٧.

٢– نفحة اليمن ص١٥٣.



المطلب الثاني

مدح الخلفاء والولاة

فطر الناس – قديماً وحديثاً – على حب الخصال الكريمة، والسجايا الحميدة، من الكرم، والوفاء، والمروءة، والنجدة، والشهامة، والعلم، والحلم، والبذل، والجود، والعطاء، والإعجاب بها، والإشادة بذكرها.

ولذا كان الناس يمدحون ويتغنون بذكر من يتمتع بهذه المكارم، ويتحلى بهذه الخلال، كما فطر الإنسان على حب نفسه، والإعجاب بنفسه وعمله، واستحسان ذكر فضائله، وبيان شمائله، فكان الملوك والأمراء ومن على شاكلتهم يغدقون العطايا والهبات على الشعراء والخطباء وأصحاب الفصاحة واللسن؛ ليكسبوا حبهم وتقديرهم، وينالوا مدحهم وثناءهم.

وقد وجد في الهند، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين من الشعراء من أعجبه بعض خلفاء تلك الفترة أو بعض الأمراء، فمدحوهم وأثنوا عليهم وأسبغوا عليهم كل خصائل الخير كما وجد من الملوك والأمراء من كانوا يجزلون العطايا والصلات للشعراء والخطباء فنالوا حظاً كبيراً وقسطاً وفيراً من مدائحهم وثنائهم، بينما أغفل الآخرون، وأخمد ذكرهم.

وأشهر هؤلاء الولاة الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني[1] وقد أثنى عليه الشعراء ثناء عطراً، لأنه كان رمزاً لوحدة المسلمين في عصره، وكان له معارك كثيرة مع أعداء الإسلام والمسلمين من النصارى والملحدين الأوربيين والروس، أبلى فيها الجيش العثماني بلاء حسناً، وكان هناك محاولات شتى من قبل الأعداء لتشويه صورة هذا الخليفة بين المسلمين؛ ليسهل عليهم تفتيت الوحدة الإسلامية، والقضاء على الخلافة العثمانية، كما أثاروا فتناً عديدة في مختلف أجزاء العالم الإسلامي، فنرى الشعراء يقفون في هذه المعركة بجانب هذا الخليفة، يدافعون عنه، وينشرون فضائله، ويعددون مآثره، ويدعون المسلمين إلى الوقوف معه، وإلى عدم الاغترار بمحاولات الأعداء، فهذا الشيخ محمد يعقوب النانوتوي[1] يمدحه بقصيدة طويلة يبدأها بذكر فضائله

١– هو الشيخ محمد يعقوب بن مملوك علي صديقي، ولد سنة ١٢٤٩هـ، بدأ طلبه بحفظ القرآن، ثم درس رسائل في الفارسية، ثم شد الرحال إلى دلهي لطلب العلم.
وبعد الفراغ من الطلب بدأ بالتدريس في دلهي ثم في أجمير، سافر للحج سنة ١٢٧٧هـ وبعد العودة عكف على التدريس في دار العلوم بديوبند حتى قضى نحبه سنة ١٣٠٢هـ.(الإعلام ٣/ ١٣٩٩).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

النفسية، ونصرته للإسلام والمسلمين، يقول[1] :

اَلْوَعْظُ يَنْفَعُ لَوْ بِالْعِلْمِ وَالْحِكَمِ ... فَالسَّيْفُ أَبْلَغُ وُعَّاظٍ عَلَى الْقِمَمِ

لَولاهُ مَا بَلَغَ الدُّنْيَا لآخِرِهَا ... وَآضَ كُلُّ وُجُوْدِ الدَّهْرِ فِي الْعَدَمِ

وَالسَّيْفُ لِلضَّيْمِ إِعْدَامٌ بِهَيْبَتِهِ ... كَالْبَدْرِ يجلُو الدُّجى بِالنُّوْرِ فِي الظُّلَمِ

بِهِمَّةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُوْرِ مُنْتَصِرٍ ... سَيْفٍ لِشُرْبِ دَمِ الْكُفَّارِ كُلِّ ظَمِيْ

أَكْرِمْ بِهِ مَلِكاً لِلْمُسْلِمِيْنَ غَدَا ... كَهْفَ الأَنَامِ، مُزِيْلِ الْفَقْرِ وَالْعَدَمِ

اَلْخَانُ سُلْطَانُنَا عَبْدُ الْحَمِيْدِ غَدَا ... ذَا الْجُوْدِ وَالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

لَوْلَمْ يَكُنْ مَعْشَرَ الإِسْلَامِ نُصْرَتُهُ ... لِلدِّيْنِ مَا كُنْتُمُ فِي الأَمْنِ وَالسِّلْمِ

لَوْلاهُ لَمْ يَبْقَ لِلإِسْلامِ مِنْ شَرَفٍ ... وَصِرْتُمْ لأَبِيْ لَحْماً[2] عَلَى وَضَمِ

خَلِيْفَةُ السَّلَفِ الْمَنْصُوْرُ دَائِمَةً ... مِنْ آلِ عُثْمَانِ خَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ

اَلنَّاسُ مِنْ طِيْنَةٍ فِي الأَصْلِ وَاحِدَةٍ ... وَقَدْرُهُمْ لَعَلَى الأَقْدَارِ فِي الْهِمَمِ

حُرِّيَّةُ النَّفْسِ لِلإِنْسَانِ جَوْهَرَةٌ ... فَقِيْمَةُ الْمَرْءِ تَعْلُوْ مِنْهُ فِي الْقِيَمِ

والشيخ فيض الحسن السهارنفوري يوشح فيه مديحه بتعداد مناقب أخرى كان يراه متحلياً بها، فيذكر بأسه وقوته، وجوده وسخاءه، ومكانته بين الملوك، كما يصفه برباطة الجأش، وكرم العرق والنسب، وأن الدنيا قد تزينت به، يقول[3]:

حَامِي الذِّمَارِ، حَمِيُّ الأَنْفِ ذِيْ أَنَفٍ ... طَلْقِ الْيَدَيْنِ، طَوِيْلِ الْبَاعِ، سَوَّاقِ

شَاكِي السِّلاَحِ، إِلَى الرَّايَاتِ مُبْتَدِرًا ... صِدقِ الْمَقَامِ، إِلَى الْغَايَاتِ سَبَّاقِ

عَنْ آلِ عُثْمَانَ، سَامِي الطَّرْفِ مُبْتَسِمٍ ... إِلَى الطِّعَانِ، شَدِيْدِ الْبَأْسِ، مُشْتَاقِ

ثم يذكر صفات آل عثمان الذين هم عشيرة الخليفة، ويمدحهم، ثم يعود إلى مدح

١- قصائد قاسمي ١٨، الإعلام ٣/ ١٤٠٣.

٢- في المراجع: لحم، ولعل الصواب ما أثبته.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٢٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الخليفة من جديد فيقول :

يَعُوْلُهُمْ مَلِكٌ بَرٌّ، نَدٍ، نَدُسٌ ... مِدْرارُ أُعْطِيَةٍ، مِفْتَاحُ أَرْزَاقِ[1]

رَأْسُ السَّلاَطِيْنِ، عِرْنِيْنُ الْمُلُوْكِ، بِهِ ... مَجْدٌ أَثِيْلٌ، وَعِزٌّ بَاسِقٌ بَاقِ[2]

لَيْثٌ إِذَا الدَّهْرُ فِي خَوْفٍ وَمُضْطَرَبٍ ... غَيْثٌ إِذَا النَّاسُ فِي بُؤْسٍ وَإِطْلاَقِ

فَكُّ الرِّقَابِ وَإِطْلاَقُ الْعُتَاةِ بِهِ ... يُرَى، فَلاَزَالَ فِي فَكٍّ وَإِطْلاَقِ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعِزْنِيْنُ أَنْتَ لَنَا ... مَوْلًى وَأَنْتَ مُفَدًّى كُلِّ آفَاقِ

للهِ دَرُّكَ إِذْ أَنْكَرْتَ مَا نَطَقَتْ ... بِهِ الأَعَادِيْ وَلَمْ تَرْتُقْ بِإِزْلاَقِ

بَاءُوْا بِذُلٍّ عَلَى غَيْظٍ فَقِيْلَ لَهُمْ ... أَخْزَاكُمُ اللهُ فِيْ مِصْرٍ وَرُسْتَاقِ[3]

كَذَاكَ يَفْعَلُ مَنْ يَبْغَى الْعُلَى وَلَهُ ... عِرْقٌ كَرِيْمٌ يُبَارِيْ كُلَّ أَعْرَاقِ

زَانَ الإِلَهُ بِكَ الدُّنْيَا فَمَا بَرِحَتْ ... تَرْبُوْ وَتَهْتَزُّ فِيْ نُوْرٍ وَإِشْرَاقِ

نُثْنِيْ عَلَيْكَ وَلَا نُحْصِيْ مَنَاقِبَكُمْ ... بِذِكْرِ مَا فِيْهِ مِنْ سُمٍّ وَتِرْيَاقِ

تُحْيِي الْحَبِيْبَ بِإِكْرَامٍ يَلِيْقُ بِهِ ... تُرْدِي الْعَدُوَّ بِإِغْرَاقٍ وَإِحْرَاقِ

قَلْبٌ قَوِيٌّ، وَرَأْيٌ صَائِبٌ، وَيَدٌ ... تَهْوِيْ إِلَى السَّيْفِ فِيْ مَيْلٍ وَمُشْتَاقِ

وللشيخ ذي الفقار علي الديوبندي قصائد في مدح السلطان عبد الحميد يضفي عليه من خلالها صفاتٍ أخرى من خدمته الحرمين واتباعه العدل، وإغاثته العاني والمكروب، وحمايته لحوزة الدين، يقول[4]:

١- نَدْسٌ ونَدُسٌ ونَدِس: فَهِم، فطن، العالم بالأمور والأخبار (اللسان: ندس).

٢- عرنين كل شيء: أوله، وجمعه عرانين، وعرانين الناس: وجوههم وسادتهم (اللسان: ع ر ن).

٣- رُستاق: والرزداق: السّواد والقرى (القاموس المحيط: رزداق).

٤- الإعلام ٣/ ١٢٢٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

عَبْدُ الْحَمِيْدِ، أَمَانُ الْخَائِفِيْنَ مُبِيْـ ـدُ الظَّالِمِيْنَ سَدِيْدُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

كَهْفُ الأَنَامِ مُغِيْثُ الْمُسْتَضَامِ لَهُ إِلى أَقَاصِي الْمَعَالِيْ أَقْرَبُ السُّبُلِ

اَلْعَادِلُ الْبَاذِلُ الْمَرْهُوْبُ سَطْوَتُهُ فِي الْجُوْدِ كَالْبَحْرِ، بَلْ كَالْعَارِضِ الْهَطَلِ

غَوْثُ الْوَرَى، خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ مُعْتَصِمُ الْـ ـمَكْرُوْبِ، غَيْثُ النَّدَى يَهْمِيْ بِلاَ مَطَلِ

شَهْمٌ هُمَامٌ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَسُلْـ ـطَانُ السَّلاَطِيْنِ نجلُ السَّادَةِ الأُوَلِ

رَأْسُ الْكُمَاةِ، إِمَامٌ لِلْغُزَاةِ وَمِقْـ ـدَامُ الْحُمَاةِ لِدِيْنٍ أَشْرَفِ الْمِلَلِ

غَشَمْشَمٌ، نَدُسٌ، قَرْمٌ، أَخِيْ ثِقَةٍ مَاضِي الْعَزِيْمَةِ مِنْ خَمْرِ الْعُلَى ثَمِلُ

وللشيخ محمد قاسم النانوتوي[1] قصيدة طويلة بدأها بالتشبيب، ثم تطرق إلى تعداد فضائل الخليفة، ثم انتقل إلى حثه على مواصلة قتال النصارى، وحماية الحرمين، ويتشوق إلى مشاركة الجيوش العثمانية في هذه الحروب الدامية، لو لا تلك العوائق التي حالت بينه وبين الظفر بمناه، كما يثني على جيش العثمانين، وعلى قائده عبد الكريم ويختم القصيدة بدعوة الله لهم بالنصر والزيادة في العز والتمكين، يقول فيها[2]:

سِرُّ الْكِرَامِ الْبِيْضِ، وَابْنُ صَمِيْمِهِمْ وَسُلاَلَةُ الأَشْرَافِ زُبْدَةُ آلِكُمْ

١- هو الشيخ محمد قاسم بن أسد علي، ولد سنة ١٢٨٤هـ في نانوته، تتلمذ على الشيخ مملوك على النانوتوي، وشاه عبد الغني مجددي الدهلوي، ثم أخذ التصوف عن حاجي إمداد الله التهانوي، له جهود جبّارة في الردّ على النصارى والهندوس، ناظرهم مراراً وأفحمهم، حتى كان علماء الهندوس والنصارى يهابونه أشد الهيبة، ويعد هو المؤسس لدار العلوم بديوبند، اتهمه الانجليز بالمشاركة في حرب تحرير الهند من الاستعمار الانجليزي سنة ١٨٥٧هـ، من أشهر تلامذه: شيخ الهند محمود الحسن، فخر الحسن الكنكوهي، وأحمد حسن الأمروهوي وغيرهم كثيرون.

له مؤلفات عديدة تتسم بالأصالة منها: آبِ حيات، حجة الإسلام، الدليل المحكم، تقرير دلبذير وغيرها.

توفي سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م ، (سوانح عمري ، محمد يعقوب نانوتوي ص ٣-٣٥ ، تذكرة علماء هند ، رحمان علي ٣١٠-٢١١ ، مطبع نولكشتور لكهنؤ ١٩١٤ م ، وفيات المشاهير عبد الأول جونفوري ٥٣ جادو بريس جونفور ١٣٢٢هـ، حدائق الحنفية حافظ فقير محمد ٤٩١-٤٩٣، مطبع نولكشور لكهنؤ ١٣٠٣هـ، الإعلام ٣/ ١٠٦٧-١٠٦٨، سوانح عمري أز مناظر حسن كيلاني، حجة الإسلام إمام محمد قاسم نانوتوي، حيات أفكار خدمات ٩٠-١٧٠، تنظيم أبناء قديم دار العلوم ديوبند، نئي دهلي ٢٠٠٥م).

٢- قصائد قاسمي، ص ١٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

شمسُ الضُّحى، بحرُ النَّدى، أَسَدُ ... الْوَغى لا فَضْلَ إلاّ وَهْوَ فِيْ أَفْضَالِكُمْ

قَدْ غَرَّ طَاغُوْتَ النَّصَارَى حِلْمُكُمْ ... وَمَكَارِمُ الأَخْلاَقِ دُوْنَ نِزَالِكُمْ

لَوْلاَهُ مَا طَمَعَ النَّصَارَى فِيْكُمُ ... فَأَرُوْا بَسَالَتَكُمْ وَحَدَّ نِضَالِكُمْ

فَسَيَنْدَمُوْنَ وَلاَتَ حِيْنَ نَدَامَةٍ ... إِذْ قَدْ تَبَدَّى نَاجِزُ أَهْوَالِكُمْ

طَارَتْ إِلَيْهِمْ خَيْلُكُمْ فَعُقُوْهُمْ ... طَارَتْ كَمِثْلِ الْمَالِ مِنْ أَفْضَالِكُمْ

قَدْ أَوْقَدُوْا نَارَ الْوَغَى حَتَّى إِذَا ... حَمِيَ الْوَطِيْسُ وَلاَحَ بَرْقُ نِضَالِكُمْ

بَرَدُوْا كَمَا قُتِلُوْا بِهَا فَاسْتَدْفَأُوْا ... بِالنَّارِ أَمْ هَانَتْ بِجَنْبِ نَكَالِكُمْ

لَجَأُوْا إِلَى النِّيْرَانِ لَمَّا عَايَنُوْا ... بَأْسًا شَدِيْداً مِنْ وَرَاءِ نِضَالِكُمْ

خُذْهُمْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّهُمْ ... بَدَأُوْا وَقَدْ غَدَرُوْا عَلَى إِمْهَالِكُمْ

فَإِلَى مَتَى هَذَا التَّلَطُّفُ وَالأَسَى ... وَإِلَى مَتَى إِصْلاَحُهُمْ بِمَقَالِكُمْ؟

وكان لأمراء الهند أيضاً نصيب وافر من هذه المدائح فهذا ملك الدكن تدبج في مدحه القصائد، ويقصده العلماء والأدباء من كل فج عميق، لما رأوا منه من رعاية واهتمام بالعلم والعلماء، ولما أعجبوا من عدله وقسطه، يقول فيه الشيخ سراج أحمد[(١)(٢)]:

إِنَّ الْمَلِيْكَ نِظَامَ الْمُلْكِ كَوْكَبَةٌ ... سَعْدُ السُّعُوْدِ لِبَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

ظِلُّ الإِلَهِ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيْطِ ذرَى ... وَبَاسِطُ الْعَدْلِ، مَاحِي الْجَوْرِ وَالأَسَفِ

وَقَائِمٌ بِصَرِيْحِ الْحَقِّ فِيْ وَسَطٍ ... مِنَ الْجَوَانِبِ فِيْ عَدْلٍ وَمُنْتَصَفِ

وَدُرَّةُ التَّاجِ لِلأَمْلاَكِ قَاطِبَةً ... فَرِيْدَةُ الشَّأْنِ فَرْدُ الْوَصْفِ فِي الصَّدَفِ

١- القاسم، رمضان ١٣٣١هـ، ص٢-٣.

٢- هو الشيخ سراج أحمد، من خريجي دار العلوم بديوبند وأحد أساتذتها، وكان نائب ناظم جمعية الأنصار (ماهنامه الرشيد ساهيوال، دار العلوم ديوبند نمبر، ص ٢٩٦).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَحْيَا الْمَعَالِمَ حَقًّا بَعْدَ مَا دَرَسَتْ وَطَهَّرَ الأَرْضَ مِنْ مَيْلٍ وَمِنْ جَنَفِ
وَمَكَّنَ الأَمْنَ فَوْقَ الأَرْضِ مُنْبَسِطاً وَالشَّرْعَ مِنْهَا مِنْ طَرَفٍ إِلَى طَرَفِ
وَمَهَّدَ الْعِلْمَ فِيْ أَيَّامِ دَوْلَتِهِ وَشَنَّفَ السَّمْعَ مِنْ ذِكْرَاهُ بِالطُّرَفِ
كَانَ الْمَعَالِمُ قَدْ ثُلَّتْ فَعَمَّرَهَا وَصَانَهَا عَنْ عَوَادِي الدَّهْرِ وَالتَّلَفِ

ثم يختم قصيدته بالدعاء له بدوام ملكه وتوفيقه، ويدعو لبلاده بالعمران والازدهار يقول:

فَدَامَ بِالْمُلْكِ وَالْعِزِّ الْعَزِيْزِ كَمَا دَامَتْ رَعِيَّتُهُ فِي رَوْضَةِ الأُنُفِ
وَقَائِماً بِحُدُوْدِ الشَّرْعِ مُجْتَهِدًا بِالْفَضْلِ وَالْعَدْلِ ثم الْعَطْفِ وَاللُّطفِ
وَكَانَ فِيْ ظِلِّهِ الْمَبْسُوْطِ عَامِرَةً بِلاَدُهُ أَبَداً فِيْ الرِّيْفِ مِنْ شَظَفِ

ونرى الشيخ محمد علي رامفوري[1] يمدح النواب محمد صديق حسن خان[2]، ويرى أن سماء بهوفال وأرضها سمتا وفخرتا به، وهو الصديق اسما ومسمى، ومن

١- هو السيد محمد علي رامفوري، لم تذكر التراجم شيئاً عن ولادته ونشأته وأسرته، كان علاّمة في علوم الكتاب والسنة، ومتمكناً من المنطق والفلسفة أيضاً، أرسله السيد ولايت علي العظيم آبادي إلى «مدراس» في جنوب الهند لإصلاح الناس ولتذكيرهم، فاستفاد به خلق كثيرون على اختلاف فئاتهم، منهم أمراء الدولة ومنهم عامة الناس.
رجع إلى مسقط رأسه بعد وقعة «بالاكوت» ثم رجع إلى مدراس ومكث هناك برهة ثم عاد.
توفي سنة ١٢٥٨هـ. (الإعلام ٣/ ١١٠٠، تذكرة كاملان رامفور، حافظ أحمد علي شوق ٣٦١-٣٦٥، همدرد بريس دهلي ١٩٢٩م، سيرت سيد أحمد شهيد، سيد أبو الحسن على الندوي ٤١٠-٤١٤، نامي بريس لكهنؤ ١٩٣٩م).

٢- هو الأمير سيد صديق حسن خان بن سيد آل حسن خان، ولد في ١٢٤٨هـ، تيتم في صباه، لكن ذلك لم يمنعه من طلب العلم، فدرس على أخيه الأكبر سيد أحمد حسن عرشي، والمفتي صدر الدين خان، والشيخ حسين بن محسن أنصاري، والشيخ عبد الحق بن فضل الله، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي. حتى صار أوحد زمانه، وفريد عصره ونسيج نفسه.
انتقل بين وظائف عديدة، وذاق العسر واليسر حتى تزوج أميرة بهوفال نواب شاهجهان بيغم، فلقب بالأمير سنة ١٢٧٨هـ. ثم عزل عن الإمارة من قبل الانجليز سنة ١٣٠٢هـ.
ترك وراءه مكتبة حافلة في اللغات الثلاثة العربية والفارسية والأردية يفوق عدد كتبه على مائتي كتاب، منها: البلغة في أصول اللغة، أبجد العلوم، التاج المكلل، فتح البيان، اتحاف النبلاء، توفي سنة ١٣٠٧هـ، (اتحاف النبلاء في تراجم الكملاء، نواب صديق حسن خان ص٢٦٣-٢٧١ مطبع نظامي، كانفور ١٢٨٩هـ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل، نواب صديق حسن خان ص٣٨١-٣٨٨ مطبع صديقي بهوفال ١٢٩٩هـ، آثار الشعراء حافظ سيد ممتاز علي ٣١-٣٣، مطبع شاه جهاني بهوفال ١٣٠٧هـ).



أتاه فقد نال مراده، ثم يذكر تفرده بجميع المكارم، وسمو الخلق، وأنه الأولى بالرئاسة والسلطان، وأنه خبير بمآل الأمور، متبع لشرع الله، مضطلع في العلوم، قد بلغ درجة الاجتهاد، وأنه مكرم مفضال، ويختم القصيدة بالدعاء له بالعزة والصحة، يقول[1]:

سَمَا بِكَ الْفَخْرُ فِيْ فَالِهَا   وَلِلأَرْضِ فَخْرٌ بِبُهوْ فَالِهَا

بِصِدْقٍ دَعَوْكَ بِصِدِّيْقِهِمْ   أَصَابَ الْبَرِيَّةُ فِيْ قَالِهَا

وَلاَ غَرْوَ نَفْسٌ أَتَتْكُمْ أَتَتْ   إِلَى نَيْلِهَا، بَلْ إِلَى نَالِهَا

أَمِيْرٌ فَدَتْهُ مُلُوْكُ الْوَرَى   بِأَعْمَامِهَا وَبِأَخْوَالِهَا

بَلَوْتُ الأُمُوْرَ، سَبَرْتُ الْعِبَادَ   خَبَرْتُ الْبِلاَدَ بِأَحْوَالِهَا

وَجَدتُّكَ أُوْتِيْتَ نَفْسًا عَلَتْ   بِأَخْلاَقِهَا وَبِأَعْمَالِهَا

وَجَدتُّكَ صُوْرَةَ قُدْسٍ حَلَتْ   بِأَفْعَالِهَا وَبِأَقْوَالِهَا

وَجَدتُّ الرِّيَاسَةَ رَافِلَةً   بِقُرْطِ الْمَعَالِيْ وَخَلْخَالِهَا

وَلَولاَكَ فِيْهَا لَمَا بَرِحَتْ   بِزِلْزَالِهَا وَبِبِلْبَالِهَا

إِلَيْكَ الرِّيَاسَةُ قَدْ بَرَزَتْ   فَأَلَقَتْ مَثَاقِيْلَ أَثْقَالِهَا

طَلَعْتَ بِهَا فَعَلَتْ أَرْضُهَا   تَخِرُّ السَّمَاءُ لأَمْثَالِهَا

سَقَيْتَ النُّفُوْسَ زُلاَلَ الرَّشَادِ   نَخَلْتَ الأُمُوْرَ بِغِرْبَالِهَا

مِنَ اللهِ جِئْتَ عَلَى شِرْعَةٍ   فَأَمْرُكَ يَجْرِيْ بِمِنْوَالِهَا

حَوَيْتَ الْمَعَارِفَ مُجْتَهِدًا   فَلَمْ يَحْوِهَا نَفْسُ مِكْسَالِهَا

أَتَتْ مِنْكَ نَفْسِيْ إِلَى مُكْرِمٍ   بِإِحسَانِهَا وَبِإِجْمَالِهَا

---

١ – حظيرة التقديس وذخيرة التأنيس، أبو النصر علي بن عتيق، (ص٩٠)، مطبعة شاهجهاني، بهوفال ١٣٠٧هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

رَجَــــاؤُكَ زَادُ لَهَــــا قَـــــدْ أَتَتْ ... بِــلاَ مَالِـهَــــا لاَ وَلاَ حَـــالِـهَـــا

يَسُـــوْقُ إِلَى كُــلِّ نَفْــسٍ غِـنىً ... وَيَهْــدِيْ سُلُــوًّا إِلَى بَــالِـهَـــا

لَــهُ مُهْجَـــةٌ لَمْ تَكُــنْ غَفَــلَتْ ... عَـــنِ الْــبِرِّ يَوْمــاً بِأَشْغَــالِـهَـــا

وَحِــيْدُ الْــبَرِيَّةِ يُــدْعَى بِهَـــا ... بِمِنْعَــامِـهَــا وَبِـمِفْضَــالِـهَـــا

وَرَبٌّ عَـــزِيْـــزٌ أَعَـــزَّكَ فِيْ ... جَمِيْعِ الْبِـــلاَدِ وَأَعْـــمَالِـهَـــا

وَخَصَّــكَ دَابـــاً بِصِحَّتِـــهِ ... وَأَسْقَــاكَ صَـــافِيَ سَلْسَـالِـهَـــا

وكما مدح الشيخُ محمد علي والي بهوفال الأميرَ سيد صديق حسن، مدح واليتها شاه جهان بيكم، زوجة سيد صديق حسن خان أيضاً [1]، وذكر عدلها، وجودها، وعلو مكانتها بين ملوك عصرها، وأنها بهجة الأرض، ولا يجهل مكانتها إلا متبلد، يقول[2]:

يَـــا شَاكِيـــاً دُنْيَـــاكَ ظُلْمَةَ شَأْنِهَـــا ... سَعْيــاً فَصُبْحُكَ حَيْثُ شَاهُ جَهَانِهَـــا

سَلَكَتْ سَبِيْلَ الْـعدْلِ حَتَّى أَصْبَـحَتْ ... وَهِيَ الَّــتِيْ مَلَكَتْ زِمَامَ زَمَــانِهَـــا

مِــنْ كَفِّهَا اخْضَرَّتْ رِيَــاضُ سَعَــادَةٍ ... وَتَفَجَّـرَتْ أَنْهَــارُهَــا بِبَنَــانِهَـــا

فَعَـــوَارِفٌ تُنْسِيْــكَ شُكْـرَ سَحَـــائِبٍ ... وَمَعَــارِفٌ تُنْسِيْـكَ ذِكْــرَ جِنَانِهَـــا

يَـــا سَائِــلاً عَـــنْ شَــأْنِهَا مُتَبَــلِّداً ... مِـــنْ رِفْعَةِ الأَفْلاَكِ عُنْصُرُ شَــانِهَـــا

فَــالْفَخْرُ دُوْنَ كِيَانِهَــــا، وَالْفَــجْرُ دُوْنَ ... عِيَانِهَـــا، وَالسِّـــحْرُ دُوْنَ بَيَــانِهَـــا

١- هي الأميرة نواب شاهجهان بيكم بنت نواب سكندر بيكم بنت نواب قدسيه بيكم، ولدت ١٢٥٤هـ ورثت الملك عن أبيها، وعمرها ١٩ سنة فأجلست والدتها على العرش إلى أن ماتت، كان يضرب بها المثل في الذكاء والحفظ والكرم والجود، تزوجت النواب باقي محمد خان، وبعد وفاته تزوجت النواب سيد صديق خان، حصلت له عدة أوسمة من الحكومة البريطانية وعدة أوسمة من الخلافة العثمانية، سعت جاهدة في نشر العلم، وإصلاح الرعية، وتعمير البلاد.
لها كتب مشهورة، منها: ديوان الشعر، تهذيب النسوان.
توفيت سنة ١٣١٩هـ (الإعلام ٣/ ١٢٤٥-١٢٤٦، أبجد العلوم ٣/ ٣٨٣-٢٨٦).

٢- حظيرة التقديس وذخيرة التأنيس، ص ٨٨ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مَـوْلاَتُنَا جَلَّـتْ جَلاَلَـةُ قَدْرِهَـــا　　قَــامَ الْوُجُوْدُ بِجُوْدِهَا وَكِيَــانِهَـــا

فَمِنَ الْـبَسِيْطَةِ بَهْجَــةٌ لِـبِلاَدِهَــا　　وَمِــنَ الْــبَرِيَّةِ عِــزَّةٌ لَـمْعَـانِهَـــا

كَــالشَّمْسِ فِيْ أُفُقِ الرِّيَـاسَةِ إِذْ بَــدَتْ　　ظُــهْرَ النَّهَــارِ، وَزَالَ جُنْحُ ظَلاَمِهَـــا

لاَ خَــلْقَ يُــدْرِكُ شَــأْوَهَــا، أَنَّى وَقَـدْ　　سَبَقَتْ رِجَــالَ الْـمُـلْكِ يَوْمَ رِهَــانِهَـــا

وكان لولاة رامفور[1] وأمرائها أيادٍ غراء في العناية بالعلم وخدمة العلماء ورعاية الأدباء والشعراء، ومن هنا كثرت فيهم المدائح، فهذا المفتي محمد سعد الله الرامفوري[2] يمدح واليها محمد كلب علي خان[3] ويرى أنه شرّف الملكَ، وزين البلاد، وعمر المعمورة قسطاً وعدلاً، وعم أرجاءها رخاء وأمناً، وغمر الخلائق بعطاياها ونال جميع المكارم والعلى كسباً أو إرثا، وأنه من سمو المنـزلة ورفعة المكانة بحيث صار تراب بابه كحلا لعيون الملوك في الروم والصين، وصار كل شيء يخدمه، حتى السماء في طاعته، ويصير حد السيف ناعماً في يد خادمه، فضلاً عن يده، كما أن خصمه يشرق ويغص حتى بالماء الزلال ولا شك أن في هذا مبالغة وإطراء في شأن الممدوح، يقول[4]:

---

١ – رامفور: مدينة في ولاية اترا برديش، كانت عاصمة ولاية إسلامية إلى ١٩٤٩م، شهيرة بمكتبتها (مكتبة رضا) الحاوية آلاف المخطوطات العربية والفارسية (المنجد في الإعلام ٣٠٣).

٢ – هو الشيخ المفتي سعد الله بن نظام الدين الحنفي المراد آبادي، ولد سنة ١٢١٩هـ بمراد آباد، رحل إلى رامفور، ونجيب آباد ودهلي ولكهنؤ والحرمين الشريفين لطلب العلم وتتلمذ على علماء كثيرين منهم: عبد الرحمن القهستاني، وشير محمد القندهاري، وحياة محمد لاري، والمفتي صدر الدين وغيرهم. ولي التدريس، ثم نظارة التأليف، ثم الإفتاء في لكهنؤ، ثم تولي الإفتاء والقضاء في رامفور.
من مصنفاته: القول المأنوس في صفات القاموس، القول الفصل في تحقيق همزة الوصل ورسائل في النحو والصرف والعروض والبلاغة، وشروح وحواش على كتب المنطق، توفي سنة ١٢٩٤هـ.
(تذكره كاملان، رامفور ١٥١–١٥٤، تذكره علماء هند ٧٤–٧٥، الإعلام ٣/ ٩٨٢).

٣– هو الأمير الفاضل: كلب علي بن يوسف علي بن محمد سعيد الحنفي السني الرامفوري، أحد الأمراء المشهورين.
ولد بدهلي سنة١٢٥١هـ في بيت الإمارة، وتتلمذ على علماء عصره كالعلامة فضل حق الخير آبادي، والمولوي عبد العلي وغيرهما، تولي الإمارة سنة ١٢٨١هـ.
اجتمع لديه كبار العلماء والفضلاء، بسبب تشجيعه للعلم والعلماء، كما أنشأ مكتبة عظيمة تعدّ من أكبر مكتبات المخطوطات.
له ديوان شعر بالفارسية، وأربعة دواوين بالأردية.
توفي سنة ١٣٠٤هـ. (الإعلام ٣/ ١٣٣٥).

٤ – حظيرة التقديس وذخيرة التأنيس، ص٩٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

قَــدْ شَرَّفَ اللهُ أَمْرَ الْمُلْكِ وَالـــدِّيْنِ ... وَكَـــرَّمَ الْمَــجْدَ فِيْ عِزٍّ وَتَمْكِـــيْنِ
بِحُـــسْنِ تَدْبِـيْرِهِ الْعَــالِيْ وَفِطْــنَتِهِ ... وَرَأْيِهِ صَائِبــاً أَجْـلى الْـبَرَاهِــيْنِ
كَـــانَ الْمَــالِكُ عُطْـلاً لاَ بَهَاءَ لَهَـــا ... فَزَانَهَـــا حُكْـمُهُ مِـــنْ أَيِّ تَزْيِـــيْنِ
مِــنْ عَدْلِهِ أَلِفَ الأُسْـــدُ الظِّبَـاءَ كَـمَا ... غِـــزْ لاَنُهَـا صِـرْنَ أَوْلاَدَ السَّـرَاحِـــيْنِ
فَــلاَ يُــرَى فِــتْنَةٌ فِيْ عَهْـــدِ دَوْلَــتِهِ ... غَـيْرُ الَّـذِيْ فِيْ عُيُوْنِ الْـحُـوْرِ وَالْعِـيْنِ
تُـــرَابُ سُدَّتِهِ الْعُلْيَـــا مَـدَارِجُهَـــا ... كُـحْلٌ لِعَيْنِ مُلُوْكِ الـرُّوْمِ وَالصِّـــيْنِ
وَهَّـــابُ آلاَفِ آلاَفٍ وَأَزْيَـدِهَـــــا ... مُـــعْطِي الْـخُيُوْلِ وَأَصْنَافِ الْـبَرَاذِيْـنِ
لَـــوْ خَصْمُهُ شَرِبَ السَّلْسَالَ مِنْ عَطَشٍ ... لَصَـــارَ فِيْ حَلْـقِهِ زُرْقَ السَّكَـــاكِـيْنِ
أَوْ مَـــسَّ حَـــدَّ سُيُوْفِ الْهِنْدِ خَـــادِمُهُ ... لَعَـــادَ مَلْـمَسُهُ كَالْــوَرْدِ فِي اللِّـــيْنِ
لَـــهُ الْـمَـكَـــارِمُ وَالْعُـلْيَا بِـأَجْمَعِهَـــا ... كَسْبــاً وَإِرْثًـا مِــنَ الْغُـــرِّ الْـمَيَامِـــيْنِ
أُوْلِي الْـمَــكَـــارِمِ، سَبَّاقِيْنَ غَـــايَتَهَـــا ... ذَوِي الْمَنَـــاقِبِ، فُرْسَـانِ الْـمَيَــادِيْنِ
طَـابَ الْـمَدَائِحُ مِنْ مَـدْحِ الأَمِـــيْرِ كَـمَا ... طَـابَ النَّسَــائِمُ مِنْ رَوْضِ الرَّيَاحِـيْنِ
كَـــانَ السَّــمَاءُ مُطِيْعــاً دَائِـــماً أَبَـدًا ... لِـحُـكْمِهِ حِـيْنَ تَحْـــرِيْكٍ وَتَسْـكِـيْنِ

ويقول الشيخ سيد محمد[1] مادحاً الأمير حامد علي خان ذاكراً سؤدده، وكرمه، وداعياً له بالتأييد والتوفيق، يقول [2]:

١- هو السيد محمد بن نجم العلماء، ولد سنة ١٣٠٥هـ في لكهنؤ، وتعلم في مدرسة شارع الشرائع في لكهنؤ حتى قرأ فاتحة الفراغ ثم اشتغل بالتدريس في المدرسة نفسها.
نظم قصيدة عربية وعمره إحدى عشرة سنة كان متضلعاً في الأدب العربي، مطلعاً بأيام العرب في الجاهلية والإسلام، متمكناً مِن المنطق والفلسفة، عالماً باللغة الإنجليزية أيضاً، له رسائل عديدة منها: شريعة الإسلام، رسالة في الصرف والنحو، ورسالة في أصول الفقه، ورسائل أخرى.
توفي سنة ١٣٣٧هـ وعمره ٣٢ سنة، (تاريخ عباس، مرزا محمد هادي عزيز لكهنؤي ، ص٢٥٦-٢٥٩، مطبع نظامي لكهنؤ ١٣٤٤هـ.

٢- ورقة مخطوطة في مكتبة رامفور.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

قِــفْ عِنْـدَ ذِيْ شَــمَمٍ قَـدْ فَاقَ إِقْبَـالاَ　　وَانْـظُرْ بِعَــيْنِكَ بَــحْرَ الــتِّبْرِ سَيَّــالاَ

سَــادَالْوَرَى شَـرَفاً، أَجْرَى النَّدَى كَرَمــاً　　عَمَّ الْـــبَرِيَّةَ إِنْـعَــامــاً وَإِفْضَــالاَ

مَــنْ يَــأْتِ حَـضْـرَتَهُ رَوْمــاً لِنَــائِلِهِ　　أَصَــابَ مِــنْ كَفِّهِ الـسَّمْحَـاءِ آمَـالاَ

اَلـشَّمْسُ مُنْكَـسِفٌ، وَالْبَـدْرُ مُنْخَسِفٌ　　مِــنْ نَــوْرِ خَــدَّيْهِ إِشْـرَاقاً وَآصَـالاَ

سَــامِي الــذُّرَى نِعَماً، حَــامِدْ عَلِي عَلَـماً　　وَالِي الرِّيَـاسَـةِ يَحْـكِي الْـمُـزْنَ هَطَّــالاَ

جَـفَّ الْـمَحَــابِرُ فِيْ تَنْـمِيْقِ مِدْحَـــتِهِ　　فَــكَيْفَ أَكْــتُبُ تَفْصِــيْلاً وَإِجْمَــالاَ

يَــارَبِّ أَيِّـــدْهُ فِيْ أَعْــلاَمِ دَوْلَــتِهِ　　عِــزًّا وَمَجْــداً وَإِقْبَــالاً وَإِجْـلاَلاَ

وللشيخ ظهور الحق[1] قصائد في مدح الأمير المذكور، يذكر فيه خضوع المعالي له وسؤدده، وبسطه الأمن في إمارته، ويدعو له بطيب الدهر، وسعادة العيش، واستمرار جوده، يقول[2]:

هَنَــــاءٌ وَإِقْبَـــالٌ وَمَجْــدٌ مُطَــالِعُ　　جَمَــالٌ وَإِجْــلاَلٌ وَفَهْمٌ مُطَــاوِعُ

أَتَتْــكَ الْـمَعَــالِيْ خَـاضِعَـاتٍ لِأَنَّهَـا　　رَأَتْ مِنْكَ نُــوْراً فِي الْــبَرِيَّةِ سَــاطِعُ

فَــخَرَّتْ عَلَى الأَذْقَــانِ تَطْلُبُ قُرْبَــةً　　إِلَــيْكَ وَتَــاهَــتْ إِذْ رَأَتْكَ تُطَــالِعُ

هَنِيْئـاً لأَهْــلِ الْــعِزِّ أَنَّـكَ سُدتَّهُــمْ　　فَــإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْـمَعَــالِيْ مَطَــالِعُ

ثَقِيْـلٌ بِظِـلِّ الأَمْنِ يَــا أَمْـنَ دَهْـرِنَــا　　وَتَرْفُلُ فِيْ ثَوْبٍ مِـنَ الْمَــجْدِ وَاســعِ

تَطِــيْبُ لَكَ الأَيَّـامُ حَــتَّى هَوَاؤُهَــا　　وَتَخْدِمُكَ الـدُّنْيَــا وَسَيْـفُكَ رَابِــعُ

١- هو الشيخ ظهور الحق بن ظهور الحسن بن المفتي غلام حسين بخاري، ولد في رامفور، ودرس بها، درس الفارسية والعربية، وأخذ التصوف عن الشيخ نظام الدين حسن البريلوي، عمل في مصلحة البريد، توفي سنة ١٣١٧هـ .(تذكره كاملانِ رامفور، حافظ أحمد عليخان شوق رامفوري، ص١٨٧-١٨٨، همدرد بريس دهلي ١٩٢٩م).

٢- القصيدة المدحية، ظهور الحق، مخطوطة في مكتبة رامفور برقم:

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَإِنِّيْ ظَـهُوْرُ الْـحَـقِّ لاَزِلْتُ دَاعِيـاً ... وَلاَزَالَ فَيْـضٌ مِنْ أَيَادِيْكَ هَامِـعُ

ولم يقصر شعراء الهند على مدائح ملوكهم أو مديح الخليفة العثماني، بل لما تولى الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله- عرش الرياض، ودانت له نجد والحجاز، وقام بأعماله الجليلة في القضاء على مظاهر الشرك والبدعة والتفرقة والتشرذم، وسعى لإحياء التوحيد والسنة، ووحّد البلاد، وبسط الأمن، تسابق الشعراء إلى مدحه وإلى مدح أبنائه بعده، ذكروا فيه محامده، وأخلاقه من حلم وكرم وحزم وعلم، وما تحلى به من التقوى وسعة الصدر وصواب الرأي، وما قام به من تغيير المنكرات، والقضاء على البدعات يقول الشيخ عصمة الله[1] في قصيدته التي مطلعها :

إِلَـهَ الْعَـالَمِـيْنَ لَـكَ الثَّنَـاءُ ... إِلَـيْكَ إِنَـابَةٌ وَبِـكَ اهْتِـدَاءُ

يبدأها بحمد الله وشكره، وذكر النبي المصطفىﷺ وتعداد مناقبه الكثيرة، وذكر صحابته الأخيار، والتابعين له في كل آن ومكان، ثم يصل إلى الغرض الأصلي من القصيدة فيقول :

أَلاَ مِنْـهُمْ إِمَـامُ الـرُّشْدِ عَبْـدِ الْـ ... ـعَزِيْزِ الْـيَوْمَ لَـيْسَ لَـهُ كِفَـاءُ

عَقَـائِدُهُ عَقَـائِدُ أَهْـلِ حَـقٍّ ... وَلِـلأَعْـدَاءِ إِفْكٌ وَافْـتِرَاءُ

عَـلَى نَهْـجِ الـنُّبُـوَّةِ وَالـرَّشَـادِ ... يَسُـوْسُ الـنَّاسَ مَـافِيْهِ خَفَـاءُ

يُغَـيِّرُ كُـلَّ يَـوْمٍ مُنْـكَرَاتٍ ... وَبِالْمَـعْـرُوْفِ يَـأْمُرُ مَـنْ أَسَـاؤُوْا

وَمَـا مِـنْ بِـدْعَةٍ إِلاَّ مَحَـاهَـا ... وَلِلْبِدْعَـاتَ مِـنْ يَـدِهِ امِّحَـاءُ

وَمَـا مِـنْ ظُلْمَةٍ إِلاَّ فَنَـاهَـا ... فَـجَـاءَ الآنَ نُـوْرٌ وَالضِّيَـاءُ[2]

١- هو الشيخ أبو المرتضى عصمت الله بن محمد إسماعيل رحماني، ولد في «مئو» سنة ١٣١٩هـ، درس في كلكتة، ودار العلوم بديوبند، ومظاهر العلوم في سهارنفور، ودار الحديث رحمانية في دلهي، واشتغل بالتدريس في مدرسة فيض عام في مئو، ثم اعتزل عنها ودرس الطب واشتغل به إلى أن توفي سنة ١٣٩٧هـ. (هندوباك مين عربي أدب، إقبال أحمد السلفي، ص ١٢٧-١٢٩ تاج آفست بريس إله آباد ١٤٠١هـ١٩٨٢م).

٢- استخدم الشاعر هنا كلمة «فنى» مكان «أفنى» لاستقامة الوزن.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

حَمَى بَلَداً أَمِيْنِاً عَنْ ظَلُوْمٍ … نَفَى عَنْهُ وَذَاكَ لَهُ الْجَزَاءُ

يُبَلِّغُ دِيْنَهُ يَوْماً وَلَيْلاً … فَفِيْهِ لِقَلْبِهِ الصَّافِيْ شِفَاءُ

لَبِيْبٌ عَالِمٌ وَفَقِيْهُ عَصْرٍ … بِهِ لِلنَّاسِ فِي الدِّيْنِ ضِيَاءُ

لَهُ حَزْمٌ وَسِيْعٌ وَالدَّهَاءُ … لَهُ عِلْمٌ غَزِيْرٌ وَالذَّكَاءُ

لَهُ خُلُقٌ عَظِيْمٌ فِيْ وَقَارٍ … لَهُ جُوْدٌ عَمِيْمٌ وَالسَّخَاءُ

وَحَيْدُ الْعَصْرِ فِيْ إِكْرَامِ ضَيْفٍ … عَدُوٌّ، وَالصَّدِيْقُ بِهِ سَوَاءُ

جَوَادٌ مُقْسِطٌ مَلِكٌ كَرِيْمٌ … كَبِيْرٌ لاَ يُحِيْطُ بِهِ الثَّنَاءُ

ونرى مثله الشيخ سيد إعجاز أحمد السهسواني يمدح الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود ويشيد بحمايته لثغور الدين، وقضائه على البدعة، وينوه بحزمه وخلقه، وشجاعته، وقوة بأسه، يقول [1]:

يُبْدِي الْهَوَى جَفْنِي وَلَوْ أَتَجَمْجَمُ … هَذِي دُمُوْعِي أَمْ لِسَانِيْ أَوْ فَمُ

سَارُوْا وَبَعْدَهُمُ نَهَارِيْ فِي النَّوَى … لَيْلٌ بَهِيْمٌ مُدْلَهِمٌّ مُظْلِمُ

مَا شَاقَنِيْ بِالْبُعْدِ إِلاَّ ظَبْيَةٌ … مِنْهَا عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيْرَةِ مَيْسَمُ

لِجُفُوْنِهَا فِعْلٌ بِأَفْئِدَةٍ كَمَا … لِلسَّيْفِ إِذْ سَلَّ الأَمِيْرُ الأَعْظَمُ

يَوْمَ الْوَغَى، فَتَصِيْرُ أَكْبَادَ الْعِدَى … جَفْناً لِصَارِمِهِ الَّذِيْ لاَ يَكْهَمُ

مَلِكٌ نَحَا مَنْحَى السَّعَادَةِ نَجْمُهُ … وَعَلاَ عُلُوًّا لَمْ تَنَلْهُ الأَنْجُمُ

حَامِيْ ثُغُوْرِ الدِّيْنِ مَاحِيْ بِدْعَةٍ … وَأَسَاسَ بُنْيَانِ الضَّلاَلَةِ يَهْدِمُ

١- أخبار أهل حديث، المجلد٥، العدد ٣٢، ص١٦، الصادر من دلهي بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٥٥م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

نُـــوْرٌ تَمَــــنَّتْهُ الْــكَوَاكِبُ جَمَّـــةً حُـــلْمٌ حَكَـــاهُ يَذْبُـلُ وَيَلَمْلَـــمُ
اَلْـحَزْمُ وَالْعَلْيَـــاءُ وَالْخُــلُقُ الــسَّنِيْ آيَــــاتُهَـــا فِيْ وَجْهِـــهِ تَتَـــوَسَّمُ

المطلب الثالث

مدح الشخصيات الإسلامية والعلماء والأساتذة

للعلماء مكانة سامية ومنـزلة عالية عند المسلمين؛ لأنهم ورثة الأنبياء، ومصابيح الدجى، وهداة الأنام، ومعلمو البشرية، يرشدون الناس إلى الطريق السوي، وينيرون لهم دروب الخير ومسالك الهدى، سهروا في سبيل العلم حتى وعوه، وكدُّوا في نشره حتى بلَّغوه.

فلا غرو أن يُكتب لهم القبولُ، وتُلقى لهم المحبةُ، يرجع إليهم الناس في أمور دينهم ودنياهم، يهتدون بما عندهم من كتاب الله وسنة رسوله المصطفى، - صلى الله عليه وسلم- يعظمونهم بقلوبهم وفي مكامنهم ويمدحونهم بألسنتهم وأقلامهم.

وقد كثر مدح العلماء في الشعر العربي في الهند، ومدحهم الشعراء بما أوتوا من علم وفهم، وما رزقوا من تقوى وصلاح، وما بذلوا في نشر دين الله، والذود عن حماه من جهد وكد، وبما أضاؤوا العباد الله تعالى من طريق الفلاح والنجاح، يقول الشيخ ألطاف حسين حالي[1] في مدح شاه عبد الغني الدهلوي[2] في قصيدته بعد التشبيب الذي بدأ به، يقول[3]:

١- هو الشيخ الفاضل: خواجه ألطاف حسين بن يزد بخش الأنصاري الباني بتي. ولد سنة ١٢٥٣هـ، ولد في «بلدة بانى بت» ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وتتلمذ على إبراهيم حسين الأنصاري، والشيخ المحدث عبد الرحمن الأنصاري، والمولوي محب الله. وتتلمذ في الشعر على أسد الله خان غالب واختص به، وله مصنفات جليلة منها: «حياة جاويد» فى سيرة السيد أحمد خان، و «حياة سعدى» في سيرة الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي، و «يادكار غالب» في سيرة أستاذه غالب، وشكوهء هند. ومن أشهر مصنفاته «المد والجزر فى الإسلام» المعروف بمسدس حالي، وله مقدمة في الشعر وديوان الشعر بالأردو، وله أبيات رائقة رقيقة بالعربية والفارسية، وهو أول من اخترع أسلوبا جديدا فى الشعر الأردي.
توفي سنة ١٣٣٣هـ ببانى بت.
ينظر: تلامذه غالب، مالك رام ٨٣-٨٨، كوه نور برنتنك بريس، دهلي ١٩٥٧هـ، الإعلام ٣/ ١١٩٢.

٢- هو الشيخ المحدث: عبد الغني بن أبي سعيد بن الصفي العمري الدهلوي، ولد في ١٢٣٥هـ بمدينة دهلي، حفظ القرآن، ثم اشتغل بطلب الحديث والفقه، فقرأ على والده وعلى الشيخ إسحاق بن أفضل الدهلوي، وعلى الشيخ مخصوص الله بن رفيع الدين ثم سافر إلى الحرمين وأخذ عن علمائها كالشيخ محمد عابد السندي وأبي زاهد الرومي وغيرهما. ثم رجع إلى الهند، وبعد ثورة ١٨٥٧م هاجر إلى المدينة المنورة إلى أن توفي فيها سنة ١٢٩٦هـ.
له ذيل نفيس على «سنن ابن ماجة» سماه «إنجاح الحاجة» (الإعلام ٣/ ١٠٢٤، تاريخ دار العلوم ديوبند ١/ ٩٥).

٣- ضميمه أردو كليات نظم حالي، ص١٢٥-١٢٨.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لَأَصْبَحَ يَوْمُ الْبَيْنِ كَاللَّيْلِ مُظْلِمَا … كَأَنَّ صَبَاحِيْ قِطْعَةٌ مِنْ غَيَاهِبِ

كَمَا أَظْلَمَ الدِّهْلِيْ بِتَغْرِيْبِ كَوْكَبٍ … مُضِيْءٍ عَلَى عَرَبٍ، عَنِ الْهِنْدِ عَازِبِ

عَرُوْفٍ غَزِيْرِ الْعِلْمِ هَادٍ وَمُرْشِدٍ … جَلِيْلِ الْمَسَاعِيْ، مُسْتَفِيْضِ الْمَنَاقِبِ

صَبُوْرٍ عَلَى الْبَلْوَى، شَكُوْرٍ عَلَى اللُّهَى … نَفُوْرٍ مِنَ الدُّنْيَا، إِلَى الْحَقِّ رَاغِبِ

مَدَارِ كَمَالٍ، مُقْتَدَى كُلِّ كَامِلٍ … مَحَطِّ رِحَالٍ، مُنْتَهَى كُلِّ طَالِبِ

إِذَا مَا قَضَى عَدْلٌ، صَدُوْقٌ إِذَا رَوَى … مُصِيْبٌ إِذَا أَفْتَى، إِذَا قَالَ صَائِبُ[١]

وَحِيْدُ الْوَرَى، عَبْدُ الْغَنِيِّ الَّذِيْ لَهُ … أَوَائِلُ مِرْآةٍ لِكَشْفِ الْعَوَاقِبِ

يَقُوْمُ غَبِيٌّ جَالَسَ الشَّيْخَ سَاعَةً … بِقَلْبٍ ذَكِيٍّ مُطْمَئِنٍّ مُرَاقِبِ

وَتَرْجِعُ رَجْعاً قَهْقَرَى دُوْنَ بَابِهِ … ضَلَالَةُ ضِلِّيْلٍ وَخَيْبَةُ خَائِبِ

بِدَايَتُهُ أَقْصَى نِهَايَاتِ مُنْتَهٍ … نِهَايَتُهُ قُصْوَى عِنَايَاتِ وَاهِبِ

مَهَابَتُهُ فِيْ نَفْسِ إِلْفٍ وَوَامِقٍ … إِرَادَتُهُ فِيْ قَلْبِ عَادٍ وَجَانِبِ

هُوَ السَّابِقُ الْغَايَاتُ مِنْ صَاعِدِي الْعُلَى … إِلَى رَحْلِهِمْ لَا يَنْتَهِيْ سَيْرُ رَاكِبِ

كَرَامَاتُهُمْ مَشْهُوْرَةٌ فِيْ مَشَارِقٍ … مَقَامَاتُهُمْ مَذْكُوْرَةٌ فِيْ مَغَارِبِ

لَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ … بِمَوْهِبَةِ الرَّحْمَنِ خَيْرِ الْمَوَاهِبِ

صِيَانَتُهُمْ مِنْ كُلِّ طَاغٍ وَعَانِدٍ … إِذَا غَلَبُوْا فِي الْهِنْدِ كُلَّ أَغَالِبِ

وَمِمَّنْ يَصُدُّوْنَ السَّبِيْلَ أَمَامَهُمْ … وَكَمْ خَلْفَهُمْ إِذْ هَاجَرُوْا مِنْ مُعَاقِبِ

فَلَمَّا أُحِيْطُوْا إِنَّمَا كَانَ حَوْلَهُمْ … نِصَالُ الْعَوَالِيْ أَوْ ذُبَابُ الْقَوَاضِبِ

١- وقع الشاعر هنا في الإقواء.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَـمَّــا أَتَى نَصْـرٌ مِـنَ اللهِ بَغْـتَــةً ... لَــقَدْ سَابَقُوْهُمْ مُعْجِزِيْ كُلِّ نَــاهِبِ

مَــدَحْنَا بِمَا اختصَّ الْوَرَى مِنْ مَــرَاتِبٍ ... وَفِي الــشَّيْخُ شَـانٌ فَوْقَ تِلْكَ المَــراتِبِ

سَــيَنْفَدُ دُوْنَ الِابْتَــدَاءِ بِـوَصْـفِهِ ... أَقَــاوِيْلُ وَصَّــافٍ وَأَوْصَافُ كَــاتِبِ

وقد اشتملت هذه القصيدة على مبالغات كادعائه في البيت الأخير أن القدرة البيانية سوف تنتهي قبل الوصول إلى بدايات بيان فضله، وهذا لا ريب مبالغ وإطراء، كما نراها أيضاً في قوله :

بــدايته أقــصى نهـايــاتِ منتــهٍ ... نهــايتُه قصوى عنـايــاتِ واهـب

وقول الشاعر: «بدايته أقصى نهاياتِ منتهٍ» فيه نظر لأن هناك شخصياتٍ أخرى نالوا وفازوا من المراتب مالا مطمع فيه لغيرهم، كالنبوة والرسالة وغيرها.كما أن قوله : «نهاياته قصوى عنايات واهب» فيه نظر أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى لا نهاية لخزائنه، لو أعطى كل خلق مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئاً.

وللشيخ عبد الجبار بن بدر الدين عمر فوري قصيدة في مدح أستاذه الشيخ المحدث نذير حسين الدهلوي يمدحه فيها بغزارة علمه، ودقة فهمه وإحيائه للسنة، وقضائه على البدعة وهدايته للناس إلى طريق الصواب، وأنه لا يوجد له مثيل في عصره، يقول[1]:

إِنَّ الثَّنَــاءَ عَــلَى رَفِيْعِ الشَّــانِ ... نُــوْرِ الأَنَــامِ وَمَفْــخَرِ الــدَّوْرَانِ

مِصْبَــاحِ إِتْقَــانٍ وَضَوْءِ كَــرَامَةٍ ... شَمْسِ الْعُلُــوْمِ وَمَرْكَــزِ الْعِرفَــانِ

هَــادٍ لِأَرْبَــابِ النُّهَى طُرُقَ الْهُــدَى ... مُحْـيِـيْ كَــلَامِ الْحَــقِّ بِالْــبُرْهَــانِ

نَهْــرٌ تَبَجَّسَ مِــنْ يَنَــابِيْعِ الْهُــدَى ... يَــرْوِيْ وَيُطْـفِيْ غُــلَّةَ الْعَطْشَــانِ

هُــوَ سَيِّــدٌ ذُوْ عِــزَّةٍ وَجَلَالَــةٍ ... وَمُـحَــدِّثٌ وَمُفَـسِّــرٌ لِلْــقُرْآنِ

هُــوَ فَــاضِلٌ مُتَــوَقِّدٌ أَفْكَــارُهُ ... عَــلَّامَةٌ، فَهَّــامَةٌ، ذُو الــشَّانَ

١- الإعلام ٣/ ١١٩٩-١٢٠٠.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

سِكِّيْنُهُ نَحَرَ الضَّلاَلَةَ وَالْهَوَى ... صَمْصَامُهُ أَفْنَى ذَوِي الطُّغْيَانِ

جَمُّ الْعُلُوْمِ بِقَضِّهَا وَقَضِيْضِهَا ... فَيْضَانُهُ قَدْ عَمَّ فِي الْبُلْدَانِ

فَاقَ الأَكَابِرَ فِي التَّبَحُّرِ وَالتُّقَى ... مَا مِثْلُهُ فِيْ هَذِهِ الأَزْمَانِ

أَجْرَى عُلُوْمَ الدِّيْنَ بَعْدَ عَفَائِهَا ... وَمَحَا رُسُوْمَ الْبِدَعِ وَالْكُفْرَانِ

أَحْيَا طَرِيْقَ الْحَقِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ ... وَوُجُوْدُهُ مِنْ آيَةِ الرَّحْمَنِ

ومما يلاحظ أن قصيدة حالى تبدأ بمقدمة غزلية طويلة، بينما قصيدة عبد الجبار تبدأ بدون تمهيد، وتنصب في الغرض الأصلي مباشرة، وهناك قصيدة للشيخ أنور شاه الكشميري في مدح شيخه رشيد أحمد الكنكوهي يذكر فيها سعة علمه، وتبحره في شتى مجالات العلم، وفقهه وورعه وزهده، وجوده، وهمته، وغيرها من مناقب عديدة، ويختم بالدعاء له، ونلاحظ أن الشيخ أنور شاه بدأ هذه القصيدة بمقدمة ربيعية كعادته في أغلب قصائده وهي سمة بارزة في أغلب قصائده وقصائد تلاميذه كالشيخ إعزاز علي الديوبندي والشيخ محمد يوسف البنوري يقول الشيخ أنور شاه في هذه القصيدة[1]:

قِفَا يَا صَاحِبَيَّ عَنِ السِّفَارِ ... بِمَرْأَى مِنْ عَرَارٍ أَوْ بِحَارِ

يَسِيْرُ بِنَشْرِهَا نَفَحَاتُ أُنْسٍ ... وَرَيَّا عِنْدَ مُحْيِي مِنْ قِطَارِ

يَفِيْضُ لِرَوْحِهَا رَشَحَاتُ قُدْسٍ ... حَيَاةً لِلْبَرَارِيْ وَالْقِفَارِ

وَقَدْ عَادَتْ صَبَاهَا مِنْ رُبَاهَا ... بِأَنْفَاسٍ يَطِيْبُ بِهَا الصَّحَارِيْ

فَيَسْرِيْ فِيْ قُلُوْبِ الصَّبِّ وَجْدٌ ... بِأَطْرَافِ الْحَدِيْثِ لَدَى اعْتِبَارِ

أَطِيْبُ لِنَشْرِهِ نَفَساً وَنَفْسًا ... فَأَرْوِيْ مِنْ رِوَايَاتِ الْكِبَارِ

أُتَابِعُهُمْ وَيُمْلِيْنِيْ دُمُوْعِيْ ... حَدِيْثِيْ مِنْ شُيُوْخِيْ لاِدِّكَارِ

١- القاسم شوال ١٣٣٠هـ، ص٢-٤، الإعلام ٣/ ١١٩٩-١٢٠٠.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَجَلُّهُمْ وَأَبْجَلُهُمْ مُقَاماً	أَبُو مَسْعُوْدِهِمْ جَبَلُ الْوَقَارِ
لَقَدْ فَرَعَ الْوَرَى عَمَلاً وَعِلْمًا	مَكَارِمُ سَاعَدَتْ كَرَمَ النِّجَارِ
إِمَام، قُدْوَةٌ، عَدْلٌ، أَمِيْنٌ	وَنُوْرٌ مُسْتَبِيْنٌ كَالنَّهَارِ
فَقِيْهٌ، حَافِظٌ، عَلَمٌ، شَهِيْرٌ	كَصُبْحٍ مُسْتَنِيْرٍ هَدْيَ سَارِ
إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى حِفْظاً وَفِقْهاً	وَأَضْحَى فِي الرِّوَايَةِ كَالْمَدَارِ
فَفِيْ التَّحْدِيْثِ رِحْلَةُ كُلِّ رَاوٍ	وَفِي الأَخْبَارِ عُمْدَةُ كُلِّ قَارِيْ
فَقِيْهُ النَّفْسِ، مُجْتَهِدٌ، مُطَاعٌ	وَكَوْثَرُ عِلْمِهِ بِالْخَيْرِ جَارِيْ
وَأَحْيَا سُنَّةً كَانَتْ أُمِيْتَتْ	وَإِذْ وَضُحَ النَّهَارُ فَلاَ تُمَارِيْ
وَأَصْبَحَ فِي الْوَرَى صَدْراً وَبَدْرًا	مُنِيْرًا وَارِيًا حَلكَ التَّوَارِيْ
وَأَصْبَحَ مُفْرَداً عَلَمًا رَفِيْعاً	كَرَفْعِ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ الْمَنَارِ
وَآيَةُ رَحْمَةٍ فَضْلاً وَفَيْضاً	عُبَابًا مُسْتَطَابًا لِلْقَوارِيْ
وَغُرَّةُ دَهْرِهِ عِلْمًا وَدِيْنًا	طِرَازَ زَمَانِهِ مِثْلَ النُّضَارِ
يَقُوْمُ لِشُكْرِهِ آثَارُهُ فِيْ	مَدَارِسَ أَوْ مَسَاجِدَ كَالدَّرارِيْ
مَتَى مَا جَادَ جُوْدٌ قَامَ شُكْراً	لَهُ الْعَزَمَاتُ مِنْ بَادٍ وَقَارِ
فُضَيْلُ زَمَانِهِ وَرَعًا وَزُهْدًا	وَحَاتِمُ عَصْرِهِ عِنْدَ امْتِيَارِ
كَأَنَّ جَبِيْنَهُ بَدْرٌ مُبِيْنٌ	تَهَلَّلَ نُوْرُهُ عِنْدَ الزوَارِ
وَهِمَّتُهُ كَصُبْحٍ مُسْتَطِيْرٍ	أَوِ الْغَيْثِ الْمُغِيْثِ لَدَى انْتِظَارِ
وَدَارَ مَعَ اسْتِقَامَتِهِ مَدَارًا	أَصِيْلُ الأُصلِ مُحْمَرَّ الزِّمَارِ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَـــرَحْمَةُ رَبِّـــهِ أَبَـــدًا عَلَـــيْهِ ‌ ‌ ‌ وَطَـــابَ ثَرَاهُ مِنْ رِضْوَانِ بَـــارِيْ

وللشيخ محمد كفايت الله مديح في شيخه العلامة محمود الحسن الديوبندي[1] بدأها بمخاطبة مالطة[2] التي كان أسيراً فيها ويبشرها بنـزول هذا الضيف الكريم وما ترتب عليه من آثار جليلة مثل عمرانها بتقوى الله وذكره تعالى، ولم تكن قبله إلا خالية من ذكر الله – سبحانه وتعالى – خاملة الذكر، ويطلب منها أن تكون له سلاماً، ثم يبدأ بتعداد مناقب الممدوح من زهده وورعه وتقواه، ويرى أنه ليس من الجناة الذين يسجنون لإفسادهم في الأرض، بل إنما استحق هذه المفخرة، لأنه من ورثة الأنبياء، وقد أسر من قبله نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ في سجن مصر بغير ذنب منه، ويختم قصيدته بالدعاء له بالنصر والعزة والكفاية من الله، يقول[3] :

أَلاَ يَـــا مَالْـطَهْ طُـوْبى وَبُشْـــرى ‌ ‌ ‌ ثَـوَى بِكَ مَنْ مَحَـــا آثَـــارَ كُـفْرِ

وَلَمْ تَـــكُ قَبْـــلَهُ إِلاَّ خَرَابًـــــا ‌ ‌ ‌ خُمُـــوْلاً غَـــيْرَ مَعْرُوْفٍ بِخَـــيْرِ

فَلَـمَّا حَلَّـــهَا عَـــادَتْ رِيَاضًـــا ‌ ‌ ‌ مُنَضَّـــرَةً مِـــنَ التَّقْـــوَى وَذِكْـــرِ

١- هو الشيخ العلامة المحدث: محمود حسن بن ذو الفقار علي الحنفي الديوبندي، ولد سنة ١٢٦٨هـ، تتلمذ على مولانا السيد أحمد الدهلوي، ومولانا يعقوب النانوتوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ولازمه، وأجازه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في التصوف.

ولي التدريس في دار العلوم ديوبند سنة ١٢٩٢هـ وولي فيها رئاسة التدريس سنة ١٣٠٥هـ.

وكان قد وضع خطة لتحرير الهند من الإنجليز، باستعانة الحكومة الأفغانية والخلافة العثمانية، وسافر إلى الحجاز وقابل الولاة العثمانيين قواد الجيوش العثمانية هناك، لكن ألقت الحكومة الإنجليزية القبض عليه وهو في مكة مستعينة بواليها، ونفته إلى «مالطة» مع مجموعة من أصحابه وتلامذته، فمكث هناك أكثر من ثلاث سنين، فلما عاد إلى الهند استقبله الناس استقبالاً عظيماً، ولقبوه بشيخ الهند، واشتهر هذا اللقب حتى غلب على اسمه.

ولم يستقر في وطنه بعد العودة من منفاه، بل أخذ يجول في أقطار الهند، يحث المسلمين على مقاطعة الاستعمار البريطاني، ووضع حجر أساس الجامعة الملية الإسلامية في علي كره، وما زال في خدمته للمسلمين حتى وافاه الأجل سنة ١٣٣٩هـ، ودفن في ديوبند. (الإعلام ٣/ ١٣٧٩).

٢- اسم جزيرة تلي جزيرة صقلية، وكانت خربة غير آهلة، (الروض المعطار في خير الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميدي ،ص٥٢٠، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان – بيروت ١٩٧٥م)، وكان الإنجليز قد حولوها سجناً ومنفى للأسرى السياسيِّين.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٣٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مُكَــلَّلَةً بِــأَزْهَــارِ الْـمَزَايَـــا وَأَزْهَــارُ الْـمَزَايَــا خَــيْرُ زَهْــرِ

أَلاَ يَـــا مَالَــطَهْ كُــوْنِيْ سَلاَمــاً عَـلَى مَحْمُوْدِنَــا الــرَّاضِيْ بِقَــدْرِ

إِمَــامُ الْـخَلْـقِ قُــدْوَتُهُمْ جَمِيْعًــا لَـــهُ كَـرَمٌ إِلَى الآفَــاقِ يَسْــرِيْ

جُنَيْــدُ الْعَصْــرِ، سِــرِّيُّ الزَّمَـــانِ غُيُــوْثُ فُيُوْضِــهِ تَهْــمِيْ وَتَسْــرِيْ

فَــرِيْدٌ فِيْ خَـــلاَئِقِهِ الْــعِـذَابِ وَحِــيْدٌ فِي التُّقَى مِـــنْ غَـيْرِ فَــخْرِ

أَشَـــدُّ النَّـــاسِ أَمْثَلُــهُمْ بَـــلاءً فَيَـــا شَمْسَ الْـهُدَى يَـا طَـوْدَ صَـــبْرِ

ذَكَـــرْنَا يُـــوْسَفَ الصِّـدِّيْقَ لَـمَّـــا أُسِــرْتَ بِغَـــيْرِ إِسْتِحْقَاقِ أَسْـــرِ

لِـحَـــرِّ الْـــبَيْنِ فِيْ صَـــدْرِ الْـكَئِيْبِ تَفِيْــضُ دُمُــوْعُــهُ حُمْـــراً كَــجَمْرِ

سَيُنْـــزِلُكَ الْــــعَزِيْزُ مَحَــــلَّ عِــزٍّ وَيَنْصُـــرُكَ النَّصِــيْرُ أَعَـــزَّ نَصْـــرِ

سَيَـــكْفِيْكَ الإِلَهُ فَـــأَنْتَ مَـــرْءٌ كَفَـــاكَ اللهُ قُدُمًـــا كُــلَّ شَـــرِّ

وللشيخ أبي الحسن الصديقي[1] أيضاً مديح في أستاذه الشيخ أنور شاه الكشميري بدأها بالغزل وذكر فراق الأحبة وما أصابه بسببه من شدة ولوعة، ثم يتخلص بذكر الممدوح ويذكر علمه وفضله وما له من مكانة عظيمة عند أساتذته وأحبابه وأعدائه، ويدعو له بدوام التوفيق، ويختم القصيدة بالاعتذار على التقصير في المدح، فيقول:

مَـــرَرْتُ عَــلَى أَطْــلاَلِ لَيْــلَى مُبَكِّيًــا وَقَـــلْبِيْ عَلَى هِجْرَانِهَـــا يَتَمَلْمَـــلُ

فَقَــالُوْا -هَدَاكَ اللهُ- لاَزِلْتَ جَازِعًــا تَعَــزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْـحُـرِّ أَجْمَـــلُ

فَـــإِنْ كُنْتَ مَكْرُوْباً فُجِعْتَ بِفَقْــدِهِ فَـــلَيْسَ عَــلَى رَيبِ الــزَّمَانِ مُعَــوَّلُ

وَإِنَّ حَيَـــاتِيْ بِالدِّيَـــارِ وَأَهْلِهَـــا فَــكَيْفَ الــتَّعَزِّيْ وَالأَحِبَّــةُ تَرْحَــلُ

١- لم أعثر له على ترجمة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَيَــا عَــيْنُ جُــوْدِيْ بِالدُّمُوْعِ سَوَاكِبًا ... عَــلَى فَقْدِ أَحْبَابٍ مَضَـوْا وَتَرَحَّلُــوْا
وَدَعْ ذِكْــرَ شَيْبٍ ثُمَّ دَعْ ذِكْــرَ صَــبْوَةٍ ... وَيَــمِّمْ إِلَى مَنْ بِالْعُــلُوْمِ مُكَــلَّلُ
وَمَــنْ نَوَّر اللَّيْــلَ الْبَهِيْمَ ضِيَــاؤُهُ ... وَمَــا هُوَ إِلاَّ" أَنْــوَرٌ" يَتَهَــلَّلُ
أَغَــرُّ كَضَوْءِ الشَّمْسِ وَالشَّمْسُ طَــالِعٌ ... وَأَبْيَــضُ مِفْضَــالٌ كَــرِيْمٌ مُفَضَّــلُ
وَمَحْـمُـوْدُ مَحْـمُـوْدٍ وَشَيْـخُ طَـرِيْقَــةٍ ... وَهَــذَا لِمَــنْ شَــاءَ الإِلَـهُ يُفَضِّــلُ
شَدِيْدٌ عَــلَى الأَعْدَاءِ مِنْ غَيْرِ خَشْــيَةٍ ... رَحِــيْمٌ عَلَى الأَحْبَابِ طُـرًّا مُسَهِّــلُ
فَــمَوْلاَيَ لاَ زَالَتْ شُمُوْسُ فُيُوْضِــكِمْ ... مَــتَى كَــانَتِ الأَيَّــامُ فِيْنَــا تَبَــدَّلُ
فَــوَاللهِ مَــا أَدَّيْتُ حَقَّــكَ نَاشِــداً ... وَمَــا قُــلْتُ شَيْئًا فِيْكَ، هَلْ أَنْتَ تَقْبَــلُ ؟

وواضح جداً في هذه القصيدة تأثر صاحبها بالشعراء العرب القدامى، حتى ضمن أشطرا من قصائد الأقدمين.

وكل هؤلاء الممدوحين والمادحين كانوا من المشتغلين بالدراسات الدينية مع زهدهم عن الدنيا، وميلهم إلى التصوف، وهم المعروفون بالإرشاد الديني مع مشاركاتهم المشهودة فيما يجري حولهم من الأحداث السياسية الضخام، ومحاولة قيادة الناس بمنظور ديني خالص.

وهناك نوع من الممدوحين قد تربوا ونشأوا في بيئة سابقة ولكنهم اختاروا جبهة أخرى لخدمة الإسلام والمسلمين، واجتهدوا فأصابوا وأخطأوا واختلف الناس فيهم، وعلى رأس هؤلاء سرسيد أحمد خان[1] مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية في عليكرة،

١- هو أحمد بن المتقي بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني النقوي الدهلوي، ولد ١٣٣٢ هـ في دلهي، جدّ في طلب العلم، فأتقن العربية والمنطق والهندسة، والطب، كما تعمق في الفقه والأصول والأدب العربي أيضاً.
تولي القضاء لفتحبور سيكري، ولقبه بهادر شاه المغولي بـ«جواد الدولة عارف جنك»، أصدر مجلة تهذيب الأخلاق لدعوة المسلمين إلى الاستفادة من العلوم الحديثة، وأنشأ مدرسة العلوم في علي كره لهذا الغرض نفسه، واشتهرت المدرسة فيما بعد بـ جامعة عليكرة الإسلامية.



وقد مدحه كثيرون كما عارضه كثيرون أيضاً وعلى رأس من مدحه العلامة شبلي نعماني[1] شريكه وعضده في حركة الإصلاح التعليمي وحركة جامعة عليكرة بدأ قصيدته بذكر تلك الأحوال المؤسفة التي كانت تعيشها الأمة المسلمة في الهند، ثم ذكر محاولات سيد أحمد خان في إصلاح تلك الأحوال، وما أعطي من نصح لأمته، ومنـزلته بين الأنام إذ ينتهى نسبه إلى سيد البشر – عليه الصلاة والسلام –.

ويدعوه إلى مواصلة واستمرار مساعيه، غير مبال بالمعارضات والمجازاة بالسوء، يقول:

اَلْمَـجْدُ يَصْحَبُ عِلْمًا حَيْثُمَا يَصِلُ ... وَالْعِلْمُ عَنْ قَوْمِنَا لاَزَالَ يَرْتَحِلُ

نَالُوا مِنَ الذُّلِّ مَا لاَ نَالَهُ أَحَدٌ ... إِذْ لاَ يُرَى فِيْهِمُ عِلْمٌ وَلاَ عَمَلُ

وَلاَ تَزَالُ تَرَى يَنْشَتُّ شَمْلُهُمْ ... فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيَلُ

لاَ يَرْغَبُوْنَ إِلَى مَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ ... فَجُلُّ صَنْعَتِهِمْ لِلْغَيِّ وَالْخَطَلِ

تَرَاهُمُ الْيَوْمَ فِيْ كَأَبٍ وَفِيْ قَلَقٍ ... فَلاَ أَفَادَ فَتِيْلاً مَا بِهِ اشْتَغَلُوْا

منحته الحكومة الإنجليزية سنة ١٣٠٦هـ وسام «نجم الهند».

له «آثار الصناديد» في تاريخ دلهي، وتاريخ بجنور، وصحّح «آئين أكبري»، وكتب عليه حواشيَ مفيدة، والخطبات الأحمدية، وغيرها من المصنفات.

توفي سنة ١٣١٥هـ. (الإعلام ٣/ ١١٧٧).

١– هو الشيخ الفاضل شبلى ابن حبيب الله البندولي، ولد سنة ١٢٧٤هـ بقرية بندول من أعمال « أعظم كره »، وقرأ على مولانا فاروق بن علي العباسي الجرياكوتي، ثم سافر إلى رامفور وأخذ عن الشيخ إرشاد حسين العمري الرامفوري، ثم ذهب إلى لاهور، وأخذ عن الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، وقرأ الحديث على الشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنفوري، ولي التدريس في مدرسة العلوم في عليكرة، وصنف في تلك الفترة سيرة الخليفة العباسي محمد المأمون، وسيرة النعمان في سيرة الإمام أبي حنيفة وكتابه الجزية وحقوق الذمين، وكتابا في تاريخ العلوم الإسلامية وتعليماتهم وكلها لقيت القبول، وحصلت له شهرة عظيمة في بلاد الهند، وسافر إلى بلاد الروم والشام ومصر، وأعطاه السلطان عبد الحميد العثماني النيشان من الطبقة الرابعة، ولما رجع إلى الهند لقبته الدولة الإنجليزية « شمس العلماء» ثم سافر إلى حيدر آباد وتولى نظارة العلوم والفنون لمدة خمس سنين، ثم ترك الخدمة، وتولى نظارة دار العلوم ندوة العلماء في لكهنؤ مدة ثمانية أعوام، ومن مصنفاته : كتاب في سيرة الفاروق –رضي الله عنه– وله شعر العجم في خمسة مجلدات، وله كتاب في الانتقاد على مقالات جرجي زيدان في التمدن الإسلامي بالعربية، وديوان الشعر الفارسي، ومن مصنفاته المجلد الأول من السيرة النبوية، وكتب أخرى قيمة .

توفي سنة ١٣٣٢هـ. ببلدة أعظم كر ه . (الإعلام ٣ / ١٢٤٢ ، وحياة شبلي للسيد سليمان الندوي. ط مطبعة معارف، أعظم جرهـ الهند ١٣٦٢هـ، وماهنامه «أفكار ملي» دهلي، مسلم شخصيات نمبر ، ص ١٢٢–١٢٣، يوليو ٢٠٠٥م).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لاَ يَنْتَهُوْنَ وَقَدْ ذَاقُوْا وَبَالَهُمُ ... مِنْ سُوْءِ صُنْعٍ فَقَدْ بَاؤُوْا بِمَا عَمِلُوْا

وَهَلْ يُجَازِيْهِمُ إِلاَّ بِمَا اكْتَسَبُوْا ... مَنْ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ الأَحْكَامُ تَنفَصِلُ

فَمَنْ سَعَى الْيَوْمَ فِيْ إِصْلاَحِ حَالِهِمُ ... فَاللهُ جَازِيْهِ يَوْماً يُقْطَعُ الأَمَلُ

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِيْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ... قُلْتُ : الإِمَامُ الْهُمَامُ السَّيِّدُ الْبَطَلُ

هُوَ الَّذِيْ فَاقَ فِي الآفَاقِ مَنْزِلَةً ... وَنَالَ مَا لَمْ تَنَلْهُ الأَعْصُرُ الأُوَلُ

مَنْ أَقْبَلَ الدِّيْنُ وَالدُّنْيَا عَلَيْهِ مَعًا ... وَالآنَ فِيْ نُجْحِ مَا قَدْ رَامَ مُشْتَغِلُ

نَالَ الْمَكَارِمَ مِنْ آبَائِهِ وَمَشَى ... فِي الْمَكْرُمَاتِ عَلَى آثَارِ مَا فَعَلُوْا

فَجَدُّهُ سَيِّدُ الأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ ... قَدْ قَالَ: "يَا أُمَّتِيْ" لَمَّا دَنَا الأَجَلُ

وَهَكَذَا صُنْعُ هَذَا السَّيِّدِ الْعَلَمِ ... يَقُوْلُ: "يالهفَ قومِي، بِئْسَ مَاعملُوْا"

يَا خَيْرَ مَنْ سِيطَ حُبُّ الْقَوْمِ مِنْ دَمِهِ ... أَحْسِنْ وَلاَ تبتئِسْ مِنْ سُوْءِ مَا عَمِلُوْا

أَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَلَوْ جَازُوْكَ سَيِّئَةً ... وَلاَ تُبَالِ بِمَا قَالُوْا وَمَا فَعَلُوْا

ويمدحه حكيم عبد المجيد[1] ويصوب رأيه ويشيد بجزمه، وعزمه، كما ينوه بزملائه ومن ساعدوه في حركته التعليمية، يقول[2]:

أَيَا مَنْ لَيْسَ مِثْلُكَ فِي الرِّجَالِ ... لَقَدْ نِلْتَ الْمَرَامَ بِكُلِّ حَالِ

وَقَدْ أُوْتِيْتَ مَكْرُمَةً وَعِزًّا ... وَرَأْياً صَائِباً مِنْ ذِي الْجَلاَلِ

هَدَيْتَ لَنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيْمًا ... إِلَى كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِيْ

١- هو الحكيم عبد المجيد بن الحكيم محمود خان، ولد سنة ١٢٦٦هـ وأخذ الصناعة الطبية من أبيه حتى برع فيها، وعين طبيب الحاكم الإنجليزي في دلهي.
كان يساند السيد سيد أحمد خان في حركته التعليمية، كما كان يقود حركة نشر الطب اليوناني.
توفي سنة ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠١م، (حيات أجمل ١٨-٢٧ قاضي عبد الغفار، مدينه بريس، بجنور، التاريخ غير مذكور).
٢- روداد محمدن ايجوكيشنل كانفرنس إجلاس سوم ١٨٨٨م ، ص ١٢٨ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

مَـــــوَاعِظُكَ الْبَلِيْغَةُ مُعْجِـــــزَاتٍ سَـــحَرَتَ الْقَـــوْمَ بِالسَّـحْرِ الْـحَــــلاَلِ
لَــــقَدْ نَبَّهْتَنَـــــا عَــنْ نَوْمِ جَهْــلٍ وَكُــــنَّا فِيْ ظَلاَمَـــــاتِ الضَّـــــلاَلِ
حَــــزَمْتَ الْعَزْمَ لِلْفَـــوْزِ الْكَبِـــيْرِ وَلَــوْ سَبَّتْـــكَ سُفْهَاءُ الرِّجَـــالِ[1]
أُتِـــــيْتَ بِــرِفْقَةٍ إِخْــوَانِ صِــــدْقٍ أُوْلِيْ ذَوْقٍ سَلِـــــيْمٍ وَالْــــكَمَالِ
لِـــنَفْعِ حُمَــــاةِ دِيْنِ الْحَـــقِّ جَمْعًــــا هُــمُ السَّـــاعُوْنَ بِالْهِمَمِ الأَعَـــالِيْ
وَكُـــــلٌّ مِنْــهُـــمُ ذَمِـــرٌ ذَكِـــيٌّ وَفَحْـــلُ الْعِـلْمِ بِالْـعَذْبِ الْـمَقَـــالِ
وَسَيِّـــدُ قَوْمِنَــا فِـــيْهِمْ كَــبَــــدْرٍ يُضِـــيْءُ بِـحُسْـنِ قَــوْلٍ وَالفِعَـــالِ

المبحث الثالث

الرثاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل : رثاء العظماء

المطلب الثاني : رثاء الأقارب

الرثاء أصدق عواطف الإنسان تعبيرا، وأجلها تصويرا، وألصقها بالنبع الخالد، نبع الوجدان الدفاق، وإن الحبيب عندما يفقد حبيبه يسكب من الدموع أغزرها، ومن العبرات أشجاها، ومن الهموم أشدها خطبا، وأفظعها إيلاما، وأعمقها حسرة، كيف لا وهي عشرة حياة طويلة في ظاهرها، قصيرة في جوهرها، والنفس تميل إلى من تألفه وتعشقه...يقول الرسول ﷺ : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف[2]».

والرثاء أصدق فنون الشعر العربي قاطبة؛ ذلك لأنه يخاطب عزيزا فارق الحياة، أو ملكا

١– سكن الشاعر «فاء» السفهاء لضرورة الحفاظ على سلامة الوزن.

٢– أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، عن عائشة رضي الله عنها (٣٣٣٦).



كان ملء السمع والبصر، أو دارا دارت عليها عوادي الزمن. وقد سئل أحد الأعراب: «لماذا تعدون الرثاء أصدق أشعاركم ؟» فقال : «لأننا نقولها وقلوبنا محترقة. [١]»، فالذي يرثي الفقيد لايبتغي أجراً كما يفعل أكثر شعراء المدح الذين يقولون لنيل عطاء، ولكن الراثي يعدد مناقب العزيز الذي فارق الحياة وفاء لحب سالف، والتزاماً بشعور كريم[٢].

وإذا نظرنا إلى هذا الغرض في الشعر العربي في الهند، وجدناه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول :رثاء العظماء من الملوك والعلماء وغيرهم.

القسم الثاني :رثاء الأقارب والأحبة من الأب والابن والزوجة وغيرهم .

وبناء على هذا انقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول : رثاء العظماء.

المطلب الثاني : رثاء الأقارب.

المطلب الأول

رثاء العظماء

رثى شعراء الهند كثيراً من علمائهم ومشائخهم، ولم يتطرقوا إلى رثاء الملوك والأمراء إلا نادرا، ذلك لأنَّ أغلب هؤلاء الشعراء - كما بينا سابقاً - كانوا ينتمون إلى بيئة دينية، ولم تكن لهم علاقات وطيدة مع الحكام والولاة، إلا الذين عرفوا باهتمامهم بأمور الدين، ورعايتهم لمصالح المسلمين، ومن هنا ندر رثاء الملوك والأمراء فى شعرهم ما عدا ملكا واحدا هو الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وذلك لمواقفه الجليلة فى خدمة الإسلام والمسلمين .

ولما استشهد الملك فيصل آل سعود- يرحمه الله - ووصل النعي الشيخ محمد ناظم الندوي رثاه رثاء حارّاً لما كان للفقيد من الأيادي البيضاء والمواقف الثابتة في الدفاع عن الإسلام، وخدمة المسلمين في شتى بقاع المعمورة، وقد بدأ رثاءه بذكر وقع هذه الفجيعة حتى عم الحزن والكآبة الكون كله، فالجو مغبر، والنجم كئيب حزين، والليل فى حداد،

١- العقد الفريد ٣/ ٢٢٨ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٢- الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ، د.محمود حسن أبو ناجي ص١٠ - ١١ ، مكتبة دار التراث المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والأفق فى سواد، والقلوب تكاد تتفطر، والعيون تذرف الدموع، يقول :

اَلْجَــوُّ مُغْبَرُّ الْجَـوَانِبِ أَحْـمَـرُ ... وَالنَّجْمُ مُكْتَئِبٌ ضَئِيْلٌ أَكْـدَرُ

وَاللَّيْلُ مَنْشُوْرٌ ثِيَابَ حِـدَادِهِ ... وَالأُفُقُ مُسْوَدُّ النَّوَاحِي أَغْبَرُ

نَبَأٌ أُذِيْعَ مِنَ الرِّيَاضِ[1] لَمُوْجِعٌ ... كَادَتْ لِوَقْعَتِهِ الْقُلُوْبُ تَفَطَّرُ

بَكَتِ الْقُلُوْبُ مَعَ الْعُيُوْنِ تَفَجُّعًا ... لِلْفَيْصَلِ الْمَرْحُوْمِ سَاعَةَ أَخْبَرُوْا

ثم يتحول الشاعر إلى تعداد مناقب الفقيد ومآثره، فذكر جوده، وسيادته، وحسن سياسته، وحبه لدى الشعوب، وقوة رأيه وحصافة عقله، وسداد تدبيره، وعزيمته، ومساعيه فى جمع شمل المسلمين، ونجدته للمستغيثين والمتضررين، ونظرته الثاقبة،وذكائه الخارق، وتفطنه لما يكاد حوله من مكائد، وتمكنه من الحيلولة دون وقوعها، يقول:

مَنْ لِلْخُطُوْبِ إِذَا الْخُطُوْبُ تَفَاقَمَتْ ... مَنْ لِلْمُصَابِ إِذَا الرَّزِيْئَةُ تُفْقِرُ

رَحْبُ الْجَنَابِ إِذَا الْوُفُوْدُ تَكَاثَرَتْ ... هَشُّ اللِّقَا، طَلْقُ الْمُحَيَّا، مُبْشِرُ

حَلاَّلُ مُعْضِلَةٍ إِذَا مَا أَعْضَلَتْ ... وَهَّابُ بِلْيُوْنٍ[2] إِذَا مَا أُعْسِرُوْا

شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ لِحَلِّ قَضِيَّةٍ ... كَشَّافُ ظُلُمَاتٍ إِذَا لَمْ يَبْصُرُوْا

وَمُحَبَّبٌ سَادَ الْقُلُوْبَ وَلاَؤُهُ ... وَمُدَبِّرٌ سَاسَ الرَّعِيَّةَ أَكْبَرُ

وَمُعَظَّمٌ عِنْدَ الشُّعُوْبِ مُبَجَّلٌ ... أَسْدَى مِنَ الْمَعْرُوْفِ مَا لاَ يُكْفَرُ

وَلَهُ مِنَ الأَيْدِيْ سَحَابٌ هَاطِلٌ ... عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ شُعُوْبًا تَشْكُرُ

فَضْلٌ أَصَابَهُمُ كَنَوْءٍ هَامِرٍ ... لاَ يَجْحَدُ إِلاَّ الْكَنُوْدُ الأَبْتَرُ[3]

١- عاصمة المملكة العربية السعودية.

٢- بليون: في بريطانيا: مليون مليون وفي الولايات المتحدة: ألف مليون، (الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، د. ف- عبد الرحيم،ص ٣٨، بيانات النشر غير متوفرة ١٣٩٣هـ١٩٧٥م).

٣- الكنود: الكفور بالنعمة (اللسان: كند).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَـــهُ مِـنَ الْعَقْلِ الْـحَصِيْفُ الأَوْفَـــرُ ... وَلَـــهُ مِنَ الرَّأْيِ الـنَّصِيْبُ الأَكْـــبَرُ

مَـــاضٍ إِذَا مَـــا حَـلَّ خَطْبٌ فَـــادِحٌ ... يَـــأْتِي مِـــنَ التَّدْبِـــيْرِ مَـــا هُوَ أَجْـــدَرُ

لاَ يَـــنْثَنِي بَعْـــدَ الْــعَزِيْمَةِ إِذْ دَرَى ... مَـــا قَدْ يَكِيْدُ لَـــهُ الْعَـــدُوُّ الأَحْمَرُ

وَسَـعَيْتَ لِلإِسْـــلاَمِ سَعْيَ مُـــؤَلِّفٍ ... يَبْـــغِي وِئَـــامًـــا لِلَّذِيْنَ تَدَابَـــرُوْا

وَجَمَـــعْتَ شَمْـلَ الْـمُسْلِمِيْنَ بِحِكْـمَةٍ ... عَـــادَ الْوِدَادُ بِهَا يَسُـوْدُ وَيَظْـــهَرُ

وَإِذَا دَعَـــاكَ أَخُـــوْكَ فِيْـمَا نَـــابَهُ ... لَـــبَّيْتَ دَعْوَتَـــهُ حَثِيْثًـــا تَنْصُـــرُ

وَنَـجَـحْتَ فِيْ مَسْعَـاكَ نُجْحَ مُظَـفَّرٍ ... وَفَـــلَلْتَ حَـــدَّ دَسِيْسَةٍ تَتَسَـــتَّرُ

بَصُـــرَتْ عُيُوْنُكَ بِالْـمَكَـائِدِ كُلِّـــهَا ... فَأَطْفَـــأْتَ نَـــارَ مَكِـــيْدَةٍ تَتَسَـــعَّرُ

ويقول إنه نجح في إحباط جميع المؤامرات التي حيكت ضده، ماعدا مؤامرة قتله، ويتأسف على القاتل، فيذكر أنه لايعرف قيمة هذا القتيل، ومكانة هذا الشهيد الذى غدر به، ويخاطب تلك الرمية التى أردته قتيلاً مضرجاً بالدم، ويرجو له نيل الشهادة عند الله الغفور، يقول:

إِلَّا الَّتِي حِيْـكَتْ لِقَتْـــلِكَ غِيْـــلَةً ... لَمْ يَـــدْرِ جَانِيْهَـــا بِمَنْ هُوَ يَغْـــدِرُ

يَـــا رَمْيَةً أَصْمَتْكَ تَضْـرُجُ بِالدِّمَـــا ... نِـــلْتَ الشَّهَـــادَةَ عِنْـــدَ رَبٍّ يَـــغْفِرُ

وبعد هذا الذكر الشامل لكثير من صفاته ومناقبه يتحول إلى التسلي والتعزي، ويرى أن من له مثل هذه المحامد، ومثل هذه المكارم لا يموت، بل يبقى له حياته لما خلف وراءه من ثناء جميل، وذكر عاطر، ويدعو الله له بالرحمة والمغفرة، ودخول الجنة، ويرجو لمثواه أن يسقيه السحاب، يقول:

إِنْ غَـــابَ عَنَّـــا فَهُوَ حَيٌّ بَيْنَنَـــا ... وَالْمَـــرْءُ طَبْعًـــا بِالْـمَحَـامِدِ يُذْكَـــرُ

رَدَّ الْحَـــيَاةَ لَـهُ جَمِيْـــلُ فِعَـــالِهِ ... فَصَـحِيْفَةٌ طُـوِيَتْ وَأُخْـرَى تُنْشَـــرُ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اَللهُ يَــرْحَمُهُ وَيَشْكُرُ سَعْيَهُ ... وَيَجُودُ مَضْجَعَهُ سَحَابٌ مَاطِرُ
نَرْجُوْ لَهُ غُفْرَانَ رَبٍّ غَافِرٍ ... فِيْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ حَيًّا يُحْبَرُ[1]

وتمتاز هذه الأبيات بحرارة العاطفة وصدقها، كما تمتاز بوضوح اللغة، وسهولة التراكيب، وسلاسة الأسلوب أيضا .

ومن هذا النوع من الرثاء أيضاً ما قاله الشيخ حبيب الرحمن العثماني في رثاء المولوي عبد الباقر الحيدرآبادي[2] يقول فيه [3]:

رُزْءٌ يُجِلُّ عَنِ السُّلُوِّ فَطَالاَ ... خَطْبٌ أَلَمَّ فَزَعْزَعَ الأَوْصَالاَ[4]
حَدَثٌ تَقَعْقَعَتِ الْقُلُوْبُ لِوَقْعِهِ ... ثَلَّ الْعُرُوْشَ فَزُلْزِلُوْا زِلْزَالاَ[5]
فُتَّتْ بِهِ الأَكْبَادُ وَانْصَدَعَ الْحَشَا ... لَمَّا رَأَوْهُ وَشَاهَدُوا الأَوْصَالاَ
عَبْدُ الْعَزِيْزِ لَهُ حَنِيْنٌ دَائِمٌ ... يُمْسِيْ وَيُصْبِحُ سَاهِراً مِعْوَالاَ
وَكَذَاكَ عَبْدُالْبَاسِطِ الْحَزَنُ الشَّجِيّ ... يَبْكِيْ غُدُوًّا هَائِمٌ آصَالاَ[6]

فبدأ القصيدة بذكر عظم الفجيعة التي حلت بهم بوفاة هذا الفقيد حيث إنَّ فقده مصيبةٌ أكبرُ من أن يُتسلّى عنها، ونائبة اهتزت منها القلوب، وثلث لها العروش، وزلزل الناس زلزالا، وتقطعت الأكباد وتمزقت القلوب لشدة هوله، ويذكر أن ابنيه عبد العزيز وعبد الباسط أصيبا بحزن مقيم، وهم جاثم، ثم انتقل بعد ذكر شدة وقع هذا الحادث إلى تعداد مناقب المرثي وبين من خلالها مكانته العالية حيث شبهه بالطود الراسخ، الثابت المكان، وأنه ملجأ الضعفاء والمساكين من الأرامل والأيتام، وأنه مضياف،

١- الزهرات، محمد ناظم الندوى،ص ٩-١٠.
٢- لم أعثر له على ترجمة.
٣- معين اللبيب ص٧٠ ، القاسم جمادى الأولى ١٣٣٦هـ، ص ١-٢.
٤- الأوصال : جمع وصل : المفصل أو مجتمع العظام. (المعجم الوسيط، مادة وص ل).
٥- تقعقع : تحرك واضطرب . (المعجم الوسيط).
٦- هائم: متحير. (القاموس : مادة هـ و م).



ومعين المحتاجين، يقوم بقضاء حوائج الناس فى وقت الضنك، ويحمل أثقال الآخرين ليخفف عنهم وطأتها، ومشاركة لهم فى آلامهم ومصائبهم ، يقول:

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ طَوْداً قَدْ هَوَى ... كَهْفُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ زَالاَ

مَنْ كَانَ يَخْفِضُ لِلضُّيُوْفِ جَنَاحَهُ ... دَأْبُ الْمُعِيْلِ إِذَا يَرُبَّ عِيَالاَ[1]

يَقْضِيْ لُبَانَةَ مَنْ يَلُوْذُ بِبَابِهِ ... إِذْ كَانَ رِفْدُ الْمُتْرِفِيْنَ سُعَالاَ

وَيَنُوْءُ بِالْعِبْءِ الثَّقِيْلِ لِجَارِهِ ... وَكَذَا الْكَرِيْمُ يُحَمَّلُ الأَثْقَالاَ

وهكذا يستمر في تعداد مناقبه وتبيان محاسنه، ويختم قصيدته بأن يدعو الله تعالى له أن يبوئه جنات النعيم، وأن يسقيه بفضله رحيقاً مختوماً وأن يكسوه حللاً بهيَّةً فضلا منه وإكراما، يقول :

بَوَّاهُ رَبُّ الْخَلْقِ مِنْ رِضْوَانِهِ ... وَحَبَاهُ رَوْضَاتِ الْجِنَانِ ظِلاَلاَ

وَسَقَاهُ مَخْتُوْمَ الرَّحِيْقِ بِفَضْلِهِ ... كَأْساً دِهَاقاً طَاهِراً وَحَلاَلاَ[2]

وَكَسَاهُ مِنْ ثَوْبِ الْبَهَاءِ كَرَامَةً ... حُلَلاً تَكِلُّ لَهَا الْعُيُوْنَ تِلاَلاَ[3]

ويلاحظ أنه ختم رثاءه ببيت يدل شطره الثانى على تاريخ وفاة المرثي[4] يقول :

وَإِذَا أَرَدْتَ سِنِي الْوَفَاةِ فَقُلْ لَهُمْ ... وَافَى وَأَوْفَى نُضْرَةً وَجَمَالاَ

ونجده يتبع المنهج في نفسه قصيدة له أخرى فى رثاء المرثي نفسه بدأها بقوله :

١– المعيل : من أعال : كثر عياله (المصباح المنير : مادة ع و ل)

٢– دهاقا: من دهق الكأس يدهق دهقا ودهاقا: ملأها.

٣– أصله تتلألأ.

٤– مما شغف به الشعراء في الهند استخراج مادة التواريخ لأحداث معينة بطريقة حساب الجمل، فلكل حرف عدد معين، وتجمع هذه الأعداد لحروف كلمة معينة أو شطر كامل أو بيت كامل فيوافق العام الذي حصل فيه الحادث.
كان الشعراء في الهند يتفاضلون فيه، وكانوا يولونه اهتماماً، أكثر في مراثيهم، حتى جرّهم هذا إلى تكلف ظاهر في كثير من الأحيان، ولم يكن هذا بدعاً لدى شعراء العربية في الهند، بل كان الشعراء قبلهم في العصرين المملوكي والعثماني في جميع الأقطار العربية أيضاً يهتمون به اهتماماً بالغاً، وهم الذين أورثوا الشعراء في الهند هذا التقليد العربي.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مَـــا بَالُ عَيْنِكِ كَالسَّحَابِ الْـمَــاطِرِ أَوْ مَـــا لِقَـلْبِكَ فِيْ جَنَاحَيْ طَـائِرِ[1]

وأغلب قصائد الرثاء فى الشعر العربى فى الهند كانت تسير على هذا المنوال من البدء بالتفجع وإظهار الألم الذى هو الندب ثم يعقبه التأبين وهو تعداد مناقب الميت وينتهى القصيد بالتعزي والدعاء للمتوفى بالمغفرة والرضوان، ولقبره بهطول الأمطار ونزول الغيث.

ومن أمثلته أيضا ما قاله الشيخ محمد إبراهيم مسقطي [2] فى رثاء الشيخ عبدالرحيم راي فوري[3] بدأه ببيان عظم المصيبة وشدة وقعها على نفسه حتى يقول إن دموعه لا تنقطع، وزفراته لا تنتهي، مع أنها لا تجدي، ولا تشفي من الحزن والغم، ويذكر أنه صابر جلد يتحمَّل المصائب، ويحتمل المشاق، ومع ذلك أوهنته المنايا، وأنهكت قواه، ويستنكر على أصحابه لومهم إياه على الاستمرار في الأسى، وطلب التجلد، يقول:

أَعِقْدُ الثُّرَيَّا سِلْكُهُ اخْتَلَّ مِنْ عَــلِ تَتَــابَعَ نَجْمٌ ثُمَّ نَجْمٌ بِجَـنْدَلِ

تَسَــاقَطَ دُرٌّ ثُــمَّ دُرٌّ مُجَــلَّلٌ لِسِمْــطٍ يَـمَانِيِّ الْعَقِيْقِ مُسَـلْسَلِ[4]

طَــوَارِقُ عَطْشَى مَــا وَجَدْنَ مَــوَارِدًا سِــوَى مَــا حَمَيْنَا مِنْ مَعَلٍّ وَمَنْهَـلِ

أَإِنْسَــانَ عَيْنِي كُفَّ بَعْـضَ مَدَامِـعِيْ لَــئِنْ سَاءَكَ الدُّنْـيَا فَــلَسْتَ بِــأَوَّلِ

فَـلَوْ كَانَ تَذْرَافُ الدُّمُـوْعُ شَفَى أَسًـى بَـرِئْتُ مِنَ الــدَّاءِ الْعُضَـالَ بِأَعْجَـلِ

١- معين اللبيب فى قصائد الحبيب ٧٠-٧١، مجلة القاسم ربيع الثاني ١٣٣٧هـ ص ٦.

٢- لم أعثر له على الترجمة، ولا يعرف عنه أكثر من أنه كان من المسقط، وكان يدرس في دار العلوم بديوبند سنة ١٣٣٧هـ وأنه وافته المنية في شبابه في رجب عام ١٣٣٧هـ، (القاسم، ربيع الأول ١٣٣٨هـ، ص١).

٣- هو الشيخ عبد الرحيم سهارنفوري، اشتهر برائى فوري لأن أسرته كانت من رائى فور درس في مظاهر العلوم في سهارنفور، ثم سافر إلى رائى فور بلدة عشيرته ومكث هناك، وكان يتردد إلى كلير كثيراً، ثم سافر للحج والتقى بالشيخ إمداد الله المكي، وبعد العودة بايع الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، كان من المشرفين على مدرسة مظاهر العلوم في سهارنفور، توفي سنة ١٣٣٠هـ-١٩١٩م. (حكايت مهر ووفا، سيد نفيس الحسيني، دار العلوم ديوبند نمبر، ماهنامه «الرشيد» لاهور، ص٧٨٠-٧٨١، سنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).

٤- مجلل : من أجله : عظّمه (القاموس المحيط : جلّ).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلـكِنَّ حَدْثَـانُ الزَّمَـانِ رَمَيْنَنِي ... وَلَـيْسَ لِرَيْبِ الـدَّهْرِ مِنْ مُتَحَوَّلِ

وَإِنِّيْ وَإِنْ كُـنْتُ امْرَأً مُتَحَمِّـلاً ... عَـلَى كَـاهِلِيْ رَضْـوَى فَلَمْ أَتَزَلْزَلِ

وَلَـكِنْ بَرَانِيْ ثُمَّ أَوْهَى جَـلاَدَتِيْ ... مَنَايَـا فَأُلْفِيَ وَالْعَـزَاءُ بِأَعْـزَلِ

فَمَا لأُصَيْحَـابِيْ الأُلَى يَعْذُلُـوْنَنِيْ ... يَقُوْلُـوْنَ : لاَ تَهْـلِكْ أَسًى وَتَجَمَّـلِ

ثم شرع في إظهار محامد شيخه من رحمته الأيتام والأرامل، وحمله الأثقال من المنكوبين، وإرشاده الناس إلى سبيل الهداية، ونشره لكتاب الله، وعدله في القضاء، واهتداء الناس بنوره واقتدائهم بأسوته . ويرى أنه إمام ورع، وأن له مآثر جليلة، ومكارم تذكر، وأنه أكثر ضياء من الشمس، وأجمل من البدر، يقول:

فَـمَن يَّحْتَمِيْ عِـنْدَ النَّـوَائِبِ أَيَّـماً ... وَيَـرْحَمُ أَيْتَامـاً وَيَـرْثِيْ لأَرْمَـلِ

وَمَـن يَّحْمِلُ الأَثْقَالَ عَـنَّا إِذَا اعْـتَرَى ... بِسَـاحَتِنَا عَمْيَـاءُ رُزْءٍ مُجَـلَّلِ

وَمَـن يُّرْشِدِ الْـمُسْتَرْشِدِيْنَ رَشَـادَهُ ... وَيَسْقِيْهِمُ مِنْ كَـأْسِ أَعْـذَبَ سَلْسَلِ

وَمَـن نَّهْتَدِيْ بِالنُّوْرِ مِنْـهُ وَنَقْتَـدِيْ ... بِـأُسْـوَتِـهِ نَرْجُوْ سَنَاهُ وَنَجْتَـلِيْ

وَمِـنْ لِكِتَـابِ اللهِ يَنْشُـرُ طِيْبَـهُ ... وَيُحْيِي بِـهِ الْـمَوْتَى وَيَقْـضِيْ بِأَعْـدَلِ

لَـهُ غُـرَّةٌ مِـنْ بَـاقِيَـاتٍ صَـوَالِـحٍ ... بِنَـاصِيَةِ الدُّنْيَـا تَـلُوْحُ وَتَعْتَـلِيْ

وَكَـانَ إِمَامًـا بَارِعًـا مُتَوَرِّعًـا ... مَـجِيْـدًا وَذَا مَجْدٍ مَجِيْـدٍ مُؤَثَّـلِ

بِأَسْـنَى سِـرَاجٍ يُسْتَضَـاءُ بِنُـوْرِهِ ... وَأَنْـوَرُ مِنْ شَمْسٍ وَبَدْرٍ وَأَجْـمَـلِ

وكما رأينا الشيخ محمد إبراهيم يذكر أنه فقد مع الفقيد كثيراً من الصفات التي كان يتحلى بها، فكذلك نجد الشيخ محمد شفيع[1] يذكر أنَّ بموت شيخه أنور شاه عم الحزن

١- هو الشيخ محمد شفيع العثماني، ولد في ديوبند سنة ١٣١٤هـ وتعلم في دار العلوم بديوبند، وتولي فيها التدريس والإفتاء إلى أن هاجر إلى باكستان، فشارك في صياغة الدستور الإسلامي، وأقام مدرسة كبيرة تسمى بدار العلوم كراتشي. تفوق فتاواه مائة وخمسين ألف فتوى، وله تفسير باسم معارف القرآن في ثماني مجلدات ضخام، وكتب أخرى كثيرة بالأردية، توفي سنة ١٣٩٦هـ (مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي في الهند ، ص٢٤٥، أفكار مسلم شخصيات نمبر،ص٢٢٤).



والأسى حتى شمل الأرض والسماء، والجبال والفلاة، والبر والبحر، وبكاه الدروس والمدارس، والمسجد والمنبر، وأنَّ نعيه نعي جلّ العلوم، وأن رثاءه ليس رثاء عالم واحد، بل رثاء علماء كثيرين، ورثاء للعلم والحلم، والفضل والورع والزهد، وشتى فروع العلم من الفقه والحديث، ويلقبه ببخاري عصره، وترمذي زمانه، وزهري أوانه، يقول :

نَعَى بِكَ نَاعٍ سُحْرَةَ الْفَجْرِ فَانْبَرَى ... يَضُجُّ السَّمَا وَالأَرْضَ وَالْبَدْوَ وَالْقُرَى

وَأَبْكَى الْجِبَالَ الشَّامِخَاتِ نَحِيْبُهُ ... وَوَبْراً وَمَدْراً وَالْفَلاَ ثُمَّ أَبْحُرَا

وَأَبْكَى دُرُوْسًا وَالْمَدَارِسَ جَمَّةً ... كَذَلِكَ أَقْصَى مَسْجِدٍ ثُمَّ مِنْبَرَا

نُعِيْنَا بِجَمَّاعِ الْعُلُوْمِ وَسِيَّمَا الْـ ... ـحَدِيْثَ وَقُرْآناً كَرِيْماً مُفَسَّراً

فَلَمْ أَدْرِ أَرْثِيْ عَالِمًا أَمْ عَوَالِمَا ... وَعِلْمًا وَحِلْمًا ثُمَّ لِلْفَضْلِ جَمْهَرَا

وَفِقْهًا وَتَحْدِيْثًا وَرَأْيًا وَحِكْمَةً ... وَوَرْعًا وَزُهْدًا فِي السَّمَاءِ مُشَهَّرَا

وَوَجْهًا طَلِيْقًا بَاسِمًا مُتَهَلِّلاً ... إِذَا زُرْتُ زُرْتُ الْبَدْرَ تَمًّا مُنَوَّرَا

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ زَائِرًا ... بِعَيْنِيَ بَعْدَ الْيَوْمَ شَيْخِيْ أَنْوَرَا

بُخَارِيَّ عَصْرٍ، تِرْمِذِيَّ زَمَانِهِ ... وَزُهْرِيَّ وَقْتٍ لاَ خِلاَفَ وَلاَ مِرَا

فَلَوْ أَنَّهَا رُزْءٌ مِنَ الدَّهْرِ وَاحِدٌ ... وَلَكِنَّهُ غَيْمٌ أَحَاطَ فَأَمْطَرَا[1]

وقد حرص بعض الشعراء على تضمين قصائدهم بعضا من الحكم المستقاة من التأمل فى الحياة والمهات، وما لهذا الدهر من صروف وتقلبات، كما يقول في نهاية رثائه للشيخ محمد أحمد بن محمد قاسم النانوتوي[2] يقول فيها :

١- مساهمة دار العلوم بديوبند ص١٦١.

٢- هو الشيخ محمد أحمد بن محمد قاسم بن محمد أسد النانوتوي، تولّى إدارة دار العلوم بديوبند، ورئاسة الإفتاء في مملكة حيدر آباد العثمانية من ١٣٤١-١٣٤٤هـ واستقال عن إدارة دار العلوم لمرضه سنة ١٣٤٥هـ، توفي في نظام آباد حينما كان عائداً من حيدر آباد إلى ديوبند سنة ١٣٤٧هـ ودفن في ديوبند، خلف وراءه ابنين: محمد طيب، وهو الذي تولّى إدارة دار العلوم لمدة ٦٠ سنة، ومحمد طاهر. (تاريخ دار العلوم بديوبند ١/ ٢٧٥).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كَـذَلِكَ دُوْلاَتُ الزَّمَـانِ بِأَهْـلِهِ ... يُقَـوِّضُ مَا قَـدْ كَانَ بِالأَمْسِ طُـنَّبَا

فَبُعْـدًا لِـدَارٍ لاَ تَقِـرُّ لأَهْلِـهَا ... وَسُحْقًـا لِـدَهْرٍ فِيْ مَوَالِـيْهِ قُلَّـبَا

فَمَنْ يَرْضَهَـا يَوْمًـا لأَمْـرٍ يَسُرُّهُ ... فَسَـوْفَ تَـرَاهُ فِيْ غَـدٍ مُتَغَضِّبَـا

وَمَـنْ جَرَّبَ الدُّنْيَا وَقَاسَى بَلاَءَهَـا ... رَأَى جُـلَّ مَـا فِيْهَـا مِنَ الْبَرْقِ خُلَّـبَا

إِذَا شِمْـتَ فِيْ آفَاقِ مَسْرَاكَ طَالِعًـا ... فَكُنْ لأُفُـوْلٍ عَاجِـلٍ مُتَرَقِّبَـا

وَإِنْ قُصَارَى مَنْـزِلِ الْحَيِّ حُفْـرَةٌ ... سَمَا مَا سَمَا مَالاً وَجَاهاً وَمَنْصِباً

رَقَى فِيْ سَمَاءٍ أَوْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ قَعْرَهُ ... فَـلَيْسَ لَـهُ عَمَّا قَضَى اللهُ مَهْرَبَـا

فَكَمْ نَابِهٍ مُتَكَبِّرٍ جَـاءَهُ الْقَضَـا ... فَـلَمْ يَدْرِ فِيْ أَيِّ الْبَـوَادِيْ تَصَبَّبَـا

فَتَبّاً لِمَـنْ غَرَّتْـهُ خَضْـرَاءُ دمنِهَـا ... وَلَمْ يَعْبَ لِلْـعُقْبَى وَلَمْ يَتَأَهَّبَـا[1]

ومثل هذا يضمن المفتي محمد شفيع نهاية قصيدته في رثاء شيخه محمد أنور شاه بعض الحكم والعظات، يحث فيها على التأمل في حقيقة الدنيا، وأنها لا تدوم لأحد، وما يجمعه المرء في حياته يفارقه عند موته، وأن السعيد من تزوّد بالتقوى، ولو كان حظه من الدنيا قليلا، يقول :

فَمَا عَـبْرَتِيْ إِلَّا لِـذِي الْعَـيْنِ عِـبْرَةٌ ... وَوَعْظٌ وَإِنْ لَمْ تَسْتَـطِعْ أَنْ تُعَـبِّرَا

وَمَـنْ أَمْعَـنَ الدُّنْيَـا وَنَضْرَةَ دِمنِهَـا ... يَجِدْ نُكْرَهَا عُرْفـاً، كَذَا الْعُرْفَ مُنْكَرَا

إِذَا أَدْبَـرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً ... وَإِنْ أَقْبَلَتْ صَارَتْ هُمُوْمُكَ أَكْثَرَا

تَفَكَّرْ تَجِدْ فِيْ كُلِّ دَارٍ سَكَنْتَهَـا ... مَقَـابِرَ لِلآمَـالِ، لِلْخَـلْقِ مَنْحَـرَا

وَسَـوْفَ تَرَى مَا قَدْ جَمَعْتَ مُكَـابِدًا ... سَتُسْلَبُهَـا إِلاَّ قَمِيْصًـا وَمِئْـزَرَا

وَأَسْعَـدُ خَلْقٍ مَنْ تَـدَرَّعَ بِالـتُّقَى ... وَإِنْ كَـانَ فِيْ دُنْيَـاهُ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[2]

---

١ – قضاء الأرب من رطب العرب، محمد شفيع الديوبندي ، ص٥، دار الإشاعت ديوبند سنة ١٣٤٨هـ.

٢ – مساهمة دار العلوم بديوبند ص١٦١ .



ونرى مثل هذا عند الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحبيتيكر لكنه ضمن تلك الحكم فى فاتحة رثائه، يقول فيها :

يَـا مَاشِيـاً فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ ذَا ميـلٍ ... مَـا تَحْـتَ رِجْـلِكَ إِلاَّ أَعْـظُمٌ رِمَـمُ

يَـا ظَامِئًا لَيْسَ يَـرْوِيْ ظَمْأَهُ شَبَـمٌ ... لَـقَدْ وَرَدتَّ سَرَابًـا وَهُوَ مُضْـطَرِمُ

كُـنْ حَـيْثُ شِئْتَ فَلاَ تَنْفَكُّ مِنْ حُـرَقٍ ... مَـا دَامَ رُوْحُكَ فِي الأَعْضَاءِ تَحْتَـدِمُ

لَحَـا الْمُـهَيْمِنُ ذِي الدُّنْيَـا وَطَالِبَهَـا ... فِيْ بُعْدِهَـا نَكَـدٌ، فِيْ قُرْبِهَـا تُهَـمُ

وَالْـعُمْـرُ لَـحْظَـةُ عَـيْنٍ لاَ قَـرَارَ لَـهَـا ... وَمَـا مَضَى مِثْـلُ مَـا لَمْ يَمْضِ مُنْعَدِمُ

جِئْنَـا بُكِيًّـا وَرُحْنَـا حَاسِرِيْنَ عَلَى الْهَـا ... مَـاتِ يُلْقَى عَلَيْهَا التُّرْبُ والرّجـمُ[1]

فنراه يخاطب القارئ والسامع ويدعوه إلى التأمل في حقيقة الدنيا، إذ الأرض مقبرة لأقوام غابرة، وأن الدنيا كمورد لا يشبع الإنسان منه، مهما أكثر الشرب منها، وأنه لا نجاة للمرء من المتاعب ما دامت الحياة تسري في جسده، والدم يجري في عروقه، ثم يلعن الدنيا ومن يجعلها همه، لأن قربها وبعدها كلاهما يورث المشقة، وعمر الإنسان يمضي بسرعة، وأن الناس يولدون باكين، ويدفنون حاسري الرؤوس، يهال عليهم التراب والأحجار، فالدنيا ومتاعها وزخرفتها لم تفدهم لا عند ميلادهم ولا عند رحيلهم . ثم ينتقل إلى التذكر بالأقوام السابقة، ويتساءل عن صناديد العرب وملوك العجم وباني الأهرامات في مصر ومشيدي الحضارات من سبأ وإرم وحكام الهند الذين كان مقر حكمهم القلعة الحمراء في دلهي، ويذكر أن كلهم فنوا وصار مصيرهم إلى البلى والزوال، ولم ينقذهم من المنية ما شادوا من تلك الحضارات والمباني الفخام، ولم تغنهم عن الموت شيئا، يقول :

أَيْـنَ الصَّنَـادِيْدُ مِنْ فُرْسٍ وَمِنْ عَـرَبٍ ... لَمْ يَنْـجُ دَارَا، وَلاَ صَخْرٌ وَلاَ هَـرَمُ [2]

١- الإعلام ٣/ ١١٧٤.

٢- دارا ملك الفرس.



أَيْــنَ الَّذِيْ شَيَّدَ الأَهْرَامَ يَحْسَبُهَـــا   تَحْمِيْهِ عَنْ مَهْرَمَـــاتٍ دَوْنَهَـــا حَطَـمُ

سَـــــلْ هَــلْ تَنَبَّأَ عَنْ أَنْبَائِهَا سَبَــــأٌ   أَوْ هَـــلْ تَخَبَّرَ عَنْ آرَامِهـــا إِرَمُ [1]

وَلْـيَسْـأَلِ الْقَلْعَةَ الْـحَمْرَاءَ طَارِقُهَـــا   كَـمْ مِنْ دُمُوْعٍ جَرَتْ فِيْهَـــا وَطُـــلَّ دَمُ

ولم يكتف الشاعر هنا بذكر الأقوام الغابرة الساحقة في الماضي البعيد، من بيئة الشعراء العرب الذين أكثروا ذكر تلك الأقوام فحسب، بل تطرق إلى ذكر القلعة الحمراء وما دار فيها من حوادث الفناء والموت أيضا، وهذا أشد وقعا وأبلغ تأثيرا فى نفوس جمهوره الذين يعرفون هذا المعلم وما جرى فيه من تقلباتٍ معرفةً أكثر، لقرب زمانه، ولكونهم يشاهدون هذه القلعة فى مجيئهم ورواحهم، كما فيه زيادة معرفة للقارئ العربي عن تاريخ المسلمين في الهند .

المطلب الثاني

رثاء الأقارب

لا يوجد في الشعر العربي في الهند إلا نماذج قليلة لرثاء الأقارب، لكنها تمتاز بقوة العاطفة وحرارتها، وصدق الوجدان، وتدفق الشعور، منها على سبيل المثال ما رثى به الشيخ محمد بن حسين الأنصاري [2] والده، حينما وافاه نعيه من لكناو [3]، يقول :

أَحَقًّـــــا جَرَى مَا يُسْبِـــلُ الْعَـــبَرَاتِ   وَيذْرِيْ دِمَـــاءَ الْعَيْنِ لاَ الدَّمعَـــاتِ

١– سبأ: اسم رجل جمع عامة قبائل اليمن. إرم : قوم منهم عاد، وقيل مدينة كبيرة (المعجم الوسيط).

٢– هو الشيخ المحدث محمد بن حسين بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، ولد ببلدة حديدة سنة ١٢٧٣ هـ قرأ على والده وعمه، ثم قدم بهوفال، ودرس هناك على عمه زين العابدين وعلى المولوي عبد الله البلغرامي نائب قاضي بهوفال، وعلى غيره من العلماء، ثم سافر إلى الحرمين فحج وزار وأجازه الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي الحسيبني الفاسي، ثم ولي التدريس ببهوفال، ثم في ندوة العلماء في لكهنؤ .
من مصنفاته : الطراز الموشى بفوائد الإنشاء، المورد الصافي في العروض والقوافي، وغيرهما.
توفي سنة ١٣٤٤هـ في بهوفال.(الإعلام ٣ / ١٣٣٩–١٣٤٣).

٣– عاصمة ولاية «اترابرديش» وكانت من قبل عاصمة للأمراء المسلمين .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَحُـــقَّ لَـهُ شَـقُّ الْقُـلُوْبِ تَأَسُّـفًـا ... إِذَا شُـــقَّتِ الأَثْـــوَابُ فِي النَّكَبَـــاتِ

وَهَـلْ نَـــافِعٌ دَمْعٌ يَسِيْلُ، وَمُهْـــجَةٌ ... تَـذُوْبُ، وَعَضِّيْ حَسْــرَةً لِشِفَـــاتِيْ

وَأُقْـــسِمُ لَـــوْ كَـــانَتْ جَمِيْعُ جَوَارِحِيْ ... عُيُوْنًـــا، وَجَـــادَ الْكُـــلُّ بِالْعَـــبَرَاتِ

لَـمَـا بَرَدَتْ مِنْ حَرِّ نَـارِيَ جَـــذْوَةٌ ... وَلَـــوْ غَـرِقَتْ فِيْ دَجْـــلَةٍ وَفُــرَاتِيْ

بدأ الشاعر رثاءه بداية قوية بذكر أفعال تدل على الحزن والمأتم كالبكاء، وسيلان الدموع بل دماء العيون بكثرة البكاء وشدته، وشق القلوب، وحرقة الكبد، وقرب ذهاب الحياة، وكل هذا للدلالة على ألمه الشديد وحزنه البالغ، علي وفاة والده، حتي إنه يرى أنه لو صار جميع جوارحه عيونا، وأفاضت الدموع لم يخفف ذلك من حر قلبه شيئا. ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر حاله عندما أتاه النعي، وكيف كان وقعه عليه، وكيف كان تعامله به؟ فيقول :

أَتَـى خَـــبَرٌ أَجْـرَى الدُّمُوْعَ وَأَلْـهَـبَ الْـ ... ـقُلُوْبَ عَقِيْبَ الْفَجْرِ فِي الضَّحَـــوَاتِ

فَكَـــذَّبْتُهُ مِـــنْ هَوْلِـــهِ ثُـــمَّ رَدَّنِي ... رَسَــــائِلُ أَعْـلَامٍ أَتَتْ وَثِقَــــاتِ

رَسَـــائِلُ عَبْدِ اللهِ صِنْوِيْ وَسَاعِـــدِيْ ... إِذَا حَــــلَّ خَطْبٌ فِي الزَّمَـانِ يُـــوَاتِيْ

رَسَـــائِلُ مِثْلُ الشَّهْدِ لَفْظـــاً وَفِعْلُـــهَا ... بِقَـــلْبِيَ فِعْـــلُ السُّمِّ كَاللَّسَعَـــاتِ

رَقُـــوْمٌ كَأَمْثَـــالِ الأَرَاقِـمَ سُمُّـهَـــا ... وَرُبَّ قَتِيْـــلٍ كَـــانَ بِاللَّفَظَـــاتِ

أَتَتْنِيَ فِيْ لَكْـهنَوْ وَفَـــاةَ أَبِي الَّـــذِيْ ... هُـــوَ الْحَـــافِظُ الْـمِقْـدَامُ فِي الْغَمَـرَاتِ

ذكر الشاعر أنه لم يُصَدِّقْ نعي والده لما وافاه، إلا أنه اضطر إلى تصديق ذاك النبأ المفظع لما تتابعت عليه الرسائل، وتواترت إليه الأخبار من أصحابه، وأحبابه الثقات على رأسهم أخوه عبد الله، ويرى أنَّ هذه الرسائل وإن كانت فصيحة العبارة، بليغة الأساليب إلا أنها تقع عليه وقع الصاعقة أو أشد، وتعمل فى نفسه ما يعمله سمُّ الأفاعي أو لسعة العقارب، ثم يتطرق إلى ذكر محامد والده ومناقبه، فذكر منها علمه وحلمه، واشتغاله ومكانته في تفسير كتاب الله العزيز، والحديث النبوي الشريف، فيرى أنه سيبكيه صحيحا الإمام البخاري والإمام مسلم، وكتب الأئمة الأربعة، ويذكر اجتهاده

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في الطاعة، وتعلقه بالمسجد، فيقول :

سَيَبْـكِـي عَلَيْهِ كُـلُّ أَبْــوَابِ مَسْجِــدٍ ... وَيَلْــبَسُ سِرْبَــالاً مِنَ الظُّــلُمَاتِ

صَحِـيحُ ابْنُ إِسَمَاعِيْلَ يَبْكِيْ، وَمُسْـلِمٌ ... كَــذَاكَ أَبُــو دَاوُدَ فِي الْحَسَـرَاتِ

كَـذَا التِّرْمِذِيْ ثُمَّ النَّسَائِيْ وَبَعْـدَهُ ابْـ ... ـنُ مَـاجَةَ يَبْكِيْ سَـائِلَ الدَّمْعَـاتِ

فَقَــدْ كَــانَ قِنْدِيْلَ المَسَاجِدِ فِي الدُّجَى ... يُنَوِّرُهَــا بِالــذِّكْرِ وَالصَّلَــوَاتِ

وَصُـوْلاً لأَرْحَـامٍ، قَطُوْعًـا لِظَـالِمٍ ... لَطِيْـفَ السَّجَـايَا، طَـيِّبَ الْحَرَكَـاتِ

ذَكِيًّا يَحُــلُّ الْمُشْكِــلاَتِ بِفَهْمِـهِ ... وَقُــوْرًا وَقُورَ الصَّخْرِ فِي الْفَلَـوَاتِ

ويرى أن ما ذكره صدق وحقيقة ليس فيها مبالغة بل والده كان يتمتع بمناقب أكثر من هذه :

وَوَاللهِ مَــا بَالَغْتُ فِيْــهَا وَصَــفْتُهُ ... بَــلْ مَــا بَلَغْتُ الْعُشْرَ مِنْ كَلِــمَاتِيْ

ثم يذكر أن الرثاء عادة قديمة ومشروعة، ولولا أن الشرع أجازه لم ينطق فمه بكلمة صبراً ورضاً بقضاء الله، ولكن حسّاناً– رضي الله عنه– رثى النبي ﷺ ولنا فيه أسوة، فخير الرثاء ما كان صدقا، وشره ما اشتمل على زور وكذب، ثم يتوجه إلى الله بالشكوى لفراق أبيه، يقول :

وَلَــوْلاَ الرِّثَــا مِنْ سُنَّةِ النَّــاسِ لَمْ أَقُلْ ... نِظَامًــا وَلاَ حَرَّكْــتُ فِيْهِ لَهَــاتِيْ

وَلَــكِنَّ حَسَّــاناً رَثَى سَيِّدَ الْــوَرَى ... عَلَـيْهِ سَلاَمُ اللهِ مَــعْ صَلَــوَاتِيْ

وَخَــيْرُ الرِّثَا مَا كَــانَ صِدْقًــا، وَشَرُّهُ ... كَــلاَمٌ أَتَى بِــالزُّوْرِ وَالْكَذِبَــاتِ

وَمَــا كُلُّ مَنْ يُرْثَى حَقِيْقٌ بِوَصْــفِهِ ... وَلاَ كُــلُّ رَاثٍ صَــادِقَ اللَّفَظَــاتِ

إِلَى اللهِ أَشْــكُوْ فَقْــدَهُ وَفِــرَاقَهُ ... شَتَــاتٌ أَتَى مِنْ بَعْدِ طُـولِ شَتَـاتِ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَقَـدْ كُنْتُ أَشْكُوْ فَقْـدَهُ فِيْ حَيَـاتِهِ ... وَأَرْجُـوْ لِقَـاهُ قَبْـلَ حِيْنِ وَفَـاتِيْ

فَـمَا رَاعَنِيْ إِلاَّ الرَّحِـيْلُ بِذَاتِـهِ ... إِلَى مَـنْزِلٍ كُـلٌّ عَـلَيْهِ سَيَـأْتِيْ

ثم يتوجه بالخطاب إلى والده المتوفى ويقول ارتحلتَ إلى جنة ليس فيها تعب ولا نصب وتركتني وراءك أقاسي الحزن والألم، ثم يرجع ويقول ولكن ليس هناك حزن على فوات شيء بعد فواتك، يقول :

رَحَـلْتَ إِلَى جَنَّـاتِ عَدْنٍ مُنَعَّـمًا ... وَخَـلَّفْتَنِيْ لِلْـحُزْنِ وَالـزَّفَـرَاتِ

وَبَعْـدَكَ لاَ آسِيْ عَـلَى فَقْدِ فَـائِتٍ ... أَبَعْـدَكَ شَيْءٌ مُوْجِـعٌ بِـوَفَـاتِ

ثم يوجه الخطاب لقبره ويدعو له بنـزول وابل الرحمة عليه صباح مساء، ويهنئه حيث إنه وارى الخير والبركات والعلى، ويدعو له بالتعطر والرضا، يقول :

فَيَـا قَـبْرَهُ حَيَّاكَ وَابِلُ رَحْـمَـةٍ ... يَـزُوْرُكَ فِي الآصَـالِ وَالْـغَـدَوَاتِ

وَجَـادَكَ هَطَّـالاً مِنَ الرَّوْحِ وَالرِّضَـا ... يَبُـلُّ ثَـرَاهُ طَـيِّبَ النَّفَحَـاتِ

وَطُـوْبى لَكَ إِذْ قَدْ صُنْتَ فِي قَبْرِكَ الْعُلَى ... وَوَارَيْتَ كُـلَّ الْخَـيْرِ وَالْبَرَكَـاتِ

فَـزَارَكَ مِنِّيْ كُـلَّ يَـوْمٍ تَحِـيَّةٌ ... تَصِـيْرُ بِهَـا أَحْجَارُهُ عَطِـرَاتِ

ويختم رثاءه بالصلاة على سيد المرسلين وأسوة المصابين، فيقول :

وَصَـلِّ عَـلى الْـمُخْتَارِ وَالآلِ أُسْـوَةِ الْـ ... ـمُصَـابِيْنَ فِي مَـاضِي الزَّمَـانِ وَآتِ

مَدَى مَـا رَثَى الـرَّاثِيْ وَقَـالَ مُؤَرِّخًـا ... فَـلاَ زِلْتَ مَغْفُوْرًا مِنَ الْـهَفَـوَاتِ[1]

ويلاحظ أن الشطر الأخير من البيت يدل على تاريخ وفاة والده، وهو سنة ١٣٢٧هـ. وقد درج الشعراء في الهند – في الشعر الأردي والعربي والفارسي– على تدوين هذه التواريخ في أشعارهم حتى صار هذا أكبر الهم عند بعضهم، وكانوا ينافسون فيه ويرونه مجالا لإظهار قدرتهم وبراعتهم.

١– مرثيه‌ء شيخ حسين عرب ص٦–٩، أبو خليل محمد بن حسين اليماني، بيانات النشر غير مذكورة.



ويلاحظ أن الشيخ محمد الأنصاري استطاع أن يحافظ على حرارة عاطفته وجيشانها خلال هذه القصيدة الطويلة، وكيف لا، وهو يرثي والده الذي كان سبباً في وجوده وربّاه وأبلغه إلى ما وصل إليه في العلم والفضل والمنزلة والمكانة!

ورثى الشيخ فيض الحسن السهارنفوري ابنه الصغير لما توفي وهو في السنة الخامسة من عمره، فجزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً بالغاً، ومما زاده أسىً أن هذا الابن قد وافاه أجله بعد بلوغه السنة الخامسة، بعد أن تعلق به قلب والديه، وبدآ يتمنيان بلوغه مبلغ الشباب، لكن فاجأه الأجل، فازدادا حسرة ولوعة، وصارت حال والده في فراقه كالظبية التي فقدت ولدها، يقول:

رُزِئْتُ ابْنَ خَمْسٍ كَانَ يَلْعَبُ كَالْفَهْدِ ... فَمَرَّ بِهِ مَا كَانَ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ[1]

كَئِبْتُ عَلَى أَنْ مَاتَ إِذْ صَارَ لاَعِبًا ... وَلَمْ أَكْتَئِبْ لَوْ مَاتَ إِذْ كَانَ فِي الْمَهْدِ

صَبَرْتُ وَلَوْلاَ الصَّبْرُ مَا زِلْتُ بَاكِيًا ... عَلَيْهِ، وَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا مِنَ الْجَهْدِ

عَرَانِي اكْتِئَابٌ وَاضْطِرَابٌ فَإِنَّنِي ... كَخَنْسَاءَ غَابَتْ عَنْ فَرِيرٍ لَهَا قَهْدُ[2]

أَلَمَّ بِهِ قَبْلَ الشَّبَابِ حَمَامُهُ ... فَلَوْ شَبَّ شَيْئًا كَانَ أَقْوَى مِنَ النَّهْدِ[3]

ويذكر أنه كلما رأى طفلا يماثله ذرفت عيناه وفاضت دموعه، وهاج بالبكاء، وأنه ابتلى بعده بالأرق والسهر، وسئم الدنيا وملها، وليس ذلك زهدا، بل انشغالا بحزن ابنه الذى أورثه هذا الكمد، يقول:

إِذَا مَا تَرَاءَى لِي صَبِيٌّ شَبِيْهُهُ ... هَمَتْ مُقْلَتِي مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ وَلاَ كَهْدِ[4]

مَضَى النَّوْمُ مِنِّي مُذْ مَضَى لِسَبِيْلِهِ ... فَمَا رَمَدَتْ عَيْنَايَ إِلاَّ مِنَ السُّهْدِ

١- ديوان الفيض، تحقيق: محمد ظهور أظهر ، ص٦٠ ، المجمع العربي الباكستاني، لاهور، باكستان، ط ١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٢- فرير: ولد البقرة الوحشية. قهد: النقي اللون الأبيض الأكدر. (القاموس المحيط: مادة: فرر، مادة: ق هـ د).

٣- النهد: الأسد.

٤- كهد يكهد كهدا وكهدانا: تعب وأعيا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

سَئِمْتُ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا نَابَنِيْ بِهَا وَإِنْ كَانَ هَذَا لاَ يُعَدُّ مِنَ الزُّهْدِ[1]

ويلاحظ أن الشاعر التزم الهاء قبل الدال الذي هو حرف الروى، وأرى أن هذا الالتزام أثر في القصيدة تأثيرا سيئا حيث لم تطلع القصيدة بتلك القوة من ناحية العاطفة والأسلوب اللذين كانا يتوقعان في رثاء قريب فضلا أن يكون المرثي ولدا خطفته أيدي المنون في صباه.

ونرى الشيخ ظفر أحمد العثماني[2] يرثي شريكة حياته، ورفيقة دربه، فبعد نعيها بدأ بذكر حسن خصالها التي لها أثرها البالغ في شدة تعلقه بها، وكلما كان التعلق أكثر، كان الحزن على الفراق أشد، فذكر أنها بدر البدور، وشمس الشموس، وتتمتع بحسن الخصال وتشغل وقتها بعبادة ذي الجلال، وأنها كانت من الحسن والبهاء بمكان لو تعرضت للمشركين لسجدوا لها انبهارا بحسنها، ولو خرجت بجمالها للمجوس لنسوا معابدهم حتى تخمد نيرانها، يقول[3]:

أُفٍّ لِفُرْقَةِ مُؤْنِسِيْ وَأَنِيْسِيْ بَدْرِ الْبُدُوْرِ وَنِعْمَ شَمْسِ شُمُوْسِ

حَسْنَاءُ، بَيْضَاءُ الْفِعَالِ، فَرِيْدَةٌ غَيْدَاءُ قَدْ أَزْرَتْ بِكُلِّ نَفِيْسِ

اَللّٰهُ زَيَّنَهَا بِحُسْنِ مَلاَحَةٍ وَعِبَادَةٍ، وَطَهَارَةِ النَّامُوْسِ

لَوْ أَنَّهَا لِلْمُشْرِكِيْنَ تَعَرَّضَتْ سَجَدُوْا لِطَلْعَتِهَا بَنُوْ إِبْلِيْسِ

١- ديوان الفيض ص٦٠.

٢- هو الشيخ ظفر أحمد عثماني بن لطيف أحمد عثماني، ولد ١٣١٠هـ في ديوبند، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي، ثم سافر إلى خاله الشيخ أشرف علي التهانوي، وتتلمذ عليه، ثم أكمل تعليمه في مظاهر العلوم بسهارنفور.
تولّى التدريس في مظاهر العلوم، ثم في رنغون (عاصمة بورما) ثم في جامعة دهاكه، وأخيراً في دار العلوم تندو الله يار في باكستان.
له: إعلاء السنن في عشرين مجلداً، وسيلة الظفر في مدح خير البشر، ونور على نور، مجموعتا قصائد عربية.
توفي سنة ١٣٩٦هـ (مقدمة إعلاء السنن قواعد في علوم الحديث، ظفر أحمد التهانوي ص ٨-١٠ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م).
هندوستان مين عربي علوم وفنون كى ممتاز علماء اور ان كى علمي خدمات، د. محمد اويس نكرامي ندوي، ص١٣٥-١٣٧ و٢٤٨، نامي بريس لكهنؤ ١٩٧٩م.

٣- مجلة «معارف» الصادرة من دار المصنفين، أعظم كده، ص٣٠٦، العدد: ٤، المجلد: ٦٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَــــوْ أَنَّهَـــا خَـــرَجَتْ لَهُـمْ فِيْ زِيْنَةٍ   خَمَـدَتْ لَهَـــا أَنْفَـاسُ نَـــارِ مَجُـوْسِ

ثم ينتقل الشاعر إلى الجزء الثاني من القصيدة، وهو ذكر علاقته بها، وما أصابه من شدة الحزن والألم لفراقها، حتى تغيرت حياته وتقلبت، فتبدل بسعده النحس وبفرحه الحزن.

كَـــانَتْ حَيَـــاةً لِلـنُّفُوْسِ وَرَاحَــةً   لِلْقَلْبِ، قُــرَّةَ عَيْنِ كُــلِّ جَلِـــيْسِ

رَاحُــوْا بِهَــا يَـوْمَ الْـخَمِيْسِ فَـلَمْ أَزَلْ   قَـلِقَ الْـفُؤَادِ بِكُــلِّ يَــوْمِ خَـمِيْسِ

وَا فُرْقَتَـــاهُ لَـــقَد تَقَطَّعَ مُهْـجَتِي   وَبَقِـــيْتُ فِيْ نَكَــــدٍ أَذَلَّ خَـــسِيْسِ

وَا حُــرْقَتَـــاهُ فَلاَ قَــرَارَ بِدُوْنِهَـــا   يَـــا وَيْــحَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ وَطِيْسِ[1]

وَا حَــرَّ قَلْـــبَاهُ فَكَيْـــفَ يَلَـــذُّ لِيْ   عَــيْشٌ تَبَدَّلَ سَعْـــدُهُ بِنُحُـــوْسِ

ويوجه الخطاب إلى زوجته المتوفاة ويذكر أنها وإن بعدت عن أعينهم ومساكنهم فلم تبعد عنهم حيث صارت القلوب والصدور والرؤوس كلها مأوى لها، ويطلب إليها عدم الابتعاد حيث يتمنى اللقاء بها قريبا، فلقد سار ركب الأجل، ودوره ليس ببعيد، ويكرر طلبه إليها عدم الابتعاد؛ لأن الله خير خليفة لها، من زوجها الراثي، وفداها كل نفس، يقول:

لاَ تَبْعُـــدِيْ فَـلأَنْتِ بَـيْنَ قُلُوْبِنَـــا   وَصُـدُوْرِنَـــا وَعُيُوْنِنَـــا وَرُؤُوْسِ

لاَ تَبْعُـــدِيْ لأُوَافِيَنَّـــكِ عَاجِـــلاً   فَـــلَقَدْ حَــدَا بِالرَّكْبِ حَادِي الْـعِيْسِ

لاَ تَبْعُـــدِيْ فَــاللهُ خَيْرُ خَـــلِيْفَةٍ   مِــنِّيْ عَلَـــيْكِ، فِــدَاكِ كُلُّ نُفُــوْسِ

ويختم القصيدة بالدعاء لها بالتحيات من الله ذي الجلال، وملائكته الأبرار، وأن تتمتع بنوم كنوم العروس، وألا يتعرض لها سوء؛ فقد سبقت لها أعمال صالحة في حياتها، ويدعو لقبرها بالسقيا، ويسلم عليها، ويصلي على النبي وآله الطيبين الطاهرين، يقول:

١- وطيس: التنور (اللسان والقاموس، مادة و ط س).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

حَيَّاكِ رَبُّكِ وَالْمَلاَئِكَةُ الْكِرَا ... مُ بِقَوْلِهِمْ: نَامِيْ كَنَوْمِ عَرُوْسِ

سَبَقَتْ لَكِ الْحُسْنَى فَأَنْتِ بَعِيْدَةٌ ... عَمَّا يَسُوْؤُكِ يَا أَجَلَّ أَنِيْسِ

رَوَّى الإِلَهُ رُبَاكِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... وَسَقَاكِ مِنْ نَهْرِ الْحَيَا بِكُؤُوْسِ

مِنِّيْ السَّلاَمُ عَلَيْكِ يَا رُوْحَ الْحَيَا ... ةِ وَعُمْدَتِيْ فِيْ كُلِّ يَوْمِ عَبُوْسِ

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... مَا دَامَ بَهْجَةُ لَيْلَةِ التَّعْرِيْسِ

ورثى الشيخ السيد محمد عرفان الطوكى[1] ابن عمه فيذكر فجيعته هو وأسرته في فقده، حيث كان من أخيارهم ممن يعز نظيرهم، ثم يذكر ما تحلى به من الفضائل، وما وهبه الله من علو النسب حيث كان ينتهي نسبه إلى النبى ﷺ الذي هو خير من أظلته السماء، وأقلته الغبراء، ويذكر أنه كان طلق الوجه، دائم البشاشة، يقول:

جَلَّ الْمُصَابُ وَعَمَّ خَطْبٌ فَادِحٌ ... حَزِنَ الْقُلُوْبُ وَفَاضَتِ الْعَيْنَانِ

إِنَّا رُزِئْنَا خَيْرَ إِخْوَانٍ لَنَا ... مِنْ آلِ عُثْمَانٍ، وَمِنْ عِرْفَانِ[2]

إِنَّا رُزِئْنَا مَن يَّعِزُّ نَظِيْرُهُ ... فِيْنَا وَمِنْ نُخْبَةِ الإِخْوَانِ

قَدْ كَانَ مَحْمُوْدًا وَمَهْدِيًّا وَمِنْ ... آلِ النَّبِيِّ خُلاَصَةِ الإِنْسَانِ

قَدْ كَانَ ذَا خُلُقٍ يُمَازِحُ دَائِمًا ... طَلْقَ الْمُحَيَّا، ضَاحِكَ الأَسْنَانِ

ويذكر صناعته واشتغاله بالطب وتعامله الطيب مع مرضاه، وسعيه في تخفيف مصابهم بشتى الوسائل، ومواساته إياهم، ورفقه بهم، يقول:

١- هو السيد الشريف: محمد عرفان بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن عرفان الحسني الحسيني البريلوي ثم الطوكي، ولد ببلدة طوك سنة ١٢٦٥هـ، تتلمذ على علماء بلدته ثم سافر إلى ديوبند وقرأ على مولانا محمود حسن الديوبندي ومولانا يعقوب النانوتوي، ثم سافر إلى بهوفال ودرس على علمائها، ثم سافر إلى دهلي وتتلمذ على المحدث السيد نذير حسن، وإلى سهارنفور ودرس على الشيخ فيض الحسن السهارنفورى. توفي سنة ١٣٣٢هـ. ببلدة طوك. (الإعلام ٣/ ١٣٦٤- ١٣٦٦).

٢- يعني به والد السيد الشهيد أحمد بن عرفان البريلوى، ينظر لترجمته: الإعلام ٣/ ٨٩٩- ٩٠٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

قَــــدْ كَــــانَ ذَا رِفْقٍ بِنَـــا وَطَيِّبَنَــا   عَضُــــدَ الْعَشِـيْرَةِ عُمْدَةَ الْجِـيْرَانِ

فَـلْيَبْكِهِ الْمَـرْضَى الَّـذِيْنَ إِذَا أَتَـوْا   ذَهَبُــوْا بِهِ مَعَهُــمْ بِكُــلِّ أَوَانِ

قَدْ كَــانَ يَخْدِمُ مَنْ يُـدَاوِي خِــدْمَةً   بِيَــدَيْهِ وَالرِّجْــلَيْنِ ثُــمَّ لِسَــانِ

وَلَــرُبَّمَا أَعْــطَى الــدَّوَا مِنْ عِنْــدِهِ   لِلّهِ مُحْتَسِبًــــا لِــيَــوْمٍ ثَــانِ[1]

ورثى ابن عم له آخر، فذكر كثيرا من شمائله، وعاداته الطيبة، من طلاقة الوجه، وحسن البيان، والجود والندى، والعطف واللين، والفصاحة والبلاغة، ويرى أنه بموته مات كثير من هذه الخصال الكريمة، والأوصاف النبيلة، يقول :

لَــقَدْ مَاتَ إِذْ مَـاتَ ابْنُ عَمِّيْ وَعَمَّـتِيْ   مَكَــارِمُ أَخْــلاَقٍ وَحُسْنُ الشَّــمَائِلِ

طَــلاَقَةُ وَجْــهٍ لِلِّــقَا وَتَبَــسُّمُ   وَحُسْــنُ بَيَانٍ لاجْتِمَاعِ الْـمَحَــافِلِ

وَكَـــانَ ضَحُوْكَ السِّنِّ أَطْيَبَ لَيِّنًــا   وَلَمْ يَــكُ بِالْفَــظِّ الْـغَلِيْظِ وَلاَ يَــلِيْ

تَــرَاهُ جِبَــالَ الْحِـلْمِ عِنْدَ سُــكُوْتِهِ   وَإِن يَتَكَــلَّمْ كَــانَ سَحْبَانَ وَائِــلِ

وَكَــانَ رَزِيْنًــا زِيْنَــةَ الْقَــوْمِ وَالنَّدَىْ   لَـمَشْهَدُهُ الـنَّادِيْ كَرَوْضِ الْبَلاَبِـلِ[2]

ويرجع قلة رثاء الأقارب في الشعر العربي في الهند – مع ما فيه من قوة العاطفة– إلى سبب مهمّ وهو أن أغلب هؤلاء الشعراء كان لهم مشاركات في الشعر بلغة أخرى أيضا، فلم يكن الشعر العربي هو المتنفس الوحيد مثل ما كان لشعراء العربية فى غير هذه البيئة، وكان لهؤلاء الشعراء أنفسهم رثاء حارّ في أقاربهم في غير العربية مما خفف عنهم لوعة الحزن، وحرقة الألم. ولذا لم يؤثر عنهم شعر عربي كثير في رثاء الأقارب.

١– الإعلام ٣/ ١٣٦٦.

٢– المصدر السابق نفسه .



المبحث الرابع

الغزل

«على الرغم من صمت الصحراء العميق، وفراغها الممتد الرهيب، وفيافيها الواسعة المثيرة، وجدبها القاسي، وغاراتها المفاجئة الغادرة، على الرغم من كل ذلك، تغنى الشاعر العربي بأنبل العواطف، وأرق المشاعر، وانسابت قيثارته في ليالي الصحراء همسة قلب، وآهة حب، ونظرة ضياء، وتألقت أمسياته بذكريات الهوى والحنين، والوصل واللقاء .

فما أكثر ما تاقت أشواق العرب الظامئة إلى اللقاء على مشارف المياه، وتحت ظلال النخيل، وعبر قافلة البين والرحيل، وتدفقت ينابيع حبهم، فملأت فراغات الحياة ورتابتها، ومنحت العدم الصامت في رمال الصحراء فكراً وحوارا، وأكسبته نبضاً ووجدانا، فكان من ذلك سِفر الحب والغزل الذي شغل في جميع مراحل التاريخ وجدان الشعب العربي وأدبه ولغته، وهام به الشعراء، والنقاد، وعلماء اللغة، والفلاسفة، بل والفقهاء والصوفية» [1].

ويكثر شعر الحب في الأدب العربي منذ الجاهلية إلى اليوم كثرة مفرطة، وحتى في أغراض الشعر الأخرى مديحا وغير مديح يقدم الشعراء لقصائدهم فيها أبيات من الغزل أو النسيب جذبا للأسماع، ولذلك لا نغلو إذا قلنا إن النسيب والغزل والحب يكاد يكون الغرض الأساسللشعر العربي، وهو أمر طبعي؛ لأنه يتناول عاطفة الحب الإنساني الخالدة،بجميع أحاسيسها ومشاعرها وانفعالاتها على حياة الشاعر المحب أو العاشق منذ تستهويه امرأة، فيقع فريسة لحبها، وتملأ قلبه وجدا وشوقا إلى رؤيتها، وقد تعرف منه هذا الحب فتلقاه أو تنظر إليه نظرة أو تومئ إليه إيماءة فيزداد ولعاً بها وغراما، وقد تتدلل عليه وتتمنّع، وقد تنأى عنه وتهجره، فتضطرم بين جوانحه نار شوق لا تخمد، وعبثا يتذلل لها ويستعطف ويتضرع، ومع ذلك لا يذوي الأمل في نفسه بلقائها أبدا، فهو دائما مؤمل في اللقاء بعد الهجران، وعلى الأقل في الرؤية بعد الحرمان [2].

وما قاله الدكتور شوقي ضيف في الشعر العربي عموما، يصدق على الشعر العربي في الهند أيضا، ومع أن جل شعراء العربية في الهند، بل كلهم – ينتمون إلى بيئة العلم

١ – الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر، د. سعد دعبيس، ص ٣، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

٢ – تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام ، د. شوقي ضيف، ص١٩٩ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الشرعي والدين والمشيخة والفقه، لكن ذلك لم يمنعهم من ذكر النسيب والغزل؛ لأن الحب عاطفة إنسانية خالدة، والرجال - مهما بلغوا من العلم والزهد والعقل والفطنة - مفتونون بالنساء، كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ... ﴾الآية[1] وكما قال النبي ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[2].

وفى هذا يرى الشيخ ألطاف حسين حالي أنَّ حب النساء الغانيات فتنة كل عاقل، وابتلاء لكل زاهد وناسك، وأنه يهزم المنصور، وينصر الخاذل المهزوم، ويعزّ المغلوب، ويذل الغالب، وأنهن يأسرن قلوب الرجال بنظرة ولمحة، ولا منجى منهن ولا مغيث، يقول فى مطلع قصيدته التي بعث بها إلى المدينة المنورة في مدح الشاه عبد الغني:

هَوَى الْحُوْرِ بَلْوَى كُلِّ حَبْرٍ وَنَادِبِ ... وَفِتْنَةُ قِسِّيْسٍ وَزَلَّةُ رَاهِبِ
وَهَزْمٌ لِمَنْصُوْرٍ وَفَتْحٌ لِخَاذِلِ ... وَعِزٌّ لِمَغْلُوْبٍ وَذُلٌّ لِغَالِبِ
وَمَا مِنْ نِسَاءِ الْحَيِّ لِلْعِزِّ مَخْلَصٌ ... بِلَمْحٍ قَدِ اسْتَأْثَرْنَ أَهْلَ التَّجَارِبِ[3]

وبعد وصفه للحب وفعله في الرجال، ينتقل إلى ذكر حبيبته، ويصفها بأنها اختطفت قلبه بدلّ ولطف، لا بالشدة والعتاب، وأنها تعمل عمل السحر من غير رقية، وتقتل القلوب بلا ضرب، وفي كل حركة منها من النظر واللمح والغمز بلاء وفتنة لورع تائب إلى الله، وأنه تناسى علمه وحكمته في ذكر تلك الحبيبة، وأتعب فى البحث عنها مطاياه ؛ لأنها شغلت قلبه، وصرفته عن كل ما يحبه ويرغب فيه، ويرى أن عتابها، بل حتى ضربها للرقاب محبوب ومعجب به، فيطلب منها ذلك، ثم يتساءل تساؤل الآيس الخائب عن طريق وصوله إلى ليلاه ؛ لأنه ضل طريقه إليها في ليلة مضيئة، ويرى أن يوم الفراق مظلم كالليل، وأن صباحه قطعة من الدياجير، يقول :

وَلَيْسَ بِدَاءٍ كَادَ يُشْفَى سَقِيْمُهُ ... صَبَابَةُ قَلْبِي بِالْعَذَارَى الْكَوَاعِبِ

١- آل عمران : جزء من الآية ١٤.

٢- أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة، عن أسامة بن زيد (٥٠٩٦).

٣- عز : عزيز إما أن يكون على المبالغة، وإما أن يكون بمعنى معزّ، ورجل عزيز :منيع لا يغلب ولا يقهر. (ينظر : لسان العرب، مادة : ع ز ز).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

قَـــدِ اخْتَطَفَتْ لُـبِّيْ وَرَوْعِـيْ مَلِيْـحَةٌ بِلُــطْفِ مُـــدَارٍ لاَ بِعَــبْسٍ مُعَــاتِبِ

مُعَـــطَّلَةُ الآرَاءِ مِـنْ غَــيْرِ رُقْـــيَةٍ مُقَتِّـــلَةُ الأَحْشَــاءِ لاَ بِالْـمَـضَـارِبِ

لَـفِيْ نَـظْرَةٍ مِنْهَا وَغَـمْزٍ وَلَـمْحَـةٍ بَــلاَءٌ لِــذِيْ وَرْعٍ إِلَى اللهِ تَــائِبِ[1]

أَلَيْــلاَيَ مَا أَغْنَــاكِ عَنْ شَأْنِ مُوْلِعٍ لَهُ أَنْتِ فِيْ دُنْيَاهُ قُصْــوَى الْـمَـــآرِبِ

تَنَـــاسَيْتُ فِيْ ذِكْرَاكِ عِلْـمًا وَحِكْـمَةً لأَنْضَيْتُ أَيَّــامًـــا إِلَيْهَـــا رَكَـائِبِيْ

شَغَـــلْتِ بِلَحْظٍ قَلْبَنَــا عَنْ مَشَــاغِـلٍ صَــرَفْتِ بِرَمْـــزٍ قَصْدَنَـا عَنْ رَغَائِبِ

عِتَــابُكِ حُـــلْوٌ فِي الْـمَذَاقِ فَعَــاتِبِيْ وَضَرْبُـكِ حَتَّى لِلرِّقَـــابِ فَضَــارِبِيْ

وَدُوْنَـــكِ قَلْـــبَ الْعَاذِلِــيْنَ وَنَـظْـرَةً لَكِ الــدَّيْنُ عِـــنْدَ الْعَـائِقِيْنَ فَطَالِبِيْ

أَحِـــبَّةٌ لاَ تَشْــكُوْ حَزِيْنــاً فَرُبَّـمَا تَهَيَّجَ لِلأَصْحَــابِ رَنَّــةُ صَـــاحِبِ

وَفِيْـمَا إِلَى سَلْمَى وُصُــوْلِيْ فَــإِنَّنِيْ ضَــلِلْتُ سَبِيْلِيْ فِيْ ضِيَــاءِ الْكَوَاكِبِ[2]

رأينا أن الشاعر ذكر الحب وما له من أثر عظيم في قلب الصبّ المستهام، وختم تشبيبه بذكر البين، وأنه أظلم نهاره حتى صار الصبح كأنه قطعة من الظلمات ثم تخلص إلى المديح.

ونرى الشيخ عبد الغفور الدانافوري[3] يبدأ قصيدته بذكر التفرق والبين، وينقلنا إلى ذلك الجو الحزين، جوّ وداع الحبيب لحبيبه، وكيف أنهما تعانقا والأسى يذيب قلوبهما، وكيف يُسلي بعضهما البعض، ويدعو بالصبر والسلوان، ثم يذكر حاله بعد فراقه وما أصابه فيه من القلق والهيام، واحتراق للقلب، وعينه ذارفة، ونار الهوى مشتعلة، والدمع يروّي، يقول:

١- سكن الشاعر «واو» ورع لضرورة الحفاظ على سلامة الوزن.

٢- ضميمهء أردو، كليات نظم حالي، ألطاف حسين حالي، ص١٢٥.

٣- هو الشيخ الفاضل: عبد الغفور الدانافوري، أحد العلماء العاملين بالحديث، قرأ العلم على مولانا فيض الله المئوي، وعلى غيره من العلماء، ثم أسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي المحدث، لم أعثر له على تاريخ الميلاد ولا تاريخ الوفاة. (الإعلام ٣/ ١٢٥٨، هندوباك كى عربي ادباء ٨٢-٨٣).



بَـــانَتْ سُلَـيْمَى فَـــلاَ شَيْءٌ يُسَلِّــيْنَا وَلَـــوْعَةُ الْـــبَيْنِ يَشْوِيْنَـــا وَيَصْلِيْنَـــا

قَـــامَتْ تُوَدِّعُـنِي وَالْـهَـجْرُ يَمْنَعُهَـــا وَقُـمْتُ عَـــانَقْتُهَــا وَالْحُـزْنُ يُبْكِيْنَا

تَقُـوْلُ: صَـبْراً جَمِيْــلاً لاَ تَمُتْ أَسَفـاً أَعْطَـاكَ رَبِّيْ غَـــدَاةَ الْبَـيْنِ تَسْكِيْنَـا

فَيَــا لَهَـــا تَرَكَتْنِي هَـــائِمًا قَلِقـــاً وَوَدَّعَتْنِيْ وَدَاعـــاً لاَ تُبَـــالِيْنَـــا

اَلْقَــلْبُ مُـلْتَهِبٌ وَالْعَـــيْنُ ذَارِفَـــةٌ وَشَـبَّ نَـــارُ الْـهَوَى وَالدَّمْعُ يَرْوِيْنَـا[1]

لقد استطاع الشاعر إيجاد جوّ ملائم لموضوع الأبيات بذكر كلمات تدل على التنائي والابتعاد، من البين والهجر، والوداع، وما يتبعه من الحزن والقلق والألم وشدة الأسى، ونراه استخدم أفعال الماضي للدلالة على تسلط اليأس في قلبه حتى أنه يرى أن ما حصل من اللقاء والعناق ثم البين والوداع شيء بعيد غارق في الماضي كما أكثر من استخدام الأفعال المضارعة للدلالة على استمرار حالته الكئيبة الحزينة، ولإبراز صورة ذلك المشهد ماثلةً أمام أعيننا .

وممن تصدى لذكر فراقه عن حبيبته أيضاً المفتي صدر الدين خان آزرده[2] الذي ذكر اجتماعه مع حبيبه كأنهما أغصان شجر واحد، يغنيهما صدح الحمام، ويرويهما السحائب، خاليين من مصائب الدهر، بعيدين عن أقوال الوشاة، إلا أنه لم يلبث أن تغيرت الحال، ففارقه حبيبه بغير ذنب، وترك في قلبه ألما وحرقة، ثم دعا له بالعفو لأنه نسى العهد الذي بينهما مع أن الشاعر حافظ لتلك الذمة وموف لها، يقول :

وَكُنَّـــا كَغُصْنَيْ بَانَـــةٍ قَـدْ تَـأَلَّفَـــا عَــلَى دَوْحَـــةٍ حَتَّى اسْتَطَـــالاَ وَأَيْنَعَـــا

١- الإعلام ٣/ ١٢٨٥.

٢- هو الشيخ الكبير العلامة المفتي : صدر الدين بن لطف الله الكشميرى ثم الدهلوي، ولد سنة ١٢٠٤هـ بدهلي، ودرس على الشيخ فضل إمام الخير آبادي، والشيخ رفيع الدين وعبد العزيز ابني ولي الله الدهلوي، والشيخ إسحق بن أفضل العمري، وتولى الصدارة مدة طويلة بدار الملك دهلي. وكان نادرة دهره في كل علم لاسيما الفنون الأدبية.
ومن مصنفاته : منتهى المقال في شرح حديث « لا تشدّ الرحال »، ومنها « الدر المنضود في حكم امرأة المفقود »، والفتاوى الكثيرة.
توفي سنة ١٢٨٥هـ بدهلي. (الإعلام ٣/ ٩٩٢، وآثار الصناديد ص ٥٢٩ و٥٣٠، وأبجد العلوم ٣/ ٢٤٧).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

يُغَنِّيْهِمَا صَـدْحُ الْـحَـمَـامِ مُـرَجِّعًـا ... وَيَـسْقِـيْهِمَـا كَـأْسُ السَّحَـائِبِ مُتْرَعَـا

سَلِيْمَـيْنِ مِنْ خَطْبِ الزَّمَـانِ إِذَا سَطَـا ... خَـلِيَّيْنِ مِنْ قَـوْلِ الْـحَـسُوْدِ إِذَا سَعَـا

فَفَـارَقَنِيْ مِنْ غَـيْرِ ذَنْبٍ جَنَيْتُـهُ ... وَأَلْـقَى بِقَـلْبِيْ حُـرْقَةً وَتَوَجُّـعَا

عَفَـا اللهُ عَنْهُ مَـا جَنَـاهُ فَـإِنَّنِيْ ... حَفِظْتُ لَـهُ الْعَهْدَ الْقَدِيْمَ وَضَيَّعَا[1]

ونراه في مقطوعة أخرى يتطرق إلى البين وشدة وقعه، فيرى أنه أشد من نار جهنم حيث لو سلط عليها لذاب لهيبها، وأن أشد نار جهنم أبرد عنده من نار البين الذي بين ضلوعه وجوانحه، يقول :

وَلَـوْ سُلِّطَتْ نَـارُ الـتَّفَرُّقِ وَالْجَـوَى ... عَـلَى سَقَرٍ يَوْمًـا لَـذَابَ لَهِيْبُهَـا

أَشَـدُّ جَـحِيْمِ النَّـارِ أَبْـرَدُ مَوْقِعًـا ... عَلَى كَبْـدِيْ مِنْ نَـارِ بَـيْنٍ أُصِيْبُهَـا[2]

ونرى الشيخ السيد أحمد القنوجي يستعيد ذكرياته الجميلة مع حبيبه – على غرار المفتي صدر الدين – ويذكر ذلك اللهو والمتعة التي استمتع بها مع حبيبه، ويتطرق إلى بعض صفاته، ثم يعود إلى حاضره المؤلم، حيث أخلفته حبيبته الوعد، وضنت بالوصال، ولم تراع العهود التي بينهما، مع أن الشاعر ما زال متمسكا بها، يقول :

تَذَكَّرْتُ أَيَّـامَ الصِّبَـا وَاللَّيَـالِيَـا ... بِـغَـمٍّ أَرَقَّ الـشَّوْقُ مِنْكَ الْقَـوَافِيَـا

إِذِ الْـعَيْشُ أَشْهَى مَـا يَكُوْنُ مِـنَ الْـمُنَـى ... وَأَطْيَبُ لَـذَّاتٍ تَسُـوْءُ الأَعَـادِيَا

إِذِ الـرَّبْعُ رَبْـعُ الْـخَزْرَجِـيَّـةِ آهِـلٌ ... بِعِـيْنٍ كَـآرَامٍ أَلِـفْنَ الْـمَغَـانِيَـا

مُخَضَّـرَةِ الأَطْـرَافِ، رَوَّاقَـةِ اللَّـمَى ... رِقَـاقِ الثَّنَـايَـا، بَهْكَنَـاتٍ غَوَانِـيَا

١ – آثار الصناديد، سر سيد أحمد خان بهادر، ص٥٣٠، سنترل بكدبو، اردوبازار، دهلي ١٩٦٥.

٢ – فرائد الدهر، كريم الدين باني بتي، ص٣٩٩ مطبع مطلع العلوم، دهلي ١٩٤٧م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَجَارَتْ بِخُلْفِ الْوَعْدِ بَعْدَ وَفَائِهِ ... وَضَنَّتْ بِمَا يَعْرِي الْوُشَاةَ الأَسَاعِيَا
كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَبِيْبِ وَبَيْنَنَا ... عُهُوْدٌ، وَلَمْ تَرْعَ الْعُهُوْدَ الْمَوَاضِيَا
فَإِنِّيْ فَتًى أَرْعَى الْعُهُوْدَ لِصَاحِبِيْ ... وَإِن لَّمْ يَكُنْ لِلْعَهْدِ مِنْهُ مُرَاعِيَا[1]

وممن وصفوا الحبيبة بالجمال الباهر الشاعر سيد ناصر حسين الموسوي[2] في قصيدته التي سماها « ذات الأقمار» يذكر فيها من صفاتها الإشراقة والبهاء والمعان، وأنها معطار، حتى لا تعرف الحي مشيها إلا بتضوع عبقها، وأنها طويلة القد، سمراء اللون، حمراء الخد، سوداء الشعر، غراء الوجه، يقول[3]:

مَا لِيْ أَرَى لَيْلَتِيْ حُفَّتْ بِأَنْوَارِ ... كَأَنَّهَا بِضِيَاهَا ذَاتُ أَقْمَارِ
خُوْدٌ حَصَانٌ مُصَانٌ شَخْصُهَا أَبَدًا ... وَضَوْءُ غُرَّتِهَا تَبْرِيْقُ أَبْصَارِ
بَانَتْ لَوَامِعُهَا حَتَّى بِهَا ائْتَلَقَتْ ... أَنْجَادُ أَرْضٍ حَمَاهَا بَعْدَ أَغْوَارِ
لاَ يَعْرِفُ الْحَيُّ مَمْشَاهَا وَإِنْ جَهِدُوْا ... إِلاَّ بِطَيْبِ شَذَاهَا الْفَائِحِ السَّارِىْ
سَمْرَاءُ فِيْ دَعَجٍ ، هَيْفَاءُ فِيْ غَنَجٍ ... فَرْعَاءُ فِيْ أَرَجٍ، بَيْضَاءُ مِعْطَارُ[4]
لَمْيَاءُ فِيْ شَنَبٍ ، كَالرَّاحِ مِنْ عِنَبٍ ... تَحْدُوْ عَلَى طَرَبٍ مِنْ غَيْرِ إِسْكَارِ[5]

---

١ – الإعلام ٣/ ٨٩٨.

٢– هو ناصر حسين بن حامد حسين بن المفتي محمد قلي الحسيني الموسوي اللكهنوي، أحد علماء الشيعة الإمامية وكبرائهم. ولد سنة ١٢٨٤هـ ببلدة لكهنؤ.
نشأ في مهد العلم، وقرأ نهج البلاغة على والده سبع مرات، وحفظ أكثره، وأخذ الفنون الأدبية عن المفتي عباس بن علي الحسيني التستري، حتى برع فيها، وفاق أقرانه.
له مصنفات كثيرة منها : «ديوان الشعر»، و«ديوان الخطب»، و«نفحات الأزهار في فضائل الأئمة الأطهار» في زهاء ستة عشر مجلدا ، وغيرها.
توفي سنة ١٣٦٠هـ ببلدة لكهنؤ، ودفن في آغره .(الإعلام ٣/ ١٣٨٧-١٣٨٨).

٣– قصائد بهجة الأدب ٣٢-٣٤.

٤– دعج : الدعج والدعجة : السواد، وقيل شدة السواد، وقيل : الدعج شدة سواد سواد العين، وشدة بياض بياضها، وقيل : شدة سوادها مع سعتها. (ينظر: اللسان، مادة : د ع ج). غنج : الغنج فى الجارية تكسر وتدلل، (ينظر اللسان، مادة غ ن ج).أرج : نفحة الريح الطيبة، (ينظر اللسان، مادة أ ر ج).

٥– شنب : ماء ورقة يجرى على الثغر، وقيل : رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان (اللسان، مادة شنب).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فِيْ خَدِّهَــا شَفَــقٌ ، فِيْ شَعْرِهَــا غَسَقٌ   فِيْ وَجْهِهَــا فَلَقٌ يَبْدُوْ بِأَسْحَــارِ[1]

ومن وصفوا مفاتن الحبيبة أيضا الشيخ عبد الرحمن الغازيفوري [2] فيشبه حبيبته بالشمس، ويرى أن شمس السماء منها تستمد ضياءها، ويشبهها بالمسك في طيب رائحتها، كما يصف عيونها الواسعة وترائبها المصقولة، يقول[3]:

شَمْسٌ بِهَــا شَمْسُ السَّمَاءِ مُضِيْئَــةٌ   مِسْـكٌ إِذَا مَــرَّتْ عَــلَيْكَ تَفُــوْحُ

وَعُيُوْنُهَــا مِــنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِـلٍ   وَلَهَــا تَرَائِبُ كَالصَّبَاحِ تَلُــوْحُ[4]

ومن أولئك الواصفين أيضًا الشيخ عبد الغفور الدانافوري الذي تطرق إلى كثير من صفاتها الجسدية، فيشبهها- بنسيم الصبا في لين أعضائها، ويشبهها بالشمس والبرق ، ويشبه فرعها بالليل بعد وصفها بالطول إلى القدم، فيقول :

غَيْــدَاءُ فَــاتِنَةٌ ، هَيْفَــاءُ نَــاعِمَــةٌ   تَحْـكِيْ نَسِيْمُ الصَّبَا أَعْضَاءَهَا لِيْنَــا[5]

شَمْــسٌ إِذَا طَلَعَتْ، بَـرْقٌ إِذَا بَــرَزَتْ   فَتَّــانَةٌ بِسِهَــامِ الْعَــيْنِ تَرْمِيْنَــا

كَأَنَّهَا فِيْ ظَــلَامِ اللَّيْلِ إِذْ خَرَجَــتْ   بَــرْقٌ تَنَوَّرَ مِنْ تِلْقَـاءِ بَلْقِيْنَــا[6]

خُــوْدٌ غَدَائِرُهَــا طَالَتْ إِلَى قَــدَمٍ   وَالْفَـرْعُ يَحْكِيْ سَوَادًا مِنْ لَيَالِيْنَــا[7]

ولعل الشيخ أبا محفوظ الكريم المعصومي أفضل من وصف هذه المحاسن والمفاتن

١- فلق : الصبح، أو الفجر.(القاموس المحيط؛ مادة :ف ل ق).

٢- هو الشيخ الفاضل : عبد الرحمن بن جهجهو الغازيفورى، ولد سنة ١٢٨١هـ، حفظ القرآن من أساتذته :المولوى عبد الأحد اللكهنوي ، وخاله عبد الله بن عبد الرحيم الغازيفوري له شرح بسيط ممتع على شرح التهذيب ورسائل بالأردو ، وله ديوان شعر بالأردو، وقصائد بالعربية.

توفي سنة ١٣٣٤هـ (خم خانه جاويد – لاله سري رام / ٦٠٦ مطبع نولكشور، لكهنؤ ١٩٠٨م، الإعلام ٣/ ١٢٧١).

٣- وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، أربعون ميلا، ما فيها منـزل ، فهي مَرْت للوحش.(ينظر : القاموس : مادة : و ج ر).

٤- الإعلام ٣/ ١٢٧١.

٥- غيداء: ناعمة، هيفاء: من الهيف: وهو ضمر البطن، ورقة الخاصرة (القاموس: غ ي د ، ه ي ف).

٦- بلقينا: بُلقينة، اسم مكان بمصر (القاموس: ب ل ق ن) ويقال له كذلك بلقين على وزن غرنيق كما في التاج.

٧- الإعلام ٣/ ١٢٨٥ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وجمعها في مكان واحد، في مطلع قصيدته التي سماها بـ «الهند الجديدة » يقول فيها :

لله دَرُّ جَـمَـالِهَـا وَجَـلاَلِهَـا	وَبُرُوْقِ طَلْعَتِهَا وَسُحْمَةِ خَالِهَا[١]
وَشُـرُوْقِ مَبْسَمِهَـا وَمَاءِ جَـمَالِهَـا	وَبَهَاءِ سُحْنَتِهَـا وَحُـسْنِ دَلاَلِهَـا[٢]
أَيْنَ الْمَـهَـا مِنْ طَرْفِهَا، وَالْـبَدْرُ مِنْ	سَحْنَائِهَـا، وَالظَبْيُ مِنْ إِدْلاَلِهَـا[٣]
مَيْسَـاءُ عَادِلَـةُ الْقَـوَامِ كَبَـانَةٍ	خَضْـرَاءَ، إِنَّ السَّرْوَ شِبْهُ ظِلاَلِهَـا[٤]
إِنْ أَدْبَـرَتْ فَاللَّيْلُ مِـنْ إِدْبَارِهَـا	أَوْ أَقْبَـلَتْ فَالـشَّمْسُ مِـنْ إِقْبَالِهَـا
نَـظَـرتْ بِمَوْقِـئِهَـا الْبُدُوْرَ فَأَقْبَـلَتْ	تَتَضَـاءَلُ الأَقْـمَـارُ بَعْدَ كَـمَالِهَـا[٥]
رَيَّـا الْمَـعَـاصِمِ كَالشَّقَـائِقِ بَضَّـةً	عِطْرُ الْحَـيَـاةِ يَفُـوْحُ مِـنْ أَذْيَالِهَـا
هِـيَ غَـادَةُ الشَّـرْقِ الْـفَرِيْدَةُ تُوِّجَتْ	بَـيْنَ اللِّـدَاتِ بِكِـبْرِيَـاءِ جَلاَلِهَـا[٦]

فنراه يفوق أقرانه في الجمع بين أوصاف كثيرة في قصيدة واحدة، كما يمتاز بقوة أسلوبه ودقة تصويره أيضا، ولم يكتف بتصوير المحاسن الحسية فحسب، بل تطرق إلى بعض الصفات المعنوية أيضا مثل كبرياء الجلال، وإن كان ذلك بإشارة سريعة خاطفة. وذكروا من صفاتها المعنوية أيضا أنها تعد بالوصال ثم تخلف ولا تفي بوعدها .

وممن ذكر هذه الصفة الشيخ عبد الصمد علمي[٧] في مطلع داليته، يقول فيها:

١– السحمة : السواد.

٢– السُحنة والسَحنة : لين البشرة والنغمة، وقيل : الهيئة واللون والحال.

٣– السحناء : السحنة.

٤– ميساء: من ماس يمس مَيْساً وميساناً: تبختر واختال (اللسان: م ي س).

٥– موقئ العين: مؤخرها وقيل مقدمها (اللسان: م ء ق).

٦– حصلت على نسخة منها من الشاعر نفسه.

٧– هو الشيخ عبد الصمد علمي ابن عبد القادر، ولد في ضواحي مدراس سنة ١٣١١هـ، درس في مدرسة الباقيات الصالحات في ويلور، وتتلمذ على شمس العلماء عبد الوهاب القادري، ثم عين مدرساً في المدرسة نفسها، وكان له قدرة في الرد على فرقة «آريه سماج الهندوكية». له رسائل عديدة، وشعر بالعربية والفارسية.
توفي سنة ١٣٦٦هـ– ١٩٤٦م، (مجلة الباقيات الصالحات الصادرة سنة١٣٦٤هـ– ١٩٧٤م بمناسبة الذكرى المئوية ، ص١٠٦–١١١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

عَلَى مَــوَاعِيْدِ سَلْمَى كَيْفَ أَعْتَمِــدُ؟ أَبِالسَّرَابِ يَرْتَوِي الظَّمْآنُ إِذْ يَجِــدُ[1]

ويقول الشيخ عبدالرحمن بقا الغازيفوري:

لاَ عَيْبَ فِيْهَــا غَــيْرَ أَنَّ فُؤَادَهَــا إِذْ قِيْــلَ : "جُوْدِيْ بِالْوِصَالِ" شَحِيْحُ[2]

وفيها يقول الشيخ سيد أبو العلاء نظر أحمد سهسواني[3] :

طَــيْفٌ أَلَمَّ إِذَا مَــا النَّوْمُ غَشَّــانِيْ وَصَــادَ قَلْبِي بِطَــرْفٍ مِنْهُ فَتَّــانِ

إِنِّيْ رَشَــفْتُ شَرَابًــا مِنْ مُقَبَّلِهَــا فِيْهَا الْحَــيَاةُ لِصَادِي الْقَلْبِ عَطْشَانِ

لَمْ أَنْسَــهُ يَوْمَ أَبْكَــانِيْ وَأَضْــحَكَنِيْ مِــنْ وَعْدِ وَصْلٍ وَمِنْ تِذْكَارِ هِجْرَانِ[4]

ومما وصفوه أيضا مما يتعلق بالحبيب ذلك الصبا الذي يهب من ديار المشوق فيحمل للصب عبق ديارها، ويُذكِّره بسالف عهده مع حبيبه ، ويحيي في نفسه تلك الذكريات العذبة، ومن هنا يفرحون بمقدم هذا النسيم ، ويرحبون به ترحابا حارّا، ويرون فيه رسولاً من حبيبهم ، وفي هذا يقول السيد أحمد مع ذكر ما لهذا النسيم من أثر في الأغصان والأشجار والطيور، يقول :

نَــسِيْمُ الصَّبَا وَافَى سُحَــيْرًا مُطَــيَّبًــا فَقُــلْتُ لَهُ أَهْــلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَــا

كَــأَنَّكَ أَنْفَــاسُ الْمَــسِيْحِ بِعَيْنِهَــا فَــأَحْيَيْتَ صَــبًّا لَمْ يَنَلْ قَطُّ مَطْلَبَــا

فَدَيْتُــكَ يَــا نِعْمَ الصَّبَــا، خَيْرَ مَقْدَمٍ فَكُــلُّ حَـمَــامٍ حِيْنَ أَقْبَلْتَ رُحِّبَــا

١- دالية العلمي مع الرائية ص٢، المطبع الكريمي، مدراس، ١٣٥٣هـ.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٧١.

٣- هو الشيخ أبو العلاء نظر أحمد بن سندال محمد شاه، ولد ١٣٠٤هـ بمدينة سهسوان، ونشأ بها.
تتلمذ على: محمد بشير المحدث السهسواني، وشمس العلماء نذير أحمد الدهلوي، ومفتي عبد الله اللاهوري، والشيخ ذي الفقار علي، والشيخ محمد طيب مكي.
له رسائل عديدة منها: عمدة الوسيلة، كشف النقاب، رفع الغمة، السنة الإلهية، شرح قصائد رنات الطرب وغيرها.
توفي سنة ١٣٨٠هـ، (الإعلام ٣/ ١٣٩٤).

٤- هندوستان كي عربي شاعري، د. حامد علي خان ، ص٢٧٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

تحَـــاكِيْ لَكَ الأغْصَانُ بِالْوَجْدِ رَاقِصًـــا تُضَـــاهِيْ لَكَ الأَطْيَارُ بِالسَّجْعِ مُطْرِبَـــا

وَتَنْفُـــخُ فِي الأَشْجَارِ رُوْحـــاً تُمِيْلُهَـــا فَيَـــا لَكَ مَـــا أَزْهَاكَ صُنْعًا وَأَعْجَبَـــا

أَهَــلْ جِئْتَ مِنْ تِلْكَ الرُّبَى بِرِسَالَـــةٍ فَـإِنَّ الصَّبَا نِعْمَ الرَّسُوْلُ لِـمَنْ صَبَـــا[1]

فيرى أن النسيم لم يحي الصب المحب فقط، بل أنفخ روحا في الأشجار أيضا، فهي تميل وتهتز، وأغصانها ترقص وتطرب، فضلا عن الطيور الحية.

ونراه في قصيدة أخرى يُحَمِّل النسيم رسالة إلى حبيبته، يبثّ فيها حزنه وشدة شوقه إليها وأنه لم يذق لذة منذ ما فارقته، ويذكر أن الزمان يتغير - كما يزعم أناس - مع أنه لا يرى أي تفاوت في بليّات النوى ، يقول :

أَلاَ يَـــا نَسِيْـمَ الرَّوْضِ بَلِّـــغْ تَحِـيَّتِيْ إِلَى مَـــنْ حَيَـــاتِيْ عِنْـدَهُ أَوْ مَنِـــيَّتِيْ

لَـــقَدْ عَمَّتِ الْبَـــلْوَى لِيَ الْـيَوْمَ وَالـنَّوَى وَمَـــا طَـــابَ حَالِيْ مِنْ عُمُوْمِ الْبَلِيَّـــةِ

تَجِـــدُّ لِيَ الأَحْـــزَانُ فِيْ كُـــلِّ سَـــاعَةٍ وَمَـــا فُزْتُ مِنْها حَيْثُ جَـدَّتْ بِلَـــذَّةِ

تَقُـــوْلُ رِجَـــالٌ : لِلزَّمَـــانِ تَغَـــيُّرٌ وَمَـــا فِيْ بَلِيَّاتِ النَّوَى مِنْ تَفَـاوُتِ[2]

ومما وصفوه في هذا الباب أيضا ما يفعله الحب في العاشقين، وما يحتملون من الضنك والمشقة، وما يقاسون من المرارة والعذاب، وما يعانون من السهر والأرق، حتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الجنون أو الهوس، وببعضهم إلى الانتحار أو الموت، ولا يشفي من هذا إلا وصل الحبيب، وفي هذا يقول الشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي:

إِنْ لَمْ تُـصِبْ نَظْرَةٌ مِـنْ أَعْـيُنٍ نَـعسٍ فَمَـنْ نَفَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيْـكَ فِي الغَـلَسِ

مَـــنِ اسْتَنَـــامَ إِلَيْهَـــا سَهَّـدَتْهُ وَكَـــمْ مِمَّـــنْ أَنَـامَتْهُ مِـــنْ يَقْظَـــانَ مُحْـــتَرِسِ

١- الإعلام ٣/ ٨٩٧، ديوان الشاعر المخطوط في مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ، برقم ١٤٦٢، وهو غير مرقم الصفحات.

٢- ديوان الشاعر غير مرقم الصفحات، مخطوطة ١٤٦٢، مكتبة دار العلوم ندوة العلماء ، لكهنؤ، الإعلام ٣/ ٨٩٨.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

سَلَبْنَ وَسْنَتَهُ فَازْدَدْنَ فِيْ سِنَةٍ ... وَغُصْنَهُ فَتَرًا فَازْدَادَ فِي الْهَوَسِ
بَلْ لاَيَذَرْنَ بِمَنْ يَرْمُقْنَ مِنْ رَمَقٍ ... وَلاَ يَدَعْنَ بِذِيْ نَفْسٍ سِوَى نَفَسِ
وَلاَ شِفَاءَ لَهُ إلاَّ الشِّفَاهُ إِذَا ... سَقَيْنَهُ عَسَلاً يُشْتَارُ مِنْ لَعَسِ[1]
قَدْ بَغَّضَ الصِّيدَ مَا يخفُوْنَ مِنْ صَلَفٍ ... وَحَبَّبَ الْغِيْدَ مَا يُبْدِيْنَ مِنْ شَوَسٍ[2]
قَدْ حَسَّنَ الْحُسْنُ مِنْهَا كُلَّ سَيِّئَةٍ ... حَتَّى الْجَفَاءِ وَسُوْءِ الْخُلْقِ وَالشَّرَسِ[3]

وله أيضاً قصيدة أخرى ينهى فيها عن الوقوع في حبائل الهوى، وشَرَك الحب، وهوى الحسان؛ لأنها مطية الخيبة والخسران، وسبيل الهلاك، وتلك النعم والمفاتن التي يتنعم بها الحبيب تجلب للصب النقم والشدائد ؛ لما للحبيبات من قلوبٍ قاسيةٍ وإن كانت تتمتع باللين والنعومة في ظاهرالجسد، فيضطر العاشق إلى تحمل العذاب، وتذراف الدموع، يقول:

لاتَنْصَبِغْ بِهَوَى بِيْضِ الأَمَالِيْدِ ... فَأَحْمَرُ الْمَوْتِ فِيْ أَجْفَانِهَا السُّوْدِ
فِيْ غَمْزِ أَلْحَاظِهَا فَتْكُ الأُسُوْدِ وَإِنْ ... حَاكَيْنَ رِيْمَ الْفَلاَ بِالطَّرْفِ وَالْجِيْدِ
قَدْ خَابَ مَنْ غَازَلَ الْغِزْلاَنَ يَأْمُلُهَا ... وَبَادَ مَنْ رَامَ أُنْسَ الرِّيْمِ فِي الْبِيْدِ
ذَرِ الْمَرَاشِفَ وَاسْتِعْذَابَهُنَّ فَفِيْ ... تِلْكَ الْعِذَابِ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْدِ
فَلاَ يَرُوْقَنَّكَ لِيْنٌ فِيْ مَعَاطِفِهَا ... إِنَّ الْقُلُوْبَ لَمِنْ أَقْسَى الْجَلاَمِيْدِ[4]
يَبْكِي الْمَشُوْقُ بِعَبَرَاتٍ مُوَرَّدَةٍ ... مَا فِيْ مَبَاسِمِهَا مِنْ حُسْنِ تَوْرِيْدِ[5]

١- ديوان الشاعر، مخطوط في مجموعة في مكتبة آزاد، جامعة على كر هـ رقم، الإعلام ٣/ ١٠٦٤ .شار العسل يشور شَوراً: استخرجه من الوقبة، (القاموس: ش و ر). اللَّعَسُ: أدمة خفيفة تعلو شفة المرأةالبيضاء(المحيط في اللغة ١/ ٣٦٦).

٢- الصِّيد ج أَصْيَدُ: رافع رأسه كبراً. الصَّلَف: الغلو في الظرْف والزيادة على المقدار مع تكبر. الشَّوَس: النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً (القاموس: ص و د، ص ل ف، ش وس).

٣- الشَّرَس: سوء الخلق، شدة الخلاف (القاموس: ش ر س).

٤- الجلاميد : جمع جلمود وهو الصّخر (اللسان: ج ل م د).

٥- الإعلام ٣/ ١١٧٣.



والشيخ أوحد الدين البلجرامى [1] يصف ما عاناه من التعب والعنا في الحب، حتى ذاب جسمه، وباح الدمع بسر الهوى المكتوم، ويطلب من حبيبه الترحم والتعطف وإطلاق أسير محبته ، ويطلب منه الكف عن تعذيبه، يقول :

زَادَ الْهُـــيَامُ مَــعَ الْعَـــنَا　　وَضَـــرَامُ قَلْبِي مَـــا انْطَفَـــا

وَالْجِـــسْمُ ذَابَ مِـنَ الضَّـــنَا　　وَالـــدَّمْعُ بَـــاحَ بِـــمَا اخْتَـــفَى

فَـــإِلَى مَتَى هَـذَا الْجَـــفَا ؟　　يَـــا مُتْلِفِي، مَـــا قَـــدْ كَـفَى

أَطْـــلِقْ أَسِـــيْرَ مَحَـــبَّةٍ　　فَـــارْحَمْ وَكُـــنْ مُتَعَطِّـــفَا

أَنَـــا فِيْ هَـــوَاكَ مُتَـــيَّمٌ　　فَـــاسْمَحْ وَكُـنْ لِيْ مُسْعِفَـا [2]

ويقول في قصيدة أخرى أنه لم يذق النوم مذ فارقه الحبيب، فيبيت يرعى النجوم ويذرف الدموع، وأنه كلما قدم إليه سُرَّ قلبُه بمجيئه، وكلما صدّ عنه يزيده هما ونصباً:

مُذْ بَانَ عَنِّيَ لَمْ تَدْرِ الْكَرَى مُقْلَتِيْ　　أَرْعَى النُّجُوْمَ، وَعَـيْنُ الدَّمْعِ مُنْهَـمِرُ

وَافَى إِلَيَّ فَسُـرَّ الْقَـلْبُ حِـيْنَ دَنَـا　　وَصَـدَّ عَنِّيْ فَزَادَ الْهَـمُّ وَالْكَـدَرُ [3]

ويذكر في قصيدة أخرى أنها أسرت قلبه بحبل المودة، ثم قتلته عمداً، وأن عينها سيف مسلول على عشاقها، ثم يتعجب من كثرة جورها على محبيها، ويرجع سبب ذلك إلى أن طينتها لعلها خمرت بالجور، ويتخلل ذكر هذه الحالة الكئيبة بعض صفاتها أيضا، يقول:

مَيَّـاسَـةُ الْقَـدِّ مَا مَاسَتْ وَمَا خَطَرَتْ　　إِلاَّ وَقَـلْبِيْ بِحَبْلِ الْـوُدِّ قَدْ أَسِـرَتْ [4]

١– هو الشيخ الفاضل : أوحد الدين بن علي أحمد العثماني البلكرامي ، ولد ونشأ ببلكرام ، وسافر للعلم ، فقرأ على مولانا حيدر علي بن عناية علي الحسيني الطوكي، وعلى غيره من العلماء، وأخذ عنه القاضي بشير الدين القنوجي والشيخ محمد بشير السهسواني، والشيخ جميل أحمد البلكرامي، وخلق كثير.

وله مصنفات عديدة، منها : روضة الأزهار، ومفتاح اللسان،وتذكرة شعراء العرب، وشرح على ديوان المتنبي، وشرح على مقامات الحريري، ونفائس اللغات في المفردات الهندية بالفارسي، توفي ١٢٥٠هـ. (الإعلام ٣/ ٩٢٩ – ٩٣٠).

٢– الإعلام ٣/ ٩٣٠.

٣– المرجع السابق نفسه.

٤– مياسة : من ماس يميس ميسا وميسانا وتميّسافهومائس وميوس وميّاس : التبختر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

نَشْـوَانَةٌ مِـنْ رَحِيْقِ الْحُسْنِ قَدْ سَفَـكَتْ   دَمِي بِمُقْلَـتِهَا عَمْـداً وَمَـا حَـــذَرَتْ
كَـأَنَّـــهَا غُصْنُ بَـانٍ صِيْغَ مِنْ ذَهَـبٍ   فِيْ خَـــدِّهَـــا رَوْضَــةٌ، أَنْـوَارُهَـا زَهَرَتْ
خَرِيْــدَةٌ مَـــا رَنَتْ إِلاَّ وَمُقْـــلَتُـهَـا   حُسَـــامُ لَحْــظٍ عَلَى عُشَّاقِهَـا شُهِرَتْ
اَللهَ اَللهَ كَـــمْ جَـــوْرٍ عَـــلَى دَنـف   أَظُــنُّ طِيْنَتَهَا بِالْجَـوْرِ قَـدْ خُمِـرَتْ[1]

ونجد شعراء الهند أيضاً يذكرون العذل والعذال، كما ذكرهما شعراء العربية في غير الهند، فيقول الشيخ عبد الصمد علمي في ذكر حبيبته التي وصف جمالها فرأى أنها تخجل ورقاء، وأعينها أجمل من عيون الظباء وأوسع، وشبه كلماتها باللآلي في العسل، فصارت تفوق على اللآلي من ملح البحار، ولاغرو فريق الحبيب يفوق العسل يذم الريح الذي تعفي معالم دارها، ويمدح السحاب الذي يكشفها، ويتطرق إلى ذكر الطيف، وعدم استطاعته الصبر، يقول :

نَاءَتْ سُعَـــادُ فَنَفْسِي الْيَـــوْمَ فِيْ جَـلَلٍ   مِـــنَ النَّـــوَائِبِ وَالآلاَمِ وَالْعِـــلَلِ
نَفْـــحَاءُ، قَمْـــرَاءُ، جِسْـمًا مُخْجِلاً وَرقًـــا   عَيْنَـــاءُ، تُزْرِيْ بِعَــيْنِ الظَّــبْيِ فِيْ نَجَــلِ
تَــرَى الـــلآلِيَ مِـــنْ مِلــحِ الْبِحَـارْ بَدَتْ   إِنَّ الـــلآلِيَ فِيْ فِيْهَـــا لَـفِي الْعَسَـــلِ
أَذُمُّ رِيحـــاً تُغَطِّيْ رَسْمَ مَنْ هَجَـــرَتْ   وَلاَ أَذُمُّ سَحَابـــــاً كَاشِفَ الطَّـــــلَلِ
بِالطَّــيْفِ لاَ يَقْنَعُ الْعُشَّاقُ حِيْنَ سَـــرَى   وَدُوْنَهَـــا حُجُبٌ تُلْقَى عَـلَى الْـمُـــقَلِ
وَكَـيْفَ يَجْهَـــدُ أَن يَنْسَلَّ مُصْطَـــبِرًا   مَـنْ كَـــانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحُـبَّ لَمْ يَـــزِلِ
مَـــا لِلْـعَوَاذِلِ لاَ يَتْرُكْـنَ لَــوْمَتَـــهُ   إِنَّ الْـمُـحِبَّ لَــفِيْ صُـمٍّ عَنِ الْعَــذَلِ
لِـمِثْــلِهِ رَثَتِ الأَعْـــدَاءُ حِـــيْنَ رَأَتْ   حُــبَّ الْـمَـشُوْقِ وَذَبَّ الشَّائِقِ الْخَجِـلِ
مَــرَارَةُ الْهَـــجْرِ أَنْـسَتَ لَــذَّةً وَهَبَــتْ   حَــلاَوَةُ الْوَصْــلِ فِيْ أَيَّـــامِهِ الأُوَلِ[2]

١- دنف: المرض الملازم، ورجل دنف : براه المرض حتى أشرف على الموت، ينظر (اللسان والقاموس : مادة د ن ف).الإعلام ٣ / ٩٣٠.

٢- اللامية مع البائية. عبد الصمد علمي ، ص ٢، طبع وانم بارى ، الهند.



وقد اتخذ بعض الشعراء في الغزل منهج الحوار بينه وبين حبيبته الذي امتاز به عمر بن أبي ربيعة.

فمن هؤلاء المفتي السيد محمد عباس الشوستري[1] يحكي لنا ما جرى بينه وبين حبيبه من الحوار يصور من خلاله تذلل العاشق لحبيبه ومحاولته في سبيل إرضائه، لكي ينال مناه، ويفوز بأمله، ويصور من جانب آخر صدود المعشوق وتدَلُّله وتمنعه عن حبيبه ومماطلته في وصل حبيبه، وعدم مبالاته بما يكابده من جهد ومشقة في حبه، يقول :

قَـالَ لِيْ : مَـا تُرِيْدُ ؟ قُلْتُ رِضَـاكْ ... قَـالَ : فَـاهْلَكْ أَسًى، رَضِيْتُ بِـذَاكْ

قُـلْتُ : أَرْجُـو الْهَـلاَكَ لِيْ قُدُمًـا ... قَـالَ : هَـذَا مُخَـالِفٌ لِـحَشَـاكْ

قُـلْتُ : قَلْـبِيْ لَـدَيْكَ مَسْجُـوْنٌ ... كُـلُّ مَـا فِـيْهِ لاَ يَخْفَـاكْ

قَـالَ : عِنْـدِيْ قُلُـوْبُ أَقْـوَامٍ ... لَـسْتُ أَدْرِيْ حَشَـاكَ أَيْـنَ هُنَاكْ؟

قُـلْتُ : فَـاطْلُبْ أَشَدَّهَـا قَلَقًـا ... وَاخْـتَرْ مَـنْ أَضَلَّـهَـا بِهَـواكْ

فَـإِذَا مَـا وَجَـدتَّهُ فَـاحْكُمْ ... كُـلُّ مَـا تَشْتَهِيْهِ جَعَـلْتُ فِـدَاكَ

قَـالَ : هَيْهَـاتَ إِنَّ لِيْ شُغُـلاً ... بِاكْتِحَـالِيْ وَطَـرْفِيَ الْفَتَّـاكْ

قُـلْتُ : دَعْ عَنْـكَ هَـذِهِ الْـعُتْبَى ... وَادْنُ مِـنِّيْ لِـكَيْ أُقَـبِّلَ فَـاكْ

قَـالَ : مَهْـلاً فَقُـلْتُ يَـا أَسَـفِيْ ... ضَـاعَ قَلْبِيْ، وَخَابَ مَنْ يَهْـوَاكْ[2]

١- هو الشيخ الفاضل المفتي عباس بن علي بن جعفر بن أبي طالب بن نور الدين بن نعمة الله الموسوي الشوستري ثم اللكهنوي، ولد سنة ١٢٢٤هـ، وتتلمذ على عبد القوي الحنفي ومولانا عبد القدوس الحنفي اللكهنوى، ومولانا قدرة علي الحنفي ، ولازم السيد حسين بن دلدار علي المجتهد اللكهنوي ، وولي التدريس والافتاء في ديوان الوزارة، ولقب من قبل ملك أوده بتاج العلماء وافتخار الفضلاء ، واستفاد منه خلق كثير في الأدب والإنشاء .

من مصنفاته : ديوان رطب العرب، وديوان من وسلوى، وقصائد كثيرة، ومعراج المؤمنين، وبناء الإسلام، والشريعة الغراء، ورياض الإنشاء، وغيرها.

توفي سنة ١٣٠٦ هـ في لكهنؤ . (تاريخ عباس، الإعلام ٣/ ١٢٥٦- ١٢٥٧).

٢- ديوان رطب العرب، مفتي محمد عباس الشستري، (ص ١٧١)، مطبع جعفري، لكهنؤ، التاريخ غير مذكور.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد وجد من القديم تياران في الغزل : أحدهما غزل عفيف عذري، والآخر: غزل حسي، ولقي كلا التيارين في الهند من يميل إليه ويؤثره على غيره، فمن أمثلة الغزل العفيف ما قاله الشيخ عبد الأول الجونفوري[1] في معاناته في حب غادة، وما تحمله وعاناه في ذلك ، ولكنه لم يرد من حبيبه ما ينافي الشرع، أو يخرم المروءة، بل كان همه ومناه اللقاء بحبيبه، والظفر برؤيته، والفوز برضاه، وكان لا يحتمل كل هذه المتاعب إلا للوصول إلى هذه البغية، يقول :

جَلاَلِيَا أَنِّيْ هِمْتُ فِيْهَا جَلاَلِيَا ... بَدَا لِيَا فِي الأَسْفَارِ مَا قَدْ بَدَالِيَا

وَخَرْعَبَةٍ بَانَتْ شُمُوْعًا لَبِيْقَةً ... شُغِفْتُ بِهَا وَالشَّوْقُ يِمْشِيْ أَمَامِيَا

تُحِيْطُ بِيَ الأَشْوَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... فَيَا لَيْتَهَا تُقْضَى، وَأُعْطَى أَمَانِيَا

وَمَا لِيَ لاَ أُلْفِيْ سِوَاهَا لِخُلَّةٍ ... وَمَالِيَ قَدْ أَسْرَفْتُ فِي الْعِشْقِ مَالِيَا

بَذَلْتُ لَهَا قَلْبِيْ وَأَوْرَثَتِ الأَسَى ... كَذَلِكَ تَجْزِي الْعَاشِقِيْنَ الْمَوَالِيَا

وَلَمْ أَكْتَرِثْ مِنْ عَاذِلاَتٍ وَعَذْلِهَا ... فَإِنِّيْ مُصَابٌ بِالْغَرَامِ مُعَانِيَا

وَعَاذِلَةٍ رَامَتْ غَرَامِيْ سَفَاهَةً ... فَمَا غِيْضَ مِنْهَا الْعِشْقُ بَلْ شَبَّ ثَانِيَا

فَقُلْتُ لَهَا : مَهْلاً هُنَالِكَ مَخْلَصٌ ... وَمَا أَنَا بِالْفَحْشَاءِ وَيْحَكِ جَائِيَا[2]

فنراه يعلن إعلانا صريحا أنه لا يبتغي الفحش والمنكر من وراء هذا الحب، وإن كان قلبه مبتلى، ومهجه مشتاقة .

١– هو الشيخ الفاضل : عبد الأول بن كرامة علي بن إمام بخش بن جار الله الجونفوري.
ولد سنة ١٢٨٤ هـ بجزيرة سنديب، وقرأ على مولانا محمد نعيم بن عبد الحكيم النظامي اللكهنوي، والسيد شير علي البلند شهري، ثم سافر إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرواني المهاجر، والشيخ عبدالله بن السيد حسين المرحوم، ثم لازم الشيخ عبد الحق بن شاه محمد الإله آبادي المهاجر، وله إجازات عن محدثي الحرمين.
قد جاوزت مؤلفاته مائة كتاب ورسالة، منها : الطريف للأديب الظريف، والتليد للشاعر المجيد، والرديف لتالي الظريف، والبسطى في بيان الصلاة الوسطى، وغيرها.
توفي سنة ١٣٣٩هـ في كلكتة. (سيرت مولانا عبد الأول الجونفوري، تجلّي نور ٢/ ١٣٧–١٣٨، الإعلام ٣ / ١٢٥٧ – ١٢٥٨).

٢– الدر النضيد. الشيخ عبد الأول الجونفوري ص ٢٩.



ويرى بعض الباحثين أن التمتع بالألم وتعذيب النفس من المعاني التي دار حولها الغزل العفيف في القديم . وفي ذلك يقول الدكتور صادق جلال العظم :

«ولا تخلو ظاهرة الحب العذري من خصائص «السادوماسوكية» من حيث إنه يميل ميلا شديدا إلي تعذيب النفس والغير (أي الحبيب) بدون مبرر واضح أو غاية محددة ، وإنما لمجرد الاستمتاع والتلذذ بالألم والعذاب، باعتبارهما جزء لا يتجزأ من عفيف التجربة الغرامية العذرية ، وشدة انفعالاتها »[1].

ونرى مثالا لهذا عند الشيخ عبد الأول الجونفوري أيضا حيث يذكر ما كان يقاسيه من ألم وتعب في الحب بعد أن قضى جزءا من حياته بعيدا عن هذه المتاعب، يقول:

وَقَدْ عِشْتُ فِي النَّعْمَاءِ عِشْرِيْنَ حِجَّةً — وَفِيْ الْعِشْقِ خَمْسًا عِشْتُهَا وَثَمَانِيَا
وَلاَ خَيْرَ فِيْمَن يَزْدَرِيْ بِأُولِي الْهَوَى — وَلاَ الصَّبُّ إِلاَّ مَنْ يَذُوْقُ الدَّوَاهِيَا
أُسِرُّ الْهَوَى جِدًّا وَلَكِنْ تُشِيْعُهُ — دُمُوْعِيْ، وَلاَ أَخْشَى وَإِنْ شَاعَ مَا بِيَا
وَكُنْتُ خَلِيَّ الْبَالِ يَوْمَ بَرَقْتُهَا — فَنِلْتُ لَهَا عِشْقًا وَحُبًّا فُؤَادِيَا
فَيَا لَيْتَهَا تَشْفِيْ سِقَامِيْ بِطِبِّهَا — وَيَا لَيْتَهَا تَرْضَى وَتَرْحَمُ حَالِيَا
عَشِقْتُ وَلَمْ تَعْشَقْ فَلَوْ عَشِقَتْ دنت — وَجَادَتْ بِمَا أَبْغِيْ تَؤُمُّ مَكَانِيَا
فَنَاهِيْكَ يَا مَوْلَى الْحَبِيْبِ بِحُبِّهَا — كَفَى بِكَ هَمًّا أَنْ تَرَى الْحِبَّ نَائِيَا

وبعد هذا الشوق الشديد إلى لقاء حبيبه والوصول إليه، نراه حينما يتمكن من اللقاء به قبيل الفجر، يمتنع عما لم يحله الله له، من مقارفة الذنوب والآثام، مما يدل على طهارة ذيله وعفة حبه، يقول :

طَرَقْتُ إِلَيْهَا حِيْنَ أَغْفَتْ سُحَيْرَةً — فَهِبْتُ وَهَابَتْ تَشْرَئِبُّ وَرَائِيَا[2]
فَلاَقَيْتُهَا تَحْتَ الظَّلاَمِ فَمَا احْتَوَتْ — وَحَاوَرْتُهَا فِيْ أَنْ أَنَالَ مُرَادِيَا[3]

١- الغزل فى الشعر العربي الحديث في مصر ، نقلا عن : في الحب والحب العذري ص ١٠٤ .

٢- تشرئب : من اشرأب الرجل للشيء وإلي الشيء : مد عنقه إليه، وقيل : هو إذا ارتفع وعدا.

٣- احتوت: جمع، أحرز، ألما على الشيء. ١٨/ ٢٢٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَحِيْنَئِذٍ أَغْضَتْ حَيَاءً وَأَطْرَقَتْ وَقَالَتْ : يَمِيْنُ اللهِ أُلْفِيْكَ غَاوِيَا

فَقُلْتُ لَهَا : كَلاَّ فَلاَ تَخْشَ رِيْبَةً فَلَسْتُ – وَرُوْحِي – بِالْفَوَاحِشِ رَاضِيَا[1]

وإذا تركنا الغزل العفيف إلى الغزل الحسي الذى فيه نوع من الفحش والمجون نجد فيه ذكر التقبيل والعناق وغيرهما ، فمنه ما قاله الشيخ أوحد الدين البلجرامي مخاطباً حبيبته :

يَا قَاتِلِيْ بِلِحَاظِهِ لَحْظِي لِبُعْدِكَ مَا غَفَا

جُدْ لِيْ بِحُسْنِكَ قُبْلَةً إِنِّيْ أَرَى فِيْهَا الشِّفَا[2]

فيرى الشاعر أن شفاءه في تقبيل فم الحبيب ، ومثل هذا ما قاله الشيخ فضل حق الخير آبادي :

إِنْ لَمْ تُصِبْ نَظْرَة مِنْ أَعْيُنٍ نَعسٍ فَمَنْ نَفَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيْكَ فِي الغَلَسِ

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَيْهَا سَهَّدَتْهُ وَكَمْ مِمَّنْ أَنَامَتْهُ مِنْ يَقْظَانَ مُحْتَرِسِ

سَلَبْنَ وَسْنَتَهُ فَازْدَدْنَ فِيْ سِنَةٍ وَغُصْنَهُ فَتَرًا فَازْدَادَ فِي الْهَوَسِ

بَلْ لاَ يَذَرْنَ بِمَنْ يَرْمُقْنَ مِنْ رَمَقٍ وَلاَ يَدَعْنَ بِذِيْ نَفْسٍ سِوَى نَفَسِ

وَلاَ شِفَاءَ لَهُ إِلاَّ الشِّفَاهُ إِذَا سَقَيْنَهُ عَسَلاً يَشْتَارُ مِنْ لَعَسِ[3]

فيرى أن الحب يؤرق الصب، ويسلب من عينه النوم في الغلس الذي يغلب فيه النوم علي الساهر، وأنه يوقع الحلماء في الهلاك والردى، ولا يترك في المرء شيئا، ولا يشفي من هذا المرض إلا شفاه الحبيب .

ومن هذا النوع – الغزل الحسي – ما يقوله الشيخ سيد أحمد حسرت[4] في تمتعه مع

١– الدر النضيد، ص ٢٩.

٢– الإعلام ٣/ ٩٢٩.

٣– ديوان الشاعر، مخطوط في مكتبة آزاد، جامعة على كر هـ رقم، الإعلام ٣/ ١٠٦٤ .

٤– لم أعثر له على ترجمة.



حبيبه بالعناق والتقبيل بعد الإطالة في وصف مفاتنها ومحاسنها - وإدارة كؤوس الخمر بينهما إلى طلوع الفجر[1] :

صَادَنِي شَادِنٌ وَفِي قَلْبِي ... حُبُّهُ سَاكِنٌ بِغَيْرِ شَرِيكْ
نُقْطَةُ الْخَالِ فَوْقَ مَبْسَمِهِ ... كَسَوَادٍ يَزِينُ عَيْنَ الدِّيكْ
أَرِنِي بَانَةً كَقَامَتِهِ ... إِنْ تَكُنْ يَا حَمَامُ فِي وَادِيكْ
يَا لِقَدٍّ كَأَنَّهُ غُصْنٌ ... مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا لَهُ تَحْرِيكْ
جَاءَ بَعْدَ الْبِعَادِ مُعْتَذِرًا ... قَالَ : يَا مُسْتَهَامُ، مَا يُرْضِيكْ؟
قُلْتُ : لُقْيَاكَ نُورُ نَاظِرَتِي ... وَعِنَاقٌ وَقُبْلَةٌ فِي فِيكْ
قَالْ : قُمْ وَاعْتَنِقْ وَخُذْ يَا مَنْ ... كَانَ رِقًّا لَنَا فَصَارَ مَلِيكْ
قُمْتُ عَانَقْتُهُ أُقَبِّلُهُ ... قَالَ : ذَرْنِي، فَقُلْتُ : لاَ وَأَبِيكْ
قَالَ لِي : يَا مُقِلُّ لاَ تُكْثِرْ ... أَوَ مَا كَانَ وَاحِدٌ يَكْفِيكْ

فذكر أنه لم يكتف بقبلة واحدة، ولم يصدر عن نهل، بل علّ منه حتى يطفئ لهيب غرامه، ويبرد نار شوقه، ويعوضه عن أيام هجره، ثم ينتقل إلى ذكر مجالس لهوه وأنسه، وما كان يدور فيه من تعاطي الخمر من أيدي الغيد الحسان، إلى أن يصحو ويستفيق الأنام، يقول:

وَابْتَغِي قَهْوَةً مُشَعْشَعَةً ... نَقَضَتْ عَهْدَ زَاهِدٍ نِسِّيكْ[2]
قَالَ : إِشْرَبْ فَإِنَّهُ مَاءٌ ... إِنْ تَكُنْ مَيِّتًا عَسَى يُحْيِيكْ
نَيِّرٌ، لاَمِعٌ، بِلاَ رَيْبٍ ... جَوْهَرٌ ، مَائِعٌ ، بِلاَ تَشْكِيكْ
قَالَ : إِنَّ الإِلَهَ غَفَّارٌ ... وَأَدِرِ الْكَأْسَ مِنْ هَاتِيكْ

١- ديوان حسرت ، ص١٤، مخطوطة غير مرقمة في مكتبة إمارت شرعية فلواري شريف ، بتنه.

٢- مشعشعة : من شعشع الشراب ونحوه : مزجه بقليل من الماء (المعجم الوسيط مادة : شعشع).



أَخَــــذَ الْكَـــأْسَ فِيْ يَــدٍ بَيْضَــــا فَسَقَـــانِيْ وَقَـــالَ لِيْ : يَهْنِيْــــكْ

بَــاتْ يَسْــــقِيْ وَيَحْــتَسِيْ حَــتَّى طَلَــعَ الْفَــجْرُ ثُــمَّ صَــاحَ الدِّيْكْ

ولا أرى الشاعر صادقا فيما ذكره من الانغماس في الشهوة، والاستمتاع بالغادة، والاشتغال بالخمر ؛ لأنه من بيئة الزهد والمشيخة التي لا ترضى بهذا النهج من الحياة، كما أنَّ مكانته في المجتمع لا تسمح له بذلك، وإنما تطرق إلى هذا الموضوع تقليداً لشعراء العرب، وكثيراً ما قلّد شعراء الهند شعراء العرب في شعرهم في الغزل وفي غيره من الموضوعات، ومن الأدلة على ذلك بدؤهم قصائدهم بالمقدمات الطللية، وذكر أماكن لا معرفة لهم بها إلا من خلال قراءتهم في شعر العرب، من ذلك قول الشيخ علي نعمت الفلواروي[١]:

أَسَــفِيْ عَــلَى طَــلَلٍ دَرَسَتْ مَعَــالِمُــهُ مُـــذْ هَاجَــرَتْ هِنْــدَاتُهُ وَفَوَاطِمُــهْ

طَــوْرًا أَحِــنُّ ، وَتَــارَةً أَبْــكِيْ إِذَا تَبْــكِيْ لَهُــنَّ بِذِي الأَرَاكِ حَمَائِمُــهْ[٢]

ومنها قول الشاعر إسماعيل بن الوجيه المراد آبادي[٣] في بداية قصيدته في مدح ملك «أوده»[٤] نصير الدين الحيدر والتي بدأها بمقدمة غزلية طللية، أورد فيها أسماء كثير

١- هو الشيخ المحدث : علي نعمة بن عناية رسول الجعفري الفلواروي، ولد سنة ١٢٧٢هـ في بيت العلم والمشيخة، سافر للعلم ودرس على مولانا عبدالله الغازيفوري، والسيد نذير حسين الدهلوي المحدث. فدرّس وأفاد وأخذ عنه خلق كثير من العلماء.

توفي سنة ١٣٣١هـ (الإعلام ٣ / ١٣١٣، أعيان وطن، سيد محمد شعيب نير، ٢٩٢، ٢٩٣، آزاد بريس بتنه، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).

٢- الإعلام ٣ / ١٣١٣.

٣- هو الشيخ : إسماعيل بن المفتي وجيه الدين المراد آبادي المشهور باللندني، وقدم لكهنؤ في صباه، وقرأ العلم على علمائها، وولي فيها العدل والقضاء فاستقلّ بها زمانا، ثم بعثه نصير الدين الحيدري بالسفارة إلى ملك الجزائر البريطانية فأقام بها زمانا.

من مصنفاته : شرح على مقامات الحريري بالفارسي، وقسط كبير في تصنيف «تاج اللغات» وغيرها. توفي سنة (الإعلام ٣ / ٩١٦ - ٩١٨).

٤- مقاطعة في أواسط شمال الهند، كانت تابعة لسلطنة دهلي، ثم أصبحت مملكة شيعية، وهي الآن في أترا براديش بين نهري الجمنا والغانج. (المنجد في الأعلام ٨٥-٨٨).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

من الأماكن التي ذكرها شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في قصائدهم، يقول[1] :

خَلِيْـلَيَّ عُـوْجَـا عَنْ شِمَالِ الْعَقَنْقَـلِ ... وَحُطَّـا رِحَـالَ الْعِيْسِ فِي عَضدِ عَوْكَـلِ

فَنَدْعُوْ رِبَاعًـا لاَ تَجُـرُّ[2] دُعَاءَنَـا ... لِـمَا قَدْ عَفَتْ مِنْ سَـجْمٍ غَيْمٍ مُظَـلَّلِ

عَفَـا اللهُ أَهْضَابًـا[3] سَعَتْ فِيْ خَرَابِهَا ... فَبَـاتَتْ طُلُـوْلاً بَـادِرَاتِ الـتَّعَطُّـلِ

أَلاَ عوجَـا فِي الْعَـوْجِ رُوْحِيْ فِدَاكُـمَا ... فَمَهْـلاً وَرِفْقًـا بِالْكَثِيْبِ الْـمُـؤَمَّـلِ[4]

فَتِـلْكَ رِبَـاعٌ عَطَّـلَتْ عَـنْ أَهِيْلِهَـا ... قِـفَـا نَبْـكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْـزِلِ

وغير خاف ما أراد الشاعر من تقليد الأقدمين في ذكر الديار الخالية ومعالمها التي عفتها الأمطار ودعائه صاحبيه إلي الوقوف في تلك الديار، وندائه تلك الخوالي، وذكر الأهضاب وكثبان الرمل، ثم في تضمين بيته الصدر من مطلع معلقة امرئ القيس التي تشير بجلاء إلى تأثر الشاعر بامرئ القيس، ومحاولته في جريه في حلبه وسعيه للبلوغ إلى شأوه، ونراه في الأبيات القادمة يورد أسماء الأماكن التي أوردها امرؤ القيس في معلقته، يقول[5]:

أَيَـا سَـائِقَ الأَظْعَـانِ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًـا ... عَـلَى مُغْرَمٍ، صَـابٍ،عَدِيْمِ التَّـوَسُّـلِ

فَالْثَتْ[6] حَمَـاكَ اللهُ عَنْ مَسْقَطِ الـرَّدَى ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُـوْلِ فَحَومَـلِ[7]

وَللهِ أَيَّـامٌ غِضَـارٌ مَضَـيْنَ فِيْ ... غُضُـوْرٍ وَجَمْـدَانٍ وَحَوْمَةِ جَنْـدَلِ[8]

١- الإعلام ٣/ ٩١٧.

٢- هكذا في الأصل ولعل الصواب: لا تجيب . سجم: سال قليلا أو كثيرا (القاموس، مادة: س ج م).

٣- الأهضاب : جمع هضب أي مطر (اللسان: مادة : هـ ض ب).

٤- عوج : جبالان باليمن (القاموس المحيط: مادة: ع و ج).

٥- تاج اللغات ١/ ٦، الإعلام ٣/ ٩١٢.

٦- هكذا في الأصل.

٧- الدخول وحومل: موضعان، شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٣٠، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٣م.

٨- هكذا في المرجع، ولعل الصواب: دومة جندل، وهو علم لبقعة (القاموس: ج ن د ل).



لَحَى اللهُ دَهْرًا بَاتَ فِي النَّجْدِ دَاهِرًا   فَنَكَّدَ عَيْشًا مُخْضَلاً بالتَّفَتُّلِ[1]

وَخَرَّبَ دَارًا بَعْدَ دَارٍ بِضَيْمِهِ   وَلَمْ يُبْقِ دَارِيًّا بِدَارَةِ صُلصُلِ[2]

أَقُوْلُ لِبَرْقٍ لائِحٍ مِنْ أُبَيْرِقٍ   لَكَ الْخَيْرُ، يَا بَرْقَ الأُبَيْرِقِ أَمْهِلِ[3]

كَبِيْتٍ لَقَدْ أَوْرَيْتَ زَنْدِيَ فَجْأَةً   وَأَلْعَجْتَ نَارًا فِي الْحَشَا الْمُتَفَلِّلِ[4]

فهذه الدارات، وهذه الأماكن التي ذكرها الشاعر ليس له بها عهد -لا في القريب ولا في البعيد - لكنه أتى بها تقليداً لشاعر العربية الكبير، وإظهاراً لمقدرته الفنية في النظم في هذا الغرض على منوال الأقدمين.

المبحث الخامس

الإخوانيات

الإخوانيات غرض من أغراض الشعر العربي، والمقصود بذلك الشعرُ الذي يتناول ما يدور بين الإخوان والأصحاب، كالتهاني عند حصول نعمة، أو التعازي عند حلول نقمة، أو نزول فجيعة، أو الشكر عند الإحسان، أو العتاب عند الإساءة، ويدخل في الإخوانيات ذلك الشعر الذي يعبر عن شوق إلى لقاء الإخوان، كما يدخل فيه المكاتبات الشعرية التي تجري بين الإخوان والأصدقاء في أمور تتعلق بالحياة والكون، وقد تناول هذا الغرض كثير من شعراء الهند فمن هؤلاء الشيخ محمد بن الحسين اليماني الذي

١- مخضل: ناعم. التفتل من فتله يفتله: لواه (القاموس، خ ض ل، ف ت ل).

٢- دارة صلصل: علم لبقعة (القاموس: ص لّ).

٣- الأبيرق، تصغير أبرق: علم لموضع (القاموس: ب ر ق).

٤- المتفلل: فلّه وفلّله: ثلمه فتفلل، والقومَ: هزمهم (القاموس، ف ل ل).



يهنئ الشيخ عبد الحي الحسني [1] بولادة مولود له سمّاه عبد العلي [2] يعبر فيه عن فرحه وسروره عند حصول هذه النعمة الجليلة من الله العلي القدير، يقول :

سُـــــرَّ قَـــلْبِيْ بِـذَلِكَ الْـمَـوْلُـوْدِ　　　لِـــصَـفِيٍّ، خِـــلٍّ، وَفِيٍّ، وَدُوْدِ

فَـاضِـلٍ، كَـامِـلٍ، تَقِيٍّ، نَقِيٍّ　　　سَعِيْـدٍ، عَـاقِلٍ، لَبِيْبٍ، مَجِـيْدِ

وبعد وصف مظاهر الفرح الذي أقيم بهذه المناسبة، وجمال اللائي شاركن في هذه المناسبة بالضرب على الدف، وباللحن والإنشاد، ينتقل إلى ذكر بعض صفات صاحبه ثم يصل إلى الغرض الأصلي من القصيد، وهو التهنئة بالمولود، فيقول:

هِيَ بُشْـرَى لِسَيِّـدِيْ ذِيْ نِجَـارٍ　　　بَشَّـرَتْهُ بِنِجْـلِهِ الْمَـوْلُـوْدِ

كَـوْكَبٌ لاَحَ فِيْ سَـمَاءِ عُـلاَءٍ　　　دُرَّةٌ رُصِّـعَتْ بِعِـقْدٍ فَـرِيْدِ

مُسْتَهِـلاًّ أَتَى فَكَـانَ هِـلاَلاً　　　قَـدْ رَأَيْنَـا كَـمَالَـهُ يَـوْمَ عِيْدِ

غَـيْرُ بِدْعٍ إِذَا سَـمَا وَهُوَ طِفْـلٌ　　　فَهُـوَ مِـنْ عُنْصُـرِ الْكِرَامِ الصِّيْـدِ

---

١ – هو الشريف العلامة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني، ولد ١٢٨٦هـ في راي بريلي، قرأ العربية والعلوم الشرعية على أشهر علماء عصره كالشيخ حسين بن محسن اليماني، والسيد أحمد الديوبندي، والشيخ محمد نعيم الفرنكي محلي، وغيرهم، وأخذ الطب عن الطبيب الشهير عبد العلي، واشتغل به، ثم اختير ناظماً لندوة العلماء سنة ١٣٣٣هـ ومديراً لدار علومها إلى أن توفي سنة ١٣٤١هـ.

له مصنفات جليلة، من أهمها: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، وهو المطبوع الآن باسم الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ومعارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، والمطبوع الآن باسم «الثقافة الإسلامية في الهند» و«جنة المشرق ومطلع النور المشرق» والمطبوع الآن باسم «الهند في العهد الإسلامي» بالعربية وكل رعنا، وياد ِأيام بالأردية، ورسائل وكتب أخرى عديدة.

مقدمة الإعلام (ص ٢٣–٢٨)، سوانح مفكر إسلام حضرت مولانا سيد أبو الحسن علي ندوي، بلال عبد الحي الحسني الندوي ٥٤–٥٨، سيد أحمد شهيد أكيدمي، رائ بريلي ١٤٢٢هـ.

٢– هو السيد عبدالعلي بن عبدالحي الحسني اللكهنوي، ولد سنة ١٣١١هـ «بهنسوة» ودرس على والده وعلى المولوي شبلي الجيراجيوري، والمولوي شير علي حيدر الحيدرآبادي، وحسين بن حسن الأنصاري، وسافر إلى ديوبند ولازم السيد أنور شاه الكشميري والعلامة محمود حسن الديوبندي المحدث سنة كاملة. ثم درس الطب في كلية الطب في لكهنؤ، وتولى إدارة دار العلوم لندوة العلماء في لكهنؤ، وهو أخو أبي الحسن الندوي.

من مصنفاته كتاب في جغرافية العالم العربي.

توفي سنة ١٣٨٠ هـ في لكهنؤ. (الإعلام ٣/ ١٢٨٠–١٢٨٢، سوانح مفكر إسلام ٧٠–٧٩).



كُـلُّ يَـوْمٍ عُـلاَهُمُ فِي ازْدِيَـادٍ   لِلْمَعَـالِيْ وَمَجْـدُهُمْ فِي الصُّعُـوْدِ

فَهَنِيْئًـا لَكَ الْبَشَـارَةُ عَبْـدَالْـ   ـحَيِّ بِـالْقَـادِمِ الْكَرِيْمِ الرَّشِيْـدِ

وبعد هذا الوصف الرائع للمولود الجديد وتشبيهه بالكوكب والدرة المرصعة في العقد الفريد والهلال، وذكر سمو نسبه، وعلو حسبه، وتهنئة صاحبه الشيخ عبد الحي والد ذالك المولود، يختم قصيدته بالدعاء للمولود بطول عمره، وحمايته، وأن ينال الرشد والسؤدد، يقول:

أَبَّـدَ اللهُ عُمْـرَهُ وَحَمَـاهُ   وَحَبَـاهُ بِحُـلَّةِ التَّـأْيِيْـدِ

لَمْ يَـزَلْ سَيِّـدًا حَلِيْمًـا   فَهُـوَ جُزْءٌ مِنَ الْحَـلِيْمِ الرَّشِيْـدِ

بَـدْرٌ سَيِّـدٌ لِأَجْـلِ ذَا أَرَّخُـوْهُ   بَـدْرُ تَـمٍّ بَـدَا بِوَقْتِ سُعُـوْدِ[1]

ونرى الشيخ محمد بن الحسين يهنئ الشيخ عبد الحي بولادة حفيده حسن المثنى ابن عبد العلي أيضا، ولعله لم يصله الخبر إلا متأخرا بعد ما سمي ذلك المولود، ولذا يبدأ قصيدته بمخاطبة المولود باسمه ويدعو له بدوام الترقي في العلى على منوال آبائه، ويذكر سموّ نسبه من جهة الأب والأم، وأنه من أولاد آل البيت، ثم يبدي سروره بولادته بذكر الأغاني وطربهن، وصدح الورق بمدحه ، ويختم - كما رأينا في القصيدة السابقة- بالدعاء له بالنعمة والسلامة ورغد العيش، يقول :

حَسَنُ الْمُثَنَّى دُمْتَ تَرْقَى فِي الْعُلَى   دَرَجًا رَقَاهَا وَالِدَاكَ وَجَدُّكَا

وَلَـدَتْكَ وَاضِحَـةُ الْجَبِيْنِ وَأَصْلُهَا   فَـرْعُ السَّمَاءِ، بِـهِ تَعَالَى قَدْرُكَا

عَبْدُ الْعَلِيِّ أَبُـوْكَ نِجْـلُ السَّيِّـدِ الْمِنْطِيْقِ   عَبْـدِ الْحَيِّ جَـدِّكَ قَدْ زَكَـا

مِـنْ عُصْبَـةٍ قُرَشِيَّـةٍ نَالُـوا الْعُلَى   بِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ يَعْلُوْ مَجْدُكَا

فَـافْخَرْ عَلَى هَـامِ السِّمَاكِ بِرُتْبَـةٍ   جَلَّتْ وَفَاقَتْ فِي الْوَرَى أَنْ تُدْرَكَـا[2]

١- الإعلام ٣/ ١٣٤١-١٣٤٢.

٢- الهامة: الرأس والجمع هام (اللسان: مادة هـ و م). سماك: نجم معروف (اللسان: مادة س م ك).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَـــلِذَا الْغَـــوَانِيْ بِالأَغَــــانِيْ أَطْــــرَبَتْ   وَالْــوُرْقُ قَدْ صَـدَحَتْ بِعَــالِيْ مَدْحِكَــا
فَـاسْلَـمْ وَدُمْ فِيْ نِعْـــمَةٍ وَسَــــلامَـــةٍ   وَرَغِيْـــدِ عَيْــشٍ مَعْ أَبِيْكَ وَجَدِّكَـــا[١]

ومن الشعراء الذين تناولوا غرض الإخوانيات المفتي كفايت الله يهنئ مدير سجن ملتان[٢] بالعيد حينما كان سجينا فيه لمشاركته في حركة استقلال الهند من الاستعمار الإنجليزي، يبدأ الشيخ قصيدته بالخطاب المباشر لمدير السجن ويهنئه ويثني عليه بخلقه الطيب، يقول:

أُهَنِّيْــكَ، يَــا مَــنْ فَــازَ بِالْخَــيْرِ وَارْتَــوَى   بِكَــأْسٍ دِهَــاقٍ مِــنْ مَكَـارِمَ وَاسْتَـقَى
أُهَنِّيْكَ، يَـــا مَنْ صَـــادَ أَفْئِدَةَ الْـــوَرَى   بِأَخْــلاقِكَ الـــزَّهْرَاءِ طَـيِّـبَـةِ الشَّـــذَى
أُهَنِّيْـكَ، يَــا مَنْ فَاقَ بِالْفَضْلِ وَالنَّــدَى   عَلَى كُلِّ مَــنْ أَعْـطَى وَأَنْفَـقَ مَاحَــوَى
بِـعِيْــــدٍ إِذَا وَافَى أَتَى بِمَــسَّــــرَةٍ   تَــدِبُّ إِلَى أَعْــمَاقِ أَفْئِـــدَةِ الْــوَرَى
أُهَنِّيْــكُمُ بِالْعِــيْدِ ، وَالْعِيْدُ مُعْـجَبٌ   لِـحُــرٍّ كَرِيْمٍ فَــازَ بِالْــعَيْشِ وَالْمُــنَى

ثم يتمنى له بعودة العيد حاملا البركات والسعادة والهنا ، وجالبا الخيرات والرشد والهدى، ويتمنى له المسرة بحلول العيد، ثم يتحول إلى ذكر ما يحدثه العيد من الآثار المختلفة في الناس باختلاف أحوالهم، فالمرء إن كان متمتعا بالحرية وهو في وطنه وبين أهله وعشيرته يجلب له العيد الفرح، وتتم له السعادة بالتزاور والتعانق وتلاقي الأحبة، ولكنه إن كان مبتلى بالأسر، بعيدا عن أهله وأسرته، ويرى وطنه وشعبه يرزح تحت وطأة الاستعمار الغاشم فلا يزيده العيد إلا غمّا وحزنا، يقول:

يَــزُوْرُ الْــمُحِبُّــوْنَ الأَحِبَّـــةَ بُكْــرَةً   وَيَلْتَـــذُّ كُـــلٌّ بِالْعِنَــاقِ وَبِاللِّقَــــا
إِذَا الْعِيْــــدُ يَــأْتِي الْمَـــرْءَ وَالْمَــــرْءُ مُحْتَـظٍ   بِأَهْــلٍ وَمَغْــنًى أَوْرَثَ اللُّطْفَ وَالْهَــنَا

١- الإعلام ٣ / ١٣٤٣.

٢- اسم مدينة في باكستان حاليا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَـكِنَّهُ إِنْ حَـلَّ وَالسِّـجْنُ مُوْصَـدُ ... عَـلى المرءِ لم يُوْرِثْ سِوَى الحُزْنِ وَالشَّجَى
وَكَـمْ بَـيْنَ حُـرٍّ إِذْ يُنَـاغِيْ غَـزَالَـةً ... وَبَـيْنَ أَسِـيْرٍ يَصْطَـلِيْ ضَـرْمَةَ النَّوَى

وفي هذه الأبيات إشارة إلى ذكر بعض عادات المسلمين في أعيادهم من التزاور والتلاقي والتعانق، ويذكر أنه من قوم تأبى لهم حميتهم، وتأنف لهم شهامتهم الرضا بالذلّ، والخضوع للظالم الغاصب، فهم لم يسجنوا لجريمة أتوها، أو ذنب اقترفوه، ولكنهم قاموا بالذود عن حماهم، وبالدفاع عن وطنهم، وهو شرف، وإن كانت أعظم جريمة في نظر العدو الغاصب، يقول :

وَلَكِنَّنَـا قَـوْمٌ نُـلاَعِبُ بِالظُّبَـا ... وَنَقْـلِيْ ظِبَـاءً إِذْ تَـدَاعَتْ إِلَى الْـوَنَى
وَنَـحْنُ كِـرَامٌ نَمْلِكُ الخَـيْرَ فِي النَّـدَى ... وَنَـحْنُ لُيُـوْثٌ نَحْسِمُ الشَّـرَّ فِي الْـوَغَى
أَبَيْنَـا إِبَـاءَ اللَّيْثِ ذُلَّ تَعَبُّـدٍ ... فَـلاَ سُبَّةً أَخْـزَى مِـنَ الـذُّلِّ لِلْعِدَى
حُبِسْنَا وَأُوْذِيْنَـا بِغَـيْرِ جَرِيْمَـةٍ ... فَـمَا ذَنْبُنَـا إِلاَّ الدِّفَـاعُ عَنِ الْحِمَى
وَإِنْ غَـاشِمٌ عَـدَّ الدِّفَـاعَ جَرِيْمَـةً ... فَـإِنَّا نَرَى مِنْ هَـذَاكَ، سُؤْدَدَ الْفَتَى[1]
نَرَى الأَسْـرَ لِلْـحُرِّ الْـوَفِيِّ كَـرَامَةً ... وَإِنْ كَـانَ رِجْزًا لِلْمُوَاقِعِ فِي الخَـنَـا[2]

ويختم قصيدته بدعاء الله تعالى لنفسه بالصبر والتثبيت في المصائب، ولمدير السجن بالبركة وتوفيق الطاعات، وهناء العيد إلى أن تطلع الشمس، يقول :

فَيَـا رَبِّ تَثْبِيْتـاً وَصَـبْرًا عَلَى الْبَـلاَ ... وَيَـا رَبِّ عَوْنًـا وَانْتِصَـارًا عَلَى الْعِدَى
وَبُوْرِكْتَ فَضْلَ الدِّيْنِ[3] وَازْدَدْتَ رِفْعَةً ... وَوُفِّـقْتَ بِالطَّـاعَـاتِ وَالخَـيْرِ وَالتُّـقَى

١- غاشم : من غشم يغشم غشما : الظلم (اللسان : مادة غ ش م).
٢- الرجز بالكسر والضم : القذر (القاموس : مادة ر ج ز). الخنا : الفحش ، (اللسان : خ ن و).
٣- مدير سجن ملتان الذي كان مسجونا فيه الشاعر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لِيَهْنِكَ عِيْدُ الْفِطْرِ هَذَا ، وَبَعْدَهُ   تَمَتَّعْتَ بِالأَعْيَادِ مَا شَرِقَ الذُّكَا[1]

ويرسل الشيخ ألطاف حسين حالي إلى بعض أصدقائه تهنئةً بمناسبة زفافه وكان في «لاهور»[2] ولم يستطع المشاركة في حفل الزفاف لكونه في «دهلي» [3]، فيبدأ القصيدة بذكر سروره عند سماعه هذا الخبر السارّ، ويفدي بنفسه هذا الخبر، ويرى أن هذه الفدية أيضاً دون قدره، يقول :

بِنَفْسِيْ مَا بِهِ جَاءَ الْبَشِيْرُ   وَمَا أَفْدِيْ بِهِ شَيْءٌ يَسِيْرُ

ثم يذكر مرضه الذي أضعفه إلى حدّ لا يستطيع القيام معه حتى ولوحان يوم البعث والنشور، لكن هذا الخبر أقامه لشدة فرحه، ويذكر غربته وأنه دائم الحزن، ولا تبرحه همومه، ثم يتخيل تصوير ذلك الحفل وما سيكون فيه من روعة وبهجة، وفرح وسرور- حسب ما يظنه هو- يقول :

أَرَى الأَرْجَاءَ قَدْ مُلِئَتْ بَهَاءً   وَفِي الْقَمَرَيْنِ فَوْقَ النُّوْرِ نُوْرُ

فَيَا لَلرَّبْعِ مِنْ رَبْعٍ بَهِيْجٍ   بِهِ صَحْبٌ وَإِخْوَانٌ حُضُوْرُ

كَأَنَّ النَّاسُ حَوْلَ الْعِرْسِ كَانُوْا   نُجُوْمًا بَيْنَهَا قَمَرٌ مُنِيْرُ

ويذكر شوقه إلى حضور هذا الحفل، ولقاء أولئك الأحباب ، ويتحسر على فوات هذه الفرصة، ويشرع في بيان علاقته بهذا العريس وما له ولأسرته من مكانة في قلبه وبين الخلق، ويذكر بعض صفاته أيضا، يقول :

أُحِبُّ -وَلَسْتُ أَكْذِبُ- عِرْسَ قَوْمٍ   لَهُمْ وَلِعِرْسِهِمْ شَأْنٌ كَبِيْرُ

أَبُوْهُ، فَجَدُّهُ وَهَلُمَّ جَرًّا   سَرِيٌّ أَوْ غَنِيٌّ أَوْ أَمِيْرُ

لَهُ فِيْ ذَاتِهِ كَرَمٌ عَمِيْمٌ   كَمَا فِي اِسْمِهِ كَرَمٌ شَهِيْرُ[4]

١- نفحة العرب، إعزاز علي ، ص ٢٧٢-٢٧٥، كتب خانه إعزازية ديوبند ١٩٨٣م.

٢- لاهور: اسم مدينة معروفة في باكستان، وهي عاصمة مقاطعة بنجاب.

٣- دهلي: عاصمة الهند السياسية.

٤- في هذا البيت إشارة إلي اسم العريس، وكان اسمه محمد كرم الله خان، وقد عامل الشعر همزة الوصل في «اسمه» معاملة القطع، لضرورة الوزن.



ويختم تهنئته بالدعاء لهما بالسعادة والهناء، ودوام الحب والودّ، وأن يكون آخره سرورا وفلاحا، مثل ما أوله حبور وصلاح، يقول :

فَقَـرَّتْ أَعْـيُنُ الزَّوْجَـيْنَ قَـرًّا   إِلَى مَـا كَـانَ لِلـدُّنْيَـا قَـرُوْرُ

وَكَـانَ مُبَـارَكًـا لَهُـمَا ازْدِوَاجٌ   بِـوُدٍّ لاَ يُدَاخِـلُهُ نُفُـوْرُ

فَبَـاطِنُهُ كَظَـاهِـرِهِ صَـلاَحٌ   وَآخِـرُهُ كَـأَوَّلِـهِ حُبُـوْرُ[1]

ولما لقب الشيخ شبلى النعماني بـ«شمس العلماء» من قبل الحكومة الإنجليزية اعترافا بمكانته السامية، وقدم صدقه في العلم، وتقديرا بجهوده وخدماته، هنأه صاحبه ورفيقه في درب الإصلاح التعليمي الشيخ ألطاف حسين حالي وقرض شعرا عبر فيه عن سروره بهذا التقليب ويرى أنه أحق من يلقب بهذا اللقب، ويذكر بأنه شمس علم وهداية وعرفان، فهو دائما طالع يشع النور، ويهدي الأنام، وليس بتلك الشمس التي تطلع في الصباح، وتغرب في المساء، وتترك الناس في ظلام، فتعجز أن تضيء لهم في الليل، وبهذا يفضله على تلك، يقول :

يَـا وَحِيْـدًا مِنَ الْكِـرَامِ فَرِيْـدًا   وَعَزِيْـزًا كَمِثْـلِ عِـلْقٍ نَفِـيْسِ

أَنْـتَ أَوْلَى بِـأَنْ تُلَـقَّبَ شَمْسًـا   بَلْ بِـأَنْ يَجْعَلُـوْكَ شَمْسَ الشُّمُـوْسِ

أَنْتَ شَمْـسُ الْهُـدَى وَلَسْتَ بِشَمْسٍ   يَعْـتَرِيْهَا الْخُنُـوْسُ بَعْـدَ الْخُنُـوْسِ

وبعد هذا التعبير عن فرحه وسروره، ينتقل إلى ذكر بعض جهوده في خدمة الدين والعلم، ومنها دفاعه عن صاحب الشريعة السمحة، والدين الأغر –عليه أطيب التحيات وأزكى التسليمات – ورده على افتراءات المستشرقين واعتراضاتهم عليه – صلى الله عليه وسلم– وتبيينه لسيرة صاحبه، وخليفة خليفته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في كتابه « الفاروق » يقول :

أَنْتَ طَـهَّرْتَ ذَيْلَ دِيْـنٍ مُبِـيْنٍ   لَـوَّثَـتْهُ اللِّئَـامُ بِالتَّـدْلِيْسِ

١– ضميمهء أردو كليات نظم حالي، ص ١١٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

ثُمَّ دَافَعْتَ عَنْ إِمَامٍ تَقِيٍّ ... كَانَ بَعْدَ النَّبِيِّ خَيْرَ رَئِيْسٍ[1]

وَعَنِ الحَقِّ قَدْ كَشَفْتَ غِطَاءً ... بَعْدَ مَا أَغْلَقُوْهُ بِالتَّلْبِيْسِ

وبعد ذكر مساعيه في مجال التأليف والكتابة، يتحوَل إلى ذكر ما تحمله من مشاق الأسفار المضنية في سبيل تأليف موسوعته الشهيرة بـ« سيرة النبي» والتي ركز فيها على دحض افتراءات المستشرقين والرد على شبههم ومساعيه في التدريس في مدرسة العلوم في علي كرهـ[2] بعيدا عن كل المناصب والأطماع الدنيويَة من الرئاسة والشهرة، ويشير إلى انشغاله بالعلم ومنزلته فيه، فيقول:

سِرْتَ فِي الأَرْضِ أَنْتَ بَرًّا وَبَحْرًا ... لِلْمَعَالِيْ وَلاَ لأَمْرٍ خَسِيْسِ

قَلَّدُوْكَ الْتِزَامَ مَدْرَسٍ قَوْمٍ ... فِيْهِ يُرْجَى لَهُمْ كَمَالُ النُّفُوْسِ

فَتَقَلَّدْتَ وَالْتَزَمْتَ لُزُوْمًا ... خِدْمَةَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالتَّدْرِيْسِ

قُمْتَ بِالدَّرْسِ وَالدِّرَاسَةِ فِيْهِمْ ... فَارِغًا عَنْ رِئَاسَةٍ وَرَئِيْسٍ

وَجَعَلْتَ الْكَمَالَ غَايَةَ هَمٍّ ... وَاتَّخَذْتَ الْكِتَابَ خَيْرَ جَلِيْسٍ

ويرى أن له فضلا وحقا على الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم ولا بد أن يقروا بهذا، ثم يدعو له بالحفظ والأمان والصيانة من كل شر ومكروه، يقول:

فَعَلَى الْقَوْمِ لاَزِمًا لَكَ حَقٌّ ... كُلِّهِمْ مِنْ وُجُوْهِهِمْ وَرَئِيْسِ

صَانَكَ اللهُ عَنْ مَكَارِهَ حَتَّى ... صِرْتَ كَالْقَلْبِ آمِنًا فِي الْخَمِيْسِ[3]

ومن هذا الغرض أيضا ما قاله الشاعر محمد يوسف البنوري مرحبا بصديقه الفاضل

١- المعنى به هو الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه.

٢- علي كرهـ: اسم مدينة على بعد ١٣٠ كلو متراً غربي دلهي، اشتهرت بالجامعة التي بناها بها السيد سيد أحمد خان.

٣- ضميمهء اردو كليات نظم حالي ، ص ١٢٨ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي[1] بدأه بذكر الابتهاج والسرور الذي عم البيئة كلها بقدوم هذا الضيف الكريم من نزول الأمطار، واخضرار الأرض كأنها زاهية ناضرة، فزال الجدب وحل محله الخصب، وبدأت الطيور تغني وتغرد، وتسري النسائم، وعم الفرح والسرورُ الزهورَ والأنهارَ، والسهولَ والجبالَ، وفي هذا تعبير صادق عن مشاعر البهجة والفرحة التي كان يشعر بها الشاعر بمقدم هذا الصديق، يقول:

أَلاَ اسْتَهَلَّتْ غَوَادِي الْمُزْنِ بِالدِّيَمِ ... وَأَلْبَسَتْ سُنْدُسًا لِلْقَاعِ وَالأَكَمِ

وَاخْضَرَّتِ الأَرْضُ فِي زَهْوٍ وَفِي نَضَرٍ ... وَأَصْبَحَ الْخَصْبُ فِي وَشْيٍ مِنَ الرَّقَمِ

وَالجَدْبُ يَشْكُرُ جُوْدَ السُّحْبِ هَاطِلَةً ... إِذْ ظَلَّ رَوْضًا مَرِيْعًا رَائِقَ السِّيَمِ

وَالْوُرْقُ تَهْتِفُ، وَالأَرْوَاحُ نَافِحَةٌ ... تَشْدُو الْحَمَائِمُ، وَالْكِعْتَانُ بِالنَّغَمِ[2]

وَنَسَمْت نَفَحَاتُ الرِّيْحِ مِنْ طَرَبٍ ... يُحْيِي نَسَائِمُهَا الأَمْوَاتَ بِالنَّسَمِ

وَالزَّهْرُ يَبْسُمُ وَالأَنْهَارُ جَارِيَةٌ ... عَمَّ الْحُبُوْرُ لِمَنْ فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

وَرْدٌ، وَآسٌ، وَقَيْصُوْمٌ، وَعَبْهَرَةٌ ... أَصْبَحْنَ مِنْ فَرَحٍ فِي حُسْنِ مُبْتَسَمِ

لاَ غَرْوَ حَلَّ بِنَا ضَيْفٌ فَشَرَّفَنَا ... شُقَّ الظَّلاَمُ بِنُوْرٍ دَارِئِ الظُّلَمِ

وبعد هذا التعبير الصادق عن عاطفة الشاعر القوية يتجه بالخطاب إلى الضيف فيرحب به ويذكر مناقبه ومكارمه، فيذكر منها علمه الغزير، وورعه الشديد، وزهده عن الدنيا، وخشيته من الله تبارك وتعالى، كما يصفه بالبراعة والبيان، ويشير إلى خدمته

١- هو الشيخ محمد إدريس، ولد في بلدة كاندهلة سنة ١٣١٨هـ، بعد الانتهاء من حفظ القرآن والمبادئ الدراسية التحق بمظاهر العلوم في سهارنفور، ثم بدار العلوم بديوبند، وكان كثير الاهتمام بالحديث الشريف، ومن أخص تلامذه الشيخ أنور شاه الكشميري.

تولّى التدريس في دلهي وحيدر آباد وديوبند، ثم هاجر إلى باكستان وعيّن شيخ الجامعة العباسية بمدينة بهاولفور، وشيخ الحديث في الجامعة الأشرفية في لاهور.

له مصنفات عديدة في الحديث والعقيدة، منها:

وله شعر حسن في العربية .

توفي في لاهور سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م (تذكره مولانا محمد ادريس الكاندهلوي، محمد ميان الصديقي، لاهور ١٣٩٦هـ).

٢- الكِعْتَانُ -بالكسر- جمع الكُعَيْت وهو البلبل (القاموس المحيط: كعت).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

للحديث النبوي الشريف، فيقول :

أَكْـــرِمْ بِضَيْفٍ كَـرِيْمٍ زَانَـهُ شِيَـمٌ ... بِاللهِ مُعْــتَزِمٍ، بِالْحَــقِّ مُحْـــتَزِمِ
حَـــبْرٌ خَبِـــيْرٌ بِمَغْزَى الْعِـلْمِ مُطَّـلِعٌ ... شَيْـخٌ، تَـقِيٌّ، نَـقِيٌّ، صَـادِقُ الْكَـلِمِ
عَـــلاَّمَةٌ، نَـــدُسٌ، سِيْـــمَاؤُهُ وَرَعٌ ... حَـــازَ الْفَضَـائِلَ مِنْ عِـلْمٍ وَمِنْ حِكَمِ
زُهْـدٌ وَتَقْـوًى وَخَـوْفُ اللهِ سِيْمَـــتُهُ ... وَالْـوِرْدُ يَمْتَـازُ بِالسِّيْمَا مِنَ السَّــلَمِ
يَفُـوْقُ قُـسًّـــا إِذَا تَبْدُوْ فَصَـاحَـتُهُ ... بِكَشْفِ أَسْرَارِ تَنْـزِيْلٍ فَـــلَا تَهِــمِ
يَفُـوْقُ بَـــحْرًا إِذَا تَبْـــدُوْ تَلاَطُـمُهُ ... فِيْ بَـحْرِ عِـلْمٍ مُحِيْـطٍ رَاسِخِ الْقَـدَمِ
شَيْخٌ، لَبِيْبٌ، أَدِيْبُ الْقَـوْمِ، شَاعِـرُهُمْ ... يَنْـظِمُ الـدُّرَّ فِيْ سِـلْكٍ مِنَ الْكَــلِمِ
وَمِـنْ مَـآثِـرِهِ شَـــرْحُ الْحَـدِيْثِ لَـنَـا ... شَـرْحًـا يَشُقُّ سُدُوْلَ الْجَـهْلِ وَالسَّقَمِ
عِـلْقٌ صَبِيْحٌ لَـهُ مِـنْ شَـرْحِ مِشْكَاةٍ ... دُرٌّ يَتِـيْمٌ ثَمِـيْنُ الْقَـــدْرِ وَالْقِــيَمِ
قُـدُوْمُهُ السَّـعْـدُ قَـدْ قَرَّ الْعُيُـوْنُ بِـهِ ... سُـرَّ الْقُلُـوْبُ بِـهِ مِـنْ وَرْدِهِ الشَّـبَمِ

ثم يختم قصيدته معبرّا عن فرحه عند قدومه، وداعيا له بدوام التوفيق في نشر العلم بدون ضعف أو انقطاع، راجيا له المنـزلة العليا، والمكانة السنية بين الأقوام والأعيان، يقول:

أَهْـلاً وَسَهْـلاً وَتَرْحَـابًا بِهِ فَـرَحًــا ... إِذْ نَالَــنَا بِقُــدُوْمِ خَــيْرَ مُـغْتَنَمِ
يَـا رَبِّ وَفِّـقْ لَـهُ مُرْخًى لَـهُ طُـولًا ... لِنَشْـرِ عِلْـمِكَ لاَ يَفْــتَرْ وَلاَ يَــرِمُ
وَازْدَدْهُ فِي أَعْـــيُنِ الأَعْيَـــانِ مَنْــزِلَةً ... وَارْزُقْــهُ مَنْقَبَــةً قَعْسَــاءَ فِي الأُمَــمِ
أُهْـــدِيْ إِلَـــيْكَ تَحِيَّـــاتٍ مُبَــارَكَةً ... مِـنْ خَــيْرِ مَقْـدَمِهِ فِيْ حُسْنِ مُخْتَتَمِ[1]

١– القصائد البنورية ، ص ١٩٠–١٩٥.



ونرى الشيخ محمد حليم صديقي[1] يرحب بالشيخ سيد سليمان الندوي عند مقدمه دار العلوم ندوة العلماء ويشبه قدومه بنـزول الغيث بعد القنوط، أو سريان الروح في الجسد، ثم يذكر بعض مناقبه ومحاسنه، يقول:

بُشْـــرَى لَكُمْ يَــا مَعْشَــرَ الْخُـــلاَّنِ بِقُـــدُوْمِ سَيِّـــــدِنَا أَبِيْ سَلْـــمَانِ

كَنُــزُوْلِ غَـيْثٍ بَعْـدِ طُـوْلِ قُنُوْطِهَــا أَوْ نَفْـــــخَـةِ الأَرْوَاحِ فِيْ الأَبْـــدَانِ

أَعْـنِيْ بِـــهِ جَـبَلَ الـتُّقَى، عَلَمَ الْـهُدَى بَـحْرَ الْعُـــلُوْمِ، خَـــزِيْنَةَ الْـعِرْفَانِ

وَالسَّيِّـــدَ الْعَـــلاَّمَ، فَـــخْرَ زَمَـــانِهِ كَنْـــزَ الْـمَـعَارِفِ، مَنْبَـــعَ الإِحْسَانِ

أَهْــلاً وَسَهْـــلاً بِالَّـــذِيْ يَشْتَـــاقُهُ كُـــلُّ امْــرِئٍ كَالْمَــاءِ لِلظَّمْـآنِ[2]

ومن هذا الغرض أيضا ما كتبه مولانا عبد المنعم الجاتكامي[3] تقريظا على الكتاب «الطريف للأديب الظريف» للشيخ عبد الأول الجونفوري يبدي فيه إعجابه بذلك الكتاب، ويصف ما احتواه من نوادر وبصائر، يقول:

هَلُمُّـــوْا إِلَيْنَـــا بِمَـــنْ يَبْصُـــرُ وَمَـــنْ يَبْـــلُغُ الْقَـــعْرَ إِذْ يَعْـــبُرُ

فَقَـــدْ أَخْـــرَجَ الْبَـــحْرَ فِيْ جَـــرْيِهِ طَرِيْفًـــا ظَرِيْفًـــا لَـكُمْ فَـــانْظُرُوْا

يَـعُـــبُّ فَـيْـــأْتِيْ إِلَيْـنَـــا بِـــمَا تَـــرُوْقُ بِـــهِ الْعَـــيْنُ وَالْـمَـــنْظَرُ

١- هو الشيخ محمد حليم عطا صديقي بن شاه مهدي عطا، وأسرته كانت تسكن في «سلون» في بهار، تتلمذ على سيد أبي الحسن الدهلوي تلميذ الشيخ نذير حسين محدث الدهلوي، وكان يحب الإمامين ابن تيمية وابن القيم حبًّا شديداً، كان كثير الاشتغال بالمطالعة، والقراءة في كتبهما، متضلعا في الحديث والرجال والأدب العربي، تولي التدريس في دار العلوم ندوة العلماء.

له: الكتاب الكريم في استخراج الدرر من القرآن العظيم، ونسمة السحر، ديوان شعر بالعربية.

توفي سنة ١٣٧٥هـ في سلون، (براني جراغ سيد أبو الحسن ندوي ١/ ٢٥٩-٢٧٥) مكتبه فردوس، لكهنؤ ١٩٩٨م.

٢- مجلة معارف ، العدد ٧٧، ص٣٣.

٣- هو الشيخ الفاضل: عبد المنعم الجاتكامي أحد العلماء المبرزين في الفنون الأدبية، قرأ العلم على أساتذة المدرسة العالية بكلكتة، وولي التدريس في مدرسة دهاكة، ثم جاتكام، ثم جعل ناظور المدرسة الحسينية بدهاكة. وكان فاضلا كبيرا، بارعا في النحو واللغة، والمعاني والبيان، والعروض والشعر، له تصويب البيان في شرح الديوان، وهو شرح ديوان المتنبي، وله ديوان الشعر العربي، وبعض رسائل في الأخلاق بالفارسية. توفي سنة ١٣٣٣هـ. (الإعلام ٣/ ١٣٠٤-١٣٠٥).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَأَلْقَى إِلَيْنَا عَلَى زُخْرِهِ عَجَائِبَ قَدْ فُتِنَ مَنْ يَحْضُرُ

سِجِلٌّ تَرَى فِيْ مَطَاوِيِّهِ بَدَائِعَ لَوْ نِلْتَهَا تَذْخُرُ

لآلِيَ يَبْرُقْنَ يَفْضَحْنَ مِنْ سَنَاهَا الدَّرَارِيَ إِذْ تُنْشَرُ

نَوَادِرَ مِنْ كُلِّ مُسْتَطْرِفٍ لَكُمْ يَا أُوْلِي الْفَضْلِ فَاسْتَبْشِرُوْا

بَصَائِرَ مِنْ كُلِّ مُسْتَبْشِرٍ لِمَنْ يَقْدُرُ الْقَوْلَ أَوْ يَشْعُرُ

ثم يخاطب مؤلف الكتاب ويذكر أنه دائما يبهرهم بأعماله، ويدهشهم بأقواله، وأن عمله دائما يلقى القبول، ويفيد الناس، ويقر عيونهم، ثم يختم تقريظه بالدعاء له، يقول :

فَيَا نَاظِمَ الدُّرِّ[1] لله دَرُّكْ مَتَى جِئْتَنَا جِئْتَنَا تُبْهِرُ

فَتُدْهِشُ يَوْمًا بِمَا قُلْتَهُ وَيَوْمًا تُدِيْرُ بِمَا تُسْكِرُ

تُفِيْدُ الْفُهُوْمَ، تُقِرُّ الْعُيُوْنَ وَتَقْرِي الْفُؤَادَ بِمَا تَسْطُرُ

حَمَى اللهُ رَبِّيْ حِمَاكَ وَلاَ لَقِيْتَ مَدَى الدَّهْرِ مَا تَضْجُرُ[2]

وكثر بين شعراء العربية في الهند المراسلات الشعرية، يذكر فيها أحدهم شوقهم إلى لقاء الآخر، أو يشكر صنيعا له إلى الكاتب، أو يضمنها بعض مدح من يكتب إليه، ومن هذا ما كتبه السيد صفدر حسين[3] إلى السيد محمد مهدي أديب[4] بدأه بالسلام عليه سلاما شبهه بالطيب والدر وحلية الذهب، يقول :

١– إشارة إلى تأليف آخر له يسمى ب «الدر النضيد».

٢– الطريف للأديب الظريف، للشيخ عبد الأول الجونفوري ص ١٥٠–١٥١. بيانات النشر غير موجودة.

٣– هو الحكيم السيد صفدر حسين، ولد في لكهنؤ، وتتلمذ على مولانا فيض الله، ومير حيدر علي، واشتغل بالطلب. توفي سنة ١٣٢٧هـ، تذكره بي بها، سيد مجتبى حسين نوكانوي، (ص ١٩٥–١٩٦ جيد برقي بريس، دهلي ١٣٣١هـ).

٤– هو الشيخ : محمد مهدي بن نوروز علي الحسيني الشيعي المصطفى آبادي، ولد سنة ودخل لكهنؤ في صباه، فقرأ على السيد حامد حسين الكنتوري، وأخذ الأدب عن المفتي عباس ابن علي التستري، وكان عباس يفتخر به يقول : إنه أصدق خل في بطانتي، وأوثق سهم في كنانتي.
له : الكواكب الدرية مجموع في الإنشاء والشعر .
توفي سنة ١٣١٧هـ، (تاريخ عباس ٢/ ٢٩٤–٢٩٥، الإعلام ٣/ ١٣٧٣–١٣٧٥).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

سَلاَمٌ عَرْفُهُ عَرْفُ الْبَهَارِ   سَلاَمٌ نَشْرُهُ مِثْلُ الْقَتَارِ
سَلاَمٌ كَالْقَلاَئِدِ مِنْ لآلٍ   سَلاَمٌ كَالدَّمَالِجِ مِنْ نضَارِ[1]
عَلَى طَوْدِ الْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا   حَلِيْفِ الْعِزِّ، رَأْسِ ذَوِي الْفَخَارِ
حَسِيْبٍ، مَاجِدٍ، جَلْدٍ، كَمِيٍّ   نَجِيْبٍ، نَابِهٍ، أَزْكَى النِّجَارِ

ثم يذكر شوقه إليه، وحنينه إلى لقائه، ويصف حاله في بعده عنه، ويطلب منه الوصل واللقاء، ثم يختم قصيدته بالدعاء له برغد العيش، والحفظ من كل شر ومكروه وسوء، يقول:

تضَاعَفَ مِنْ فِرَاقِكَ وَجْدُ قَلْبِيْ   فَهِمْتُ بِتِيْهِ كَرْبٍ وَانْتِظَارِ
أَلاَ قَلْبِيْ يَكَادُ يَذُوْبُ غَمًّا   وَعَيْنِيْ مِثْلُ عَيْنٍ فِي انْهِمَارِ
كُرُوْبِيْ لاَ تَزَالُ تَزِيْدُ شَوْقًا   وَمِنْ طُوْلِ النَّوَى، فَنِيَ اصْطِبَارِيْ
إِلَى كَمْ تَهْجُرُ الْمُضْنَى فَإِنِّيْ   أَكَادُ أَمُوْتُ فِي أَلَمِ انْتِظَارِ
أَتَبْغِيْ أَنْ تَفُوْهَ "بِلَنْ تَرَانِيْ"   لِمُشْتَاقِ التَّوَاصُلِ وَازْدِيَارِ
فَجُدْ بِالْوَصْلِ بَعْدَ الْفَصْلِ يَا مَنْ   سَلَبْتَ الْقَلْبَ لَذَّاتِ الْقَرَارِ
أَلاَ لاَ زِلْتَ فِيْ عَيْشٍ رَغِيْدٍ   وَعَاشَ عِدَاكَ فِيْ ضَنْكٍ وَعَارِ
وَقَاكَ اللهُ رَبُّكَ كُلَّ سُوْءٍ   وَصَانَكَ شَرَّ أَرْبَابِ الشَّنَارِ[2]

ونجد الحكيم[3] حيدر حسين اللكهنوي[4] أيضا يكتب إلى السيد مهدي المصطفى

١– الدُمْجُ والدُمْلُوجُ المِعْضَد، وهو كل ما يحيط بالعَضْد من حُليٍّ وغيرها، (المعجم الوسيط).

٢– الكواكب الدرية، سيد محمد مهدي أديب، ص ٢٧، ٢٨، مطبع بستان مرتضوي، لكهنؤ ١٣٠٧هـ.

٣– الحكيم في شبه القارة الهندية يطلق على من يشتغل بالطب على الطريقة اليونانية.

٤– هو الشيخ حيدر حسين اللكهنوي، ولد في لكهنؤ، قرأ العلم على المفتي عباس علي التستري وعلى غيره من العلماء، ثم لازم الحكيم مظفر حسين اللكهنوي، وأخذ عنه الصناعة الطبية، ثم ولي بدار الشفاء السلطاني بمدينة لكهنؤ. (الإعلام ٣/ ١٢٢٠) لم أعثر له على تاريخي الوفاة والميلاد.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

آبادي رسالة منظومة يضمنها سلامه، وشوقه إلى لقائه؛ لأنه ملك قلبه، وأضرم فيه نار الفراق؛ لبعده عنه، يقول :

مَــــنْ مُبْـــــلِغٌ عَـــــنِّيْ سَـــلاَمَ وِدَادِ ... خِدْنًـــــا، صَدِيْقًـــا سَاكِنًـــا بِفُؤَادِيْ

مَـــــلَكَ الْفُــــؤَادَ وِدَادُهُ، وَفِرَاقُـــهُ ... أَوْرَى ضِـــرَامَ الْوَجْـــدِ فِي الأَكْبَـادِ

أَرْجُــــوْ إِلهِي أَنْ يُـيَسِّـــرَ وَصْــلَـهُ ... فَلِقَــــاهُ أَشْهَى مَقْصَـــدِي وَوِدَادِ[1]

ويكتب السيد حيدر علي الرضوي[2] إلى أستاذه المفتي عباس التستري اللكهنوي رسالة يشكو فيها حالته الحزينة في غربته، فهو يقلب جنباته، ويذرف دموعه القانية، وتكاد لوعة الفراق تحرق قلبه، إلا أن جريان عينه أطفا تلك النار التي كان يجدها في صدره، يقول :

أُسِــرْتُ بِسِجْنِ الْبُــعْدِ فِيْ دَارِ غُــرْبَةٍ ... بِـــهِ رَقَّ لِيْ إِنْسَـــانُ عَيْنِيَ بَاكِيَـــا

أُقَـلِّبُ جَنْبِيْ فِي الْمَـضَـــاجِعِ كُرْبَةً ... بِـدَمْـعٍ سَكِيْبٍ أَحْـــمَرِ اللَّـوْنِ قَانِيَـــا

أُحِـــسُّ بِصَــدْرِيْ نَـــارَ وَجْدٍ تَأَجَجَتْ ... نَوَائِرُهَـــا قَـــدْ كَـــادَ تَحْرِقُ بَالِيـــا

وَلَـــكِنَّ جَرْيَ الْعَيْنِ كَالْعَيْنِ فِي النَّـــوَى ... لأَطْـفَى ضِـرَامًــا أُوْقِدَتْ بِفُؤَادِيَـــا[3]

وكان للشيخ أحمد بن محمد اليمني [4] مكاتبات شعرية كثيرة إلى معاصريه

١- الإعلام ٣ / ١٢٢٠.

٢- هو السيد حيدر علي الرضوي، درس على والده وعلى المولوي تراب علي، والمولوي أحمد علي المحمدآبادي، والمفتي محمد عباس التستري، وكان من أخص تلامذته . عينه النواب لطف علي خان البتنوي على الجمعة والجماعة عنده، فمكث هناك سنين، ودرّس في المدرسة الإيمانية بلكهنؤ متطوّعا .
له من المصنفات : الحواشي على الصدر بالعربية، وحاشية على شرح السلم، وشرح زبدة الأصول، وحاشية على شرح اللمعة ، وديوان شعر بالعربية .
توفي سنة ١٣٠٢هـ في لكهنؤ (الإعلام ٣/ ١٢٢٠-١٢٢١).

٣- الإعلام ٣ / ١٢٢١.

٤- هو الشيخ أحمد بن محمد بن علي إبراهيم الشرواني، ولد سنة ١٢٠٠هـ ببلدة حديدة في اليمن، درس الفقه الشيعي على والده، وأخذ العلم على يدي الشيخ محسن بن عيسى النجفي، وبهاء الدين العاملي، والشيخ علي بن يحيى العفيف اليماني والسيد زين العابدين ابن العلوي المدني، ثم قدم بلاد الهند وقرأ المنطق وأصول الحديث على مولانا حيدر علي الطوكي ببلدة كلكته.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وأصدقائه، منها ما كان يجري بينه وبين الشيخ الفقيه العالم عبدالله بن عثمان بن جامع الحنبلي[1] من المكاتبات ، فكتب إليه الشيخ عبد الله الحنبلي هذه الأبيات يشكو بها إعراض اليمني عنه، فهذا الصدود زاده ألما على ما فيه من ألم الغربة، ويتمنى لقاءً قريباً، وقد بدأ الرسالة بخطاب الشيخ اليمني وذكر بعض صفاته، يقول :

أَإِنْسَانَ الْوُجُودِ بِلاَ نِزَاعِ ... وَيَا بَحْرَ الْعُلُوْمِ بِلاَ دِفَاعِ

وَكَهْفَ الْمُلْتَجِيْنَ إِذَا أُضِيْمُوْا ... وَغَيْثًا لِلْعُفَاةِ بِلاَ انْقِطَاعِ

شَكُوْتُ إِلَيْكَ مَا أُلْفِيْ وَإِنِّيْ ... أَرَى الْهَمَّ الْمُبَرِّحَ ذَا اتِّسَاعِ

جَوًى يَزْدَادُ فِيْ قَلْبِيْ وَيَنْمُوْ ... نُمُوَّ النَّارِ بِالْجَزْلِ الْيَرَاعِ

أَبُعْدًا وَاغْتِرَابًا وَاشْتِيَاقًا ... وَفُقْدَانَ الأَنِيْسِ بِذِي الْبِقَاعِ

فَلاَ- وَأَبِيْكَ - مَا هَذَا بِعَيْشٍ ... لِنَفْسٍ حُرَّةٍ ذَاتِ امْتِنَاعِ

عَسَى الْمَوْلَى الْمُهَيْمِنُ ذُو الْعَطَايَا ... يَلُمُّ الشَّعْثَ إِنَّا كَالْفَقَاعِ[2]

وَيَجْمَعُنَا بِمَنْ نَهْوَى قَرِيْبًا ... فَإِنَّ الْقَلْبَ آذَنَ بِانْصِدَاعِ

بِجَاهِ الْمُصْطَفَى وَآلٍ ... وَصَحْبٍ قَدْ قَفَوْهُمْ بِاتِّبَاعِ[3][4]

فأجابه الشيخ أحمد اليمني برسالة منظومة ذكر فيها وصول رسالته إليه وأنها أثرت في قلبه أثرا شديدا، وأنه لم يقصد الإعراض بعد الودّ، والفرقة بعد الحبّ، وإنما حلت به من الشواغل ما شغلته عن مواصلة عهده، ومتابعة أخباره، يقول :

من مصنفاته : نفحة اليمن، والعجب العجاب، وحديقة الأفراح، ومنهج البيان، والشافي في العروض والقوافي، والجوهر الوقاد في شرح «بانت سعاد » وغيرها . لم أعثر له على تاريخ الوفاة، (الإعلام ٣/ ٩٠٣).

١– لم أعثر له على ترجمة.

٢– الفقع والفقع : الأبيض الرخو من الكمأة وهو أردؤها . ويجمعان على «فقعة» (اللسان والقاموس ، مادة : ف ق ع).ولعل الشاعر أراد هذا المعنى وغير في الكلمة بسبب الوزن . والله أعلم .

٣– نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، للشيخ أحمد بن محمد اليمني الشرواني، ص ١٥٣، المطبع المجتبائي بدهلي سنة ١٣٤٥هـ مع الحاشية.

٤– ينظر التعليق على هذا البيت وما فيه من مخالفة عقدية في ص ١٣٤ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

أَيَا مَنْ قَدْ حَوَى كَرَمَ الطِّبَاعِ | وَمَنْ هُوَ لِلَّطَائِفِ خَيْرُ وَاعِ
وَكَنْزُ جَوَاهِرِ الآدَابِ حَقًّا | وَجَامِعُهَا الْمُفِيْدُ بِلاَ نِزَاعِ
أَتَانِيْ مِنْكَ مَرْقُوْمٌ عَزِيْزٌ | بَدِيْعُ النَّظْمِ يَقْصُرُ عَنْهُ بَاعِيْ
تُذَكِّرُنِيْ بِهِ مَا مِنْهُ أَضْحَى | فُؤَادِيْ فِي اشْتِعَالٍ وَالْتِيَاعِ
أَتَحْسَبُ يَا بْنَ ذِي النُّوْرَيْنِ أَنِّيْ | هَمَمْتُ بِفُرْقَةٍ بَعْدَ اجْتِمَاعِ
فَلاَ وَعَظِيْمِ جَاهِكَ لَمْ يَكُنْ لِيْ | مَرَامٌ فِيْ نَوًى أَوْ فِي انْقِطَاعِ
وَلَكِنِّي ابْتُلِيْتُ بِمُعْضِلاَتٍ | غَدَا فِيْ حَلِّهَا يَجْرِيْ يَرَاعِيْ
وَمِنْهَا كُنْتُ مُضْطَرِبًا لأَنِّيْ | رَأَيْتُ بِهَا الْفُؤَادَ عَلَى ارْتِيَاعِ

ثم يذكر ما آل إليه أمره، ووصلت إليه حاله حيث قد يسر الله - سبحانه وتعالى - له تلك الصعاب :

فَذَلَّلَ لِي الْمُهَيْمِنُ كُلَّ صَعْبٍ | بِهَا، وَاللهُ رَاحِمُ كُلِّ دَاعِ

ثم يقدم إلى صاحبه الاعتذار عن طول غيابه عنه، بسبب هذه المعضلات، وإلا فهو قائم على ودّه وباق على حبّه، وأن مثله لا يملّ منه، فهو أنيسه في غربته، ويدعوه إلى حسن الظن به، ويختم الرسالة بالدعاء له بالسلامة، والعزّ، والرفعة، يقول :

وَلَوْلاَهَا أَجَلَّ بَنِي الْمَعَالِيْ | وَأَحْمَدَهُمْ لَمَا كَانَ انْدِفَاعِيْ
وَمِثْلُكَ لاَ يُمَلُّ وَأَنْتَ مُغْنِي الْـ | ـلَبِيْبِ وَمُؤْنِسِيْ فِيْ ذِي الْبِقَاعِ
فَظُنَّ بِذِي الْوِدَادِ الْمَحْضِ خَيْرًا | وَدُمْ وَاسْلَمْ بِعِزٍّ وَارْتِفَاعِ[1]

وكان الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي ممن لهم رسائل منظومة، وكان يجري بينه وبين الشيخ أحمد بن محمد اليمني مكاتبات، ومنها ما كتبه إليه الشيخ عبد العزيز رادًا

١- نفحة اليمن، ص ١٥٤ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

على رسالته، قوله :

يَـا مَـنْ لَعَـلَّ لَـهُ سَـيْرًا يُبَـلِّغُهُ ... دَارَ الإِمَـارَةِ بَلِّـغْ حِـيْنَ تَـأْتِيْهَـا
مِـنِّي السَّـلاَمَ الَّـذِي مَـا زَالَ مُنْبَعِثًـا ... مِـنَ الْمَـشُوْقِ إِلَى نَفْسٍ يُوَالِيْهَـا
خَـيْرٌ لَـهُ هِمَّـةٌ عَلَـوِيَّةٌ جَمَعَتْ ... كُـلَّ الْفَضَـائِلِ دَانِيْهَـا وَقَـاصِيْهَـا
فَـلاَ يُغَـادِرُ فِيْنَـا غَـيْرَ مُـكْتَسَبٍ ... وَلاَ فَضَـائِلَ إِلاَّ وَهُـوَ حَـاوِيْهَـا
لاَ زَالَ يَرْفُـلُ فِيْ ثَـوْبِ الْعُـلاَ مَرِحًـا ... مُنْحَـازَةً عِنْـدَهُ الـدُّنْيَا بِـمَا فِيْهَـا
مُكَمِّـلاً دِيْنَـهُ فِيْ ذَاكَ سَـابِغَـةً ... عُقْبَـاهُ مُسْتَوْفِيًـا مِنْهَـا مَعَالِيْهَـا[1]

والرسالة منقسمة إلى ثلاثة أفكار، فالبيتان الأولان مشتملان على الشوق والسلام، وفي البيتين الثالث والرابع ذكرٌ لبعض محامد الشيخ أحمد اليمني من همته العالية التي تجمع كلَّ المعالي، فلا يترك فضيلة من الفضائل إلا وهو يحويها، والبيتان الأخيران في الدعاء له ولأولاده بعده بدوام النعم الدنيوية، وحصول المنازل الدينية والأخروية.

وكان الشيخ محمد طيب المكي[2] يبعث برسائل منظومة إلى الشيخ محمد بن الحسين اليماني فكان مما أرسله إليه هذه القصيدة التي بدأها بالغزل اللطيف، يقول مطلعها :

مَـاسَ الْجَـبِيْنُ وَالأَجْزِعَـةُ الْحَـدَقُ ... أَبْهَى مِـنَ الْـوَرْدِ، لَـوْلاَ لُؤْلُؤُ الْعَرَقِ

يقول فيها بعد ذكر اللهو والاستمتاع بالغداة الحسناء :

وَبِتُّ أَشْـكُرُ صُنْـعَ الـدَّهْرِ مُنْبَسِطًـا ... كَـمَا فَرِحْتُ بِمَكْـتُوْبٍ مِنَ الـرَّشَقِ

١- عجب العجاب فيما يفيد الكتاب، لأحمد بن محمد اليمني الشرواني، مطبع المحمدي . بومباي ١٢٧٥هـ ص ٨١ .

٢- هو الشيخ الفاضل : محمد طيب بن محمد صالح الكاتب المكي ثم الهندي الرامفوري . وقرأ العلم على والده وعلى غيره من العلماء، وقدم الهند في شبابه ودرس على مولانا إرشاد حسين العمري الرامفوري مدة، ثم لازم العلامة عبد الحق بن فضل حق الخير آبادي، ثم أخذ الحديث عن المحدث حسين بن محسن الأنصاري الرامفوري. ثم ولي التدريس في المدرسة العالية برامفور فدرس وأفاد بها مدة عمره . من مصنفاته : رياض الأدب، وكتاب الانتقاد على العلامة محمد محمود الشنقيطي التركيزي في ردّه على عاكش اليمني شارح «لامية العرب» للشنفرى ، وكتاب «القبسة في الفنون الخمسة » و«المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي»، وكتاب « الحسن والأحسن » وكتاب «ما جرى من الفضول » وغيرها . توفي سنة ١٣٣٤هـ بمدينة رامفور.(الإعلام ٣ / ١٣٦٢ - ١٣٦٤).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كَتَبْتَ يَـــا شمسُ بَـلْ وَالشَّمْسُ دُوْنَكُمُ   وَإِنْ وَضَعْتُـكَ فَوْقَ الـرَّأْسِ مِـنْ شَفَقِ

آمَــنْتُ أَنَّـكَ قُطْبُ الشِّعْرِ، بَـلْ قَمَـرٌ   لِكُـلِّ عِلْمٍ، وَمُحْيِي الْفَضْـلِ مِنْ رَمَـقِ

فَــكَمْ بَعَـثْتَ بِــأَبْيَـــاتٍ وَمُعْـجِزَةٍ   وَجَــيْشُ فَـهْمِيْ لَـكُمْ مُنْقَـادٌ بِالْخُـلُقِ

أَنَـــا الْـمُـــمِدُّ لأَنَّ الاِسْـمَ اِسْمُــكُمُ   فَالْفَضْـلُ مِنْكُـمْ وَمِنْ عَلْيَـاكُمُ سَبَقُ[1]

وَمَـا أَتَـيْتُ بِهَــذَا الشِّـعْرِ مُمْتَدِحًــا   بَـلْ جِئْتُ مُمْتَثِــلاً بِالْـطَّوْعِ مُتَّسِقا[2]

فَكَــيْفَ أَمْدَحُ مَنْ جَلَّتْ مَدَائِحُـــهُ   عَـنِ الْبَدِيْعِ وَعَنْ شِعْرِيْ وَعَـنْ لَبِقِي[3]

فالشيخ محمد طيب يعبر عن سروره بمجيء الرسالة من الشيخ محمد بن الحسين، كما يصف منـزلة صاحبه، وينعته بأنه قمر كل العلوم، ومحيي جميع الفضائل، وأنه مقر له بالفضل منذ خلقه، وأن مناقبه تفوق المدح والثناء.

وأجابه الشيخ محمد بن الحسين اليماني بقصيدة تماثل قصيدة الشيخ محمد طيب المكي لا في الغرض والأفكار والمعاني فحسب ، بل في الوزن والقافية أيضا، بدأها أيضا بالغزل، يقول :

فَــيْرُوْزَجُ الْحُـسْنِ أَمْ ذَا فَيْـلَقُ الْفَـلَقِ   أَمْ بَـدْرُ تَـمٍّ يُحَــاكِيْ طَلْـعَةَ الأُفُقِ[4]

أَمْ تِـلْكَ شَـمسٌ بَدَتْ فِي النَّــاسِ ظَاهِرَةٌ   فَــأَشْرَقَـتْ بِبَهَـاهَــا ظُلْـــمَةَ الأُفُقِ

أَتِــلْكَ غَـــانِيَةٌ أَمْــسَتْ مُدَاعِــبَةً   فَقَدْ جَـلَـتْ بِسَنَاهَــا حَنْدَسُ الغسَقِ[5]

القصيدة تبدأ بتساؤلات تدل على وقوف الشاعر حيران أمام هذا الجمال الباهر، المذهل للعقول، المدهش للأفكار، حيث لا يستطيع الشاعر الوصول إلى معرفة كنه هذا

١- البيت فيه إقواء ، حيث إن الرويّ مرفوع في هذا البيت، مجرور في باقي القصيدة .

٢- البيت فيه إصراف، حيث إن الرويّ منصوب في هذا البيت، مجرور في باقي القصيدة.

٣- الإعلام ٣ / ١٣٦٣ .

٤- الفيروزج : ضرب من الأصباغ وهو كذلك حجر كريم كما في محيط المحيط (ص٧٠٨)، فيلق: الكتيبة العظيمة، (اللسان:مادة ف رزج، ف ل ق).

٥- حندس: الظلمة، ج :حنادس (القاموس : ح ن س).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

الجمال، وهل هو بدر التمام، أم شمس النهار، أم جمال إنسان ؟

ثم يطيل في وصف هذا الجمال المعجز، وكيف قد تمكن من الاستمتاع به، وبينما هو في هذه الحالة البهيجة إذ توافيه رسالة حبه وخليله فيزداد فرحا على فرح، يقول:

فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ ... وَالْكُوسُ مَرْصُوصَةٌ كَالْعِقْدِ فِي الْعُنُقِ
جَاءَتْ كَشَمْسِ الضُّحَى فِي الظُّهْرِ قَائِلَةً ... فِيْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِي عَنِ الْفَلَقِ
فَقُلْتُ حَيَّا هَلاً بِالْوَصْلِ يَا أَمَلِيْ ... رُوحِي الْفِدَاءُ لمن وَافَتْ عَلَى فَشَقِ[1]
وَقُلْتُ مِنْ فَرْحِيْ طَوْرًا بِمَقْدَمِهَا ... وَتَارَةً كَوْنِهَا جَاءَتْ عَلَى وَفَقِ
أَهَذِهِ الدُّرُّ أَمْ عِقْدُ الْجُمَانُ أَمِ التِّبْـ ... ـرُ الْمُنَظَّمُ يَحْلَى الدُّرَّ فِي النَّسَقِ[2]
أَمِ الْبَلَابِلُ فِي الْبَانَاتِ سَاجِعَةً ... تَشْدُوْ فَهَيَّجَتْ الْوَرْقَا عَلَى الْوَرَقِ

فَالْوُرْقُ تَسْجَعُ وَالأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ ... وَالْبَدْرُ يَنْقطُ بِالإِبْرِيْزِ وَالْوَرِقِ[3]
فِيْ رَوْضَةٍ رَقَصَتْ بَانَاتُهَا طَرَبًا ... وَاسْتَمْرَأَتْ فَرِحًا بِالْوَابِلْ الْغَدِقِ[4]
وَأَفْصَحَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً ... مِنْ عِنْدِ بَدْرِ الدُّجَى وَالنَّجْمِ فِي الأُفُقِ

وكأن الشاعر يرسم لوحة ليضع بين نواظرنا ذلك المنظر البهيّ، حيث تميل الأغصان وتطرب، وتغرد البلابل، وتسجع الحمائم، فتهيج الشوق، وتزيد النشوة، وهذا يدلّ دلالة واضحة على اغتباطه بمقدم هذه الرسالة من خليله المشتاق إليه، ثم ينتقل إلى تعداد فضائله، وذكر محاسنه من غزارة علمه، وسمو خلقه، وعلو نسبه، فهو يفوق الخلق في هذه الفضائل الجمة، يقول :

١- الفشق : النشاط . (القاموس : ف ش ق).

٢- هكذا في الأصل: ولعل الصواب يحكي.

٣- ينقط : نقط(ض)نقطا : غلا وتحرك (اللسان والقاموس: مادة ن ق ط)
الإبريز : الذهب الإبريز : أي الخالص . (القاموس : مادة ب ر ز).

٤- هكذا في المرجع ، ولعل الصواب ما أثبته.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَعْنِي بِـهِ الْعَـالِمَ النِّـحْرِيرَ حُجَّتَنَـا مُحَمَّـداً طَيِّبَ الأَخْـلاقِ وَالْخُـلُقِ

مَـنْ فَـاقَ جُـلَّ الْـوَرَى فِيْ عِلْمِهِ وَزَكَـا أَصْـلاً وَطَابَ فُرُوْعًـا طَيِّبَ الْـعَـرَقِ

هُـوَ ابْنُ صَـالِحٍ مَنْ طَـابَتْ عَنَاصِـرُهُ بِالْـفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالآدَابِ وَاللـبقِ[1]

كَـتَبْتُ يَـا بَـدْرُ ، بَلْ وَالْبَـدْرُ دُوْنَـكُمُ وَإِنْ رَفَعْتُـكَ فَوْقَ الـرَّأْسِ مِنْ شَفَـقِ

يَـا بَـدْرَ دِيْنِ الْـهُدَى رِفْقـاً عَلَى دَنِفٍ أَمْسَى طَـرِيْحَ الْهَـوَى مَا فِيْهِ مِـنْ رَمَـقِ

أَهَـذِهِ مُعْجِزَاتٌ قَدْ بَعَثْتَ بِهَـا لله دَرُّكَ، مَـا أَعْـلاكَ مِنْ لَـبِقِ

أَبْقَـاكَ رَبِّيَ فِيْ عِـزٍّ وَفِيْ دَعَـةٍ تَخُـوْضُ بَحْـرًا مِنَ الآدَابِ فِي دَفَقِ[2]

وللشيخ ألطاف حسين حالي رسالة منظومة إلى أصدقائه وأصحابه في دهلي، كتبها لما كان مقيما في لاهور بسبب عمله ، ذكر فيها شوقه وحنينه إلى دهلي ومجالسها ومن فيها من أصحابه، ويعبر عن حالته الكئيبة في البعد والغربة، يقول :

هَـلْ مَنْ يُبَلِّـغُ عَنْ مَحْصُـورٍ لاهُـورٍ عَـنْ مُبْتَـلًى فِـيْهِ بَعْدَ الْكَوْرِ بِالْحَـوْرِ

إِلَى دِيَـارٍ بِهَـا سَلْمَى وَأَهْلِيْهَـا أَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ زَمَـانِ الْـبَيْنِ مِنْ خَـيْرِ

هَـلْ فِيْكُـمُ مَـنْ يُـوَاسِيْ حَـائِرًا أَسِفًـا بِـمَا مَضَى مِـنْ دَوَامِ الْقُـرْبِ وَالـزَّوْرِ

فنرى أنه يعبر عن إقامته في لاهور بأنه محاصر فيه ولا يملك الارتحال عنه، ولو ملكه لما صبر فيها، ويعبر عن دهلي كأنها ديار الحبيبة، وهذا فيه دلالة بليغة على شوقه إلى دهلي، وعدم رضاه بالعيش في لاهور، ثم يقول :

وَلَمْ يَـزَلْ حَدَثَـان الـدَّهْر يُزْعِـجُنِيْ يَوْمًـا بِنَجْـدٍ وَيَوْمًـا كُنْتُ فِيْ غَـوْرِ

لَكِـنَّنِيْ رَاسِـخٌ فِيْ حُبِّـكُمْ قَـدَمِيْ فَلَـنْ أُحَـوَّلَ عَنْـهُ طَـوْرًا إِلَى طَوْرِ

١- اللبق: الحاذق بما عمل (القاموس : مادة ل ب ق).

٢- الإعلام ٣/ ١٣٦٣-١٣٦٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

إِنِّيْ أُحِـــبُّ وَأَهْــــوَى أَنْ أُلاَقِيَـــكُمْ ... وَإِنْ لَمْ يَكُــنْ نَحْــوَكُمْ مَسْعَايَ أَوْ سَيْرِيْ

فيرى أن الدهر يقلبه من حال إلى حال، ولا يقره على حال واحدة، ومع ذلك فحبه لا يحول ولا يزول مهما تقلبت به الأحوال، بل لا يزال يشتاق إليهم، ويتمنى لقاءهم، ثم يعبر عمّا أصابه في لاهور من الضني والتعب لكنه راض بقضاء الله تعالى؛ لأن قضاء الله – تعالى – هو الأنفع لعبده، ويرجو منه – سبحانه وتعالى – الفرج واليسر عاجلا أو آجلا، يقول:

إِنِّيْ أَرَانِيْ وَقَــدْ أُنْضِـيْتُ مِنْ نَصَبٍ ... بِحَـيْثُ لَمْ أَبْـقَ أَنْ أَمْتَـازَ عَـنْ غَـيْرِيْ

وَإِذْ رَأَيْتُ قَضَـــاءَ اللهِ مُحْتَكِــــمًا ... رَأَيْتُ نَفْـعِيْ طُـوِيَ فِيْـهَا يُرَى ضَـيْرِيْ

أَرْجُـوْ مِنَ اللهِ بَعْـدَ الْعُسْـــرِ مَيْسَـرَةً ... إِمَّــا عَــلَى مُهْـلَةٍ وَإِمَّــا عَلَى فَوْرِ[1]

ولما مرض الشيخ السيد محمد عرفان الطوكي وأقعده مرضه في بيته ولم يزره بعض أحبابه الذي كان يأنس إليه ويستأنس به، شق ذلك عليه ، فكتب إليه معاتبا إياه على عدم زيارته وعيادته في مرضه، مع ما بينهما من صلة ودّ، وعلاقة حب، ظنّا منه أنه قد شُفي وبَرِئ من مرضه، مع أن الأمر كان على خلاف ذلك، يقول :

مَــــا لِيْ أَرَاكَ نَسِيْتَــنِيْ وَتَرَكْتَـــنِيْ ... مِــنْ بَعْــدِ حُــبٍّ خِلْتُــهُ مُسْتَحْكَمَا

وَعِيَـــادَةٍ مَسْنُــــوْنَةٍ وَزِيَـــارَةٍ ... مِنْــكُمْ أَخِيْ تَلَطُّــفًا وَتَرَحُّـمَـــا

أَظَنَنْتَ أَنِّيْ قَـــدْ بَرِئْتُ فَصَــدَّكَمْ ... فَزَعَـمْتَ شَيْئًـــا لَمْ يَكُنْ أَنْ يُزْعَـــمَا

يَا صَــاحِ إِنِ اشْتَــدَّ دَائِيْ بَعْدَكُــمْ ... يَوْمًـــا فَـبِتُّ تَوَجُّـعًـا وَتَـأَلُّـمَـا[2]

وَقَعَـدْتُ ضَعْفًـــا بَعْـدَهُ وَنَقَـاهَـةً ... قَـــدْ صَـــدَّ أَنْ أَمْـشِيْ وَأَنْ أَتَــعَلَّمَا

مَـا كَــانَ ضَـرَّكَ لَــوْ أَتَيْتَ فَزُرْتَنِي ... وَجَلَـسْتَ عِنْـدِيْ سَاعَـةً أَتَكَلَّمَا[3]

١– ضميمهء أردوكليات نظم حالي ، ص ١٢٨ .

٢– البيت مكسور ، وهو هكذا في الإعلام ٣ / ١٣٦٥ .

٣– الإعلام ٣ / ١٣٦٥ .



وكتب الشيخ السيد محمد عرفان الطوكي إلى الشيخ محمد بن الحسين اليماني يعزيه في وفاة ابنه، ويسليه بأنه سيكون له فرطا عند الله – تعالى-، ويتمنى له دخول الجنان، ويدعو الشيخ الأنصاري إلى حمد الله والرضا بقضائه، وعدم التضجر بما حصل، ويذكِّره بأن ابنه لم يفارقه إلا بأمر من الله- سبحانه وتعالى- وأنه ليس أول من سلك هذا المسلك، وعليه أن ينظر في هذه الجوانب ويتأسى ويتسلى، يقول :

إِنَّ الْــعَزِيْـزَ أَعَــزَّهُ الــرَّحْـمَـنُ   فَمَقَــامُهُ فِيْــمَا نَظُــنُّ جِنَــانُ

فَرْطًـــا لَـكُمْ عِنْدَ الإِلَـهِ الْبَــارِيْ   أَمُحَــمَّدَ بْـنَ حُسَــيْنٍ الأَنْصَــارِيْ

حَمْــدًا وَشُكْــرًا فِي قَضَــاءِ اللهِ   مَــا فِــيْهِ مُــزْدَجَــرٌ لِقَــلْبٍ لاَهِ

إِنْ كَــانَ فَارَقَــكُمْ لأَمْــرٍ مُنْــزَلٍ   فَهُــوَ السَّبِيْــلُ وَلَيْسَ فِيْـهِ بِــأَوَّلٍ[1]

ويلاحظ في هذه الأبيات عدم تقيد الشيخ محمد عرفان بقافية موحدة، وهذا ما لم يألفه شعراء الهند عادة.

ويلاحظ أيضا أن شعراء الهند قد اهتموا بموضوعات التهاني أكثر من موضوعات التعازي أو العتاب أو الاعتذار.

كما يلاحظ أيضاً أنَّ أغلب القصائد في هذا الغرض كانت ذات موضوع واحد غالبا، ولو خرج البعض في التهاني إلى الغزل فما ذاك إلا للدلالة على الطرب والفرح والسرور، وأن أغلب هذه القصائد متوسطة الطول، كما يتضح أثر الثقافة الإسلامية بجلاء في ختم أغلب القصائد بالدعاء.

١- الإعلام ٣/ ١٣٦٦.



المبحث السادس

المناسبات

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل : المناسبات السياسية.

المطلب الثاني : المناسبات الثقافية والاجتماعية.

المطلب الأوّل

المناسبات السياسية

كانت للهند علاقات تجارية وطيدة مع الجزيرة العربية من قبل الإسلام[١]، ولما أشرقت شمس الإسلام، وأضاءت بنورها الأكوان، تنورت الهند وبقاعها أيضا بنور الإسلام وضيائه، وبدأت صفحة جديدة من العلاقات، ألا وهي العلاقات الدينية، كما أن العلاقات التجارية السابقة أيضاً بقيت، بل قويت وزادت قوة، وبقيت العلاقات الدينية والتجارية مستمرة في كل عصر، ولما تحررت الهند من الاستعمار الإنجليزي سنة ١٩٤٧م تحت قيادة غاندي[٢] ونهرو[٣]

١- ينظر للاستزادة في هذا الموضوع : العلاقات بين الهند والعرب» لسيد سليمان الندوي (بالأردية) هندو عرب كى تعلقات ، دار المعارف أعظم كرهـ، الهند.

٢- هو موهن داس بن كرم تشند غاندي، ولد في بور بندر في ولاية غجرات سنة ١٨٦٩م، درس الحقوق في لندن ١٨٨٨-١٨٩١م، عمل مستشاراً قانونياً في جنوب إفريقيا ١٨٩٣-١٩١٤م، عاد إلى الهند ١٩١٤م وتزعم الحركة الوطنية داعياً إلى تحرير الهند من الأجانب بالطرق السلمية والمقاومة السلبية لا عن طريق العنف، اشترك بالمفاوضات التي أدت إلى استقلال الهند سنة ١٩٤٧م، قتله هندوسي متعصب سنة ١٩٤٨م. (تلاش حق، مهاتما كاندهي، ترقي اردو بورد، وزارت فروغ انساني وسائل، دهلي، ١٩٧٣م ، المنجد في الأعلام ٥٠٢).

٣- هو جواهر لال بن موتي لال نهرو، ولد في إله آباد سنة ١٨٨٩م، درس الحقوق في جامعة كيمبرج في انجلترا، وشارك مع غاندي في الحركة الوطنية، للاستقلال، وقضى تسع سنوات في السجون البريطانية مفاضلاً من أجل الاستقلال، عين أول رئيس للوزراء في الهند المستقلة سنة ١٩٤٧م، وبقي في الرئاسة إلى أن مات سنة ١٩٦٤م.
له مؤلفات نالت شهرة عالمية، أهمها: لمحات من تاريخ العالم. (المنجد في الأعلام ٧١٤).



وأبي الكلام آزاد[1]، حاولوا إيجاد علاقات سياسية قوية أيضا بين الهند ودول الخليج العربي، وكان للمملكة العربية السعودية دور كبير من هذا الاهتمام، ومما يدل على قوة هذه العلاقات بين البلدين زيارة كثير من ملوك المملكة العربية السعودية للهند، مثل جلالة الملك سعود، وجلالة الملك فيصل،، وجلالة الملك خالد، أبناء الملك عبد العزيز آل سعود- يرحمهم الله- ولم يغفل الشعر العربي في الهند عن تسجيل هذه الأحداث المهمة، والمناسبات الضخمة، والعلاقات الأخوية، وخاصة الشعراء المسلمين الذين كانوا مطلعين على مساعيهم المشكورة في حماية الدين، ونصرة إخوانهم المسلمين، واعتناقهم العقيدة الصافية المستقاة من منهلها الصافي العذب المعين، وتطبيقهم لشرع الله الحكيم. فلما زار الملك سعود بن عبد العزيز – يرحمه الله – الهند عام ١٣٧٥هـ، قام الشعراء بنظم ما جادت به قرائحهم في التغني بهذه المناسبة السارة، والإشادة بشمائل هذا الضيف الكريم، ومن أولئك الشعراء إعجاز أحمد السهسواني[2] الذي بدأ قصيدته بأبيات غزلية، وبعد ذكر الشاعر لما يقاسيه في الحب، وفي هجر الحبيبة، ووصف ما تفعله جفونها في قلوب العاشقين، بعد هذا الذكر الخلاب يتحول إلى بيان فضائل الملك سعود وذكر محاسنه فيقول:

١- هو الشيخ محي الدين أحمد بن خير الدين، الملقب بـ «أبي الكلام آزاد»، ولد بمكة سنة ١٨٨٨م وتثقف في القاهرة وكلكتة، أسس جريدتي «الهلال» و«البلاغ» فأوجد يقظة سياسية بين المسلمين، ساهم في السياسية مساهمة فعالة وقضى عشر سنين في السجون، تولى رئاسة عدة أحزاب سياسية آخرها حزب المؤتمر الهندي الوطني من ١٩٤٠م-١٩٤٦م، عين أول وزير للتعليم في الهند المستقلة، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٩٥٨م، كان خطيباً بارعاً، وأديباً من طراز نفسه، ألف ٥١ كتاباً ومجموعات من الخطب والرسائل، أشهرها «ترجمان القرآن» وهو تفسير الكتاب العزيز، وتذكره و غبار خاطر، ومسئله خلافت، وانسانيت موت كى دروازى بر، وهماري آزادي. (مقدمه هماري آزادي، أبو الكلام آزاد صفحة غير مرقمة، اورينت لونك مين، دهلي ١٩٩١م، أبو الكلام آزاد، د. عبد المنعم النمر، لجنة التعريف بالإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية ١٩٧٣م، المنجد في الأعلام ٣).

٢- هو الشيخ الفاضل: إعجاز أحمد بن عبدالباري بن سراج أحمد الحسيني النقوي السهسواني، ولد سنة ١٢٩٣هـ درس على الحكيم محمود عالم بن إلهي بخش السهسواني، والعلامة محمد بشير السهسواني، والقاضي عبد الحق الكابلي، والشيخ المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني، ولي رئاسة تدريس العربية والفارسية في مدرسةٍ ببدايون، ثم عين نائب العميد في كليةٍ في فيض آباد.

من مصنفاته: تسلية الفؤاد بترجمة بانت سعاد، توقيع الفريد في تذكار أدباء الهند، رشحات الكرم في شرح فصوص الحكم، الدراري المضيئة، ونقد وانتقاد، وشعر العرب، وديوان الشعر بالعربية والفارسية والأردية توفي سنة ١٣٨٢هـ. (الإعلام ٣/ ١١٨٩-١١٩٠، تراجم علماء حديث هند ١/ ٢٥٩-٢٦٠).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مَلِكٌ نَحَا مَنْحَى السَّعَادَةِ نَجْمُهُ ... وَعَلاَ عُلُوًّا لَمْ تَنَلْهُ الأَنْجُمُ

حَامِي ثُغُوْرِ الدِّيْنِ، مَاحِيْ بِدْعَةٍ ... وَأَسَاسَ بُنْيَانِ الضَّلاَلَةِ يَهْدِمُ

نُوْرٌ تَمَنَّتْهُ الْكَوَاكِبُ جَمَّةً ... حُلْمُ حَكَاهُ يَذْبُلٌ وَيَلَمْلَمُ

اَلْحَزْمُ وَالْعَلْيَاءُ وَالْخُلُقُ السَّنِي ... آيَاتُهَا فِيْ وَجْهِهِ تَتَوَسَّمُ

فيرى أنه سعيد، عالي المكانة، حام لدين الله، قامع للبدعات والضلالات، وأنه تحلى بالنور والجمال، والحلم والحزم، وجميع المكارم والفضائل، ثم يتوجه بالخطاب إلى هذا الضيف، ويذكر ما لزيارته من أثر عظيم في مضيفيه، وفي بلدهم، يقول :

أَهْلاً وَسَهْلاً أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِيْ ... يُثْنِيْ عَلَيْكَ مَلِيْكُنَا وَيُكَرِّمُ

هَذَا مَسِيْرُكَ رَحْمَةً لِبِلاَدِنَا ... وَمَسَرَّةٌ لِقُلُوْبِنَا وَتَنَعُّمُ

لله دَرُّكَ يَا سُعُوْدُ بِكَ انْجَلَتْ ... ظُلُمَاتُ جَهْلٍ نَارُهَا تَتَضَرَّمُ

ثم يختم قصيدته بالدعاء له بهناء العيش، ودوام السعادة، يقول :

لاَ زِلْتَ بِالْعَيْشِ الرَّغِيْدِ مُهَنَّأً ... مَا دَامَ طَيْرٌ بِالْحِمَى تَتَرَنَّمُ

وكان الشيخ عصمت الله المئوي أيضا من أولئك الشعراء الذين قرضوا قصائد في الترحاب بالملك سعود- رحمه الله – بدأها بذكر أنه بدر تجلى للهند، فنورها بأنواره، حتى زال عنها ظلام الليل، وأنه قرة أعين للناس، يقول :

أَلاَ لِلْهِنْدِ بَدْرٌ قَدْ تَجَلَّى ... وَنَوَّرَهُ بِأَنْوَارٍ وَجَلَّى

وَنُوِّرَتِ الْبِلاَدُ وَقَدْ أَضَاءَتْ ... وَحِنْدِسُ لَيْلِهَا عَنْهَا تَوَلَّى

بِطَاعَتِهِ عُيُوْنُ النَّاسِ قَرَّتْ ... وَقَدْ لَمَعَتْ بِنُوْرٍ قَدْ تَلأْلأَ

ثم يذكر أن رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو وحكومته قاموا بدعوته إلى هذه الزيارة، لتوثيق روابط الأخوة والصداقة فلبّى دعوتهم، وأن الحكومة أقامت لهذا الضيف العظيم حفلا ومأدبة في عاصمتها دهلي، ثم ينتقل إلى ذكر مفاخره ومناقبه،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فيقول :

تَـوَحَّـدَ بِالْمَـكَارِمِ وَالْمَـعَالِيْ ... فَـمَا أَحَـدٌ لَـهُ فِي الْفَضْـلِ مِثْلا
أَعَـزُّ مِـنَ الْـكَرِيْمِ بِمَكْرُمَـاتٍ ... وَمِـنْ أَقْـرَانِهِ كَـانَ الأَجَـلاَّ
أَلاَ أَسْـلاَفُكُمْ كَانُـوْا خِيَـارًا ... وَأَيْضًـا يَـا مُعَـاذِيْ أَنْتَ أَعْـلَى
وَحُـزْتَ مَكَـارِمَ الأَخْـلاَقِ طُـرًّا ... وَفُقْتَ عَلَى خِيَـارِ النَّـاسِ فَضْـلاَ
أَيَـا مَـلِكَ الْحِـجَازِ وَرِثْتَ مَجْـدًا ... وَفَضْـلاً عَـنْ أَبِيْـكَ وَبِهِ الْـمُحَلَّى
تَسُـوْسُ النَّـاسَ فِيْ حَـرَمٍ وَحِـلٍّ ... وَفُقْـتَ عَـلَى مُلُـوْكِ الأَرْضِ عَدْلا[1]

فذكر أنه وحيد في جميع الفضائل والمعالي، وأن أسلافه كانوا على هذا المنوال، فورث منهم هذه الفضائل والمحاسن، فليس ذلك بعجيب منه، كما ذكر عدله وقسطه وسياسته في الحلّ وفي الحرم حتى فاق جميع ملوك الأرض.

ولما زار جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - يرحمهم الله- باكستان عام ١٩٧٦م قام الشيخ محمد ناظم الندوي[2] بنظم قصيدة ترحيبية، يقول فيها :

وَالْجَـوُّ مُـلْتَـمِعٌ بِـأَبْهَى مَنْـظَرٍ ... وَالشَّمْسُ مُـرْسِلَةٌ شُعَاعًـا مُذْهَبًا[3]
وَالطَّـيْرُ تَشْـدُوْ فِي الْخَـمَائِلِ بَاكِـراً ... فَرْحَـانَـةً سَكْـرَانَـةً لِـتُرَحِّـبَا
اَلـدَّارُ دَارُكَ وَالْقُـلُوْبُ مَنَـازِلُ ... فَـانْـزِلْ بِهَـا أَنَّى أَرَدْتَ مُحَبَّـبَا
حُـزْتَ قُلُـوْبَ الْـمُسْلِمِيْنَ مَـوَدَّةً ... فَاصْـرِفْ بِهَـا حَيْثُ تَشَاءُ مُقَرَّبَا[4]

١- أخبار أهل الحديث، المجلد الخامس، العدد الثاني عشر، ص ١٥، الصادرة من دهلي .

٢- هو الشيخ محمد ناظم الندوي، ولد في بهار سنة ١٣٣٤هـ درس في دار العلوم ندوة العلماء في لكهنؤ، وتولى فيها التدريس والعمادة، ثم تولى رئاسة الجامعة العباسية ببهاولفور، ثم قام بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة زمناً، وعين نائب رئيس مجمع البحوث الإسلامية بكراتشي. له كتب ومقاولات كثيرة، لم أعثر له على تاريخ الوفاة. (كلمة الناشر في مقدمة ديوانه الزهرات، الصفحة غير مرقمة).

٣- ملتمع. التمع:أضاء (القاموس المحيط: ل م ع).

٤- الزهرات ، ص١١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

عبر الشاعر عن الفرح الذي عمّ الناس بقدوم هذا الملك الميمون، بل عمّ الكون كله، فالمنظر بهيج بهيّ، والشمس تختار اليوم من أشعّتها فترسل منها أشعة مذهبة، والطيور تصدح بالغناء وتعبر عن فرحها وسرورها وترحب بهذا الضيف الكريم، ثم يتوجّه إلى الملك ويخبره بأنه ليس غريبا بل الدار داره، ومنـزلة قلوب الناس، وأي مكان أو أي قلب ينـزله يجد له فيه محبة وشوقا، حتى إنه حاز قلوب جميع الناس، فكلها طائعة له في اختياره ورفضه، وأمره ونهيه.

وكان للهند علاقات واسعة مع دول العالم قديما وحديثا، وكان يزورها ملوك وساسة من كل دول العالم، فلما زارها الأمير حبيب الله خان ملك افغانستان نظم المولوي نذير أحمد الدهلوي قصيدة في الترحاب به بدأها بقوله :

جَـمَـعْتَ فِيْكَ التُّقَى وَالْـمُـلْكَ وَالأَدَبَـا وَاللهِ إِنَّـــا نَـــرَى فِي شَـأْنِكَ الْعَـــجَبَا

ذَكَّرْتَنَا الْخُـــلَفَـــاءَ الـرَّاشِـــدِيْنَ فَـدُمْ عَلَى الْـهُـــدَى وَاتَّبِـعْ مِنْهَاجَهُمْ رَغَـدَا[1]

ثم يذكر مدى ما وصل إليه العلم من الازدهار والانتشار في دول أوربا، وتفوقهم على المسلمين بسببه، بينما المسلمون ساهون عن العلم، لاهون بما في أيديهم، بعيدون عن الجد والاجتهاد، مما جعلهم في مؤخرة الأقوام، وكان لقي بالأمير يوم الجمعة فأنشده عند أوّل لقائه قوله:

عِيْــدٌ وَعِيْــدٌ وَعِيْدٌ صِـرْنَ مُـجْـتَمِعَـةْ وَجْـهُ الحَبِيْبِ وَيَوْمُ العِيْدِ وَالجُمُعَـهْ[2]

ففرح الأمير بحسن اختياره، وحضور بديهته.

ونظم الشيخ أصغر علي روحي[3] قصيدة في الترحيب بالسفير العثماني عام ١٨٩٧م

١- الإعلام ٣/ ١٣٩٠.

٢- الإعلام ٣/ ١٣٩٠.

٣- هو الشيخ أصغر علي الروحي ابن شمس الدين القاضي، ولد في كتهالة (قرية في باكستان بين لاهور وإسلام آباد) سنة ١٣١٧هـ، بدأ دراسة الفارسية والعربية على والده، لكن والده توفي وعمره ٨ سنوات، ثم ارتحل إلى لاهور لطلب العلم حتى حصل على شهادة الماجستير من جامعة بنجاب، وقد درس على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والمفتي عبد الله الطوكي، والشيخ نذير حسين الدهلوي، اشتغل بالتدريس في الكلية الشرفية بلاهور، ثم بكلية لاهور الإسلامية وفي مدارس أخرى.

له شعر بالفارسية والعربية، توفي سنة ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م، (مقدمة ديوانه ص٣٢-٣٨، المجمع العربي بباكستان، بدون



عبر فيها عن فرحه وسروره بمقدم هذا السفير، وبين فيها ما للخلافة الإسلامية من مكانة عظيمة في قلبه وقلوب مسلمي الهند عامّة، ويدعو للخليفة بالنصر والغلبة على أعدائه، يقول :

نَسِيْمُ الصَّبَا فَاحَتْ مُطَيَّبَةَ النَّشْرِ ... كَأَنَّكَ كَالْمِسْكِ الْفَتِيْتِ أَوِ الْعِطْرِ

سَلَامٌ عَلَى مَلِكِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى ... مِنَ الرَّبِّ مَا قَامَ الأَحِبَّاءُ بِالنَّصْرِ

خَلِيْفَةُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ بِرَحْمَةٍ ... لِكَيْ يَغْلِبَ الْكُفَّارَ بِالْجَبْرِ وَالْقَهْرِ

فَهَا نَحْنُ نَدْعُوْ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ... أَتَاهُ الْهُدَى حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ[1]

ولم يقتصر شعر المناسبات على الترحيب بالملوك والوفود، بل شارك الأمة في سرورها وأفراحها، وآلامها وأحزانها، فلما أنشئت رابطة العالم الإسلامي ابتهج الشعراء ونظموا فيها قصائد، منها قول الشيخ أحمد بن كنج أحمد الكدفتوري[2] يعبر فيه عن سروره بقيام هذه المؤسسة العظيمة لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، ويرى أن الكون كله قد استنار بضيائها، ووصلت أنوارها إلى جميع أقطار العالم، يقول :

وَاهًا لِرَابِطَةٍ بِمَكَّةَ وَاهَا ... فَبِعَالَمِ الإِسْلَامِ عَمَّ ضِيَاهَا

قَدْ أَشْرَقَتْ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ فِيْ ... أُمِّ الْقُرَى فَبِهَا أَضَاءَ ثَرَاهَا

شَعَّتْ أَشِعَّتُهَا إِلَى كُلِّ الدُّنَا ... فَبِهَا اسْتَنَارَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاهَا[3]

ولما سقطت فلسطين والقدس الشريف، أولى القبلتين، ومسرى سيد الثقلين بأيدى العدوان الغاشم، وسيطر الصهاينة على الأرض المباركة، جزع له المسلمون شرقا وغربا،

تاريخ)، تحقيق: الدكتور رانا ذوالفقار علي.

١- ديوان أصغر علي روحي ، ص٧١.

٢- هو الشيخ أحمد بن كنج أحمد، ولد في كدفتور في كيرالا سنة ١٣٣٥هـ١٩٢٦م، درس في مدارس وازكات وفلكل واشتغل بالتدريس في مدرسة المبارك العالية بتلشيري إلى ١٩٨١م، له قصائد في المدح والرثاء وغيرهما، ومقالات منشورة في المجلات.(الشعر العربي في كيرالا ص ٢٩٦).

٣- ديوان الشاعر المخطوط، نقلا عن «الشعر العربي في كيرالا، مبدؤه، وتطوره » للدكتور ويران محيي الدين الفاروقي . مكتبة عربنيت، كاليكوت . ص ٣٠٠ .



وشمالا وجنوبا، وعظمت عليهم المصيبة ، واشتد بهم الكرب وعمّ الحزن بلاد الهند ومن فيها من المسلمين، وقد عبر الشاعر علي بن فريد الكشنوري[١] عن ألمه البالغ، وحزنه العميق لهذا الحادث الضخم الذي هزّ كيان الأمة برأسها، يقول :

فَـابْكِ الدُّمُوْعَ عَلَى الضَّحَـايَـا وَاعْتَـبِرْ ... مِمَّـا أَلَمَّ لَـنَـا مِـنَ الْخُـسْـرَانِ

دَارَتْ رَحَى إِعْـدَامِ أُمَّـةِ أَحْـمَـدِ ... فِيْ كُـلِّ أَقْطَـارٍ مِـنَ الْبُـلْدَانِ

ثم يسائل نفسه ويتمنى عودة القدس إلى الأمة الإسلامية، ولا يهمه أن يعود القدس الشريف فحسب، بل يتمنى عود عزتها القعساء، وماضيها المجيد، ويظهر رجاءه وتفاؤله بعزة دين الله الحنيف على سائر الأديان؛ لأن الله يظهر دينه ولوكره الكافرون، يقول :

هَـلْ يُسْتَرَدُّ الْقُـدْسُ مِنْ أَيْدِي الْعِـدَى ... فَتَـعُوْدَ عِـزَّةُ قَوْمِنَـا بِـأَمَـانِ

وَتَكُـوْنَ أُوْلَى الْقِبْلَـتَيْنِ غَنِيْـمَةً ... لِـجَـمَاعَةِ الإِسْـلاَمِ وَالإِيْـمَانِ

كَـلاَّ سَنَغْـلِبُـهُمْ بِعِـزَّةِ دِيْنِنَـا ... فَـاللهُ يُظْـهِرُهُ عَـلَى الأَدْيَـانِ[٢]

ولما اعتدى الصهاينة على المسجد الأقصى وأشعلوا فيه الحريق عام ١٩٦٢م هزّ ذلك مشاعر المسلمين، وبكوا لذلك بكاء حارّا، وعلت له صرخاتهم وتتابعت صياحاتهم، وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن الكريادي[٣] مخاطبا المسجد الأقصى وداعيا إياه إلى الصبر بعض الوقت ؛ فإن نصر الله آت، ولن يخذله علاّم الغيوب، يقول:

صَـبْرًا أَيَـا مَسْجِـدَ الأَقْصَى هُنَيَّـاتِ ... لاَ يَخْـذِلُـنَّكَ عَـلاَّمُ الْخَـفِيَّاتِ

ثم يعبر عن حال المسجد الأقصى وكأنه كائن حيّ أصابه الأسى والحزن لهذا الحريق،

١- هو الشيخ علي بن فريد، ولد في قرية كشنور في كيرالا سنة ١٩١٠م، درس في كلية دار العلوم بوازكات، ثم اشتغل بالتدريس في عدة مدارس آخرها في المدرسة العالية الحكومية بشافكات، وتقاعد عنها، له كتاب منظوم باسم «خلاصة الأبصار في سيرة المختار» توفي سنة ١٩٨٧م (الشعر العربي في كيرالا ص٢١٧).

٢- الشعر العربي في كيرالا ، ص ٢٢٢.

٣- هو الشيخ عبد الرحمن الكريادي، ولد بقرية كرياد القريبة من مدينة ماهي سنة ١٩١٦م، تتلمذ على أبيه، وتعلم في مدارس فرنغتور ووازكات وغيرها، عمل مدرساً في عدة مدارس والكليات. (الشعر العربي في كيرالا ص٢٨٠).



ولهذه المهانة ، ثم يذكر أن من أشعلوا فيه الحريق هم الخبيثون، وقد تعودوا الإتيان بأعمال خبيثة سوداء نكراء ، ويذكر أن ذلك الحريق وإن أطفئ من المسجد، فقد سرى إلى أعماق قلوب الأمة الإسلامية، وستبقى ناره مشتعلة، لا تخمد جذوتها، ولا ينطفئ لهيبها،يقول:

لَكِنَّكَ الآنَ فِيْ حُزْنٍ وَفِيْ أَلَمٍ   لِمَا أَصَابَكَ مِنْ أَقْصَى الْمُصِيْبَاتِ

قَدْ حَرَّقَتْكَ يَدٌ سَوْدَاءُ ظَالِمَةٌ   ردَّتْ نَوَاصِيْكَ الْفُضْلَى حُرَيْقَات

إِلَى جَمِيْعِ قُلُوْبِ الْمُسْلِمِيْنَ سَرَتْ   فَمَزَّقَتْ فَهِيَ نِيْرَانُ الْمُلِحَّاتِ

نَارٌ وَإِنْ أُطْفِئَتْ مِنْهُ بِسَعْيِهِمُ   لَكِنْ لأَكْبَادِهِمْ تَبْقَى لِحِقَبَاتِ

تَبَّتْ يَدَا صَاحِبِ النَّارِ الشَّقِيِّ وَهَلْ   يَأْتِي الْخَبِيْثُوْنَ إِلاَّ بِالْخَبِيْثَاتِ[1]

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من عاطفة حزن شديد، وإن كانت المقدرة اللغوية للشاعر لا تسعفه في إظهار مشاعره إظهارا قويا.

وهذه الحوادث الضخمة الأثر، والمناسبات العظيمة الشأن لم تمنع الشعر العربي في الهند من تناول حوادث أخرى، كانت تحصل في الهند شرقا أو غربا، وشمالا أو جنوبا، وتصويرها، فمن ذلك ما قاله الشيخ أنوار الحق المئوي[2] بمناسبة حضور الشيخ أبي الكلام أحمد بن خير الدين المعروف بـ «آزاد» الحفل السنوي لحزب المؤتمر[3] عام ١٩٥٢م في كلكتا[4] وكان الشيخ آزاد آنذاك وزير التعليم في الحكومة الهندية، بدأها بحمد الله – سبحانه وتعالى– وذكر أن كل شيء في الكون من الطيور والزهور والملائكة الكرام، والحور العين، وعتاق النوق، وغزلان القفار،كلها تسبح بحمده، وذكر رأفة الله

١– الشعر العربي في كيرالا، ص ٢٨١.

٢– هو الشيخ أنوار الحق، ولد في مئو سنة ١٣٠٨هـ، ودرس على والده وعمه ثم التحق بدار العلوم بديوبند وتتلمذ على الشيخ أنور شاه الكشميري، اشتغل بالتدريس في المدرسة العزيزية في بهار شريف، له بعض القصائد غير المطبوعة. توفي سنة ١٣٥٤هـ، هندوستان كي عربي شاعري، د. حامد عليخان ، ص ٢٦٨–٢٧٠.

٣– سبق الحديث عنها في الحالة السياسية.

٤– إحدى المدن الكبرى الثلاثة في الهند، تقع في شرق الهند على شاطئ نهر «هوقلي» وكانت أَوَّلَ عاصمةِ الإنجليز في الهند، وهي الآن عاصمة ولاية البنغال الغربية في الهند.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

-عز وجل-، وكرمه ورحمته بخلقه وأنه يعطي من يشاء بلا حساب، ثم يقول :

حَبَـــا طَـــاوُوْسَ وَادٍ حُسْنَ لَـــوْنٍ   وَعِـــلْمَ الـــرَّقْصِ، يَـــرْقُصُ بِالْـــغَرَامِ

وَحِنَّـــاءً حَبَـــا لَـــوْنًـــا عَجِيْبًـــا   يَـــزِيْنُ خَـــرَائِدًا ذَاتَ اللِّثَـــامِ

وَأَعْـــطَى يُوْسُـــفَ حُسْنًـــا بَدِيْعًـــا   كَشَمْسٍ صَـــارَ فِيْ كَـــشْفِ الظَّـــلاَمِ

وَأَعْـــطَى حَاتِـــمًـــا مَـــالاً وَجُـــوْداً   وَعَـــلَّمَ خَـــالِدًا ضَـــرْبَ الْحُـــسَـــامِ

وجعل هذه المنن الإلهية التي خص بها خلائق دون آخرين، مقدمة لتلك الميزات والخصائص التي وهبها الله الشيخ أبا الكلام آزاد من فصاحة البيان، وبلاغة الكلام، وامتلاك نواصي البراعة، وسبقه في باب الخطابة، يقول :

وَقَـــدْ أَعْطَى إِمَـــامَ الْهِنْـــدِ حُسْـــنَ الْـ   خِطَـــابَةِ بِاتِّسَـــاقٍ وَانْتِظَـــامِ

فَصَـــارَ إِمَـــامَ أَحْـــرَارٍ كِـــرَامٍ   وَسَـــمَّاهُ الْكِـــرَامُ أَبَـــا الْكَـــلاَمِ

حَلِـــيْفَ جَوَاهِـــرٍ[1] فِيْ حَرْبِ عِـتْقٍ   أَمِـــيْرَ جُيُـــوْشِ أَبْـــرَارٍ فَخَـــامِ

ثم انتقل إلى ذكر ما كان له من مكانة عظيمة وقدم راسخة في العلم أهلته ليصير أول وزير للتعليم في الهند المستقلة، فيقول :

وَكَـــانَ بِمَحْـــفَـــلِ التَّعْلِيْمِ شَمْعًـــا   فَـــأُجْلِـــسَ فِيْـــهِ فِيْ أَعْـــلَى الْمُـــقَامِ

فَـــرَاشُ الْعِـــلْمِ يَقْصِـــدُهُ جَمِيْعًـــا   زِحَـــامٌ فِيْ زِحَـــامٍ فِيْ زِحَـــامِ

وبعد ذكر منـزلته في الهند بين الساسة والرعية تحول إلى ما تمتع به من منـزلة عظيمة في أقطار المعمورة وأرجائها من مصر والشام والعراق وإيران ومكة المكرمة والمدينة المنورة، فله مكانة عالية وكعب عالٍ بسبب غزارة علمه في كل مكان في العالم ، أينما حلّ وحيثما نزل، يقول:

١- يعني به جواهر لال نهرو أول رئيس الوزراء للهند المستقلة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

بَعِيْـدُ الصِّـيْتِ فِيْ شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ ... وَيَـزْدَادُ اشْتِهَـارًا كُـلَّ عَـامِ

جَـرَائِدُ مِصْـرَ تَمْـدَحُـهُ جَمِيْـلاً ... بِأَلْفَـاظٍ كَأَسْجَـاحِ الْحَـمَـامِ

تَلَقَّـاهُ الأَكَـابِرُ بِاحْـتِرَامٍ ... بِإِيْـرانٍ وَبَغْـدَادٍ وَشَـامِ

بِمَكَّـةَ وَالْـمَـدِيْنَـةِ فِيْ حِجَـازٍ ... يُلَـقَّى بِالتَّـحِيَّـةِ وَالسَّـلاَمِ

ثم يختم القصيدة بالترحيب به والدعاء له، يقول :

كَـمَا قُـلْنَـا لَـهُ أَهْـلاً وَسَهْـلاً ... بَـإِكْـرَامٍ وَحُـبٍّ وَاغْتِنَـامِ

اَلأَرْضُ مَيْتَـةٌ مِثْـلُ الْغَـمَـامِ ... غَـمَامِ الْـوَبْلِ جَـاءَ أُوْلِي الأُوَامِ

يُمَتِّعُنَـا الإِلَـهُ بِجُـوْدِ نَهْـرٍ ... يَمُـدُّ بِصَـوْبِ مِـدْرَارِ الْغَـمَامِ[1]

ومن تلك الحوادث والمناسبات أيضا التي صورها الشعر العربي إقالة الحكومة الهندية المركزية لحكومة ولاية كيرالا الشيوعية عام ١٩٥٩م، وكان المسلمون فرحين بهذه الإقالة ؛ لأنهم قد ضاقوا ذرعا بسبب ما انتشر في تلك الفترة من الظلم والفساد، وقد نظم فيها الشاعر أبوبكر بن كنج محمد المدوفتوري[2] قصيدة سمّاها «الوزارة الحمراء » يقول فيها مخاطبا وزراء الحكومة المعزولة :

مُـوْتُـوْا بِغَيْـظٍ أَيُّهَـا الْـوُزَرَاءُ ... بَانَتْ وِلاَيَـةُ كَـيْرَلاَ الْعَـذْرَاءُ

صَـارَتْ مُطَلَّـقَةً ثَلاَثًـا حِيْنَـمَا ... زَادَتْ عَلَيْهَـا صَبْغَـةٌ حَـمْـرَاءُ

يشبه الشاعر الولاية بغادة حسناء زفها أولياؤها إلى من ظنّوا فيه الكفاءة لكن تبين أنه ليس كفؤا فطلقت هذه الفتاة الشابة طلاقا مغلظا في أوج شبابها، ثم يتحول الشاعر إلى بيان حزن هذه الغادة، وندامتها، وضيقها وألمها بسبب جور الوزراء

١– هندوستان كي عربي شاعري ، ص ٢٦٨–٢٧٠.

٢– هو الشيخ أبوبكر بن كنج محمد، ولد بـ مدوفتور في كيرالا سنة ١٩١٨م، التحق بالكتاتيب ثم بمدرسة روضة العلوم بمنجيري، واشتغل فيها بالتدريس أيضاً، وتولي عمادتها حتى تقاعد عنها سنة ١٩٧٨م، كان يمارس نظم الشعر من أوائل عمره، توفي سنة ١٩٩٦م.(الشعر العربي في كيرالا ، ص ٢٦٣).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ودستورهم الجائر، يقول :

ضَـــاعَتْ مَحَاسِنُهَـا وَقَـلَّ جَمَالُـهَـــا بِـوَزَارَةٍ دُسْتُوْرُهَـــــا الشَّـحْنَـــاءُ
عَـــادَتْ تَعُـضُّ عَلَى الْيَـــدَيْنِ نَـدَامَــةً تُـجْـرِيْ الدُّمُـــوْعَ كَأَنَّهَـــا خَنْسَـــاءُ
ضَــاقَتْ بِهَـــا ذَرعًـــا وَطَــالَ أَنِيْنُهَـــا حَـــتَّى تَجَـــمَّعَ حَوْلَهَــا الرُّؤَسَـــاءُ
يَـــا وَيْـــحَ لِلْـــوُزَرَاءِ أَنَّ زَمَـــانَهُـــمْ وَلَّى، وَمَـــا لِلظَّـــالِمِيْنَ بَقَـــاءُ

ويذكر الشاعر حادثة مؤسفة حصلت في أثناء محاولة الإطاحة بهذه الحكومة البغيضة، حيث ماتت امرأة حبلى – من بين من مات – برصاصات الشرطة، لما حاولوا منع الشعب مزاولة حقه في إظهار عدم رضاه بالحكومة، يقول:

اَلْقَـــاتِلِي الْحُـبْلَى بِغَـــيْرِ جَـرِيْمَــةٍ وَجَنِيْنِهَـــا، أَكْفَانُهَـــا الأَحْشَـــاءُ[١]
ذَاكَ الْجَـنِـــيْنُ أُطِــلَّ قَبْـــلَ وِلاَدَةٍ نَظَرًا إِلَى مَـــا يَصْنَـــعُ الْـــوُزَرَاءُ
فَاخْتَـــارَ عَيْشًـــا فِيْ حَشَـــا أُمٍّ لَـــهُ فِي الْـــقَبْرِ حَـــتَّى تُحْـشَـرُ الأَحْيَاءُ[٢]

المطلب الثاني

المناسبات الثقافية والاجتماعية

رأينا في المبحث السابق أن الشعر العربي في الهند قد سجل أحداث العصر السياسية تسجيلا دقيقا، ونرى أن المناسبات الثقافية والاجتماعية لم تكن أقل حظا من المناسبات السياسية، فقد صورها أيضا الشعر العربي، وسجل دقائقها وتفاصيلها، ومن هذه المناسبات المهمة زيارة شيخ الأزهر الأسبق الدكتور محمد محمد الفحام لباكستان، يقول فيها الشيخ محمد يوسف البنوري معبرا عن فرحه وسروره بمقدم هذا الضيف الكريم العظيم الشأن، يقول :

تَبَسَّـمَ بَـــرْقٌ فِيْ دُجَى اللَّيْـلِ أَسْـحَمَا فَأَضْـرَى عَمِيْـدَ الْقَلْبِ نَـــارًا وَأَضْـرَمَا

١ – هكذا في الأصل : والصواب : أكفانه.

٢ – مجلة المنار ، كاليكوت العدد ٩–١٠، ص ٨٨ نقلا عن الشعر العربي في كيرالا ، ص ٢٦٤.



وبعد تعبيره عن فرحه وسروره ينتقل إلى ذكر بعض مناقب هذا الضيف النازل، يقول:

وَشَرَّفَنَـــا شَيْـــخٌ إِمَـــامٌ لأَزْهَـــرٍ ... يُـــدَاوِيْ بِعِـــلْمٍ هَـائِـمًـا وَمُتَيَّـــمَـا

أَسِرَّتُـــهُ فِيْهَـــا النَّجَـــابَةُ أَبْـــرَقَتْ ... كَـــبَرْقٍ تَرَى وَسَطَ السَّـــمَاءِ تَبَسُّـــمَا

إِمَـــامٌ كَبِـــيْرٌ فِي الْـمَـعَـــالِيْ بِعَصْـرِهِ ... وَشَيْـخُ شُيُوْخٍ مَـا أَنَـــارَ وَأَنْـــجـمَا

وَذُوْعِـــزَّةٍ قَعْسَـــاءَ وَالْهِـــمَّـةِ الَّـــتِيْ ... تَرَى دُوْنَهَـــا بَـــدْرًا وَشَمْسًـــا وَأَنْجُمَا

فَأَكْـــرِمْ بِكُمْ يَـــا ضَـــيْفُ فِيْ خَـــيْرِ مَقْدَمٍ ... وَنُظْـــهِرُ حُبًّـــا فِي الْفُـــؤَادِ مُكَـــتَّمَا

وبعد هذا البيان لهمة ذلك الشيخ الإمام وعزّته، وعلو نسبه، وغزارة علمه، وبعد إظهار ما يكنّ له في صدره من مكانة عظيمة ومحبة صادقة انتقل إلى ذكر ذلك الصرح الشامخ، وما له من أياد بيضاء في خدمة الإسلام ونشر العلم، وذكر مجلسه الأعلى، ومدينة النصر للبعوث الإسلامية، كما يذكر دوره في البحث والتأليف، ثم يقدم له تحيته، فيقول :

فَيَـــا شَيْـــخُ مَـــوْلاَيَ الإِمَـــامُ مُحَمَّدُ ... عَـــلَيْكَ تَحِيَّـــاتُ الإِلَـــهِ مُعَـــظَّمَا

تَحِيَّـــاتُ شَـــوْقٍ وَاحْـــتِرَامٍ وَدَعْـــوَةٍ ... أُقَدِّمُهَـــا مِنْ جَـــذْرِ قَـــلْبٍ تَكَلَّـــمَا

وَمِـــنْ نَفَثَـــاتِ الصَّـــدْرِ مَـــا قَدْ بَثَثْتُهُ ... وَمِـــنْ خَـــاطِرَاتِ الْقَلْـــبِ مَـا قَدْ تَكَتَّمَا

تَهَـــلَّلَ قَلْـــبِيْ إِذْ تَـــأَلَّـــقَ بَرْقُكُمْ ... وَمِـــنْ شِيْمَـــةِ الْفَرْحَـــانِ أَنْ يَتَبَسَّـــمَا

ثم يختم القصيدة بحمد الله والثناء عليه عزّ وجلّ فيقول :

وَآخِـــرُ دَعْوَانَـــا تَحِيَّـــاتُ رَبِّنَـــا ... ثَنَـــاءً جَمِيْلاً كَـــانَ أَبْـــقَى وَأَدْوَمَـــا[1]

وللشاعر قصيدة أخرى بمناسبة زيارة الشيخ عبد الحليم محمود الذي كان شيخا أيضا للأزهر، وقصيدة ثالثة عند زيارة السيد عمر بهاء الأميري لمدرسته في كراتشي، وقصائد أخرى في الترحيب بضيوف آخرين لا تختلف عن القصيدة السابقة كثيرا لا

١ – القصائد البنورية ، ص ٢٧٥–٢٧٧.



في المعاني والأفكار، ولا في نهج القصيدة، ولا في الألفاظ أو الأسلوب، بل نجد عنده أحيانا، تكرار بعض الأبيات في أكثر من قصيدة، مما يدل على ضعف العاطفة وعدم صدقها في بعضها.

ومن الأحداث العظيمة الشأن، البعيدة الأثر، في هذا العصر، ما رآه بعض الغير من أبناء هذه الأمة الإسلامية من الجهل السائد عن الإسلام في أوساط العامة، ومحاولة الحكومة الإنجليزية المستعمرة القضاء على الدين الإسلامي، وتجفيف منابعه، والقضاء على رجالاته، فقام الشيخ محمد قاسم النانوتوي بمساعدة بعض أصحابه بإنشاء مدرسة في ديوبند[1] للحفاظ على العلوم الإسلامية من الضياع ونشرها بين الناس، وإعداد جيل لتحمل هذه الرسالة الخالدة، وكان لمدرسته قبول عجيب في الناس فعنوا بها أيما عناية، ومن مظاهر تلك العناية الفائقة أنه لما شيد فيها بناء خاص لتدريس الحديث النبوي الشريف فرح به المسلمون فرحا عظيما، ونظم الشعراء بهذه المناسبة قصائد بالعربية وغيرها أيضا، ومما نظم في العربية ما قاله الشيخ عبد الرحمن السيوهاري :

دَارُ الْحَدِيْثِ حَمَى الإِلَهُ حَمَاهَا ... وَرَعَى خَمَائِلَ رَوْضِهَا وَسَقَاهَا

دَارٌ لأَزْهَارِ الْحَدِيْثِ حَدِيْقَةٌ ... فَتَعَطَّرَ الْكَوْنَانِ مِنْ رَيَّاهَا

بَسَمَتْ هُنَاكَ زُهُوْرُ هَدْيِ الْمُصْطَفَى ... للهِ عَرْفُ شَمِيْمِهَا وَشَذَاهَا

حِكَمُ الرِّسَالَةِ نَوْرُهَا وَثِمَارُهَا ... كَلِمُ النُّبُوَّةِ قَطْفُهَا وَجَنَاهَا

نَفَحَاتُ طَيْبَةَ فِيْ نَسَائِمِ رَوْضِهَا ... وَمِنَ الْحِجَازِ نَسِيْمُهَا وَصَبَاهَا

شبه الشاعر هذه الدار بروضة معطرة ودعا لها بالريّ والسقاية، وذكر أن الكونين تعطرا بعبقها وعبيرها، ثم تطرق إلى جمال ما فيها وما يتعلق بها من شميهها وشذاها وأزهارها، وعنادلها، وغزلانها، ونفحاتها ونسيمها وأن مصدرها مدينة نبيّ هذه الأمة، المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلوات وأزكى التحيات - وكأن الشاعر أخذ هذا التشبيه من قول المصطفىﷺ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض

1- مدينة صغيرة في شرقي دلهي على بعد مائتي كيلومتر تقريباً، اشتهرت بمدرسة إسلامية كبيرة فيها تسمى بـ «دار العلوم».



الجنة؟ قال حِلَقُ الذِّكْر»[1] ثم ترك عنان خياله في تفصيل وتوصيف هذه الروضة الفيحاء.

ثم يدعو صاحبه إلى الوقوف فيها والاستماع إلى الحديث الشريف الذي رواه صادق هذه الأمة من أماثلهم كابرا عن كابر، يقول :

يَا سَائِراً قِفْ سَاعَةً فِيْ سَوْحِهَا ... وَامْكُثْ مَلِيًّا فِيْ ظِلاَلِ رُبَاهَا

وَاسْمَعْ أَحَادِيْثَ النَّبِيِّ رِوَايَةً ... إِنَّ الصَّدُوْقَ عَنِ الصَّدُوْقِ رَوَاهَا

وبعد هذا التشبيه الجميل، وهذه الدعوة العظيمة يتحول إلى وصف هذه الدار وما لها من مكانة في قلبه وقلوب مسلمي الهند ؛ لما لها من نسبة إلى الحديث الشريف، ويا لله من تلك النسبة العظيمة، يقول :

تَتَصَعَّدُ الْكَلِمَاتُ مِنْهَا فَوْقَهَا ... تَتَنَزَّلُ الْبَرَكَاتُ مِنْ أَعْلاَهَا

دَارٌ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ تَحُفُّهَا ... يَزْهُوْ عَلَى سَمَكِ السَّمَاءِ ثَرَاهَا

دَارٌ لَهَا فِيْ كُلِّ قَلْبٍ مَنْزِلٌ ... ذِكْرُ الْحَبِيْبِ يَحُلُّ فِيْ مَغْنَاهَا

ويذكر أنها لم تنل هذه المحبة، وتلك المكانة لنفسها، بل لأجل من تنسب إليه، يقول:

وَهَوَى الدِّيَارِ لأَهْلِهَا مِنْ مَذْهَبِيْ ... مَنْ كَانَ يَهْوَى ذِكْرَهُ يَهْوَاهَا

وَبِحُبِّ حِبٍّ حُبُّهُ إِيْمَانُنَا ... لَنُحِبُّهَا وَنُحِبُّ مَنْ وَالاَهَا

ويرى أن زيارتها تقر العين، وتسكن القلوب، وأنها دار مبنية على التقوى، فهي أحق بالإشادة، يقول :

دَارٌ زِيَارَتُهَا لِعَيْنِيَ قُرَّةٌ ... دَارٌ سَكِيْنَةُ خَاطِرِيْ ذِكْرَاهَا

دَارٌ أَحَقُّ بِأَنْ يُشَادَ بِنَاؤُهُ[2] ... دَارٌ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى تَقْوَاهَا

---

١ - الحديث، أخرجه الإمام أحمد، ٣/ ١٥٠.

٢ - هكذا في الأصل، والصواب : بناؤها.



ويذكر أنها ليست أول مفخرة تظفر بها قرية ديوبند، بل لها سابقة في الفضل، فهي موطن الفضائل منذ بدايتها، وأنها بنفسها مفخرة للهند، يقول:

نَـــالَتْ مَفَـــاخِرَ دِيْوبَنْدُ بِبَدْئِهَـــا فَهِيَ افْتِخَـــارُ الْهِنْـــدِ بَـيْنَ قُرَاهَـــا

مَـــا سُمِّيَتْ فِي الْهِـــنْدِ دَارٌ بِـاسْمِهَـــا مَـضَتِ الـدُّهُوْرُ وَمَـــا أَتَى ثَرَوَاهَـــا

ويرى أن تلك الدار بناها بناتها بحب وشوق شديدين، حتى إن قلوبهم صارت لبناتها، وأخذت مهجهم مكان ملاطها، يقول :

فَـــتَرَى قُلُـــوْبَ بُنَـــاتِهَـــا لَبِنَـــاتِهَـــا مُهَـــجُ الْقُـــلُوْبِ مِلَاطُهَـــا لِبِنَاهَـــا

طُـــوْبَى لَـهَـــا وَلِـمَـــنْ أَرَادَ بِنَاءَهَـــا بُشْـــرَى لِبَانِيْهَـــا وَيَـــا بُشْرَاهَـــا[1]

وقد اتسعت حركة إنشاء المدارس الإسلامية لإحياء علوم الدين والشريعة فعمت أقطار الهند كلها، ولكن الأيام لا تثبت على حال، فكل يوم فيه تجديد وتغيير، فمع مرور الزمن شعر العلماء بحاجة إلى الإصلاح في المناهج الدراسية المقرر تدريسها في تلك المدارس ؛ لإعداد من يستطيع القيام بتحديات ذلك العصر الذي تغير كثيراً عن سابقه، وبرزت فيه تحديات وقضايا جديدة، فقام الشيخ محمد علي المونكيري[2] بتأسيس« ندوة العلماء» لإصلاح نظام الدرس، ورفع النزاع من الفرق الإسلامية، والذب عن الإسلام[3]، ووجدت الحركة قبولا من العلماء والعوام، كما وجدت من

١- مجلة القاسم عدد شعبان ١٣٣١هـ ص ٣١-٣٣.

٢- هو الشيخ العالم: محمد علي بن عبد العلي الكانفوري، ولد بكانفور سنة ١٢٦٢هـ، اشتهر بالمونكيري لقضائه أخريات حياته في «مونكير»، درس على المفتى عنايت أحمد الكاكوروي، والسيد حسين شاه الكشميري، والمفتي لطف الله الكوئلي، والشيخ أحمد علي السهارنفوري المحدث.

أسس ندوة العلماء سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف لإحياء المدارس العربية وإصلاح نظام الدرس فيها، ورفع النزاع من الفرق الإسلامية والذب عن الإسلام، فبارك الله في مساعيه، وأسس أعضاءُ الندوة مدرسة عظيمة بمدينة لكهنوسنة ١٣١٧هـ وهي التى اشتهرت بدار العلوم ندوة العلماء.

وله مساع حثيثة وجهود مباركة في إصلاح الناس، والرد على النصرانية والقاديانية، له مؤلفات كثيرة، من أحسنها: «بيغام محمدي» في الرد على المسيحية، و«فيصله آسماني» في الرد على القاديانية، و«إرشاد رحماني» في سيرة شيخه فضل الرحمن الكنج مرادآبادي.

توفي سنة ١٣٤٦هـ، (الإعلام ٣/ ١٣٦٨-١٣٧٠، أفكار مسلم شخصيات نمبر (ص ١٩٥).

٣- الإعلام ٣/ ١٣٦٨-١٣٧٠، هندوستاني مسلمان، أبو الحسن ندوي (ص ١٢٢-١٢٥).



يعارضها ويحاول الكيد لها، وقد قام الشعر العربي بدور نشر هذه الدعوة، وبيان مقاصدها، والدعوة إليها، كما قام بالدفاع عنها، والرد على معارضيها، وقد قيل فيها شعر كثير، منه ما قاله الشيخ عبد الوهاب بن إحسان البهاري[1] في مدح أعضاء هذه الحركة، والرد على معارضيها، مع بيان الحاجة إليها، يقول:

طَلَعَتْ شُمُوْسُ الْعِلْمِ فِي الزَّوْرَاءِ ... فَأَفَادَتِ اللَّمْعَانَ فِي الظَّلْمَاءِ

وَبَدَتْ نُجُوْمُ الشَّرْعِ فِي الْخَضْرَاءِ ... وَأَضَاءَتِ الْغَبْرَاءَ بِالأَضْوَاءِ

وَمَحَتْ رُسُوْمُ الْكُفْرِ بَعْدَ شُيُوْعِهَا ... وَفَشَتْ فُنُوْنُ الْمِلَّةِ الْبَيْضَاءِ

وبعد هذه المقدمة التي بين فيها طلوع شموس العلم، وإنارتها الأرض والسماء بضيائها ومحوها رسوم الكفر، ونشرها الدين الحنيف ينتقل الشاعر إلى بيان مزية العلم، وفضله، وما لأصحابه من درجة رفيعة بسببه، يقول:

لَوْلاَ الْعُلُوْمُ لَكَانَ أَحْقَرَ ضَيْغَمٍ ... أَوْلَى مِنَ الإِنْسَانِ فِي الْعَلْيَاءِ

وَبِهِ اضْمَحَلَّ الْكُفْرُ بَعْدَ سُطُوْعِهِ ... وَتَبَدَّلَ السُّفَهَاءُ بِالْعُقَلاَءِ

وَبِهِ الشِّفَاءُ مِنَ النِّفَاقِ وَسُوْئِهِ ... وَيَزُوْلُ دَاءُ الْقَلْبِ وَالأَحْشَاءِ

وَلَهُ فَضَائِلُ لاَ تُعَدُّ وَتَنْتَهِيْ ... وَمَنَاقِبٌ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ

وذكر الشيخ حالة زمنه المؤسفة من انتشار الجهل بين العوام، وكثرة الخلاف والنزاع بين العلماء، حتى انشغلوا عن هداية الناس، وأصبحوا سبب شقاء الأمة ومصدراً لإيجاد الشحناء والبغضاء بينهم بتكفير بعضهم بعضا، وصار الناس في ضلال وعمي، يقول:

فَمَضَى الزَّمَانُ زَمَانُ عِلْمٍ نَافِعٍ ... وَالْيَوْمَ يَوْمُ الْجَهْلِ وَالْفَحْشَاءِ

١- هو الشيخ عبد الوهاب بن إحسان علي السريندوي. ولد ونشأ بقرية «سريندە» من أعمال «بهار»، اشتغل بالعلم على أساتذة بلده مدة ثم دخل «لكهنو» وقرأ على العلامة عبد الحي بن عبد الحليم الأنصاري اللكهنوي، ثم تصدر للتدريس، فدرس مدة مديدة ببلدة كانفور، ثم بحيدرآباد الدكن، ثم ولي بالمدرسة العالية في كلكتة.
له مصنفات منها: شرح على هداية الحكمة، تعقب فيها على العلامة عبد الحق الخيرآبادي والصحيفة الملكوتية. توفي سنة ١٣٣٥هـ. (الإعلام ٣/ ١٣٠٦).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فُقِـدَ الدِّيَانَـةُ وَالأَمَانَـةُ وَالْهُـدَى ... مُلِئَتْ نُفُـوسُ النَّـاسِ بِالأَهْـوَاءِ

رُفِـعَ الْـوِدَادُ مِـنَ الْقُلُوْبِ فَقَدْ قَسَتْ ... وَخَلَـتْ عَنِ الإِصْلاَحِ فِي الَّـلأْوَاءِ[1]

فَشَتِ الْعَـدَاوَةُ وَالشَّقَـاوَةُ غَـايَةً ... وَتَنَـازَعَ الْعُـلَمَاءُ كَالجُـهَلاَءِ

فُتْيَـاهُمُ التَّكْفِـيْرُ فِيْـمَا بَيْنَهُـمْ ... ضَـلُّوْا، أَضَـلُّوا النَّـاسَ بِالإِفْتَاءِ

لَمْ يَبْـقَ فِي الْعُلَـمَاءُ إِلاَّ نَـادِرًا ... مَـنْ كَـانَ فِيْـهِ عَلاَمَـةُ الصُّلَحَـاءِ

كَـثُرَ النِّفَـاقُ عَلَى النِّفَـاقِ فَمَالَـهُ ... مِـنْ دَافِـعٍ بِمَحَـبَّةٍ وَوَفَـاءِ

ثم يذكر الشيخ بأن الله تعالى منَّ على هذه الأمة بوجود هذه الحركة « ندوة العلماء» التي حملت على عاتقها أثقال الإصلاح والنهضة، فعم فضلها، وشاع نفعها، وأضاء نورها البسيط، ففضائلها لا تحصى، ومنافعها أعظم من أن تذكر، يقول:

فَـاللهُ أَنْعَـمَ فِي الْـوَرَى بِوُجُوْدِهَـا ... هِيَ أَعْظَـمُ الآلاَءِ وَالنَّـعْـمَاءِ

وَلَهَـا عُمُـوْمُ إِفَـاضَـةٍ وَإِفَـادَةٍ ... أَعْـطَى رَبُّ الخَـلْقِ بِالإِعْطَـاءِ[2]

نُـوْرٌ بَـدَا مِنْ فَضْـلِ رَبٍّ لَمْ يَـزَلْ ... مَـنْ ذَا الَّـذِيْ يُفْنِيْـهِ بِالإِطْفَـاءِ

فَلَهَـا فَضَائِـلُ لاَ يُحِيْـطُ بِذِكْرِهَـا ... مِـنْ وَاصِـفٍ يُطْـرِيْهِ بِالإِطْـرَاءِ

ظَهَـرَتْ مَنَـافِعُهَـا كَـشَمْسٍ ظَهِـيْرَةٍ ... فَاقَتْ عَـلَى الأَنْـوَارِ فِي الأَضْـوَاءِ[3]

والعيد من تلك المناسبات الاجتماعية التي عبر عنها شعر المناسبات، ولكن الشاعر أبامحفوظ هنا لم يحتفل بالعيد، ولم يتطرق إلى ذكر السرور؛ لأنه منغص الحياة، مكدر العيش، محزون البال ؛ لما أصاب أمته من نكبة، وما يُجرى فيها عدوها من قتل وتشريد وتدمير، فيرى أن العيد للشهداء الذين قضوا نحبهم في سبيل الدفاع عن دينهم، فهؤلاء

١- اللأواء: الشدة وضيق المعيشة (النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، ص ٤/ ٢٢١، تحقيق: محمود محمد الطناجي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ).

٢- البيت مكسور ، وهو هكذا في المصدر.

٣- تقرير الاحتفال الثالث لندوة العلماء سنة ١٣١٣هـ ص ٢٠-٢٢.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الأحرار أصحاب الهمم العالية هم المستحقون للطرب والسرور يوم العيد، أما الخليون فلا حق لهم في فرح العيد وسعادته، يقول:

قَالُوْا: أَتَى الْعِيْدُ بِالتَّبْشِيْرِ وَالطَّرَبِ ... وَقُلْتُ: بَلْ زَادَ فِي الأَحْزَانِ وَالْكُرَبِ

مَسَرَّةُ الْعِيْدِ مِنْ غَيْرِ الْعُلَى نَصَبٌ ... فَنَحْنُ فِيْ فَرَحٍ، بَلْ نَحْنُ فِيْ نَصَبِ

اَلْعِيْدُ حَقًّا لأَحْرَارٍ ذَوِيْ هِمَمٍ ... فِي الحَرْبِ لاَ فِي صُرُوْحِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

اَلْعِيْدُ لِلشُّهَدَاءِ الْغُرِّ قَدْ نَحَرُوْا ... فِي «الْقُدْسِ» أَنْفُسَهُمْ لِلْفَوْزِ بِالأَرَبِ[1]

ولم يكتف الشاعر العربي في الهند بذكر أعياد إسلامية فقط، بل تطرق الشعراء إلى ذكر أعياد غير إسلامية أيضا، وذلك استجابة لوحي البيئة التي كانوا يعيشون فيها، ولا غرو في تأثرهم بها، ومن ذلك ما قاله الشاعر السيد ناصر حسين اللكهنوي في النيروز، يقول:

حَانَ الرَّبِيْعُ بِعِدَّةٍ وَعَتَادِ ... وَأَتَى بِعِيْدٍ أَعْظَمِ الأَعْيَادِ

ولم يقتصر الشاعر – مع إسلامه- على تسمية النيروز عيدا بل سماه أعظم الأعياد، وفيه تأثر واضح بالثقافة الفارسية، كما فيه أثر واضح لعقيدة الشيعة الذين يرجعون إلى الفرس في كثير من عاداتهم وتقاليدهم، ويتخذونها منهجا لهم، ثم يصور الشاعر ذلك اليوم، فيقول[2]:

يَوْمٌ بِهِ أَضْحَى الرِّيَاضُ كَأَنَّهَا ... حُلَلٌ مُفَوَّفَةٌ مِنَ الأَبْرَادِ[3]

قَدْ عَطَّرَتْ مِيْدًا لِبَاسَ خَرِيْدَةٍ ... أَدْنَى مَلاَبِسِهَا صَبِيْغُ الجَادِيْ[4]

قَدْ أَطْرَبَتْ بِوُرُوْدِهَا وَزُهُوْرِهَا ... وَبِكُلِّ غُصْنٍ لِلصَّبَا مَيَّادِ

١– الأبيات للشاعر أبي محفوظ الكريم المعصومي، حصلت على نسخة منها من الشاعر نفسه.

٢– الإعلام ٣/ ١٣٨٨.

٣– الأبراد: ج بُرْد: ثوب مخطط، مُفَوَّف: رقيق (القاموس: ب ر د، ف و ف).

٤– الجادي: الزعفران (القاموس: ج و د).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

قَـدْ صَابَهَـــا الْوَسْمِيُّ ثُمَّ وَلِيُّهَـــا مِنْ بَعْدِمَا سُقِيَتْ بِصَوْبِ عِهَـــادِ[1]

قَـــدْ وَافَقَ الأَنْهَـــارَ مَطْـرٌ وَإِنَّهَـــا تَجْـرِي كَصَبٍّ مُسْتَهَـــامٍ صَـــادِ

فَحَمَـائِـمُ الْبُسْـتَانِ فِيْـهِ هَـوَاتِـفٌ وَسَـوَاجِعُ الْكِعْتَـــانِ فِيْـهِ شَـوَادِ[2]

لاَ غَـــرْوَ لَـــوْ طَـــرِبَتْ وَغَـنَّتْ أَنَّـهُ يَـــوْمٌ أَتَى بِالْحَـــظِّ وَالإِسْعَـــادِ

صور الشاعر ما في ذلك اليوم من طرب ونشاط، وجمال في الجو والمنظر، فالمطر نازل، والأنهار جارية، والأغصان مائلة، والأفنان في طرب، والرياض كأنها محفوفة ببرد، والأزهار متفتحة، والأنوار متكثرة، والبلابل ساجعة أنواع الألحان... فالجو كله في الطرب والسعادة، ثم يذكر الشاعر مكانة ذلك اليوم عند الناس، فيقول:

يَـــوْمٌ مُنِيْرٌ بَيْنَ أَيَّـــامِ الْـــوَرَى مُتَوَقِّـدٌ كَـالْـــكَوْكَبِ الْوَقَّـــادِ

يَـــوْمٌ لَـــهُ شَـــرَفٌ عَلِيٌّ شَامِـــخٌ يَسْمُـــوْ عَنِ الْغَايَـــاتِ وَالأَبْعَـــادِ

يَـــوْمٌ أَقَـــرَّ بِفَضْـلِهِ أَهْـلُ النُّـهَى مِـــنْ مُشْـــرِكٍ أَوْ مُسْـــلِمٍ مُنْقَـــادِ

ومن الصعب موافقة الشاعر في البيت الأخير حيث يرى أن أصحاب العقول من جميع الأديان (الإسلام وغيره) اعترفوا ليوم النيروز بالفضل، مع أن المسلم العاقل المطيع لربه لا يمكن أن يقر لهذا اليوم بالفضل أو يسميه عيدا؛ لما فيه من مشابهةٍ بالكفار المجوس في أعيادهم وشعائرهم الدينية.

ولم ينس الشعر العربي في الهند أن يسجل الأحداث المؤلمة والمناسبات الحزينة، التي حصلت في هذه الفترة، من ذلك تلك الأحداث الدامية والاضطرابات الطائفية التي بدأت في شتى أنحاء الهند قبل استقلال الهند عن الاستعمار الإنجليزي بسنوات واستمرت إلى يومنا هذا، وكان أقربها مجزرة غجرات[3]، فما قيل فيها ما قاله الشاعر الشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي في اضطرابات «بهار شريف»[4]، عبّر فيه عن ألمه

١- صوب: الانصباب، عهاد: مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله (القاموس).

٢- الكِعْتَان البلابل، واحدها الكُعَيْت (القاموس).

٣- اسم ولاية في غرب الهند.

٤- اسم منطقة في ولاية بهار في شمال الهند.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

البالغ، وحزنه الشديد تجاه تلك الأحداث السوداء السيئة الظالمة، يقول:

هَــلاَّ تُرِيْقُ دُمُوْعَ الْـحُـزْنِ أَجْفَـــانُ ... هَــلاَّ تَخِرُّ مِــنَ الْعَلْيَـــاءِ شُهْبَـــانُ

هَــلاَّ تَذُوْبُ سُوَيْدَاءُ الْحَـشَا قَلَـقًـــا ... وَزُلْـزِلَتْ مِـنْ حِمَى الإِسْلاَمِ أَرْكَـــانُ

وصور الشاعر حالة المسلمين وما هم فيه من جور وتعطيل للقوى، وما أصيبوا من خور وضعف في الهمم، ونسيانهم ما كان لآبائهم من عز شامخ، وملك عريض، يقول:

مَــاتَ الْقُلُــوْبُ وَقَدْ مَاتَتْ عَزَائِمُهَـا ... فَلَـحْدُهُـــا الْجِسْمُ وَالأَهْــوَاءُ أَكْفَـانُ

كَــأَنَّهُمْ لَمْ يَسُــوْدُوْا قَبْــلُ مِنْ زَمَـنٍ ... أَوْلَمْ يَـكُنْ لَهُـــمْ عِـــزٌّ وَسُلْطَـــانُ

كما دعا الشاعر المسلمين إلى الاستيفاق من سباتهم العميق، ووبخهم على نومهم الطويل، ويحذرهم وينذرهم، يقول:

اَللهُ أَكْـــبَرُ، قُوْمُــوْا أَجْمَعُوْنَ مَعًـــا ... أَمَـــا لَــكُمُ يَـــا عِبَـــادَ اللهِ آذَانُ

أَمَـــا لَكُمْ مِـنْ قُلُوْبٍ تَفْقَهُـوْنَ بِهَـــا ... أَمْ أَنْتُمُ يَـــا عِبَـــــادَ اللهِ عمْيَـــانُ

صَبَّ الزَّمَـــانُ عَلَيْنَـــا سَوْطَـهُ نُـذُرًا ... إِنَّ الزَّمَـــانَ نَذِيْـرٌ وَهُــوَ عُـرْيَـــانُ[١]

ولا يخفى تأثر الشاعر بقصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس التي مطلعها يقول:

لِكُــلِّ شَيْءٍ إِذَا مَـــا تَمَّ نُقْصَـــانُ ... فَــلاَ يُـغَـرَّ بِطِيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَـــانُ[٢]

●●●

١– هذه القصيدة حصلت عليها من الشاعر نفسه.

٢– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ٤/ ٢٨٧.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً



الفصل الثالث

الخصائص الفنية للشعر العربي في الهند

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل : خصائص الشكل.

المبحث الثاني : خصائص المضمون.

المبحث الأول

خصائص الشكل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوَّل : الألفاظ والتراكيب.

المطلب الثاني : الصورة الفنية.

المطلب الثالث : موسيقى الشعر.

المطلب الرابع : بناء القصيدة.



المطلب الأول

الألفاظ والتراكيب

من أهم ما امتاز به الشعر عن النثر قدرته على التأثير في نفوس المتلقين، وإثارة مشاعرهم، وتحريك وجدانهم ، يقول ابن رشيق القيرواني: « إنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس ، وحرك الطباع » [(١)] ولا شك في أن الأسلوب الرفيع، وعرض الفكرة في صياغة رائعة كل هذا له دور هام في إيجاد هذا التأثير. ولذا قالوا: «إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير»[(٢)].

ولما كانت الألفاظ هي الركيزة الأولى في النص الأدبي، منها يتكون الكلام وتتركب الجمل ، ومنها يحدث التصوير الفني والتنغيم الصوتي، وهي هامة في ذاتها، وفي تركيبها مع غيرها وهي بمثابة اللبنات التي يبني بها الشعراء أعمالهم الجليلة، ومآثرهم الخالدة، فقد عُني بها الشعراء والبلغاء، وبالغوا في اختيار كلماتٍ تساعدهم على الوصول إلى هدفهم والبلوغ إلى مراميهم من حيث إيجاد التأثير للقول، وإضفاء الجمال على الكلام، ولهم ملكة خاصة بها يستطيعون أن يتخيروا من ألفاظ اللغة ما يرونه أقدر من غيره على إثارة المشاعر[(٣)].

كما وقف النقاد طويلاً عند هذه الألفاظ والمفردات، يدرسونها، ويبينون مواطن الحسن فيها، وقد اشترطوا فيها صفاتٍ عديدةً، من أهمها: السهولة والألفة، والدقة، والإيحاء، والرقة، والجزالة.

واتسمت الألفاظ في الشعر العربي في الهند- في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين- بكثير من هذه المميزات، منها:

(١) الألفة والسهولة:

هذه أولى الصفات وأهمها التي طالب النقاد بتوافرها في الألفاظ، وذلك لأن «المألوف محبوب، وغيره مكروه»[(٤)]. والألفاظ السهلة المألوفة تميل إليها القلوب، وتنجذب إليها المسامع، وتنفذ من خلالها إلى النفوس .

١- العمدة ١/ ١٢٨.

٢- كتاب الحيوان،لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ٣/ ١٣٢، دار إحياء الراث العربي ، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، وكتاب « دلائل الإعجاز»، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ص ٢٥٦، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣- في النقد الأدبي، د.عبد العزيز عتيق ، ص ١٦٨ »بتصرف»، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢م.

٤- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، ص٤ ، تحقيق : د.عبد القادرحسين ، دار نهضة مصر القاهرة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والمقصود بالألفة كون الكلمة واضحة المعنى، تلج إلى فهم القارئ سريعا، وتُشعر المتلقي أن بينهما ألفة لقدم عهده بها،وسابق معرفته لها. ولا تكون وحشية غريبة، «لا يظهر معناها إلا بالبحث والتنقير عنها في كتب المعاجم»[1] والمقصود بالسهولة أن يكون اللفظ « سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة»[2].

كانت هذه السمة هي الغالبة في الشعر العربي في الهند،ويمكن أن نمثل لذلك بقول الشيخ عبد الرشيد الكشميري[3]:

حَيَّا الإِلَـهُ مَرَابِـعَ الْجِـيْرَانِ	كُنَّا بِهَا نَلْهُوْ مَـعَ الْغِـزْلاَنِ
وَنَقِيْلُ عِنْـدَ أَبَـاطِحٍ حَصَيَـاتُهَـا	أَزْرَتْ بِـدُرٍّ فِي نُـحُوْرِ غَـوَانِ
وَسَـقَى رِيَاضـاً عَابِقَـاتٍ أَتْحَفَتْ	غُـرَفَ الْجِنَـانِ بِمُهْجَـةِ الْوَلْهَـانِ
وَأَطَـالَ عُمْـرَ حَدَائِـقٍ سَجَعَتْ لَهَـا	وُرْقُ الْهُـدَى بِرَقَـائِـقِ الأَلْحَـانِ
وَأَدَامَ ظِـلَّ الأَيْـكِ أَيْـكِ دَلاَئِـلٍ	فِيْهَـا ظَفِـرْتُ بِمَقْصِدِ الإِيْقَـانِ
وَرَعَى الْـمُهَيْمِـنُ عُصْبَـةً مِـنْ سُنَّـةٍ	سَكَنُوْا مَنَـازِلَ مُقْلَتِيْ وَجِنَـانِيْ[4]

وبالتأمل نجد أن هذه الأبيات كلها تشتمل على كلمات سهلة المخارج، واضحة المعاني، تسرع إلى الفهم بدون حاجز ولا عائق، وبدون تأخير أو استبطاء.

ولا غرو فإن الشاعر يتكلم عن تلك المحجة البيضاء التي توضح معالم الهدى، وتنير دروب الحق، وتبين السبيل القويم، والتي كان عليها رسول الأمة ﷺ وصحابته

١- الإيضاح في علم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تعليق: د.محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٧٣ بتصرف، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢- نقد الشعر، قدامة بن جعفر ص ٢٨.

٣- هو الشيخ: عبد الرشيد بن محمد شاه الشوبياني الكشميري. ولد بكشمير، تولى الإفتاء في بهوفال. ثم أمر بجلائه فذهب إلى هوشنك آباد.
من تصانيفه: «القطر الصيب في مدح الإمام أبي الطيب»، و«نزل من اتقى في أخبار المنتقى» توفي سنة ١٢٩٨هـ .(الإعلام ٣/ ١٠١١)

٤- الإعلام ٣/ ١٠١١.



والتابعون لهم بإحسان في كل زمان ومكان، وفي كل عصر وقطر.

ومثله يقول السيد إعجاز أحمد السهسواني[1]:

يَهْــوَى الْفَتَى لَذَّةَ الدُّنْيَـــا وَيَأْمُلُهَـــا ... وَلاَ نَصِيْبَ لَـــهُ مِنْهَا سِـــوَى الأَلَمِ

تَبـــاًّ لِدَارِ فَنَـــاءٍ لاَ بَقَـــاءَ لَهَـــا ... وَلاَ مَصِـــيْرَ لأَهْلِيْهَـــا سِوَى الْعَــدَمِ

فَـهَبَّ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفَـلاَتِ، نَلْ فُرَصـاً ... فَلَـيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْـمَوْتِ مِنْ نَـدَمِ[2]

يبين الشاعر في هذه المقطوعة حقيقة الدنيا، ومآل الناس فيها وهو العدم، ويدعو إلى الاستعداد للآخرة، إذ لا تنفع الندامة بعد فوات الأوان.

واستخدم في هذه المقطوعة كلمات كلها سهلة مألوفة واضحة، قريبة المعاني، لايكد الذهن في الوصول إليها، ولا يحتاج القارئ إلى مراجعة كتب اللغة والمعاجم لفهمها.

(٢) الدقة والإيحاء:

الترادف والتقارب في المعنى بين الكلمات المختلفة، وكثرة المفردات من ميزات اللغة العربية، [3] وهذا التقارب والترادف، وتلك السعة والكثرة قد يوقعان الشاعر في الخلل، إن لم يوفق في اختيار الكلمة المناسبة للمعنى المقصود أداؤه و«التمييز بين الألفاظ شديد»[4] والشاعر مطالب باختيار كلمة دقيقة « تكون نصا في المعنى المراد »[5] « لا تزيد عليه، ولا تقصر عنه »[6] «بل تحيط به، وتجلى عنه»[7].

ولا يتأتى هذا إلا بالقدرة التامة على اللغة، ووضوح الفكرة تماما في ذهن الشاعر.

١- هو الشيخ إعجاز أحمد بن عبد البارى بن سراج أحمد الحسيني النقوي، ولد عام ١٢٩٤هـ. درس على الشيخ محمد بشير السهسواني، والمحدث حسين بن محسن الأنصاري اليمني، وعلى غيرهما. عمل رئيس قسم اللغتين العربية والفارسية في مدرسة ببدايون، ثم عين نائب العميد في كليةٍ في فيض آباد. له: « تسلية الفؤاد بترجمة بانت سعاد»، و«توقيع الفريد في تذكار أدباء الهند»، و«رشحات الكرم في شرح نصوص الحكم للفارابي»، ودبوان شعر بالفارسية، وغيرها.

٢- الإعلام ٣/ ١١٩٠.

٣- ينظر للاستزادة في الموضوع: فقه اللغة العربية وخصائصها ، د. إميل بديع يعقوب ،ص ١٧٣ – ١٧٧ ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

٤- أسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوي، ص ٤٥٢. دار نهضة مصر القاهرة.

٥- في النقد الأدبي عند العرب، د.محمود درويش ص ١٨٤.

٦- كتاب « الصناعتين » ، لأبي هلال العسكري ص ١٩.

٧- المرجع السابق ص ٣١.



كما أن الشاعر مطالب بانتقاء لفظ موح وهو الذي «يثير في النفس معانيَ كثيرة تحيط به غير مدلوله اللغوي»[١]. وهذه الإثارة تتأتى للفظ « تارةً بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارةً بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارةً بالجرس والظل جميعاً»[٢].

وقد تمكن شعراء الهند من توفير هذه الميزة في كثير من ألفاظهم ومفرداتهم، ومن ذلك قول الشيخ السيد سليمان الندوي في وصف الشمس عند مغيبها:

كَـأَنَّـمَا الشَّفَقُ الْـمُـمْتَدُّ فِي الأُفُـقِ	خَـمْـرٌ مُعُتَّقَـةٌ شُـجَّتْ لِـمُـغْتَبِقِ[٣]
خَـمْـرٌ يُعَتِّقُـهَـا أَعْـلَى هِمَـالِـيَةٍ	شُـجَّتْ بِـمَاءِ غَـمَامٍ هَامِـرٍ غَـدِقِ[٤]
كَـفُّ الطَّبِيْعَـةِ تَسْقِي النَّاسَ أَكْؤُسَهَا	وَيْلٌ لِـمَـنْ هَـذِهِ الصَّهْبَـاءَ لَمْ يَـذُقِ[٥]

قد وفق الشاعر في اختياره – من بين الكلمات الكثيرة التي تدل على الخمر – كلمة الصهباء، ذات الجرس الجميل، والنغمة الموسيقية، بحرف الصاد المهموسة ذات الصفير، ثم المد في الآخر، والتي تنقل ذهن القارئ إلى عالم الطرب والسكر والنشوة الذي يعيشه الشارب بعد تمكن الخمر منه.

كما استطاع أن ينقل إلينا – من خلال هذه الكلمة – ذلك الأثر الذي وجده في نفسه حين مشاهدته هذا المنظر البهيج، الذي سيطر على نفسه، وأذهله عن كل ما حوله.

ومثال آخر نراه عند الشيخ السيد حامد حسين الفيض آبادي[٦] في مقدمته الغزلية التي افتتح بها مديحه لسيدنا علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، يقول:

١– اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ، منصور عبد الرحمن، ص ١١٣، دار العلم للطباعة، القاهرة ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٢– النقد الأدبي، أصوله ومناهجه ، سيد قطب، ص٤٠، دار الشروق، القاهرة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٣– شج الشراب: مزجه، اغتبق: شرب الغبوق، وهو ما يشرب بالعشي. (القاموس المحيط: مادة ش ج ج، ومادة غ ب ق).

٤– همالية: علم لجبل حاجز بين الهند والصين، يعد أعلى سلسلة جبلية في العالم. غَدَق: الماء الكثير. (القاموس المحيط. مادة غ د ق) و(المصباح المنير مادة غ د ق)، ومنه قوله تعالى: « لأسقيناهم ماء غدقاً» سورة الجن: ١٦. الصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض، اسم لها كالعلم. (القاموس مادة ص ه ب).

٥– الإعلام ٣/ ١٢٣٨.

٦– هو: حامد حسين بن الحسين الحسيني الشيعي الفيض آبادي، ولد سنة ١٢٨٧هـ، تتلمذ على السيد حامد حسين الكنتوري، وابنه السيد ناصر حسين بن حامد حسين، وبرع في الأدب والتاريخ والسير،لم أعثر له على تاريخ الوفاة. (الإعلام ٣/ ١٢٠٧).



أَلْحَـــاظُهَا قُضُبٌ، وَالْــفَرْقُ مُتَّضِـــحٌ   تَبْقَى دُهُـــوْرًا بِحَـــالِ النَّـزْعِ قَتْلاَهَـا[1]

فقد أراد الشاعر باستخدامه كلمة «النـزع» تصوير تلك المتاعب التي يعانيها عشاق هذه المحبوبة في حبها، ويراها تقابل تلك الآلام التي يتحملها الإنسان الذي حضرته المنية، وعنده جنوح وشوق إلى البقاء في الدنيا، والملائكة تقلع روحه بقوة وجذب.

وقد أخبرنا النبيﷺ «أن للموت لسكرات»[2] وكان يقول: « اللهم أعني على سكرات الموت »[3] مع أن مدة الاحتضار إن طالت ساعات لا تزيد عادة على أيام، فكيف إذا استمرت دهوراً طويلةً؟

فهؤلاء المحبون يتعبون هذه الآماد الطويلةويبقون معذَّبين، معلقين بين الحياة والموت، لا تخرج أرواحهم فيستريحوا، ولا يعافون فيستأنفوا الحياة.

كما أن كلمة «قُضُبٌ» تدل- بجرس حروفها الشديدة، وهي القاف والضاد والباء، وحركتها القويَّة الضمة، وتوالي هذه الحركة في حروف الكلمة الثلاثة كلها - على شدة القطع وقوته، وسرعة مضاء هذه الألحاظ في الفتك والتقتيل.

(٣) التراكيب:

الألفاظ بمثابة اللبنات الأولى في النص الأدبي، لكنها « لم توضع لنعرف معانيها في نفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض»[4] ويتركب بعضها إلى أخرى.

وقد وضع النقاد عدة مقاييس للتراكيب الجيدة، من أهمها:

أن تكون حسنة التاليف، واضحة الدلالة، دقيقة، موحية، وأن تكون ألفاظها ملائمة للمعاني، وألا تسير على نمط واحد، بل تتنوع بين الخبر والإنشاء، والتوكيد وعدمه على حسب المقام.

١- قُضُبٌ: جمع قضيب وقاضب بمعنى القطاع من السيوف. (السان والصحاح مادة ق ض ب) النَّزع: نزع المريض نزعاً: أشرف على الموت، وهو في النـزع، أي في قلع الحياة. (القاموس والمصباح المنير: مادة (ن ز ع) ينظر الإعلام ٣/ ١٢٠٧ .

٢- أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب إن للموت لسكرات، وابن ماجة، كتاب الجنائز، باب إن للموت لسكرات، وأحمد ٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١ .

٣- أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت.

٤- دلائل الإعجاز للجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ص ٥٣٩ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد توافر في الشعر العربي في الهند كثير من هذه المقاييس، منها:

(١) وضوح التراكيب وحسن تأليفها:

والوضوح شرط في التراكيب كما هو شرط في الألفاظ؛ وذلك لأن المقصود من الكلام هو الإفصاح والبيان، فإن لم تكن التراكيب واضحة المعنى، سهلة التناول، حسنة التأليف، لم تف بغرض المتكلم.

ولا تكون التراكيب واضحة سهلة إلا إذا اختار المتكلم كلمات فصيحةً، ثم ركب بعضها إلى بعض مراعياً قواعد النحو، بعيداً عن الوقوع في التعقيد، فلا يفرق بين ما حقه الجمع، ولا يصل ما حقه الفصل، ولا يتصرف بالتقديم والتأخير تصرفاً يعيق فهم المعنى، أو يتعذر معه الوصول إليه. ولابد من التفرقة بين الغموض الناشئ عن سوء التأليف، أو التعقيد، وبين كون المعنى طريفاً عميقاً لا يصل إليه القارئ إلا بعد طول النظر ومعاودة الفكر؛ إذ الأول عيب في الكلام وقدح في المتكلم، والثاني يمتاز به الكلام ويحسب لقائله.

ومن أمثلة وضوح التراكيب وحسن التأليف ما قاله الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي[١]:

هَنِيئًا لِلَّـــذِيْ جَـــابَ الْـمَـــوَامِيْ	وَرَامَ رُقِـيَّ أَسْـــبَابِ الْكَـــمَـالِ
عَـلَى ظَـهْرِ الْخُـيُوْلِ يُقِيْمُ يَوْمًــا	وَأَيَّـامًــا عَــلَى قَتَـدِ الْجِـمَالِ
وَكَــمْ بَحْـــرٍ يَسِيْــحُ بِغَـــيْرِ زَادٍ	وَكَــمْ أَرْضٍ يَجُوْبُ بِــلاَ انْتِعَــالِ
تَحَــامَى زَهْـــرَةَ الدُّنْيَـــا نُفُــوْراً	وَأَنْـــكَرَ جَمْـــعَ مَـــالٍ وَالْـمَـــوَالِيْ
وَدَامَ مُعَـــاقِـراً كَــربَ الرَّزَايَـــا	وَعَــاشَ مُوَاظِبــاً سَهْرَ اللَّـيَالِيْ[٢]

نرى الشاعر قد وفق في انتقاء كلمات تستوفي شروط الفصاحة من حيث خلوها من

١- هو الشيخ الفاضل محمد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي، ولد بجرياكوت، قرأ على أخيه عناية رسول، وعلى الشيخ أبي الحسن المنطقي، والشيخ رحمة الله بن نور الله اللكهنوي، والمفتي يوسف بن محمد أصغر اللكهنوي.
درّس في مدارس كثيرة، منها دار العلوم ندوة العلماء بلكهنوء. له رسائل عديدة في بعض الفنون.
توفي سنة ١٣٢٧هـ. (الإعلام ٣/ ١٣٧١).

٢- الإعلام ٣/ ١٣٧١.



تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس، كما نجح في تأليفها على نمط سهل، وإبرازها في صورة واضحة مشرقة، تصغي إليها الآذان، وتصبو إليها القلوب.

ومثال آخر لهذا ما كتبه الشيخ حيدر حسين اللكهنوي[1] إلى السيد مهدي المصطفى آبادي، يقول:

مَـــنْ مُبْـــلِغٌ عَـــنِّيْ سَـــلاَمَ وِدَادِ	خِدْنـــاً، صَدِيْقـــاً، سَاكِنـــاً بِفُـــؤَادِيْ
مَـــلَكَ الْفُـــؤَادَ وِدَادُهُ، وَفِـــرَاقُـــهُ	أَوْرَى ضِـــرَامَ الْـــوَجْدِ فِي الأَكْبَـــادِ
أَرْجُـــوْ إِلَهِيْ أَنْ يُـيَـسِّـــرَ وَصْـــلَـهُ	فَلِـــقَاهُ أَشْهَى مَقْصِـدِيْ وَوِدَادِيْ[2]

فهذه المقطوعة التي بعث بها الشاعر لوعات قلبه المتوجع إلى صاحبه الذي اشتاق إلى لقائه، تضمنت ألفاظاً سهلةً ميسرةً، مركبة بطريقة سهلة متناولة، لا يشوبها غموض ولا تعقيد.

(٢) الملاءمة بين الألفاظ والمعاني:

طالب النقاد الشاعر أن يوافق بين الألفاظ والمعاني، وينوع في اختيار الألفاظ والتراكيب حسب تنوع الأغراض، ولا يجري كلامه كله على نمط واحد، بل «يأتي مرة بالجزل، وأخرى بالسهل، فيلين إذا شاء، ويشتد إذا أراد »[3] ورأوا أن لكل غرض أسلوباً لا يصلح في غيره، وكلمات لا تناسب ما عداه. يقول القاضي الجرجاني: « أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مدحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنـزلة جدّك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت»[4].

وليس المقصود بالجزل ما كان غريباً وحشيا متقعرا، وإنما ما كان « متيناً على عذوبته

١- هو الحكيم حيدر حسين اللكهنوي، ولد ونشأ بلكهنو، برز في الأدب والطب، ودرس على المفتي عباس بن علي التستري وغيره من العلماء، ثم لازم الحكيم مظفر حسين اللكهنوي، وأخذ عنه الطب، وعمل بدار الشفاء السلطاني بمدينة لكهنوء، لم أعثر له على تاريخ الوفاة . (الإعلام ٣/ ١٢٢٠).

٢- الإعلام ٣/ ١٢٢٠.

٣- الصناعتين ص ٣٤.

٤- الوساطة ص ٢٤.



في الفم، ولذاذته في السمع »[١] ويناسب مواقع القوة والشدّة كوصف المعارك والحروب وذكر البطولة والفروسية.

وليس المقصود من الرقيق أن يكون ضعيفا، ركيكا، رديئا، وإنما هو اللطيف، الرقيق الحاشية، الناعم الملمس »[٢]. ونجد أن كثيرا من الشعر العربي قد توافر فيه هذا الشرط، فمثال الجزل ما قاله الشيخ حميد الدين الفراهي في قصيدته المسمّاة بـ « في ذكر الملحمة الكبرى »، يقول فيها:

لَقَدْ حَلَّ بِالرُّوْمِ شَرٌّ شَمِرْ ... فَنَارُ الْحُرُوْبِ بِهِمْ تَسْتَعِرّ
فَهُمْ حَصَبٌ كَالْهَشِيْمِ الْيَبِيْـ ... ـسِ يَصْلُوْنَهَا زُمَرًا زُمَرْ
رَحَى الْحَرْبِ تَطْحَنُهُمْ وَالدِّمَاءُ ... تُدِيْرُ الرَّحَى مِثْلَ جَرْيِ النَّهَرْ
فَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَهَا ... قَتِيلٌ وَكَمْ مِثْلَهَا قَدْ أُسِرْ
وَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَهَا ... عَلَى مَوْرِدٍ مَا لَهُ مِنْ صَدَرْ
وَكَمْ بَلَدٍ عَامِرٍ قَدْ خَوَى ... وَكَمْ هُدَّ مِنْ أُطُمٍ مُشْمَخِرْ
فَيَا بُؤْسَ حَرْبٍ لِرَوْعَاتِهَا ... تَرَى كُلَّ مَمْلَكَةٍ تَقْشَعِرْ
جَنَتْهَا أُوْرُبَّا وَلَكِنَّهَا ... إِلَى مُنْتَهَى الشَّرْقِ تَرْمِي الشَّرَرْ[٣]

ومثال آخر لهذا ما قاله الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي في مدح السلطان عبد الحميد العثماني ووصف حرب نشبت بين الدولة العثمانية والروس، يقول فيها:

لله جَيْشُكَ أَبْطَالُ النِّزَالِ وَمَنْ فِي ... الْكَرِّ كَاللَّيْثِ، فِي التَّمْكِيْنِ كَالْجَبَلِ
أَبْنَاءُ حَرْبٍ، قِتَالُ الْعِلْجِ بُغْيَتُهُم ... آسَادُ حَرْبٍ لَهُمْ غَابٌ مِنَ الأُسُلِ

١- المثل السّائر ١/ ١٨٥.

٢- المرجع السابق ١/ ١٨٥-١٨٦.

٣- ديوان الفراهي ص ٢٨.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اَلْخَـائِضُوْنَ غِمَـارَ الْـمَـوْتِ مِنْ طَرَبٍ   وَالْقَـاهِرُوْنَ عَلَى الأَقْيَـالِ وَالبُسُـلِ

قَضَوْا حُقُوْقَ الْـمَعَالِي بِالسَّلاَهِبِ وَالْـ   ـبِيْضِ الْقَـوَاضِـبِ وَالْعَتَّـالَةِ الذُّبُلِ[١]

وقد وفق الشاعران في التعبير عن تلك الحروب ومجرياتها، فقد أتوا بكلمات وتراكيب قوية فخمة، تملأ الأسماع بجرسها القوي، وتنقلنا إلى ميدان المعركة، وساحة القتال.

وأرى الشيخ ذا الفقار علياً أكثر توفيقاً وأشد إصابةً حيث يخيّل إلى السامع أن ألفاظه وتراكيبه « كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، والتأموا سلاحهم، وتأهّبوا للطراد»[٥].

وإذا تركنا الألفاظ والتراكيب الجزلة إلى الألفاظ والتراكيب الرقيقة نرى من أمثلته مقطوعة الشيخ المفتي محمد صدر الدين آزرده في مقطوعته الغزلية التي يصور بها أيام أنسه ولهوه، ويذكر عهد صباه، ويقول:

وَكُنَّـا كَغُصْنَيْ بَـانَةٍ قَـدْ تَأَلَّـفَـا   عَلَى دَوْحَـةٍ حَـتَّى اسْتَطَـالاَ وَأَيْنَعَـا

يُغَنِّيْهِـمَا صَـدْحُ الْـحَـمَامِ مُرَجِّعًـا   وَيَسْقِيْهِمُا كَـأْسُ السَّحَـائِبِ مُتْرَعَـا

سَلِيْمَـيْنِ مِنْ خَطْبِ الزَّمَانِ إِذَا سَطَـا   خَلِيَّيْنِ مِـنْ قَـوْلِ الْـحَسُوْدِ إِذَا سَعَـا

فَفَـارَقَنِي مِـنْ غَـيْرِ ذَنْبٍ جَنَيْتُـهُ   وَأَلْـقَى بِقَـلْبِيْ حُـرْقَـةً وَتَوَجُّعَـا

عَفَـا اللهُ عَنْهُ مَـا جَنَـاهُ فَإِنَّنِيْ   حَفِظْتُ لَـهُ الْعَهْدَ الْقَدِيْمَ وَضَيَّعَا[٣]

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله الشيخ حيدر علي الرضوي في ذكر شوقه إلى لقاء شيخه وأستاذه المفتي محمد عباس التستري، يقول:

أُسِـرْتُ بِسِجْـنِ الْبُعْـدِ فِيْ دَارِ غُـرْبَةٍ   بِـهِ رَقَّ لِيْ إِنْسَـانُ عَيْنِي بَاكِيَـا

أُقَـلِّبُ جَنْبِي فِي الْـمَـضَاجِعِ كُرْبَـةً   بِدَمْعٍ سَكِـيْبٍ أَحْمَرِ اللَّوْنِ قَانِيـا

٤- السلاهب ج سلهب: وهو الطويل من الخيل والناس (لسان العرب س ل هـ ب). العتلة: العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح (لسان العرب ع ت ل).

٥- المثل السائر ١/ ١٩٥.

٦- آثار الصناديد، سرسيد أحمد خان بهادر، ص٥٣٠، سنترل بكدبو، اردوبازار، دهلي ١٩٦٥.



أُحِـسُّ بِصَـدْرِيْ نَـارَ وَجْـدٍ تَأَجَّجَتْ نَوَائِرُهَـا قَـدْ كَـادَ[1] تَحْرِقُ بَالِيَـا
وَلَكِـنَّ جَرْيَ الْعَيْنِ كَالْعَـيْنِ فِي النَّـوَى لأَطْفَى ضِـرَامًـا أُوْقِدَتْ بِفُؤَادِيَـا[2]

وقد وفق الشاعران في استخدامها الألفاظ والتراكيب الرقيقة التي تكاد تذوب من رقتها، فإن ذلك يلائم الغرض الذي نظما فيه، فالشيخ صدر الدين يتحدث عن ذكرياته السعيدة مع حبيبه ولهوه معه وأنسه به، ثم ما تحول إليه حالها من حصول البعد والفراق، فأحرق البين قلب الشاعر، وأضرم فيه ناراً .

ويلاحظ أن المفتي ذكّر حبيبه بصيغة التذكير على عادة شعراء الأردية، ويظهر في هذا تأثره بتقاليد الشعر الأردي، وكان من كبار شعراء الأردية في عصره.

أما الشيخ حيدر علي الرضوي فيبين لشيخه وأستاذه حاله في فراقه، ويصور لوعة قلبه، وشوقه إلى رؤيته، والفوز بلقائه، فأتى بكلمات تميل القلب، وتهزّ المشاعر والوجدان.

١- هكذا في المراجع: والصواب: قد كادت.

٢- الكواكب الدرية - سيد محمد مهدي أديب ص٦٠ مطبع بستان مرتضوي لكهنو ١٣٠٢، الإعلام ٣/ ١٢٢١.



الخصائص المشتركة بين الألفاظ والتراكيب

(١) كثرة الألفاظ والتراكيب الإسلامية:

سبق أن ذكر[١] أن اللغة العربية في الهند لم تكن لغة رسمية ولا لغة دراسة عامة، أو لغة محادثة أو مخاطبة بين الشعب، وإنما كان بغية المسلمين من العناية بها هوالتعمق في أحكام الشرع، والتفقه في الدين. وكان أغلب شعراء العربية في الهند ينتمون إلى بيئة العلم الشرعي من عقيدة وفقه وحديث وتفسير.

واللغة الشعرية لدي أي شاعر تظل إلى حدٍّ ما خاضعة لعوامل عدة منها ذلك التراث العلمي الذي تثقف فيه وتربى عليه، ومن ثم كثرت الألفاظ والتراكيب الإسلامية لدى هؤلاء الشعراء بحكم ثقافتهم الدينية، ونمثل لذلك بأبيات للشيخ يعقوب بخش راغب البدايوني[٢] في مدح زين العابدين[٣] يقول فيها:

سَـلاَمُ اللهِ حِيْنًـــا ثُـمَّ حِيْنًـــا ... عَـلَى السَّجَّــادِ زَيْـــنِ الْعَابِدِيْنَــــا

نَقِــيْبِ الْقَانِتِـــيْنَ الْخَاشِعِيْنَــــا ... عَرِيْــفِ السَّاجِــــدِيْنَ الْـمُخْبِـتِيْنَـا

بِـلاَ رَيْـبٍ إِمَـــامُ الْمُـوْقِنِيْنَــــا ... بِـلاَ خَـصْمٍ أَمِـــيْرُ الْمُـؤْمِنِيْنَــــا

تَـــذِلُّ لَـهُ الْجَـــبَابِـرَةُ وَلَـكِـنْ ... يَـــذِلُّ تَوَاضُعًـــا لِلْخَـائِفِيْنَــــا

أَلَـيْسَتْ دَارُهُ فِي الْـحَـجِّ كَـــانَتْ ... مَحَـــلَّ الطَّائِفِـــيْنَ الْعَـــاكِفِيْنَــا

وَلَيْـــلٍ مِــــنْ تَهَجُّـــدِهِ نَهَـــارٌ ... وَيُشْـــرِقُ وَجْهُـــهُ نُوْراً مُبِيْنَـــا[٤]

١- ينظر: مبحث « حالة اللغة العربية وآدابها » في التمهيد.

٢- هو الشيخ يعقوب بخش راغب قادري بدايوني ولد ونشأ وأخذ العلم هناك، ورث عن آبائه مكتبة حافلة بالنوادر فاشتغل بالمطالعة، وحقق بعض الرسائل في الفلك باسم «الأنجم الطوالع» وترجم كتاب «القانون» للبيروني. عين أستاذا في كلية الدراسات الشرعية في جامعة على كره. له: القصائد الهاشمية، والكوكبية في المناقب العلوية.
توفي سنة ١٣٦٧هـ (ينظر: مجلة معارف، العدد ٦١، ص ٣٩٣ – ٣٩٤).

٣- هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المدني، ولد سنة ٣٨هـ. حدث عن أبيه وعن جده مرسلا، والزهري، وهشام بن عروة، وأبو الزناد، وأبو سلمة، وطاووس، وغيرهم.
توفي سنة ٨٤هـ (سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق مامون الصاغرجي ٤/ ٣٨٦، مؤسسة الرسائل بيروت ١٤٠٢هـ.

٤- قصائد الهاشميات، يعقوب بخش راغب قادري بدايوني ص ١٦-١٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

يلاحظ أنه لا يكاد يخلو بيت من هذه الأبيات من كلمة إسلامية أو من تركيب إسلامي، بل جميع هذه الأبيات تتلألأ فيها هذه الكلمات والتراكيب كالدرارئ المضيئة والكواكب المشرقة.

وقد كثرت في الشعر العربي في الهند بعض المفردات الإسلامية، مثل لفظ الجلالة، والرسول، والنبي، والتقوى، والإسلام ، والكفر، وغير ذلك ، ومن أمثلة ذلك قول الشيخ ذي الفقار علي الديوبندي في مدح الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد وآبائه، يقول[١]:

جَـزَاكُمْ رَبُّكُمْ خَيْرَ الْجَـزَاءِ عَـنِ الْـ ... إِسْـلاَمِ إِذْ قَدْ نَصَـرْتُمْ سَيِّدَ الرُّسُـلِ

أَغْنَـاكُمُ اللهُ بِالنَّصْـرِ الْمُـبِيْنِ لَكُمْ ... عَـنِ الإِعَـانَةِ بِالأَنْصَـارِ وَالْخَـوَلِ

وَلَـوْ دَعَـوْتُمْ أُولِي التَّقْوَى لِخِـدْمَتِكُمْ ... لَبَّـاكُمُ الْكُـلُّ مِنْ حَـافٍ وَمُنْتَعِلِ

مِـنْ كُـلِّ مُصْـطَدِمٍ، لله مُنْتَقِـمٍ ... لَيْثِ الْوَغَى، غَيْرِ وَهَّابٍ وَلاَ وَكِـلِ[٢]

سُلُّـوْا سُيُوْفَكُـمُ، وَاللهُ نَـاصِـرُكُمْ ... عَلَى الطُّغَـاةِ مِنَ الأَوْغَـادِ وَالسَّفَـلِ

حَتَّـامَ حِلْـمُكُمُ يُغْـرِيْهِـمُ، وَإِلَى ... مَـتَى سُيُوْفُكُمُ فِي الْـجَـفْنِ وَالْـحُـلَلِ

تَـبًّـا لِقَـوْمٍ بَغَـوْا كُفْـراً بِنِعْمَتِكُمْ ... فَأُهْلِـكُوْا لِـوَبَالِ الْمَـكْرِ وَالدَّغَلِ[٣]

«فَـأَصْبَـحُـوْا لاَ يُـرَى إِلاَّ مَسَـاكِنُهُمْ» ... بَـيْنَ الْبَـلاَقِعِ وَالْغَابَـاتِ وَالطَّلَلِ[٤]

لم يكتف الشاعر هنا بإيراد بعض المفردات أو التراكيب الإسلامية فحسب، بل اقتبس – في بيته الأخير – جزءاً من الآية الكريمة في سورة الأحقاف(٥) وجعله شطراً كاملاً للبيت.

(٢) كثرة ألفاظ الطبيعة:

لا شك أن للطبيعة سيطرةً على النفوس، وكلما كان الإنسان أرهف حسّاً كان أشد

١– قصائد قاسمي ص ١٦. الإعلام ٣/ ١٢٢٦.

٢– وَكَلٌ: رَجُل وَكَل ووُكَلَةٌ وتُكَلَةٌ ومُوَاكِل: عجز (القاموس المحيط مادة: و ك ل).

٣– الدَّغَلُ: دَخَل في الأمر مفسداً ج أدغال ودِغال. (القاموس المحيط مادة: د غ ل).

٤– الآية ٢٥.



تأثراً بالطبيعة، و«لو أن أديباً استطاع أن يحيا بنجوة من الموثرات الاجتماعية والسياسية لجاء أدبُه صورةً مطابقةً لبيئته الطبيعية »[١].

و«للطبيعة أثرها الواضح في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، غنى لها الشعراء وتغنوا بها، ووقفوا أمام مختلف مجاليها، ووهبوا لها أحاسيسهم مستجلين جمالها، متأملين روائعها، في السماء والماء، وفي المراعي الخضر والجنان الزهر، وفي الصحراء القاحلة، والمزارع الناضرة، ووصفوا حر الصيف، وزمهرير الشتاء، واستقبلوا الربيع الضَّاحك، وتأثروا بالخريف العاصف إلى غير ذلك مما نبضت به قلوبهم وتحركت له مشاعرهم فصاغوه شعراً جميلاً يصور دخائل نفوسهم ويرسم معالمهم »[٢].

وقد وجد الشعراء في الهند طبيعةً فاتنةً، حيث المروج الخضراء، والحقول الممتدة، والجبال المكسوة بـ الغابات الكثيفة، والسهول التي تجرى فيها الأنهار الفسيحة، وتهطل الأمطار الغزيرة، فتنشأ بحيرات ممتدة، وتتغنى الأطيار فتطرب ألحانها، وتتفتح الأزهار، فتفتن ألوانها وأشكالها.

وكثر في شعرهم ورود تلك الكلمات والتراكيب التي تدل على هذه الطبيعة الخلابة الساحرة، ومدى تأثرهم بها، وممن كثر لديه هذه الكلمات والأساليب الشاعر ناصر حسين اللكهنوي، يقول[٣]:

حَانَ الرَّبِيْعُ بِعِدَّةٍ وَعَتَادِ ... وَأَتَى بِعِيْدٍ أَعْظَمِ الأَعْيَادِ

يَوْمٌ بِهِ أَضْحَى الرِّيَاضُ كَأَنَّهَا ... حُلَلٌ مُفُوَّفَةٌ مِنَ الأَبْرَادِ[٤]

قَدْ عَطَّرَتْ مِيْدًا لِبَاسَ خَرِيْدَةٍ ... أَدْنَى مَلاَبِسِهَا صَبِيْغُ الجَادِيْ[٥]

قَدْ أَطْرَبَتْ بِوُرُوْدِهَا وَزُهُوْرِهَا ... وَبِكُلِّ غُصْنٍ لِلصَّبَا مَيَّادِ

١- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. أحمد محمد الحوفي ، ص١٥، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، سنة ١٩٥٨م.

٢- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، د. سعد إسماعيل شلبي، ص٦٨ ، دار نهضة مصر القاهرة ، ١٩٧٨م.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٨٨.

٤- الأبراد: ج بُرْد: ثوب مخطط، مُفَوَّف: رقيق (القاموس: ب ر د، ف و ف).

٥- الجادي: الزعفران (القاموس: ج و د).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

قَــــدْ صَـــابَهَـــا الْوَسْمِيُّ ثُمَّ وَلِيُّهَـــا ... مِنْ بَعْدِمَـــا سُقِيَتْ بِصَوْبِ عِهَـادِ[1]

قَــدْ وَافَقَ الأَنْهَـــارَ مَـطَرٌ وَإِنَّهَـــا ... تَجْــرِي كَـصَبٍّ مُسْتَهَـــامٍ صَـــادِ

فَحَـمَائِمُ الْبُسْتَـــانِ فِيْــهِ هَـوَاتِـفٌ ... وَسَــوَاجِعُ الْكِعْتَـــانِ فِيْــهِ شَـــوَادِ

لاَ غَـــرْوَ لَـــوْ طَـــرِبَتْ وَغَـــنَّتْ أَنَّـــهُ ... يَـــوْمٌ أَتَى بِالْحَـــــظِّ وَالإِسْعَـــادِ

(٣) التكرار:

عُني النقاد بتكرار الألفاظ والعبارات في العمل الأدبي، فيعدونه عيباً ويطالبون اجتنابه إذا « كان يورث الملل لدي السامع أو القارئ »[2] ويستحسنونه إذا ما ارتبط بالمعنى العام، واستغل في مكانه المناسب[3] كأن يكون انعكاساً لحالةٍ شعوريةٍ ما في نفس الشاعر، هذه الحالة تلح على الشاعر إلحاحاً فلا يجد مناصاً من التعبير عنها إلا بالتكرار، ويكمن مستوى الإبداع في التكرار في الإيحاء الدلالي لتوالي هذه الألفاظ وتلك العبارات[4].

وقد وجد التكرار في الشعر العربي فى الهند لأغراضٍ مختلفةٍ، وبأنماطٍ متعددةٍ، فمن أنواع التكرار:

(أ) تكرير حرف:

منها قول الشاعر ناصر حسين اللكهنوي المارّ ذكره، فقد كرّر الشاعر فيه كلمة «قد» أربع مرات:

حَـــانَ الرَّبِيْـــعُ بِعـــدَّةٍ وَعَتَـــادِ ... وَأَتَى بِـعِيْـــدٍ أَعْـــظَمِ الأَعْيَـــادِ

قَـــدْ وَافَـــقَ الأَنْهَـــارَ مَطْـــرٌ وَإِنَّهَـــا ... تَجْـــرِي كَصَـــبٍّ مُسْتَهَـــامٍ صَـــادِ

١- صوب: الانصباب، عهاد: مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله (القاموس).

٢- في ميزان النقد الأدبي ، د. طه مصطفى أبو كريشة ، ص٢٥، القاهرة ١٣٩٦هـ.

٣- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ص٢٦٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م - «بتصرف».

٤- المرجع السابق ص٢٢٩ - «بتصرف».

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(ب) تكرار اسم:

ومثاله قول الشيخ حبيب الرحمن العثماني:

إِلَهِيْ رَجَائِيْ فَوْقَ ذَنْبِيْ وَإِنَّنِيْ ... لأَعْلَمُ أَنَّ الْعَفْوَ يُنْجِي الْمُرَوَّعَا
وَعَفْوُكَ مَحَّاءٌ، وَعَفْوُكَ شَامِلٌ ... وَعَفْوُكَ حِصْنٌ كَانَ أَرْسَى وَأَمْنَعَا
وَعَفْوُكَ شَمْسٌ لاَ يَقُوْمُ لَهَا الدُّجَى ... وَذَنْبِيْ ظَلاَمٌ يَنْجَلِيْ مُتَقَشِّعَا[1]

(ج) تكرار جملة كاملة:

ومثاله قول الشيخ المفتي محمد كفايت الله في تهنئة العيد:

يَعُوْدُ لَكُمْ عَوْداً حَمِيْداً مُبَارَكاً ... عَلَيْكُمْ وَفِيْكُمْ جَالِباً لَكُمُ الْهَنَا
يَعُوْدُ إِلَيْكُمْ مِثْلُ حِبٍّ يَزُوْرُكُمْ ... فَيَأْتِيْ بِمَا يَأْتِي الْحَبِيْبُ إِذَا أَتَى
يَعُوْدُ إِلَى مَا تَشْتَهِيْهِ وَتَرْتَضِيْ ... مِنَ الْعُمرِ بِالْخَيْرَاتِ وَالرُّشْدِ وَالْهُدَى[2]

(د) تكرير نصف الشطر:

ومثاله أيضاً ما قاله المفتي محمد كفايت الله في القصيدة السابقة:

أُهَنِّيْكَ يَا مَنْ فَازَ بِالْخَيْرِ وَارْتَوَى ... بِكَأْسٍ دِهَاقٍ مِنْ مَكَارِمَ وَاسْتَقَى
أُهَنِّيْكَ يَا مَنْ صَادَ أَفْئِدَةَ الْوَرَى ... بِأَخْلاَقِكَ الزَّهْرَاءِ طَيِّبَةِ الشَّذَى
أُهَنِّيْكَ يَا مَنْ فَاقَ بِالْفَضْلِ وَالنَّدَى ... عَلَى كُلِّ مَنْ أَعْطَى وَأَنْفَقَ مَا حَوَى[3]

وقد وظف الشعراء في الهند هذا الأسلوب لأغراض متعددة، ومن أهمها:

(١) التضرع:

وهذا كثير في شعر الزهد والابتهال، ومثال ذلك ما قاله الشيخ القاضي طلا محمد البيشاوري:

١- معين اللبيب في قصائد الحبيب ص٢.

٢- نفحة العرب ص٢٧٢.

٣- المرجع السابق نفسه.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

يَـا رَبِّ، يَـا سَيِّدِيْ، يَـا مُنْتَهَى أَمَلِيْ ... مَـالِيْ سِـوَاكَ لِكَشْـفِ الضُّـرِّ وَالضَّـرَرِ

يَـا رَبَّنَا ارْحَـمْ عَلَى فَقْـرِيْ وَمَسْكَنَتِيْ ... هَـبْ لِيْ ذُنُوْبِيْ وَبَاعِـدْنِي عَـنِ السَّـقَرِ

يَـا رَبِّ أَكْـرِمْ عَلَى عَبْـدٍ سَهَـا وَأَسَى ... فِي الذَّنْبِ مُنْغَـمِسٍ، فِي الإِثْمِ مُنْغَـمِرِ[١]

فقد كرر الشاعر هنا كلمة «يا رب» مرتين، و«يا ربنا» مرة، وخاطب اللهَ بأوصاف أخرى مرتين متضرعاً إليه راجياً منه العفو والغفران.

(٢) الترجي والاستعطاف:

ومثاله ما قال الشيخ حبيب الرحمن العثماني في أبياته الثلاثة السابقة التي أولها:

إِلَهِيْ رَجَـائِيْ فَـوْقَ ذَنْبِيْ وَإِنَّـنِيْ ... لأَعْـلَمُ أَنَّ الْعَفْوَ يُنْجِي الْمُـرَوَّعَـا[٢]

ففي هذه الأبيات كرّر الشاعر كلمة «عفو» خمس مرات، في الأول معرفاً بال، وفي الثاني والثالث مضافة إلى ضمير الخطاب العائد إلى كلمة «إلهي»، يسأل الله تعالى ذلك بإلحاح، ويظهر رجاءه القوي، وأمله البالغ في نيله مراده، لأنه تعالى عفو يحب العفو.

(٣) التفجع والتحسر:

ومثال ذلك ما قاله الشيخ ظفر أحمد التهانوي في رثاء زوجته:

وَا فُرْقَتَـاهُ لَـقَدْ تَقَطَّـعَ مُهْجَتِيْ ... وَبَقِـيْتُ فِيْ نَكَـدٍ أَذَلَّ خَسِـيْسِ

وَا فُرْقَتَـاهُ فَـلاَ قَـرَارَ بِدُوْنِهَـا ... يَـا وَيْـحَ قَـلْبٍ بِالْفِـرَاقِ وَطِـيْسِ

وَا حَـرَّقَلْبَـاهُ فَكَـيْفَ يَلَـذُّ لِيْ ... عَـيْشٌ تَبَـدَّلَ سَعْـدُهُ بِنُحُـوْسِ[٣]

وقد كرر الشاعر أسلوب الندبة أربع مرات للدلالة على عمق حزنه، وشدة جزعه على فراق زوجته، وكيف لا يشتد جزعه وهي شريكته في الحياة، ورفيقته في العسر واليسر، والسرَّاء والضرَّاء. والتكرار في هذا الباب كثير وحسن، يقول ابن رشيق:

١- الإعلام ٣/ ١٢٥٣.

٢- سبق ذكر هذه الأبيات في أنواع التكرار.

٣- مجلة «المعارف» الصادرة من دار المصنفين أعظم كرهـ، الهند، المجلد٦٧ ، العدد٤ ، ص٣٠٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

«وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع، وهو كثير، حيث التمس من الشعر وجيد»[1].

(٤) التقريع والتوبيخ:

ومثال ذلك ما قاله الشيخ عبد الحق حقي الأعظمي البغدادي[2]:

بِالأَمْسِ هُمْ دَوْلَةٌ يُرْوَى لَهَا خَبَرٌ ... وَالْيَوْم هُمْ خَبَرٌ يُرْوَى لِذِي الْعَجَبِ

بِالأَمْسِ هُمْ سَادَةُ التَّارِيْخِ إِنْ ذُكِرُوْا ... وَالْيَوْمَ هُمْ جُزْءُ تَارِيْخٍ مِنَ النَّسَبِ

بِالأَمْسِ هُمْ سَادَةٌ صِيْدٌ غَطَارِفَةٌ ... وَالْيَوْمَ هُمْ أَعْبُدُ الْحُضَّارِ وَالْغيَبِ

بِالأَمْسِ هُمْ سَاسَةُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... وَالْيَوْمَ هُمْ سَوْقَةٌ بِالرّحْلِ وَالْقَتَبِ

بِالأَمْسِ أَوْطَانُهُمْ بِالْعِزِّ عَامِرَةٌ ... وَالْيَوْمَ أَوْطَانُهُمْ كَالْمُقْفِرِ الْخَرِبِ

بِالأَمْسِ تَمْتَلِكُ الأَقْطَارَ أُمَّتُهُمْ ... وَالْيَوْمَ أُمَّتُهُمْ مَمْلُوْكَةُ الرَّقَبِ

كَمْ بَيْنَ أَمْسٍ وَبَيْنَ الْيَوْمِ مِنْ عِبَرٍ ... وَمِنْ تَجَارِيْبَ لِلسَّاهِيْ وَمِنْ دربِ

لقد وازن الشاعر في هذه الأبيات بين ماضي الأمة الإسلامية الزاهر، وبين واقعها المرير، فعدَّد مآثرها المجيدة ومناقبها، ثم قابلها بما تعايشه الأمة من إدبار وذل في الحاضر وبدأ كل بيت من الأبيات السابقة بكلمة «بالأمس» كما بدأ الشطر الثاني منها بكلمة «واليوم».

وكرر ذلك سبع مرات لشدة توبيخهم، ولما يظن الشاعر من استحكام الغفلة على قلوبهم، فلا يستفيقون من سباتهم العميق إلا بالزجر والتنكيل. ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر نفسه:

١- العمدة لابن رشيق (٢/ ٧٠٣)، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد الشعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط أولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢- أعجب العجب من أحوال العرب ص٢٥ - ٢٦، هو السيد عبد الحق حقي بن السيد عبد الله الأعظمي، ولد بالأعظمية سنة ١٢٩٠هـ ودرس في جامع الإمام أبي حنيفة، ثم على الشيخ نعمان خير الدين الآلوسي.
اتصل بعلماء الهند وزارهم في الهند، وسافر إلى مصر ودرس في الأزهر، عين أستاذاً في عليكره ١٩٠٨م، حج سنة ١٣٤٣هـ ونزل في ضيافة الشريف حسين بن علي ملك الحجاز، وتوفي بمكة ودفن فيها سنة ١٣٤٣هـ. (تاريخ الأعظمية مدينة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: ١٥-١٤٠٠هـ، الخطاط وليد الأعظمي ص٥٥٧ دار البشائر الإسلامية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كَفى مَنَاماً وَتَفْرِيطاً، كَفى وَكَفى عَيْباً سِوَاكُمْ بِهِ فِي النَّاسِ لَمْ يُعَبِ
كَفَى افْتِرَاقاً، كَفى جَهْلاً، كَفى عَنَتاً كَفَى شَتَاتاً كَفَى، يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ[1]

ففي هذين البيتين كرّر الشاعر كلمة «كفى» ثماني مرات؛ لتأكيد المنع من هذه العادات القبيحة، التي تؤدّي بالأمم إلى الهاوية والهلاك. ويزجرهم على استمرارهم في التلبس بها وعدم اجتنابهم عنها.

(٥) استنهاض الهمم:

ومثاله أيضاً ما قاله الشاعر نفسه[2]:

هُبُّوا بَنِي الْمَاجِدِيْنَ الْيَوْمَ وَانْتَبِهُوْا مِنْ نَوْمِكُمْ إِنَّكُمْ لِلجِدِّ وَالتَّعَبِ
هُبُّوا إِلَى صَالِحِ الأَعْمَالِ وَاعْتَصِمُوْا بِصِدْقِهَا إِنَّكُمْ لِلصِّدْقِ لاَ الْكَذِبِ
هُبُّوا لِنُصْرَةِ دِيْنِ الله تَنْتَصِرُوْا بِالدِّيْنِ فِيْ كُلِّ مَأْمُوْلٍ وَمُرْتَقَبِ
هُبُّوا إِلَى الذَّوْدِ عَنْ أَعْرَاضِ أُمَّتِكُمْ وَعَنْ حَقِيْقَتِكُمْ وَالنَّسْلِ وَالْعَصَبِ
هُبُّوا جَمِيْعاً إِلَى إِصْلاَحِ أَمْرِكُمْ وَأَقْدِمُوا أَقْدِمُوْا فَالْمَوْتُ فِيْ الهربِ
هُبُّوا إِلَى الْجِدِّ جِدَّ الأُسْدِ وَاثِبَةً فَالْعُمْرُ لِلْجِدِّ لاَ لِلَّهْوِ وَالطَّرَبِ
هُبُّوا إِلَى الْعَمَلِ الْمُرْضِيْ لِرَبِّكُمْ إِنَّ الرِّضَى لَدَوَاءُ الْمَقْتِ وَالْغَضَبِ

وقد كرر الشاعر كلمة «هبوا» سبع مرات مبدئاً بها الأبيات السبعة، ووجه إليهم النصح بضمير الخطاب ملتفتاً به عن ضمير الغائب، داعياً لهم إلى الشعور بمسؤولياتهم، والقيام بواجباتهم، لعل هذه الدعوة تبعث في نفوسهم الحياة، وتنفخ فيهم روح القوة والنشاط فينهضوا في سبيل الرقي والتقدم.

١- أعجب العجب من أحوال العرب ص٣١.

٢- المرجع السابق نفسه.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(٦) التذكر والاتعاظ:

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الشيخ إعزاز علي الديوبندي[١]:

هُوَ الْمَوْتُ لاَ يُبْقِي لِجَلْدٍ جَلاَدَةً ... يَحُصُّ الْقَوَافِيْ ثُمَّ يُوْدِي الْقَوَادِمَا

هُوَ الْمَوْتُ مُرٌّ طَعْمُهُ وَمَذَاقُهُ ... يُخَيِّبُ آمَالاً وَيُرْدِي الدَّعَائِمَا

هُوَ الْمَوْتُ لاَ يَرْثِيْ لِبَاكٍ وَلاَ شَجٍ ... وَلاَ لأَنِيْنِ الثُّكْلِ يَرْحَمُ وَاجِمَا[٢]

هُوَ الْمَوْتُ مَا نَجَّى الشَّجَاعَةُ خَالِدًا ... حَنِيْفًا وَلاَ نَجَّى السَّخَاوَةُ حَاتِمَا

هُوَ الْمَوْتُ لَمْ يَتْرُكْ لُيُوْثاً حَوارِدَ ... بِغَابٍ وَلَمْ يَتْرُكْ نُسُوْرًا قَشَاعِمَا[٣]

هُوَ الْمَوْتُ إِلاَّ أَنَّهُ خَيْرُ وَاعِظٍ ... يُرَوِّعُ مَنْهُوْمًا وَيُوْقِظُ نَائِمَا

بدأ الشاعر الأبيات الستة كلها بقوله «هو الموت» ثم عدّد أصنافاً مختلفة من الناس، وبين أنّ الموت مدركهم جميعاً، لا ينجو منه أحدٌ، وكرّر هذه الجملة ست مرات، لترسيخ فكرته في ذهن المتلقي حتى لا يغفل عن هذه الحقيقة في أي لحظة، بل عليه أن يجعل الموت نصب عينيه، ويتزود لما بعده.

(٧) الاحتفال والابتهاج:

ومن أمثلة ذلك ما قاله مجتهد الشيعة السيد ناصر حسين اللكهنوي في ذكر النيروز، يقول[٤]:

يَوْمٌ بِهِ أَضْحَى الرِّيَاضُ كَأَنَّهَا ... حُلَلٌ مُفَوَّفَةٌ مِنَ الأَبْرَادِ

فَحَمَائِمُ الْبُسْتَانِ فِيْهِ هَوَاتِفٌ ... وَسَوَاجِعُ الْكِعْتَانِ فِيْهِ شَوَادِ

لاَ غَرْوَ لَوْ طَرِبَتْ وَغَنَّتْ أَنَّهُ ... يَوْمٌ أَتَى بِالْحَظِّ وَالإِسْعَادِ

١- القاسم، ص ٦، عدد شهر صفر ١٣٣٧هـ، معين اللبيب ٦٧-٦٨.

٢- وجم يجم وَجْما وَوُجوما: سكت على غيظ (القاموس المحيط مادة و ج م).

٣- حوارد: جمع حارد، الحرد: الغضب، ومنه قل: أسد حاردوليوت حوارد (لسان العرب مادة: ح ر د).

٤- الإعلام ٣/ ١٣٨٨.



يَوْمٌ مُنِيْرٌ بَيْنَ أَيَّامِ الْوَرَى	مُتَوَقِّدٌ كَالْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ
يَوْمٌ لَهُ شَرَفٌ عَلِيٌّ شَامِخٌ	يَسْمُوْ عَنِ الْغَايَاتِ وَالأَبْعَادِ
يَوْمٌ أَقَرَّ بِفَضْلِهِ أَهْلُ النُّهَى	مِنْ مُشْرِكٍ أَوْ مُسْلِمٍ مُنْقَادِ

أعاد الشاعر في هذه الأبيات الستة كلمة «اليوم» ثماني مرات، خمس مرات بالتصريح، وثلاث مرات بإعادة الضمير إليه؛ مؤكداً تلك البهجة وذلك السرور الذي ملك مشاعره وأحاسيسه فيه.

ويلاحظ أن الشاعر في البيت الأخير عده يوماً يعترف بفضله جميع أهل العقل من مسلم وكافر، مع أن الإسلام لا يرى في «النيروز» أي فضل أو شرف، وبالتالي ليس له أي مزية عند المسلمين المتمسكين بدينهم. فقد أخطأ الشاعر هنا خطأ واضحاً، ولعل ما أوقعه في هذا الخطأ البين أنه شيعي وتأثر بعيد الفرس مع تأثره بهم في معتقدهم الشيعي.

المآخذ على الألفاظ والتراكيب

لم يسلم الشعر العربي في الهند - مع هذه الميزات والخصائص- من مآخذ وهنات، ولا غرو في ذلك؛ لأن النقص من طبيعة البشر، ولأن مثل هذه المآخذ وجدت عند الشعراء الفحول الكبار أيضاً في عصور وبيئات تعد من أقوى العصور وأرقى البيئات التي ازدهر فيها الشعر العربي كالعصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وغير ذلك، فما بالنا بشعراء لم يكونوا عربا، ولم يعيشوا في بيئة عربية، بل إن أكثرهم قد ولد ونشأ وعاش في بيئة تعد أجنبية للغة العربية وآدابها.

ويمكن تلخيص هذه المآخذ فيما يأتي:

(١) استخدام الغريب:

اشترط النقاد في فصاحة الكلمة أن تكون واضحة المعنى، جليّة، خالية من الغرابة والحوشية[1] لأن مقصود الكلام هو الإفصاح والبيان، والغرابة تحول دون ذلك الهدف، فمن هنا عابوا استخدام الكلمة الغريبة، وقد ورد في الشعر العربي في الهند بعض الكلمات

١- الإيضاح ، للخطيب القزويني ، تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي ص٧٣.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الغريبة، منها قول الشيخ حميد الدين الفراهي[1]:

وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ مُمَزَّقَةً ... فَقَدْ جَمَعَ الْيَوْمَ شِمْطَاطَهَا

ومن ذلك أيضاً قول الشيخ عبد المنعم الجاتكامي[2]:

جَرَى دَمْعِيَ الْمُهْرَاقُ شَجْواً بِمَنْزِلِ ... رَأَيْنَا بِهِ دَاراً تَرَاءَتْ كَعَوْكَلِ[3]

وَرَوْضاً بِهُوْجِ الرِّيْحِ صَارَتْ غُصُوْنُهُ ... أَيَادِيَ نَدْبٍ فَوْقَ رَأْسٍ لِعَيْطَلِ[4]

ذَكَرْتُ بِهَا سَلْمَى أُؤَمِّلُ وَصْلَهَا ... وَكَيْفَ الرَّجَا يَا قَلْبُ لِيْ فِيْ عَقَنْقَلِ[5]

فكلمات: عوكل، وعيطل، وعقنقل، من بيئة صحراوية بدوية، موغلة في الحوشية والغرابة، لا تعرف معانيها بدون رجوع إلى المعاجم.

ومن ذلك أيضاً ما قاله الشيخ وحيد الدين عالى[6]:

وَتَحْتِيْ نَاقَةٌ كَوْمَاءُ بَكْرٌ ... شَمَرْدَلَةٌ عَذَافِرَةٌ رَدَاحُ[7]

فَكَمْ قَفْرٍ قَطَعْتُ بِهَا وَكَانَتْ ... تَخُبُّ وَلاَ يُوَانِيْهَا رُزَاحُ[8]

فكلمات: شمردلة، وعذافرة، ورداح، ورزاح من صفات النوق لا يعرفها إلا أصحاب الإبل.

١- ديوان الفراهي ص٢٧. وشمطاط مفرد، جمعه: شماطيط بمعنى الفرقة من الناس، وقوم شماطيط: متفرقة. (ينظر: تاج العروس مادة: ش م ط).

٢- تصويب البيان في شرح الديوان ص٤ طبعة سنة ١٣٠٠هـ، الإعلام ٣/ ١٣٠٤.

٣- عوكل: ظهر الكثيب، وقيل: هو العظيم من الرمل (اللسان والتاج).

٤- عيطل: يقال هضبة عيطل: طويلة، والعيطل: الناقة الطويلة في حسن منظر وسمن، والعيطل من النساء كهيدر: طويلة. (اللسان والتاج).

٥- عقنقل: الوادي العظيم المتسع ج عقاقل وعقاقيل، (اللسان والتاج).

٦- الجواهر الزاهرة. وحيد الدين ص٧٠ طبع حيدرآباد.

٧- شمردلة: الصبي الجلد، وقالوا: جمل شمردل، وناقة شمردلة لقوة سيرها (المعجم الوسيط) عذافرة: الناقة الشديدة الأمينة الوثيقة الظهيرة، وهي الأمون (ينظر: تاج العروس) ناقة رداح: ضخم الألية تجمع على رُدُح. (لسان العرب).

٨- رَزَح، يَرْزَحُ، رَزَاحاً ورُزُوحاً، رَزْحاً: سقط من الإعياء هزالا (ينظر: لسان العرب).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(٢) مخالفة القياس اللغوي:

إن لكل لغة قواعدها التي لا يجوز مخالفتها لتبقى اللغة مفهومة،ويحصل التفاهم بين أفراد المجتمع،ولكن لا يخلو مجتمع من الناطقين بلغة ما من وجود أخطاء في تلك اللغة فيتصدى لها العلماء المختصون لمنع انتشار هذه الأخطاء للحفاظ على اللغة من الضياع.

وقد ظهرت بعض الأخطاء من هذا القبيل عند بعض الشعراء،منها قول الشيخ السيد سليمان الندوى:

تُـرِيْـدُوْنَ جَوْبَ الْـبِيْدِ لَيْـلاً بِمَنْـهَجٍ خَفِيِّ الـصُّوَى مُغْـطَوْطَشٍ وَمُجَـرَّدِ[١]

فكلمة: «مغطوطش» اسم مفعول من اغطوطش بمعنى صار مظلما من قولهم: فلاة غطشى أي مظلمة.وقد استعمل العرب – كما ذكر صاحب اللسان والتاج وغيرهما – من هذا الفعل باب المجرد، وباب تفاعل، وتفعّل، في حين أن هذا الشاعر قد استخدم باب «افعوعل»، وكان ينبغي له ألا يقيس من عنده، بل يقتصر على ما جاء عن العرب، يقول أبو الهلال العسكري: « ومن الألفاظ ما يستعمل رباعيه وخماسيه دون ثلاثيه .... ومنها ما هو خلاف ذلك، فينبغي أن لا تعدل عن جهة الاستعمال فيها، ولا يغرّك أن الأصول مستعملة؛ فالخروج عن الطريقة المشهورة والمنهج المسلك رديء على كل حال »[٢] ومن ذلك أيضاً ما قاله الشيخ عبد الرحمن السيوهاروي:

هَلْ تُـدْرِكِـيْنَ عَلِيْـلاً شَفَّـهُ وَصَبٌ وَلاَ طَـبِـيْبَ لِـهَـذَا الـدَّاءِ إِلاَّكِ[٣]

فأتى الشاعر بالضمير المتصل بعد «إلا» مع أنه من مواضع الضمير المنفصل؛ حيث يقول ابن مالك – رحمه الله – :

وَذُو اتِّصَـالٍ مِنْهُ مَـا لاَ يُبْتَـدَا وَلاَ يَـلِيْ "إِلاَّ" اخْتِيَـارًا أَبَـدَا

كَالْيَاءِ وَالْكَـافِ مِنِ "ابْنِيْ أَكْرَمَـكْ" وَالْيَـاءِ وَالْهَـا مِنْ "سَلِيْهِ مَـا مَلَكَ"[٤]

---

١ – مجلة «البيان» الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ، ص٣٦، جمادى الآخرة ١٣٢٦هـ.

٢– الصناعتين ، ص١٦٧ ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان بدون تاريخ.

٣– مجلة « القاسم» ، ص٢ ذو القعدة ١٣٣١هـ.

٤– ضياء السالك إلى ألفية ابن مالك ،محمد عبد العزيز النجار، ١/ ٩٩ مصر ،١٤٠١هـ ١٩٨١م.



ولكن الشاعر لجأ إلى هذا؛ للضرورة الشعرية، كما هو وارد في كلام العرب مع مخالفته للقياس.

(٣) كثرة حروف الصلات:

من مقاييس جمال الكلمة اعتدال حروفها وعدم كثرتها[١]؛ ولذا عيب الجمع بين حروف الجر في مكان واحد، لأن ذلك يؤدي إلى الثقل في الأداء[٢] والغموض في الفهم. وقد ورد ذلك عند الشيخ فيض الحسن السهارنفوري في قصيدته التي مدح بها السلطان عبد الحميد العثماني، يقول[٣]:

نَـدْعُوْ لَـكُمْ وَلِـمَنْ فِيْكُمْ لَـكُمْ وَلِـمَنْ يُثْنِي عَلَيْـــكُمْ وَلاَ يُثْنِيْ بِـــإِمْـــلاَقِ

فقد جمع الشاعر هنا بين خمسة من حروف الجر ، وهذا يؤدي إلى الثقل، وإلى غموض المعنى وتعقيده.

(٤) التكرار المعيب:

عد النقاد «تكرار الكلمة الواحدة في كلام قصير»[٤] من العيوب، وخاصة إذا أدّى إلى ضعف في المعنى، أو تنافر في الكلام، وقد وجد هذا في بعض الشعر العربي في الهند، من ذلك ما قاله الشيخ محمد بن حسين الأنصاري في قصيدته التي بعث بها إلى الشيخ عبد الحي الحسيني[٥]:

إِلَى قَـــمَرِ الدُّنْيَـــا، إِلَى غَـايَةِ الْـمُـــنَى إِلى عِنْـدَ مَنْ لاَعِنْدَهُ بَعْضُ مَـــا عِنْـدِيْ

كرّر الشاعر في هذا البيت كلمة «عند» ثلاث مرات.

وأشد منه قول الشيخ عبد المنعم الجاتكامي في قصيدته النبوية[٦]:

١- أصول النقد الأدبي، د. طه مصطفى أبوكريشة، ص٢٧٠.

٢- المثل السائر ١/ ٣٠٧-٣٠٨ ط دار نهضة مصر.

٣- ديوان الفيض ٩٥، قصائد قاسمي ١٨، الإعلام ٣/ ١٣٣٠.

٤- الصناعتين ١٧٠.

٥- الإعلام ٣/ ١٣٤٢.

٦-المرجع السابق ٣/ ١٣٣٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أُؤَمِّـلُ مِنْـكَ الْـعَطْفَ عَطْفَ عَـوَاطِفٍ وَإِنْ كُنْتُ عَـمَّا يَجْلِبُ الْـعَطْفَ قَاصِيَــا

أتى الشاعر هنا بكلمة «عطف» أربع مرات، منها ثلاث في الشطر الأول مما جعل هذا الشطر ثقيلا على اللسان، ونابياً على السمع والذوق.

ومثال أشد منه قول الشيخ محمد بن أحمد الطوكي[1]:

سُـلِبْتُ لَذِيْذَ الْعَيْشِ، لاَ عَـيْشَ بَعْدَكُمْ أَعِـيْشُ وَعَـيْشِيْ عَـيْشُ حَيْرَانَ أَكْـمَدِ

كرر الشاعر هنا كلمة «عيش» خمس مرات، منها ثلاث متتالية في الشطر الثاني، وقد أدى هذا إلى ثقل شديد.

المطلب الثاني

الصورة الفنية

الصورة الفنية هي «لغة الأديب التلقائية»[2] وهي «في الشعر أهمّ ركن فيه»[3] وتعدّ وسيلة الشاعر في «نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه»[4] ولذا فهي من المجالات الهامة في الحكم على إبداع الشاعر.

واتفقت كلمة النقاد -قديماً وحديثاً- على أهمية التصوير في الصناعة الشعرية، فإذا كان الجاحظ يصرّح بأن «الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير»[5] فإن المذاهب النقدية الأوربية الحديثة ترى أن الصورة هي «العنصر الجوهري للشعر»[6].

ومع أن «شعرنا العربي القديم حافل بالصور الشعرية البارعة التي استخدمها الشعراء

١- المرجع السابق نفسه.

٢- الصورة والبناء الشعري، د.محمد حسن عبد الله، ص ٤٣.

٣- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، د.أحمد كمال زكي، ص ٢٨٥، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٤- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ص ٢٤٢.

٥- الحيوان للجاحظ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ٣/ ١٣٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٣، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٦- النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال ص ٣٣٩، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في تجسيد أحاسيسهم ومشاعرهم والتعبير عن رؤيتهم الخاصة للوجود»[1] إلا أن كلمة الصورة لم تستخدم في تراثنا القديم كمصطلح أدبي ونقدي، بل هو كما يرى الدكتور جابر عصفور «مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها»[2] ومن ثم فإنه «من المصطلحات النقدية الوافدة»[3] على نقادنا المحدثين.

وتعددت تعاريف مصطلح الصورة لدى النقاد تبعاً لاختلاف مذاهبهم وتنوع اتجاهاتهم[4]، إلا أنها تستعمل -عادة- للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسّي، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات[5].

ويقاس نجاح الأديب في بنائه لصوره بمدى قدرته على نقل أفكاره وعواطفه إلى قرائه ومستمعيه بأمانة ودقة[6] وبمدى تأثير هذه الصور في نفوس متذوقيها[7].

ولا يشترط اشتمال البيت على المجاز حتى يقال: إن به صورة «فنيه» إذ «قد يخلو البيت من المجاز أصلا، فتكون عبارته حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالّة على خيال خصب»[8].

وقد قُسّمت الصورة تقسيمات عدّة باعتبارات مختلفة[9] ومن هذه التقسيمات تقسيم الصورة إلى جزئية وكلّية[10]، وتطلق الصور الجزئية على الصور البيانية، المتمثلة في التشبيه

١- المستدرك في شعر بني عامر ١/ ٢٧١.

٢- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د.جابر عصفور، ص٧، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٣- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، د.عبد الرحمن نصرت، ص١٢، مكتبة الأقصى عمان الأردن، ط ١٩٨٢ م.

٤- للاستزادة في تعاريف «الصورة» ينظر «الصورة الفنية في المفضليات، رسالة دكتوراه، د.زيد ابن غانم الجهني، ص١٧.

٥- الصورة الأدبية، د.مصطفى ناصف، ص ٣، مكتبة مصر، ١٩٥٨م «بتصرف».

٦- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ٢٤٩-٢٥٠ «بتصرف».

٧- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، د. محمد خلف الله أحمد، ص ١٢٤، دار العلوم، الرياض، ط ٣، ١٤٠٤هـ «بتصرف».

٨- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، د.علي البطل، ص ٢٥، دار الأندلس، ط ١، ١٩٨٠م وينظر النقد الأدبي الحديث، د.غنيمي هلال ص ٤٣٢.

٩- ينظر: الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وقيمتها الفنية، زيد بن محمد غانم الجهني، رسالة دكتوراة تحت إشراف: عبد الباسط بدر، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٦-١٤١٧هـ، ص١٩-٢٣.

١٠- النقد الأدبي الحديث ص ٤١٦، النقد التطبيقي والموازنات، ١٤٢-١٤٣.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والاستعارة والكناية ونحوها»[1].

أما الصورة الكلية فهي تتركب من صور صغيرة، وتقوم بعرض القضايا والأحداث والأحاسيس والمشاعر التي يشعر بها الأديب تجاه تلك القضايا والأحداث[2].

ولم يخل الشعر العربي في الهند –مع غلبة الأسلوب التقريري فيه على الأسلوب التصويري– من صور رائعة، ومنها قول الشيخ محمد ناظم الندوي في قصيدته المسماة «نفحة من نفحات الحج» التي قالها بعد أداء شعيرة الحج، يقول في ختامها[3]:

كَأَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَقَدْ هَوَتْ إِلَى الْبَيْتِ طَيْرٌ أَمَّتِ الْمَاءَ حَوْمَانَا

والشاعر في هذا البيت يصور شدة شوق المؤمنين تجاه الكعبة المشرفة، ويشبهه بشوق الطير إلى الماء حالة شدّة العطش وقد اتجهت أسرابها فكما أنها لا تصبر دون الوصول إلى الماء، فكذلك المؤمنون تراودهم دائماً هذه الأمنية لزيارة بيت الله المعظم، وتهفو قلوبهم إلى هذا البيت العتيق.

والصورة توحي بأثر هذا البيت في حياة المؤمنين الإيمانية فكما أن الله سبحانه وتعالى جعل الماء سبباً للحياة، فكذلك الكعبة المشرفة وزيارتها تعطي المؤمن شحنات إيمانية قوية، وتوقظه من غفلته، وتسبغ عليه حلة جديدة كأنه ولد في لحظته، كما قال النبي ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[4].

ومن أمثلة التشبيه أيضاً ما قاله الشيخ عبد الحميد الفراهي في الحرب العالمية[5]:

رَحَى الْحَرْبِ تَطْحَنُهُمْ وَالدِّمَاءُ تُدِيْرُ الرَّحَى مِثْلَ جَرْيِ النَّهَرْ

يصور الشاعر في هذا البيت بعض تلك الأحوال الفظيعة التي سبّبت لها الحرب العالمية العظمى في منتصف القرن العشرين الميلادي، حيث قتل فيها عشرات الملايين

١– شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث ، د.سفير القثامي ، ص٢٤٨، رسالة دكتوراه في قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٧–١٤١٨هـ.

٢– المصدر السابق ص ٢٥٥.

٣– الزهرات – محمد ناظم الندوي ص ٧.

٤– أخرجه البخاري، كتاب المحصر، باب قول الله تعالى: «فلا رفث» عن أبي هريرة (١٨١٩).

٥– ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي ، ص٢٨.



من البشر[1] فيذكر الشاعر أن الأقوام الغربية تفنيهم هذه الحرب الضروس، وشبهها بالرحى التي تطحن كل ما بداخلها، ويلحظ أن تشبيه الحرب بالرحى قديم في الشعر العربي كما جاء عند زهير في معلقته إذ يقول[2]:

وَمَا الْحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيْثِ الْمُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوْهَا تَبْعَثُوْهَا ذَمِيْمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوْهَا فَتضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

كما يصور الشاعر كثرة الدّماء المهراقة في هذه الحرب، فكأنما -لكثرتها- صارت تجري جريان النهر، فكأنَّ الحرب ناعور ولكنه لا يدير هذا الناعور الماء كما هو المعتاد، بل الدِّماءُ حلّت محل الماء فصارت تدير هذه الرحى.

وفي البيت إيحاء باشمئزاز الشاعر وكراهيته لهذه المناظر؛ لأن منظر الدم المهراق تنقبض منه النفوس، ويعافه الطبع السليم.

ولما صوّر الشعراء هذه المشاهد لم يصوروها جامدةً ساكنة، بل أدخلوا فيها الحركة مما زاد هذه الصور حيوية ونشاطاً، فالرحى تطحن، والدماء تدير، والنهر جار، والقلوب تهوي، والطير تتجه نحو الماء، ونجد مثل هذا عند الشيخ عبد الحق حقي الأعظمي أيضاً حينما يصور ما قام به المسلمون من إصلاح الأرض، وتطهيرها من الشرك والظلم بعد مبعث الرسول الكريم ﷺ، يقول فيها[3]:

يَا أُمَّةً رَبُّهَا لِلنَّاسِ أَرْسَلَهَا ... مِنْ بَعْضِ رَحْمَتِهِ تُنْجِي مِنَ الْكُرَبِ

وَبَثَّهَا فِيْ جَمِيْعِ الأَرْضِ طَاهِرَةً ... تُطَهِّرُ الْخَلْقَ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرَبِ

١- الحرب العالمية الثانية عرض مصور أعدّه وحققه على أوثق المصادر، رمضان لاوند ص ٥٨٤، دار العلم للملايين، بيروت ط ٩، ١٩٨٢م.

٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ص٢٧، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، وشعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، ص١٩، وفيه: «وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم» تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٣- أعجب العجب من أحوال العرب ص ١٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَعَدَّهَا لِصَلاحِ الْكَوْنِ فَانْدَفَعَتْ   كَالسَّيْلِ مُنْحَدِراً يَجْرِي إِلَى صَبَبِ

فشبه الشاعر انطلاق المسلمين في مسيرتهم الدعوية بالسيل وكان الشاعر دقيقاً وموفقاً في اختياره لهذا التشبيه. إذ السيل يوحى بمعان كثيرة، منها مثلاً: أن السيل يعطي معنى القوة والدفع لكل من يقف في سبيله، ومنها أن السيل لا يمكن مقاومته ولا الوقوف في طريقه خاصة إذا كان متجها إلى مكان منخفض، فكذلك الأمة حينما خرجت تحمل مشاعل النور، وتدعو الخلق إلى خالقهم مستمدة قوتها من الله تبارك وتعالى فلم يستطع أحد الصمود أمامها.

ومن تلك المعاني التي توحيها كلمة «السيل» أيضاً «الشمول والعموم» فالسيل يشمل الوادي كلّه ولا يختص بمكان دون غيره، فكذلك هذه الأمة كانت ولا تزال دعوتها للناس كافة، ولم تفرق بين جنس وجنس، أو بين وطن وآخر.

ونلحظ أن التشبيه كان أكثر استخداماً لدى الشعراء في الهند، وتأتي بعده الاستعارة، ومن أمثلتها قول السيد محمد باقر اللكهنوي في الفخر بنفسه[1]:

يُجَاذِبُنِي الْعَلْيَاءَ قَوْمٌ سَفَاهَةً   وَهَيْهَاتَ أَيْنَ النَّجْمُ مِنْ كَفِّ رَامِقِ

في هذا البيت صور الشاعر حالته مع حساده وأعدائه كفريقين كل منهما يمسك الحبل بطرف، ويحاول أن يشدّه إليه دون الفريق الآخر. فكذلك حسّاد الشاعر وأعداؤه لا يستطيعون رؤية الشاعر وقد نال العلى وظَفِر بالنجاح، فيحاولون زعزعته عن مكانه السامي علّهم ينالون منه.

وحاول بعض الشعراء استخدام هذا اللون البياني في استخراج المعاني بصورة تجسيدية يتم فيها « تحويل المعنويات من مجالها التجريدي إلى مجال آخر حسّي، ثم بثّ الحياة فيها أحياناً وجعلها كائنات حية تنبض وتتحرك»[2].

كما نرى ذلك جلياً عند الشيخ محمد جان البحري آبادي[3] في قصيدته التي مدح بها

١- الإعلام ٣/ ١٣٥٢.

٢- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ٧٨.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٥٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الشيخ أحمد السرهندي، يقول فيها[1]:

اَلرُّشْــــدُ ظَلَّ بِسَعْـــــيِهِ مُتَهَـــلِّلاً ... مِـنْ بَعْدِ مَـا قَدْ كَـانَ مُنْطَـمِسَ الأَثَـرْ

وَالشِّـــرْكُ وَالإِلْحَـــادُ قَــدْ مُحِيَـــا بِهِ ... وَالْغَيُّ أَدْبَــرَ، وَالضَّــلاَلُ نَــأَى وَفَــرّ

فالرشد يتهلل، والغيُّ يُدبر، والضلال يهرب ويفرُّ فاستطاع الشاعر -بواسطة الاستعارة- أن يصور هذه المعنويات بصورة أحياء تتحرك، وتتجاوب مع أفعال الممدوح حيث الرشد يتهلل مسروراً لما قام الممدوح بتأييده ونصره، كما فر الغيُّ والضلال بسبب مساعيه المشكورة، ومن أمثلته أيضاً قول السيد محمد مهدي[2]:

ظَعَنُـــوْا عَـنِ الـصَّبِّ الْـمَـشُـوْقِ وَمَعْهُمُ ... سَحَبُـــوا الْحَـشَـا بِـأَعِـــنَّةِ الأَشْــوَاقِ

فالشاعر هنا يصور القلب في صورة أسير مكبل بالقيود، إلا أن هذه القيود لم تكن من الحديد وإنما كانت من شوقه وحبه لحبيبته وأهلها الظاعنين.

واستخدم بعض الشعراء في الهند في صورهم الأسلوب الكنائي، والمقصود بالكناية هو: «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»[3] ومن أمثلة الصور المشتملة على الكناية قول الشيخ عبد الحميد الصادق بوري[4]:

فَـــوَا أَسَفًـــا وَنَحْنُ بَنُـــوْ كِـــرَامٍ ... تُـــوُوْرِثَ فِيْهِـــمُ عِلْمٌ وَجُـــوْدُ

ذَوُوالأَعْـــــلاَمِ وَالأَقْـــــلاَمِ طُـــرًّا ... يَزِيْنُـــــهُمُ الْمَـــكَـارِمُ وَالْجُـــــنُوْدُ

فقول الشاعر: ذووالأعلام «كناية عن الملك والسيادة والرياسة، وكذا قوله ذووالأقلام» كناية عن العلم والمعرفة، ولكن الشاعر عدل عن الأسلوب المباشر الصريح إلى الأسلوب الكنائي، لأن «الصفة إذا لم تأت .... مصرّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها»[5].

١- المرجع السابق نفسه.

٢-المرجع السابق ٣/ ١٣٧٤.

٣- الإيضاح، تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي ص ٤٥٦.

٤- الإعلام ٣/ ١٢٦٦.

٥- دلائل الإعجاز للجرجاني، ت: محمود محمد شاكر ص ٣٠٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والأسلوب الكنائي في قول الشاعر «ذوو الأعلام» يبرز في ذهن القارئ صورة الجيوش والعساكر والأعلام والرايات، كأنها ماثلة أمام أعينه فينظر إليها بأم عينيه.

ومن أمثلة الكناية أيضاً قول السيد محمد مهدي في رثاء شيخه المفتي محمد عباس(١٠٨):

بِـذَا الْيَـوْمِ قَـدْ صَـارُوْا رَهِيْنَ مَقَابِرٍ وَبِالأَمْسِ قَدْ كَانُوْا رُؤُوْسَ الْمَجَامِعِ

فقوله «رهين مقابر» و«رؤوس المجامع» كناية عن «الموت» و«الحياة»، لكن الشاعر آثر الكناية على الصراحة لما فيها من تشخيص وتصوير يزيد الأسلوب جمالاً والمعنى عمقاً. ولما فيه إيحاء إلى معان كثيرة، مثل حالة الضعف والعجز التي حال إليها الحال، بعد العزّ والقوة والرئاسة التي كان عليها في حياته كما فيه تأدب مع الشيخ والأستاذ، مع بيان مكانته في حياته. وعمّق الشاعر الصورة بهذه المقابلة بين الحالتين: حالتهم حين كانوا أحياء، والحالة التي صاروا إليها بعد انتقالهم إلى دار الآخرة، كما أضاف إلى التصوير عنصر الزمن. «بالأمس» و«بذا اليوم».

وممن استخدم هذا الأسلوب أيضاً محمد باقر اللكهنوي، يقول في إحدى قصائده مفتخرا بنفسه[١]:

وَمَا وَجَدَ الأَقْوَامُ ذَيْلِي مُدَنَّساً لَدُنْ رَمَقُوْنِي بِالْعُيُوْنِ الرَّوَامِقِ[٢]

فقوله: «وما وجد الأقوام ذيلي مدّنساً» كناية عن العفة والطهارة، ولا شك أن أسلوب الشاعر الكنائي هنا يصور المعنى، ويقدمه في معرض بهيج.

وإذا انتقلنا إلى الصورة الكلية نجد عدة صور كلية قد أجاد الشعراء في حبكها ونسجها، وأتقنوا من خلالها تصوير ما جاشت به صدورهم من عواطف، وما نضج في أذهانهم من رؤى وأفكار، ومن تلكم الصور الكلية ما قاله القاضي السيد حسين بن محمد الكاليكوتي في المصائب التي تصيب الإنسان في الحياة الدنيا، يقول[٣]:

١- الإعلام ٣/ ١٣٥٢.

٢- رَمَقَه يرمقُه رَمْقا ورامقه: نظر إليه يتعهده ويرقبه (اللسان: ر م ق).

٣- الشعر العربي في كيرالا ص ١٩٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

بَنَى اللهُ لِلأَحْبَابِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ، وَحِيطَانُهُ الضُّرُّ
وَحَصْبَاؤُهُ كَرْبٌ وَهَمٌّ، وَسَقْفُهُ سِقَامٌ وَآلاَمٌ يَضِيْقُ بِهَا الصَّدْرُ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيْهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ : مِفْتَاحُ بَيْتِكُمُ الصَّبْرُ

فالشاعر في هذه الأبيات يصور عجز الإنسان الذي تناله المصائب وتصيبه الآفات من فوقه ومن تحته، وعن أيمانه وعن شمائله، وأنه لا حول له بها ولا قوة، وشبه هذه الدنيا بدار كلها شرور وآلام، ولا مخرج من هذه الدار إلاّ الصبر على ما قدر الله عز وجل للإنسان.

ومن الصور الكلية التي نجدها لدى شعراء العربية في الهند أيضاً ما قاله الشيخ محمد ناظم الندوي مصورا حالة الحزن والغم الذي عمّ العالم الإسلامي بوفاة الملك فيصل ابن عبد العزيز آل سعود -يرحمه الله- يقول في رثائه[1]:

اَلْجَوُّ مُغْبَرُّ الْجَوَانِبِ أَحْمَرُ وَالنَّجْمُ مُكْتَئِبٌ ضَئِيْلٌ أَكْدَرُ
وَاللَّيْلُ مَنْشُوْرٌ ثِيَابَ حِدَادِهِ وَالأُفُقُ مُسْوَدُّ النَّوَاحِيْ أَغْبَرُ
نَبَأٌ أُذِيْعَ مِنَ الرِّيَاضِ لَمُوْجِعٌ كَادَتْ لِوَقْعَتِهِ الْقُلُوْبُ تَفَطَّرُ[2]
بَكَتِ الْقُلُوْبُ مَعَ الْعُيُوْنِ تَفَجُّعاً لِلْفَيْصَلِ الْمَرْحُوْمِ سَاعَةَ أَخْبَرُوْا

فهذا الحزن عمّ العالم كله، ولم ينج منه حتى الأشياء الجامدة التي لا حسّ فيها، فشدّة هذا الهول أثرت في تلك الجمادات أيضاً، فالجوّ زال صفاؤه وعلاه الغبار والاحمرار، والنجم أصابه الاكتئاب والحزن، فصار ضئيلاً وراح صفاؤه ونقاؤه، والليل قد نشر ثياب الحداد، والأفق صار أسود أغبر، والقلوب تفطرت حسرة وأسى، والعيون تفجرت دمعاً ودماً، فالعالم كلّه في مأتم لهذا الفقيد النبيل، والشهيد العظيم.

وإن كان الشاعران -في المثالين السابقين- قد اعتمدا على الصور اللغوية، وآثراها

١- الزهرات: محمد ناظم الندوي ص ٩.

٢- أدخل الشاعر اللام على الخبر، والمبتدأ غير مؤكد بأن لاستقامة الوزن.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

على الصور البيانية، فهناك العديد من الصور الكلية المجازية المشتملة على التشبيه والاستعارة وغيرهما، كمثل قول الشيخ سيد سليمان الندوي في وصف الشمس عند الغروب، يقول واصفاً هذا المشهد الرائع الجميل[1]:

كَـأَنَّـمَا الشَّفَقُ الْـمُـمْتَدُّ فِي الأُفُـقِ ... خَـمْـرٌ مُعَتَّـقَةٌ شُـجَّتْ لِـمُـغْتَبِقِ[2]

خَـمْرٌ يُعَتِّقُهَـا أَعْـلَى هِمَـالِيَةٍ ... شُـجَّتْ بِمَاءِ غَمَامٍ هَـامِرٍ غَـدَقِ[3]

كَـفُّ الطَّبِيْعَةِ تَسْقِي النَّـاسَ أَكْؤُسَهَـا ... وَيْـلٌ لِـمَنْ هَـذِهِ الصَّهْبَـاءَ لَمْ يَـذُقِ

تَحْسُو الْقُـلُوْبُ حُـمَيَّـاهَـا إِذَا نَظَرَتْ ... إِلَى السَّمَاءِ بِـأَقْدَاحٍ مِنَ الْـحَدَقِ[4]

وَالـطَّـيْرُ تَشْـرَبُهَـا حِيْنَ تَـرُوْحُ إِلَى ... أَوْكَـارِهَا صَافِرَاتِ السَّجْعِ فِي حلَقِ[5]

وَالـرِّيْحُ سَـائِرَةٌ فِيْ رَوْضَـةٍ أُنُفٍ ... تُهْدِي الـسُّـرُوْرَ إِلَى حَوْبَـاءَ مُنْتَشِقِ[6]

دَنٌّ مِـنَ الْقَـهْوَةِ الصَّـهْبَاءِ فِي الأُفُـقِ ... وَالْكَأْسُ تَطْفُوْ بِهِ لاَ الشَّمْسُ فِي الشَّفَقِ[7]

صوّر الشاعر في هذه الأبيات مشهد غروب الشمس وما يتبع ذلك من الشفق الأحمر، وحاول إبراز أثره في قلوب من يملك تذوق هذا المشهد الرائع، فشبه الشفق الأحمر المنتشر في الأفق بالخمر التي تخلط بالماء لشاربها في المساء، وهذه الخمر تقوم الطبيعة بدور ساقيها للناس، فيقدمها إليهم فتشربها القلوب كما تحسوها الطير لدى عودتها إلى أوكارها في المساء، فتظهر عليها آثارها من السكر والنشاط مما يجعلها ترفع أصواتها بالصفير، وحتى الهواء قد أثر فيه هذا المنظر الجميل، فبدأ يسرّ الناس وتهديهم

١- مجلة «البيان» ص ٣٠، الإعلام ٣/ ١٢٣٨.

٢- شجت من: شجّ الشراب، مزجه، (القاموس: ش ج ج).

٣- همره يهمره ويهمره: صبّه، غَدَقٌ: الماء الكثير (القاموس).

٤- حسا الطائر الماء: تناوله بمنقاره، والرجل الحساء ونحوه، تناوله جرعة بعد جرعة (المعجم الوسيط) الحُميّا: من الكأس: سورتها وشدّتها، أو إسكارها أو أخذها بالرأس (القاموس).

٥- هكذا في المصدرين، ولعل الصواب: حين بدون تنوين.

٦- حوباء: النفس ج حوباوات، انتشق الماء وغيره: جذب منه بالنفس في أنفه (المعجم الوسيط والقاموس المحيط).

٧- طفا يطفو: علا (اللسان: ط ف و).



المسرة، وبعد تصوير مشهد الشفق وأثره، صوّر الشاعر منظر الشمس في هذا الشفق، ويشبه هذا المنظر بمظهر دنّ من الخمر تعلوه الكأس.

وقد استخدم الشاعر لتصوير هذا المشهد البهيج الطريف عناصر عدّة من اللون، والصوت، والوقت، وأضفى على المنظر حركة فالخمر تخلط وتمتزج، والطير تحسو، وتروح، وتصفر، والريح تسير وتهدي، كما شخص بعض المحسوسات كالهواء باستخدام أسلوب الاستعارة.

وكانت الصور الجزئية هي خير معين للشاعر في صياغة هذه الصور الكلية التي تركبت من تلكم الصور الجزئية للشفق، والطير، والريح، والشمس في الشفق، والطبيعة.

مصادر الصورة:

استمد الشعراء في الهند مادة صورهم من عدة مصادر: كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومصطلحات العلوم الشرعية، والتراث الشعري العربي، والتاريخ، والأساطير، والطبيعة، ونأخذ كلاً من هذه المصادر بشيء من التفصيل:

أ- القرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الشرعية:

كان للقرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الشرعية المتفرعة منهما كالفقه والتفسير وغيرهما أكبر منـزلة لدى المسلمين في الهند وغيرها، إذ كانت هذه العلوم هي المصادر والمنابع التي يستقي منها المسلمون شرائعهم وأحكامهم في جميع شؤون الحياة، وبالتالي كان لها المركز الأول في أنظمتهم التعليمية، فكانت حياة المسلمين بفرعيها العلمية والعملية قائمة على هذه الأسس، وكانت أنشطتهم كلها تدور حولها، ومن ثم لا غرابة إذ نرى الشعراء في الهند يستمدون منها مادّة صورهم في شعرهم، ويمكن أن يمثل لذلك بأمثلة كثيرة، منها قول الشيخ عبد الأول الجونفوري في تذكر الموت والاستعداد لما بعده، يقول[١]:

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ لِلنَّاسِ مَنْهَلاً ... وَيَأْتِيْ وَلَوْ كَانُوْا بِقَصْرٍ مَشِيْد

فهذه الصورة مأخوذة من قوله تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[٢].

١- الإعلام ٣/ ١٢٥٨.

٢- سورة النساء: ٧٨.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ومنها قول الشيخ النوراني في أبي سلمى جمال الدين الذي أراد مغادرة مدرسة جامعة دار السلام بعمر آباد في جنوب الهند بولاية تامل نادو، يقول[١]:

جَمَالُ الدِّيْنِ يَخْرُجُ عَنْ قَرِيْبٍ وَيَتْرُكُ دَارَنَا دَارَ السَّلَامِ

فَتُصْبِحُ عِنْدَنَا حُوتَ ابْنِ مَتَّى تَمُجُّ الدُّرَّ بَعْدَ الالْتِقَامِ

فقد أخذ الشاعر هذه الصورة من قوله تعالى في صورة الصافات ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[٢].

ومنها قول الشيخ فيض الحسن السهارن فوري في ذكر صباه[٣]:

كَانَ لِيْ إِذْ بَدَا الصَّبَاحُ صَبُوْحُ ذَاتُ طِيْبٍ عَلَى الشَّمَالِ تَطُوْحُ

لَكِنَّنِي الْيَوْمَ تُبْتُ عَنْهَا نَصُوْحًا فَهِيَ عِنْدِيْ إِذًا دَمٌ مَسْفُوْحُ

فشبه الشاعر الخمر في الحرمة والاشمئزاز منها وكراهية النفس لها بالدّم المسفوح الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ... ﴾ الآية[٤].

كما استمد الشاعر صورة أخرى من الحديث النبوي الشريف، وتلك في رثاء الحكيم محمود حسن، يقول فيها[٥]:

لَوْ كَانَ لِيْ قُدْرَةٌ قَبَّلْتُ جَبْهَتَهُ تَقْبِيْلَ مَوْلَايَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُوْنِ

فالشطر الثاني مأخوذ من حديث عائشة أن النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو

١- الشعر العربي في كيرالا ص ٢٣٣.

٢- سورة الصافات:الآيات ١٣٩-١٤٥.

٣- ديوان الفيض ص ٥٢.

٤- الأنعام : الآية ١٤٥.

٥- ديوان الفيض ص ١١٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ميت وهو يبكي[1].

وقد استمد الشيخ أنور شاه الكشميري صوراً من مصطلحات علماء الحديث النبوي الشريف وأسماء مؤلفاتهم، في رثائه لشيخه وأستاذه رشيد أحمد الكنكوهي، يقول[2]:

فَقِـيْهٌ حَـافِظٌ عَـلَمٌ شَهِـيْرٌ ... كَـصُبْحٍ مُسْتَنِـيْرٍ هَـدْيِ سَـارِ

إِلَـيْهِ الْـمُـنْتَهَى حِفْـظًـا وَفِقْـهًـا ... وَأَضْحَى فِي الـرِّوَايَةِ كَـالْـمَدَارِ

فَفِي التَّحْدِيْثِ رِحْلَـةُ كُـلِّ رَاوٍ ... وَفِي الأَخْبَارِ عُمْـدَةُ كُـلِّ قَـارِيْ

فالكلمات «إليه المنتهى»[3] و«المدار»[4] و«رحلة»[5] من مصطلحات علماء الحديث، كما أن الكلمتين «هدى سار»[6] و«عمدة قاري»[7] من مؤلفات هذا الفن العظيم.

التراث العربي الشعري:

كان الشعراء في الهند يتثقفون على دواوين الشعر العربي القديم، فارتسمت في أذهانهم أساليبه ومعانيه، كما جاء في شعرهم كثير من صوره، ومن تلك الصور ما نراه لدى الشيخ فيض الحسن في قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول فيها مخاطباً نفسه ومعاتباً إياها على تقصيرها ويقول[8]:

خُـدِعْتَ بِـأَعْـمَالٍ تَرَاهَـا صَحِيْحَـةً ... فَـمَا أَنْتَ إِلاَّ كَـالْعَجُوْلِ عَـلَى الْـبَوِّ

فهذه الصورة مأخوذة من قول الفرزدق[9]:

١- أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت (٩٨٩).

٢- ديوان الفيض ص ١١٥.

٣- كقولهم: إليه المنتهى في التثبت، إليه المنتهى في الوضع، وهو أرفع مراتب التعديل أو الجرح. (معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص٥٦).

٤- المدار: يقصد منه ملتقى الأسانيد، فيقال: مدار هذا الإسناد على فلان، من إفادات د. الأعظمي الشفهية.

٥- معجم مصطلحات الحديث، للأعظمي، ص١٥٣، أضواء السلف، المدينة المنورة ،١٤٢٠هـ.

٦- الهدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.

٨- ديوان الفيض ١١٩.

٩- ديوان الفرزدق ٢/ ٣٧٨، تقديم وشرح: مجيد طراد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ط ١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

تَحِــنُّ بِـزَوْرَاءِ الْـمَــدِيْنَـةِ نَـاقَـتِيْ حَنِـيْنَ عَـجُـوْلٍ تَبْتَغِي الْـبَـوَّ رَائِمِ

ومن الصور التي أخذت مادتها من التراث الشعري العربي التشبيهات التي اشتملت على الخنساء[1] والمهاة[2] والجمل[3] والدّلو[4].

ومنها تضمين بعض الشعراء أشطراً من الشعراء القدامى، كقول الشيخ محمد شفيع في رثاء الشيخ محمد أحمد[5]:

وَكَـانَا «كَنَدْمَـانَيْ جَذِيْمَـةَ حِقْبَـةً» فَصَارَا كَـأَنْ فِيْمَا مَضَى مَـا تَصَاحَبَـا

فالشاعر -هنا- أخذ الصورة مع كثير من الألفاظ من قول الشاعر متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك بن نويرة[6].

كما استخدم بعض الشعراء أسماء أماكن أو أعلام شعراء أو قبائل من الجزيرة العربية كما نرى عند الشيخ محمد مهدي المصطفى آبادي إذ يقول[7]:

وَبِـدَارِ آنِسَـةٍ وَقَـفْتُ وَإِنَّنِي أَبْكِي عَلَى الأَطْـلالِ كَـابْنِ حِـذَامِ

وقول الشيخ فيض الحسن[8]:

إِذْ لاَ يُغِـيْثُ صَرِيخَ الْقَوْمِ صَـارِخُهُمْ إِذَا اسْتَعَـانَ تَمِيْـماً أَوْ دَعَـا طَـيَّا

ومثل قوله أيضاً[9]:

١- ديوان الفيض ٦٠.

٢- ديوان الفيض ٨٧.

٣- السابق ١١٩.

٤- السابق ٨٥.

٥- قضاء الأرب من رطب العرب ص٥.

٦- المفضليات ص٢٦٧، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط٦.

٧- الإعلام ٣/ ١٣٧٤.

٨- ديوان الفيض ص ٣١.

٩- ديوان الفيض ص ١٢١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لَــوْ أَنَّ مَصَــائِبِيْ حَــلَّتْ بِرَضْوَى   تَخِــرُّ عَــلَى الثَّرَى وَبِهَــا تُسَــوَّى

فالشاعر استخدم كلمة «رضوى» وهو من الجبال الشهيرة بالكبر والارتفاع في الجزيرة العربية[1] للدلالة على القوة والشدّة والصلابة.

كما ذكر الشيخ أحمد اليمني الشرواني ربي نجد في قوله[2]:

رَعَى اللهُ أَيَّـامـاً تَقَـضَّتْ بِقُرْبِهَـا   وَلَيْـلاَتِ أَفْرَاحٍ مَـضَتْ فِيْ رُبَى نَجْـد

ويذكر وادي النعمان في قوله[3]:

ذِكْـــرُ الْحِـــمَى وَمَـــرَابِعُ الأَخْـــدَانِ   أَجْـرَى دُمُـــوْعَ مُكَـــابِدِ الأَحْـــزَانِ

وَغَـــدَا بِهِ قَلِـــقًا شَحِيْطَ الــدَّارِ لاَ   يَنْفَــكُّ مِــنْ شَــوْقٍ إِلَى الأَوْطَـــانِ

طَــوْراً يَـئِنُّ وَتَــارَةً يَبْكِيْ عَــلَى   زَمَـنِ الصَّــبَا الْـمَـاضِيْ عَلَى نَعْـمَانِ

فالشعراء لم يتطرقوا إلى ذكر هؤلاء الأعلام والقبائل، أو تلك الأماكن بسبب معايشتهم لهم أو قضاء لهوهم في تلك الأماكن؛ لأنهم لا عهد لهم بها إلا عن طريق الشعر العربي القديم.

التاريخ والأساطير:

غاص شعراء هنود في أعماق التاريخ ليستخرجوا منها تحفا يشكلون بها صورهم الشعرية، ليكسبوا بها عمقا زمنياً، ودلالة ثقافية، ومن أولئك الشعراء أحمد بن عبد القادر الكوكني، يقول في قصيدة رثاء شيخه[4]:

أَيْنَ الصَّنَـادِيْدُ مِنْ فُـرْسٍ وَمِـنْ عَـرَبٍ   لَمْ يَنْـجُ دَارَا وَلاَ صَـخْرٌ وَلاَ هَــرِمُ

أَيْنَ الَّــذِيْ شَيَّــدَ الأَهْـرَامَ يَحْسَبُهَـا   تَحْـمِيْهِ عَنْ مَهْـرُمَاتٍ دُوْنَهَـا حطَـمُ

١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/ ٥١، دار صادر بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٢- نفحة اليمن ص ١٥٥.

٣- السابق ١٥١.

٤- الإعلام ٣/ ١١٧٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

سَــلْ هَــلْ تُنَبِّئُ عَنْ أَنْبَائِــهَا سَبَــأٌ ... أَوْ هَــلْ تُخَــبِّرُ عَــنْ آرَامِــهَا إِرَمُ

ولم يكتف الشاعر في الاستدلال على هذه الحقيقة التي لامراء فيها بتاريخ الفرس والعرب بل استشهد بتاريخ ملوك الهند أيضاً، فقال:

وَلْيَسْــأَلِ الْقَــلْعَةَ الْحَــمْرَاءَ طَارِقُهَا ... كَمْ مِنْ دُمُــوعٍ جَرَتْ فِيْهَــا وَطُــلَّ دَمُ

فالشاعر استدل على حتمية الموت للجميع بموت أولئك الأعاظم الذين صنعوا التاريخ، وعايشوا أحداثاً جساماً، ومع ذلك لم يغنهم شيء عن الموت، كما شبه الشيخ أنور شاه مرثيّه بفضيل وحاتم الطائي فقال[1]:

فُضَيْــلُ زَمَــانِهِ وَرَعــاً وَزُهْــداً ... وَحَــاتِمُ عَصْــرِهِ عِنْــدَ امْتِيَــــارِ

وكان السيد حامد حسين أبعد غوراً من هؤلاء الشعراء فوصل إلى زمان يوسف ليأتي من هناك بمادة لصوره، فقال[2]:

تَشَبَّــهَتْ بِزُلَيْخَــا مِصْــرَ سَطْوَتُهَــا ... تَــدُوْمُ فِي السِّجْنِ وَالأَقْيَــادِ أَسْرَاهَــا

فشبه حبيبته في السطوة بامرأة العزيز الذي كان قد اشترى يوسف عليه السلام، وسمى الشاعر امرأة العزيز بزليخا، بناء على ما اشتهر لدى العامة أنها كانت تسمى هذا الاسم.

بل كان الشيخ فيض الحسن أعمق غوراً من جميع هؤلاء الشعراء؛ إذ وصل إلى عهد عاد فقال[3]:

لَــقَدْ نُعِيَتْ لِيْ فِتْــيَةٌ مِــنْ أَحِــبَّةٍ ... عَــلَيَّ كِــرَامٍ كُــنْتُ فِيْهِــمْ مُــمَتَّعَــا
دَهَــاهُمْ فَأَفْنَــاهُــمْ وَمَنْ كَــانَ قَبْلَهُمْ ... مُصَــابٌ إِلَى لُــقْمَانِ عَــادٍ وَتُبَّعَــا[4]

١- السابق ٣/ ١٢٠٦.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٠٦.

٣- ديوان الفيض ص ٨٥.

٤- تبع ج تبابعة، ملوك اليمن، وقيل: هو ملك في الزمان الأول (اللسان: تبع).


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ولم يكتف الشيخ فيض الحسن بذكر أفراد للدلالة على أن الموت نهاية كلّ حيّ، وأن الفناء مصير كل ذي حياة، بل اتّجه إلى قبائل غارقة في التاريخ، اتجه إليها بأسرها؛ ليدلّل بها على هذه الحقيقة، فقال[1]:

هَلَكَ السَّابِقُوْنَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ ... تُغْنِ طَسْمٌ وَلَمْ تُغْنِ جَدِيْسُ
أَقْفَرَتْ مِنْهُمُ بِلاَدٌ تَرَاهَا ... لَيْسَ فِيْهَا مَجَالِسٌ وَجُلُوْسُ

ونلحظ أن أغلب هذه الإشارات إلى الشخصيات التاريخية جاءت في غرض الرثاء في معرض الحديث عن حتمية الموت وشموله، وأنه ليس لأحد مناص منه.

الطبيعة:

كانت الطبيعة إحدى العناصر المهمة التي شكل بها الشعراء في الهند صورهم، ومن الشعراء الذين نجدهم يستخدمون هذا العنصر في صورهم السيد حامد حسين الفيض آبادي يقول في وصف حبيبته[2]:

سُوْدُ الْفُرُوْعِ كَأَنَّ اللَّيْلَ خَمَّرَهَا ... بِيْضُ الْوُجُوْهِ كَأَنَّ الشَّمْسَ غَذَّاهَا
خُدُوْدُهَا كَبَلْخَشٍ فِيْ مَعَادِنِهِ ... فِي الاِحْمِرَارِ فَمَنْ رَبَّاهُ رَبَّاهَا
شِفَاهُهَا كَيَوَاقِيْتٍ يُشَعْشِعُهَا ... عِنْدَ التَّبَسُّمِ ضَوْءٌ مِنْ ثَنَايَاهَا
فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ تَحْكِيْ عَنْ غَدَائِرِهَا ... وَمَطْلَعُ الْفَجْرِ يَبْدُوْ عَنْ مُحَيَّاهَا
مِثْلُ الْقَوَارِيْرِ لِلصَّهْبَاءِ أَعْيُنُهَا ... لاَ يَسْتَفِيْقُ وَلاَ يَصْحُوْ سُكَارَاهَا
أَلْحَاظُهَا قُضُبٌ وَالْفَرْقُ مُتَّضِحٌ ... تَبْقَى دُهُوْراً بِحَالِ النَّزْعِ قَتْلاَهَا

فشبه الشاعر كل عضو من حبيبته بما يقابله من الطبيعة، فالفروع والغدائر ليل، والوجه والمحيّا صبح وشمس، والخدود بلخش، والشفاه يواقيت، والأعين قوارير الصهبا، والألحاظ سيوف.

١- ديوان الفيض ص ٨٥.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٠٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ولم يقتصر استعارة الطبيعة لتصوير جمال الحبيبة فقط بل استعارها الشيخ محمد ناظم الندوي بوصف أجمل بناء في العالم وهو روضة التاج التي بناها الملك المغولي شاهجهان تذكاراً لحبه لِشريكة حياته، ولتكون مقبرة تجمعهما بعد الوفاة، كما كان يجمعهما البلاط الملكي في الحياة، وقد تأنق في بنائه، وأبدع فيه إبداعاً على عادة الملوك المسلمين في شبه القارة الهندية في بناء مقابرهم قبل الوفاة، ومبالغتهم في التأنق في هذا البناء يقول فيها الشيخ محمد ناظم الندوي[1]:

لله دَرُّ مَا بَنَاهُ شَاهْجَهَانْ	هُوَ بَسْمَةٌ تَعْلُوْ عَلَى ثَغْرِ الزَّمَانِ
أَوْ زَهْرَةٌ بَيْضَاءُ تَزْهُوْ فِي الْجِنَانْ	أَوْ دُرَّةٌ تَلْمَعُ فِيْ جِيْدِ الْحِسَانْ
أَوْ دُمْيَةٌ مِنْ مَرْمَرٍ لِمُمَثِّلِ	مُتَأَنِّقٍ فِيْ صُنْعِهِ وَمُفَصِّلِ
صُنْعٌ يَكَادُ فَنُّهُ يَتَكَلَّمُ	بِبَرَاعَةٍ فِي نَحْتِهِ أَوْ يَبْسُمُ
وَكَأَنَّهُ فَصٌّ جَمِيْلٌ أَرْوَعُ	فِيْ خَاتَمِ الأَرْضِ يَرُوْقُ وَيَلْمَعُ
هُوَ مَاسَةٌ حَجَراً وَزَهْرٌ رَوْعَةً	يَحَارُ مَنْ يَرْنُوْ إِلَيْهِ حَيْرَةً
وَيَرُوْعُ مَنْظَرُهُ وَيَخْلِبُ لُبَّهُ	مُتَوَسِّمًا حَيْرَانَ يَلْمُسُ جَنْبَهُ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ أَوَّلَ نَظْرَةٍ	أَكْبَرْتَهُ وَقُلْتَ: أَجْمَلَ دُرَّةٍ
وَتَقُوْلُ: صِيْغَ مِنَ الضِّيَاءِ رُخَامُهُ	أَوْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ قَامَ قِوَامُهُ
كَأَنَّ مَنْ فِيْهِ[2] كَسَتْهُ جَمَالَهَا	وَتَبَرَّعَتْ لَهُ بِبَعْضِ جَلَالِهَا
حَسْنَاءُ لاَرْتَاحَ الْحَبِيْبُ بِعَقْلِهَا	وَبِحُسْنِهَا وَوَلاَئِهَا وَبِفَضْلِهَا
رَوْعَاءُ قَدْ هَامَ الْمَلِيْكُ بِفَضْلِهَا	وَبِخُلُقِهَا وَبِرَأْيِهَا وَبِنُبْلِهَا
غَرَّاءُ قَدْ مَلَكَتْ فُؤَادَ حَلِيْلِهَا	بِذَكَائِهَا وَوَفَائِهَا وَجَمَالِهَا

١ – الزهرات ص ٣٥.

٢ – يقصد به الملكة ممتاز محل المدفونة في تلك الروضة.



ولا شكّ في أن الشاعر برع وأبدع في وصف هذه المقبرة، كما حاول بانيها التأنق والإجادة في بنائها، ويرى الشاعر أن جمالها ليس مستمدا من عناصر الطبيعة الجامدة الصامتة فقط، بل اكتسبت الروضة ذلك الجمال الباهر، والحسن الكامل من تلك الملكة المدفونة فيها، والتي وصفها بالأبيات الثلاثة الأخيرة.

ولم تكن الطبيعة الصامتة فقط مصدر التصوير لدى الشعراء في الهند بل اتخذوا من الطبيعة الحية المتحركة أيضاً مادة لصورهم كما رأينا في تشبيهاتهم بالجمل، والخنساء، والمهاة، والشخصيات القديمة.

وبعد هذا العرض لأهم أنواع الصورة ومصادرها لدى شعراء العربية في الهند يمكننا تلخيص ما يأتي:

١- الأسلوب التقريري هو الغالب في الشعر العربي في الهند على الأسلوب التصويري، ومع ذلك نجد لدى الشعراء اهتماماً بالصورة.

٢- تنوعت الصورة في الشعر العربي في الهند بين صورة جزئية وكلية، وبين صورة لغوية حقيقية، وصورة بيانية مجازية.

٣- أكثر الشعراء في الصور البيانية من أسلوب التشبيه، ثم الاستعارة، ثم الكناية ثم المجاز، وذلك لأهمية دور التشبيه والاستعارة في التصوير.

٤- حاول الشعراء في الهند تجسيد المعنويات، وتشخيص الجماد وإضفاء الحياة عليه.

٥- حاول بعض الشعراء الإتيان بصور موحية إلى جانب الصور التقريرية.

٦- حاول الشعراء إضفاء الحركة على صورهم، فحينما صوروا الطبيعة المتحركة لم يصوروها جامدة ساكنة، بل صوروها متحركة كما هي.

٧- استمد الشعراء مادة صورهم من مصادر متنوعة، كالقرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الشرعية، والتراث الشعري العربي، والتاريخ والقصص والأساطير، والطبيعة الحية والصامتة.

وهذا يدل دلالة واضحة على معرفة الشعراء في الهند بقيمة هذا العنصر الهام في الشعر، ومحاولتهم إتقان هذا الجانب في شعرهم؛ ليكسوه جمالا ويعطوه قيمة فنية.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المطلب الثالث

موسيقا الشعر

تعد الموسيقى أبرز صفات الشعر، وإحدى مقوماته الفنية، ويقصد بها ما في الشعر «من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بعد قدر معيّن منها»[1].

والموسيقى تؤثّر في الوجدان وتحرّك المشاعر، وتهب للكلام قدراً من التجلة والاحترام، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه.

وقد كان القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر ما يميّزه عن النثر إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي ؛ لأن الشاعر قد يستغني عن الخيال في بعض أجزاء قصيدته، ولكنه لا يستغني عن الموسيقى، فالإيقاع الموسيقي إذن هو جوهر الشعر، وأي خلل في هذا الإيقاع يتبيّنه الحس، وتدركه الأذن.

وتنقسم الموسيقى إلى قسمين: ظاهرة خارجية، وخفية داخلية.

فالقوالب العروضية التي يصبّ فيها الشاعر تجربته الشعرية فيما يعرف بالوزن والقافية تلك هي الموسيقى الظاهرة الخارجية، ووراءها موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما يشيع فيها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام، وبهذه الموسيقى الخفية، يتفاضل الشعراء[2].

ونريد الآن أن نقف على كل من هذين القسمين لدي شعراء العربية في الهند، لنفصّل القول في هذين الأمرين.

أولاً: الموسيقى الخارجية

سبق أن ذكر أن الموسيقى الخارجية تشتمل على عنصرين هامّين (الوزن والقافية)، ونشرع الآن في دراسة كل منهما.

(أ) الوزن

للوزن أثر في التصوير الشعري ؛ لأنه هو ضابط الإيقاع الذي يحكم التوقيت الزمني للمترددات الموسيقية، والوزن من الكلام الذي يشتمل عليه بمنـزلة القالب من المادّة

١- موسيقى الشعر ، د.إبراهيم أنيس ص ١٣، دار القلم بيروت لبنان، ط ٤، ١٩٧٢م.

٢- فصول في الشعر والنقد ، د.شوقي ضيف ص ٥٢ دار المعارف، القاهرة ط ٢، ١٩٧٧م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التي تنصبّ فيه[1]فهو عنصر جوهري في الصوت الموسيقي «يتيح للأذن أن تتوازن مع الاهترازات الخارجية كتوازن الآلات بعضها مع بعض قبل البدء بالعزف، ويتيح لنا التنبؤ بالأصوات والتهيؤ لها، فهو عنصر معلوم في إحساسات سمعية مجهولة»[2].

والوزن -كان ولا يزال- يحتلّ مكانة مرموقة، فقديماً قال أبو العلاء المعري معرفاً الشعر بأهم عناصره وهو الوزن: «الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، إن زاد أو نقص أبانه الحس»[3] وترى نازك الملائكة أن «الوزن في يد الشاعر قمقم سحري يرشّ منه الألوان والصور على الأبيات المنغومة»[4].

ولم يغفل الشعراء في الهند عن الاهتمام بهذا العنصر الهام من عناصر الموسيقى، وبعد استقصاء عدد كبير من القصائد الموجودة لديّ يمكنني تلخيص ما توصلت إليه في هذا الصدد على النحو التالي:

١- نظم الشعراء في الهند على أحد عشر بحراً من بحور الشعر العربي، إضافة إلى مجزوء الكامل والوافر أيضاً.

٢- يمكننا تقسيم البحور الشعرية - حسب ورودها في الشعر العربي في الهند إلى الأقسام الأربعة الآتية:

أ- بحور شائعة الاستخدام، وهي أربعة بحور: الطويل، والبسيط، والكامل، والوافر، فعدد كبير جدا من قصائد الشعر العربي في الهند جاءت على هذه الأوزان الأربعة .

ب- بحور متوسطة الشيوع: وهي بحرا الخفيف والرمل.

ج- بحور قليلة الشيوع: وهي خمسة أبحر: السريع، والهزج، والرجز، والمتقارب، والمتدارك.

د- بحور مهجورة، وهي الأبحر الخمسة الباقية وهي: المديد، والمنسرح، والمجتث، والمضارع، والمقتضب.

وبهذا أرى أننا نتقارب جداً من تلك النتيجة التي وصل إليها الدكتور إبراهيم أنيس بعد استقصائه لعدة دواوين ومجاميع للشعر العربي القديم والحديث، حيث يقول: «تلك

١- بين شاعرين مجددين: إيليا أبو ماضي وعلى محمود طه المهندس ، د.عبد المجيد عابدين ، ص ١٢٧، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٦٣م (بتصرف).

٢- الصورة في شعر بشار بن برد ، د.عبد الفتاح صالح نافع ، ص ٢٩١، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ، ١٩٨١م.

٣- أبو العلاء الناقد الأدبي ، للدكتور.السعيد السيد عبادة ، ص ١٣٥، دار المعارف، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

٤- الصورة والبناء الشعري ، د.محمد حسن عبد الله ، ص ١١، دار المعارف مصر، ط ١، ١٩٨١م.



(أي الطويل، والبسيط، والكامل، والوافر، والخفيف) هي البحور الخمسة التي ظلّت في كل العصور موفورة الحظّ يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم منها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية».

أما المتقارب والرمل والسريع فتلك بحور تذبذبت بين القلة والكثرة، يألفها شاعر ويكاد يهملها آخر[١].

فالشعر العربي في الهند كان يدور - في جانب الوزن- في الفلك نفسه الذي كان يدور فيه الشعر العربي في بيئات عربية أخرى ولا نكاد نجد فيه خلافاً ملموساً.

٣- يلحظ مما ذكر أن الشعراء في الهند كانوا يميلون إلى البحور التامة والأوزان الكثيرة المقاطع، ويؤثرونها على البحور القصيرة والمجزوءات، وذلك لأنهم كانوا ينظمون في موضوعات تتسم بالجدّية وتتطلب طول النفس في الإنشاد كالمدح والرثاء والدعوة إلى الجهاد، والحث على الاستعداد لما بعد الموت، والسعي إلى نشر الفضائل وإخماد الرذائل ولم يكن الشعر العربي في الهند يستخدم في الغناء واللهو اللذين يقتضيان أوزاناً خفيفة، قليلة المقاطع كالمجتث والمتدارك وغيرهما.

٤- لم ينظم شعراء العربية في الهند على أوزان المولدين كالمواليا[٢]. والكان وكان[٣] والدوبيت[٤] ولم نجد لديهم نظم الموشحات[٥] والأزجال[٦] التي شاعت بين الأندلسيين.

١- موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١٠.

٢- موسيقى الشعر ٢١١.

المواليا: فن من فنون الشعر، وضع للغناء، قيل: إن أول من تكلم بهذا النوع بعض أتباع البرامكة بعد نكبتهم، فكانوا ينوحون عليهم، ويكثرون من قولهم «يا موالي» فصار يُعرف بهذا الاسم، وتركيب الموالي على الغالب من بيتين، تختم أشطرهما الأربعة بروي واحد. (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، سيد أحمد الهاشمي ١٥٢-١٥٣).

٣- الكان وكان: نظم واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الثاني، ولا تكون قافيته إلا مردوفة، وأجزاؤه المعهودة، هي:

مستفعلن، فاعلاتن، مستفعلن، مستفعلن مستفعلن، فاعلاتن، مستفعلن، فعلان.

وأول من اخترعه البغداديون. (ميزان الذهب ١٥٤).

٤- الدوبيت: لفظ «دوبيت» مركبة من كلمتين: معنى الأولى منهما «دو» اثنان، وثانيتهما «بيت» هي بمعناها العربي، فلا يقال منه إلا بيتان بيتان في أي معنى يريده الناظم، ولا يجوز فيه اللحن مطلقا، وله أنواع، وهو وزن منقول من الفارسية إلى اللغة العربية. (ميزان الذهب ١٤٤-١٤٥).

٥- الموشح: اخترعه الأندلسيون، وكانوا ينظمونه في البدء «أسماطا وأغصانا» ويسمونها «أقفالا وخرجات» ويتركب القفل من أربعة أشطر، والغصن من ثلاثة أو خمسة أو سبعة، وقد يجزئون البيت إلى أجزاء يلتزمون فيها القافية جميعاً، وليس له وزن معلوم أو محدد، أو قيد معروف.(العروض الواضح، د. ممدوح حقي ، ص ١٥٥-١٥٦).

٦- الزجل: ليس له وزن معين، وإنما قائده في الغناء الإيقاع فقط، وهو إلى العامية الصريحة أقرب منه إلى اللغة الفصيحة، وليس لقوافي أشطره قاعدة معينة، بل يتبع في ذلك ذوق الزجال وإحساسه الموسيقي والتصويري.(العروض الواضح ص ١٧٢).



٥- لم نجد في الشعر العربي في الهند أي تجديد في باب الأوزان كما لم نجد لديهم - في هذا الجانب- أيَّ تأثر بالبيئة التي كانوا يعيشون فيها، بل جاء جميع شعرهم على الأوزان العربية التقليدية الخليلية.

٦- ونلحظ أن الشعر العربي في الهند لا يساند تلك البحوث والدراسات التي تحاول جاهدة الربط بين الأوزان والموضوعات بعينها، إذ كان أغلب القصائد في الشعر العربي في الهند - على نسق الشعر الجاهلي والإسلامي- متعددة الموضوعات، متنوعة الأغراض، ومع ذلك لم يضرها اتحاد الوزن بعينه، وهذا يؤكد لدينا ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف في هذه القضية حيث يقول: «إنّ حقائق شعرنا تنقض ذلك نقضاً تاماً، إذ القصيدة تشتمل على موضوعات عدة، ولم يحاول الشعراء أن يخصوا الموضوعات بأوزان لها، لا تنظم إلا فيها، فكل موضوع ينظم في أوزان مختلفة، وكل وزن نظمت فيه موضوعات مختلفة»[١].

٧- ولم يكن الشعر العربي في الهند بمنجاة من بعض الأخطاء في جانب الوزن كانكسار الوزن بسبب زيادة أو نقص، مما يؤدّي إلى خلل واضح في الموسيقى، وقد وجدت أمثلة عديدة من هذا النوع، منها على سبيل المثال، ما قاله الشيخ إسحاق بن إبراهيم القنوجي في مدح النواب صديق حسن خان القنوجي[٢]:

بُشْرَى فَفِرْدَوْسُ النَّشَاطَ قَدِ ازْهَرَا ... وَاهْتَزَّ عُنْقُوْدُ الْمُنَى فَتَنَوَّرَا

وَالأَرْضُ كَالأَطْلاَلِ مُخْصَبَةٌ خَضِرَةٌ ... فَإِذَا تَشَمَّسَ عَادَ يَوْمًا مُقْمِرَا

فالقصيدة من الكامل، ولكن زاد الشاعر في عروض البيت الثاني سبباً ثقيلاً مما أدّى إلى انكسار الوزن واختلال النغمة الموسيقية.

والشيخ محمد الفلكي الجمالي المليباري حذف سبباً ثقيلاً من آخر التفعيلة الأولى من مطلع قصيدته التي نظمها في دار الأيتام بترورنغادي، يقول فيها[٣]:

١- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف ١٥٢.

٢- الإعلام ٣/ ١١٨٤.

٣- الشعر العربي في كيرالا ١٤٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَلاَ هَـــبَّ أَيْتَـــامٌ وَقَـــامُوْا صَبَاحـــاً بَعْـدَ أَنْ رَقَـدُوْا وَنَـامُوْا

وَسَـــارُوْا مُسْرِعِـيْنَ تِجَـــاهَ نَهْــرٍ وَبَعْــدَئِذٍ قَـــدِ انْغَمَسُـوْا وَحَـامُوْا

فالقصيدة من بحر (الوافر) وقد جاءت التفعيلة الأولى مقطوفة (فعولن) والقطف لايدخل الحشو وإنما هو واجب في تام الوافر عروضاً وضرباً[١].

٨- وقد لجأ بعض الشعراء إلى ضرورات شعرية كصرف الممنوع من الصرف في قول الشيخ إعجاز أحمد السهسواني[٢]:

قَـدْ جُـبْتُ فِيْ طَلَـبِ الْعُلُوْمِ مَفَـاوِزاً وَمَهَـالِكًـا كَالْهَـائِمِ الْمُـتَشَوِّقِ

فـ مفاوز ومهالك، ممنوعان من الصرف، ولكن الشاعر صرفهما بإدخال التنوين حفاظاً على الوزن.

ومنها أيضاً قطع همزة الوصل أو العكس، فمثال قطع همزة الوصل قول الشيخ حبيب الرحمن العثماني[٣]:

رِيَـاضُ الْفَضْـلِ إِهْـتَزَّتْ رُبَاهَـا وَزَهْـرُ الـدِّيْنِ تَبْتَسِمُ ابْتِسَـامَـا[٤]

وقوله[٥]:

أَقَـامُوْا بَعْـدَ وَهْيٍ وَانْتِكَـاسٍ عَمُـوْدُالـدِّيْـنِ حَـتَّى إِسْتَقَـامَـا

فالكلمتان: (اهتزت، واستقاما) الهمزة فيهما للوصل، ولكن الشاعر أعطاها حكم القطع، وأبقاها ليستقيم الوزن.

أما وصل همزة القطع، فمن أمثلته قول الشيخ سعيد أحمد حسرت في الغزل وذكر الخمر[٦]:

١- القطف: اجتماع الحذف والعصب.

٢- الإعلام ٣/ ١١٩٠.

٣- معين اللبيب ص ٦٠.

٤- هكذا في المرجع: والصواب يبتسم ابتساما.

٥- المرجع السابق نفسه.

٦- ديوانِ حسرت ص ١٠١، مخطوطة في خانقاهِ مجيبه، فلواري شريف، بتنه.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَابْتَـــغِيْ قَـهْـــوَةً مُشَعْشَـعَـــةً نَقَـضَتْ عَهْـــدَ زَاهِـــدٍ نِسِّيْـــك

وقول الشيخ فيض أحمد البدايوني[1]:

وَلاَ تَظُنَّ لِنَـجْمٍ سَعْـدًا أَوْ نَحِسَـــا فَإِنَّهَـــا لِـــوُجُوْدِ الْحَـــقِّ آيَـــاتُ

فالكلمتان: أبتغي، وأو، الهمزة فيهما قطعية لكن اضطر الشاعر إلى حذفها ومعاملتها معاملة همزة الوصل حفاظا على استقامة الوزن.

ومن الضرورات التي ارتكبها الشعراء في الهند حذف الهمزة كما في قول الشيخ عبد الله الجيتيكر[2]:

يَـــا شَوْقُ بَلِّـــغْ إِلَى سَـادَاتِيَ الْعُلَــمَا سَــلاَمَ عَبْـدٍ كَـئِيْبٍ كَـــابَدَ الأَلَـمَـــا

فالشاعر قصر الممدود في كلمة العلماء مراعاة للوزن والروي.

ولا شك أن هذه الضرورات كلها جائزة للشعراء كما صرّح بذلك ابن جني[3] لأنها لا تفسد الموسيقى، ولا تخلّ بها.

(ب) القافية:

تعدّ القافية القسيم الآخر في الموسيقى الخارجية، وهي -كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «عدّة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكوّن جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية»[4] فهي بمشابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها وهي من العناصر المهمّة في إيقاع الشعر؛ لأنها تمثل القرار والإيقاع لأمواج النغم، ومن هنا كانت أهميتها في تشكيل الصورة الشعرية.

وقد اشترط النقاد العرب «مشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية، وقالوا: إن القافية يجب أن تكون كالموعود به المنتظر، يتشوفها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مقرّها، مجتلبة لمستغن عنها»[5] وقد سمّوا اجتلاب القافية بالاستدعاء، وهو

١- الإعلام ٣/ ١٠٦٧.

٢- المرجع السابق ٣/ ١٢٩٤.

٣- الخصائص ، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار ١/ ٣٢٣، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٤- موسيقى الشعر ، د.إبراهيم أنيس ص ٢٤٦.

٥- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص ١١ ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط ٢، ١٣٨٨هـ ـ١٩٦٨م.



ألاّ يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية، فتخلو حينئذ من المعنى[1]كما اشترطوا أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج[2].

أما تحديد تلك الأصوات المتكررة في آخر البيت فهي -على الراجح- تطلق على الحرفين الساكنين آخر البيت وما بينهما من الحروف مع المتحرك الذي قبلهما[3].

وأهم هذه الحروف الروّي، فهو الحرف الوحيد الذي يلازم القوافي جميعها «وعليه تبنى القصيدة وإليه تنسب»[4] لتكراره بعينه مع حركته الخاصة.

أما قضية الربط بين القوافي والموضوعات الشعرية فقد أشار إليها بعض النقاد قديماً وحديثاً كابن طباطبا[5]وأبي هلال العسكري[6]وأبي العلاء المعري والبستاني[7].

ولكن الصواب - أنه لا توجد علاقة بين الروي وموضوع الشعر أيضاً، فالأمر فيه كالأمر بين الوزن وموضوع الشعر. وإن كان الدكتور حسين نصّار يوكّد أن النظام وشعراء عصور الضعف، الذين تحوّل الشعر عندهم من خَلق فني إلى صناعة عقلية كانوا يسعون في وعي تام وراء قوافيهم[8] لكن الشاعر المبدع هو الذي لا يعتمد روياً يختاره عن قصد، وإنما يكون اختياره له عفويا[9] بحسب شعور الشاعر وما تمليه تجربته الشعرية.

وإذا استثنينا الشيخ فيض الحسن السهارنفوري الذي تتبع المعري في جعل جمع حروف المعجم رويا لقصائده نجد أن بقية الشعراء قد استخدموا ثمانية عشر حرفاً من حروف المعجم روياً في قصائدهم، واختلفت نسبة مجيئها روياً، ويمكننا تقسيم حروف المعجم بحسب ورودها روياً في الشعر العربي في الهند إلى أربعة أقسام:

أ- ما كثر مجيئه روياً وهو:الميم، اللام، الدّال، الراء، النون، الباء

١- العمدة ٢/ ٧٣.

٢- نقد الشعر ٥١.

٣- الكامل في العروض والقوافي محمد قناوي ١٨٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤- الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق عمر يحيى فخر الدين قباوه ص ١٤٩، دار الفكر، دمشق ط ٢، ١٣٩٥م.

٥- عيار الشعر ٥.

٦- الصناعتين ١٣٩.

٧- مقدمة الإلياذة، سليمان البستاني، ص ٩٧ مطبعة الهلال بمصر ١٩٠٤م.

٨- القافية في العروض والأدب، د. حسين نصار، ص ١٢٨، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٩- من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي ص ٨٣، مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية ١٩٧٥م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ب- ما توسط مجيئه روياً وهو: التاء، العين، السين، الهاء الياء.

ج- ما قل مجيئه روياً وهو: الكاف، القاف، الفاء، الضاد، الحاء، الهمزة، الألف المقصورة.

د- ما لم يأت روياً مطلقا وهو: الثاء، الجيم، الخاء، الذال، الزاي، الشين، الصّاد، الطاء، الظاء، الغين، الواو.

ونلحظ أن نسبة وقوع حروف المعجم روياً قلة وكثرة تتقارب جداً بما توصل إليه كل من الدكتور عبد الله الطيب[١] والدكتور إبراهيم أنيس[٢] حيث قسم الدكتور الطيب حروف المعجم إلى ثلاثة أقسام: القوافي الذلل، والقوافي النفر، والقوافي الحوش.

ويتبين لنا أن الشعراء في الهند قد تجنبوا القوافي الحوش التي توصل إليها الدكتور الطيب تجنبا تاماً فلم ينظروا إليها، أما القوافي النفر فقد جاءت في شعرهم على قلة.

أما بقية حروف المعجم فهي مما أطلق عليه الدكتور الطيب القوافي الذلل، وهي تتفق كذلك مع ما توصل إليه الدكتور إبراهيم أنيس في ترتيبه للقوافي من حيث كثرة شيوعها. مما يدل على اهتمام الشعراء في الهند بموسيقى شعرهم اهتماماً كبيراً.

ويلحظ أنّ من بين ثمانية عشر حرفا من حروف الرويّ، وهي مجموع ما نظم فيه شعراء الهند، هناك اثنا عشر حرفاً مجهوراً وستة أحرف مهموسة، ومن هنا يتبين غلبة الحروف المجهورة على روي شعراء الهند.

وتنقسم القوافي من حيث الإطلاق والتقييد إلى قسمين: القافية المطلقة، وهي ما كان رويها متحركا، والقافية المقيدة، وهي ما كان رويها ساكنا[٣].

والقافية المطلقة تشكل الأغلبية الساحقة في الشعر العربي في الهند، وهذه سمة عامة تميز الشعر العربي كلّه؛ لأنّ القافية المطلقة أكثر وضوحاً في السمع، وأشد أسراً للأذن، فالرويّ فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد، وتصبح حينئذ حرف مدّ، وقد استقرّ في علم الأصوات الحديث أن هذه الحركة أوضح من حرف الرويّ نفسه، وذات تأثير قويّ في السمع[٤] وهي مما يسميه علماء الأصوات بأصوات اللين وهي

١- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، ص ٥٨-٧٩.

٢- موسيقى الشعر ص ٢٧٥.

٣- العروض الواضح ، د. ممدوح حقى ص ١٣١، دار مكتبة الحياة، بيروت ط ١٤، ١٩٧٠م. وميزان الذهب في صناعة شعر العرب، سيد أحمد الهاشمي ١١٩، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان. ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٤- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس ٢٨٥.



الأصوات الصائتة التي تتسم بالوضوح السمعي، فعند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم الحلق والفم في ممرّ خال من الحوائل والموانع[1].

أما القافية المقيدة فقليلة جداً، في الشعر العربي في الهند، كما أنها قليله الشيوع في الشعر العربي عموماً[2] لأنها تنتهي بحرف ساكن، وعند الوقوف عليه فإنه يغمض، ويقل وضوحه في السمع حتى لا تكاد تدرى حقيقته أو تحسّ موسيقاه.

تنويع القوافي:

رُوي لنا الشعر العربي القديم من العصرين الجاهلي والإسلامي في صورة القصيدة ذات القافية الموحدة، وبقيت على هذه الحالة طوال القرون التي بقيت فيها العروبة خالصة أو تكاد.

ولما كان العصر العباسي وامتزجت الثقافة العربية الخالصة بثقافات جديدة، وتحوّلت الحياة العربية من البداوة إلى حضارة ذات مدنية عظيمة، وازدهر الغناء والموسيقى، ابتكرت نظم جديدة في القوافي، تلبيةً لحاجات المجتمع الجديدة، واتساقاً مع الموسيقى التي راجت فيها، فشاعت أشكال جديدة للقصيدة العربية كالمسمطات والمزدوجات، والرباعيات وغيرها[3] وازدهرت ازدهاراً كبيراً في العصر المملوكي في الشام[4] ونرى الشعراء في الهند قد نظموا على بعضٍ من هذه الأشكال الجديدة، كالمخمس، والمزدوج وغيرهما. وأهم هذه الأشكال:

المخمس:

أطلق النقاد والأدباء هذا الاسم على قصائد مقسمة إلى مقاطع، يضم كلٌّ منها خمسة أشطر، لها نظام خاص في قوافيها، فقد يكون كل قسم من هذه الأقسام مستقلاً تمام الاستقلال في قوافيه وأوزانه، وقد تتكرر فيه قافية الشطر الخامس من كل قسم من

١- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ص٢٦، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ط٤، ١٩٧١م.

٢- موسيقى الشعر ص ٢٨٩.

٣- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل ، د. شوقي ضيف، ١٩٣-٢٠٠، دار المعارف، القاهرة. ط ٨، ١٩٨٢.

٤- الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د.عمرو موسى باشا ، ص ٦١٥، دار الفكر المعاصر، بيروت ،ط١ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، د.شوقي ضيف ، ص ١٢٨-١٢٩، دار المعارف القاهرة، ط٢ ١٩٩٠م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أقسام المقطوعة[1].

وقد ينظم الشاعر المخمس رأساً، وقد يعمد إلى بيت شعر معروف، فيقدم عليه ثلاثة أشطر قوافيها جميعاً، هي قافية الشطر الأوّل من البيت (العروض) [2].

ومعظم ما جاءنا من شعراء الهند كان من النوع الثاني من المخمسات التي كان يعمد فيها الشاعر إلى قصيدة معروفة، ويضيف إلى كل بيت منها ثلاثة أشطر من شعره، «وكان الشكل الشائع عندهم- ليسره- أن يقدم الشاعر أشطره الثلاثة مقفاة بقافية صدر البيت الذي خمسه»[3].

ومن أمثلة المخمسات لدى شعراء الهند ما قاله الشيخ عبد الحليم الصديقي مخمساً أبيات جعفر بن علية الحارثي[4]، يقول:

فَــمَا لِبَنَـــاتِ الشَّوْقِ وَهْنــاً تَطَلَّـــعَتْ   وَمَـــا لِجُفُوْنِيْ عَنْ عُـــيُوْنِيْ تَقَلَّـــصَتْ

أَحُلُـــماً أَرَى أَمْ أُمُّ عَفْـــرَاءَ أَقْبَـلَتْ   "عَـجِبْتُ لِـمَسْرَاهَـــا وَأَنَّى تَخَـلَّصَتْ

إِلَيَّ وَبَـــابُ السِّـــجْنِ دُوْنِيَ مُغْـــلَقُ»

تَجَـلَّتْ فَـأَحْـــزَانِيْ بِزَوْرَتِهَـا انْجَـلَتْ   رَأَتْـنِيَ بَـشًّـــا رَابِضًـــا فَتَبَسَّمَــتْ

أَضَـــاءَتْ عَرِيْنِيْ بِالْـمَبَـاسِمِ إِذْ بَـــدَتْ   "أَلَـمَّــتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَـامَتْ فَــوَدَّعَتْ

فَلَـمَّا تَوَلَّتْ كَـــادَتِ الـــنَّفْسُ تَزْهَـــقُ»

ومنها أيضاً ما قاله الشيخ محمد وحيد الدين العالي مخمساً قصيدة الفرزدق المشهورة في زين العابدين علي بن الحسين بن على رضى الله عنهم، يقول[5]:

١- موسيقى الشعر، ص ٣٣٨-٣٣٩ بتصرف.

٢- العروض الواضح ، د. ممدوح حقي ١٧٩ .

٣- القافية في العروض والأدب ١٧٦ .

٤- مجلة الضياء، ص ٣٠.

٥- الجواهر الزاهرة في مدح النبي وآله الطاهرة ، محمد وحيد الدين العالي الحيدر آبادي ، ص ١٠ ، نيشنل برنتنك بريس، حيدر آباد ، ١٩٥٨م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

هَـذَا الَّـــذِيْ لاَتَنَـالُ الـشَّمْسُ شُهْـرَتَهُ وَلَـــيْسَ يُنْـــكِرُهُ مَـــنْ شَـــامَ غُـــرَّتَهُ
هَـذَا الَّـــذِيْ تَلْثُمُ الأَفْـــلاَكُ عِقْوَتَـــهُ "هَــذَا الَّذِيْ تَعْرِفُ الْبَطْحَــاءُ وَطْــأَتَــهُ
وَالْــبَيْتُ يَعْــرِفُهُ وَالْحِـــلُّ وَالْحَـــرَمُ"

وقد نوّع الشعراء في الهند في القصائد التي أخذوها للتخميس بين الزمان والمكان، فإن كان الشيخ عبد الحليم خمس قصيدة لشاعرحماسي وخمس العالي لقصيدة الفرزدق فهناك شعراء خمسوا قصيدة النفس لابن سينا، والقصيدة النبوية للبوصيرى، كما خمسوا قصائد لشعراء الهند أيضاً، فنرى الشيخ عبد العزيز خمس عدة قصائد لوالده الشاه وليّ الله الدهلوي، ونرى السيد على بن عباس التستري أيضاً خمس بعض قصائد لوالده مع تخميسه لقصيدة البوصيري، كما خمّس الشيخ سليمان بن داود البهلواري قصيدة محمد عباس التستري وخمّس الشيخ عبد الرحمن سيوهاروى قصيدة الشيخ حبيب الرحمن في الرثاء، وخمّس الشيخ محمد يوسف البنوري قصيدة الشيخ إعزاز علي في وصف الكتاب، يقول فيها[1]:

رَأَيْتُ الْخَـــيْرَ فِيْ كَـــنَفِ التَّـــوَلِّيْ وَأَمْنـــاً فِي التَّعَـــزُّلِ وَالتَّـــخَلِّيْ
فَـــآثَـرْتُ الْخُــمُوْلَ عَلَى التَّجَـــلِّيْ "أَلاَمُ عَــلَى التَّـــجَنُّبِ وَالتَّـــخَلِّيْ
فَقُـــلْتُ أُجِـــيْبُهُمْ هَــذَا شِعَـــارِيْ"

ويقول الشيخ عبد العزيز مخمسا قصيدة والده في مدح الرسول ﷺ [2]:

غُمُــوْمِي نَدِيْمِي وَالْبَلاَءُ مُصَـــاحِبِيْ وَسَقْيِيَ كَــأْسِيْ وَالْـمَــنَايَــا مَشَــارِبِيْ
تَشَـــابَهَ مِـنْ فَوْقِي وَتَحْـــتِيْ مَصَــائِبِيْ "كَــأَنَّ نُجُوْمــاً أَوْمَضَتْ فِي الْغَيَـاهِبِ
عُيُــوْنُ الأَفَــاعِيْ أَوْرُؤُوْسُ الْعَقَـــارِبِ"

ويلحظ أن الشعراء في الهند كانوا في الغالب – يخمسون كامل القصيدة، ولم يكونوا

---

١ – القصائد البنورية ص ٢٤٨.

٢ – ديوان الشاه ولى الله الدهلوي مخطوط في مكتبة ندوة العلماء رقم ٣٥٨، ومجلة القاسم ص ٢١. عدد صفر ١٣٣١هـ.



يكتفون باختيار أبيات بعينها.

المزدوج:

وهو النوع الثاني من الشعر المتنوع القافية الذي اختاره الشعراء في الهند لصب تجاربهم الشعرية فيه، والمقصود بالمزدوج تلك القصيدة التي تتميز فيها القافية مع كل بيت، وتتحد في الشطرين المتقابلين من كل بيت[1].

وقد كثر النظم عليه في العصر العباسي الأوّل وما بعده من العصور. ووجده الشعراء أليق بنظم القصص الطويلة والحكم والأمثال، وما أرادوا نظمه من مسائل العلوم، لأن الشاعر يستطيع أن ينظم فيه بدون مشقة أو تعب.

ولم نجد لدى شعراء العربية في الهند احتفالا بالمزدوج، فلم ينظم عليه إلا الشيخ محمد ناظم الندوي، فقد اشتمل ديوانه على ستّ مزدوجات إحداها في وصف المقبرة الشهيرة تاج محل في آغرا، وأخراها في الترحيب بزميله الفاضل الشيخ أبي الحسن علي الندوي حين زار باكستان، وقصيدتان في نقد الحضارة المادّية المعاصرة، والخامسة في وصف أخلاق اليهود، والسادسة في ذكر هجومٍ في تل أبيب، يقول في وصف تاج محل[2]:

لله دَرُّ مَـــا بَنَـــاهُ شَـاهْجَهَـــانْ	هُوَ بَسْمَةٌ تَعْـلُوْ عَـلَى ثَـغْرِ الـزَّمَـانِ
أَوْ زَهْـــرَةٌ بَيْضَـــاءُ تَـزْهُوْ فِي الْجِنَـانْ	أَوْ دُرَّةٌ تَلْــمَعُ فِيْ جِيْدِ الْحِسَــــانْ
أَوْ دُمْيَـــةٌ مِــنْ مَرْمَــرٍ لِـمُمَثِّــلِ	مُتَــأَنِّــقٍ فِيْ صُنْعِـــهِ وَمُفَصِّــلِ
صُنْـــعٌ يَكَـــادُ فَنُّـهُ يَتَكَــلَّمُ	بِبَرَاعَـــةٍ فِي نَــحْتِهِ أَوْ يَبْسُـــمُ

والمزدوجة تقع في ٣٤ بيتاً، فيها وصف رائع لهذه المقبرة وبانيها، كما فيها دعوة إلى التذكرّ والاعتبار بصروف الدهر، التي لا تدوم على حال. ويقول في قصيدة (لأخلاق

١- موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس، ٣٣٣، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل، د.شوقي ضيف ١٩٦ (بتصرف).

٢- مجلة البعث الإسلامي، الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، عدد شوال ١٣٩٨هـ ص ٧١، الزهرات، لمحمد ناظم الندوي ٢٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اليهود) [1]:

قَــــدْ زَيَّنُـــوْا كُـــلَّ الْفَسَـــادْ   بِـــاسْمِ الصَّـــلاَحِ وَالرَّشَـــادْ
فَسَـــرَى الْفَسَـــادُ فِي الأُمَـــمْ   كَـــالنَّـــارِ شَـبَّتْ فِي الْحِـــمَمْ
شَـــرُّ الرِّبَـــا بِهِـــمُ انْفَـــجَرْ   وَطَـــمَّ سَيْــــلاً وَاسْتَـــقَرّ
قَـــدْ مَهَّـــدُوْا طُـــرُقَ الرِّشَـــا   وَأَتْـقَنُــــوْا نُـــظُـمَ الرِّبَـــا
نَشَـــأُوْا عَلَى أَكْـــلِ الْـــحَرَامْ   وَزَيَّـــنُـــوْهُ لِـــلأَنَـــامْ
مَصُّـــوْا دِمَـــاءَ الْعَامِلِـــيْنْ   أَثْـــرَوْا وَأَشْقَـــوْا كَـــادِحِيْنْ
نَزَفُـــوْا جُهُـــوْدَ الزَّارِعِـــيْنْ   وَجَنَـــوْا ثِـــمَارَ الْغَـــارِسِـــيْنْ
مَـــنْ خُـــلْقُـــهُ ذَا لاَ يَسُـــوْدْ   إِنَّ الْيَهُـــوْدَ لَـــنْ تَسُـــوْدْ

واستمر على هذا النمط في تعداد قبائحهم ورذائلهم، ويبيّن مغبة من يتخذهم أولياء، وأن الخزى والعار لهم بالمرصاد.

ولم نجد أحداً من الشعراء في الهند غير الشيخ محمد ناظم الندوي ينظم المزدوجات ماعدا ما رأيناه عند الشيخ محمد عباس الشوستري، فحاول أن ينظم القصائد على كل الأنواع والأشكال الجديدة، كالمزدوج، والمثلث، والمربع، والمخمس، والمسدس، والمسبع، والمثمن، والمتسع، والمعشر.

ولا شك «أن تنوع القافية مما يزيد في موسيقى الشعر، ويكسبه جمالاً فوق جمال»[2].

الموسيقى الداخلية:

سبق أن قلنا: إن المقصود بالموسيقى الداخلية هو: ما ينبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما يشيع في القصيدة من تلاوم في الحروف والحركات.

وإثراء الموسيقى الداخلية في النص هو الذي تتفاضل فيه ملكات الشعراء، وهو مناط الحكم على ملكة الشاعر وقدرته والحكم على أسبقيته.

١- الزهرات ص ١٥.

٢- موسيقى الشعر ٣٣٣.



ولذا لم يكن شعراء العربية في الهند ليفوتهم هذا الجانب، فاهتموا بهذه الموسيقى اهتماماً بالغاً، وهيأوا لها عدّة عوامل، من أهمها:

الجناس:

من أهم العوامل التي أثرت الموسيقى الداخلية في الشعر العربي في الهند، الجناس، وهو تماثل الكلمتين أو تقاربهما في النطق مع اختلافهما في المعنى[١] ويعد من أهم ألوان الإيقاع، شريطة أن يكون مكملاً للمعنى، غير مقصود لذاته، وقد عاب النقاد الإكثار منه لدلالته على تكلف الشاعر، ورأوا أن المقبول منه هو الذي يتطلبه المعنى، ويسوق نحوه، حتى لا يجد المتكلم عنه حولا، ولا يبتغي به بدلا[٢].

ومن أمثلة الجناس في الشعر العربي في الهند، ما قاله الشيخ أحمد بن عبد القادر الكوكني في قصيدة نبوية، يقول فيها[٣].

لَوْلاَ هُمُ مَا كَلأْتُ اللَّيْلَ مُكْتَئِباً أَرْعَى   النُّجُومَ حَلِيْفَ الْوَجْدِوَالسَّقَمِ ووالسقم

وَلاَ جَرَى دَمْعُ عَيْنِي كَالْعَقِيْقِ عَلَى   ذِكْرِ الْعَقِيْقِ وَذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

فالجناس بين العقيق والعقيق، والأول بمعنى حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص، والثاني، وادٍ معروف في المدينة المنورة[٤].

ومنها قول الشيخ حيدر على الرضوي في قصيدة بعث بها إلى أستاذه وشيخه المفتي محمد عباس الشوستري:

أُحِسُّ بِصَدْرِيْ نَارَ وَجْدٍ تَأَجَّجَتْ   نَوَائِرُهَا قَدْ كَادَ تَحْرِقُ بَالِيَا

وَلَكِنَّ جَرْيَ الْعَيْنِ كَالْعَيْنِ فِي النَّوَى   لأَطْفَا ضِرَامًا أُوْقِدَتْ بِفُؤَادِيَا

والجناس في كلمة «العين» فالأولى بمعنى عضو البصر، والثانية بمعنى ينبوع الماء الجاري.

١- بغية الإيضاح ، عبد المتعال الصعيدى ٤/ ٧٧.

٢- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ، تحقيق د. أحمد بدوي ود.حامد عبد المجيد ص ١٦٣-١٦٤ مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٧٠م.

٣- الإعلام ٣/ ١١٧٣.

٤- معجم البلدان ٤/ ١٣٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد أتى الشعراء في الهند بأنواع عدة من الجناس، كالتام وقد سبقت أمثلته، والمحرف، ومن أمثلته قول الشيخ محمد إعزاز علي في رثاء الشيخ عبد الرحيم رائفوري[1]:

يَا مَنْ يُرَبِّيْ مَنْ يَلُوْذُ بِظِلِّهِ سَلِّ النُّفُوْسَ فَسُلَّ مِنْكَ سُرُوْرُهَا

وقول الشيخ عبد الله الجيتيكر[2]:

هَلْ عُدَّةٌ مَعَ عِدَّةٍ نَرْجُوْ بِهَا دَفْعَ الْجَلَلْ

فالجناس في «سلِّ، وسُلَّ» و«عُدَّة وعِدّة» إذ اتفقت الكلمات حروفاً واختلقت حركاتٍ، مع اتحاد الكلمتين في النوع، فسَلِّ وسُلَّ فعلان، وعُدّة وعِدَّة اسمان[3]. وهو المسمى بالجناس المحرف.

ومن أمثلة الجناس الناقص ما نراه عند الشيخ فيض الحسن السهارنفوري في مدحه للسلطان عبد الحميد العثماني إذ يقول[4]:

لاَ بَارَكَ اللهُ فِيْ قَوْمٍ طَغَوْا وَبَغَوْا عَلَيْكَ ثُمَّ عَتَوْا فِيْ بُعْدِ آفَاقِ

وقول الشيخ علي نعمت الفلواروي[5]:

اَلْحُبُّ لاَ يَسْتَطِيْعُ الصَّبُّ يَكْتُمُهُ حَلَّ الْغَرَامُ بِهِ وَدَمْعُهُ وَدَمُهْ

أما جناس الاشتقاق فكثير جداً في الشعر العربي في الهند، ومن أمثلته قول الشيخ المفتى محمد كفاية الله[6]:

ذَكَرْنَا يُوْسَفَ الصِّدِّيْقَ لَمَّا أُسِرْتَ بِغَيْرِ اِسْتِحْقَاقِ أَسْرِ

١- القاسم ص ٢١، عدد شهر صفر ١٣٣٩هـ.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٩٥.

٣- الإيضاح مع البغية. ص ٤/ ٨٠.

٤- ديوان الفيض ٩٥، الإعلام ٣/ ١٣٣٠، قصائد قاسمي ١٧.

٥- الإعلام ٣/ ١٣١٣.

٦- السابق ٣/ ١٣٣٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقوله:

سَيُنْـــزِلُكَ الْـــعَزِيْزُ مَحَـــلَّ عِـــزٍّ　　وَيَنْصُرُكَ النَّصِـــيْرُ أَعَـــزَّ نَصْـــرِ

ومن أسباب جمال الجناس تناسب الألفاظ في الصورة، والتناسبُ نظام وائتلاف تميل إليه النفوس بفطرتها، ويطمئن إليه الذوق، وما فيه من تجاوب موسيقى تطرب له الأذن، وتهتـزّ منه أوتار القلوب، بالإضافة إلى ما يلجأ إليه المجنس من تلاعب أخاذ لاختلاس الأذهان، وخداع الأفكار، مما يحدث الدهشة لهذا الجديد الذي يفجأ النفس فتنفتح له، وتستقبله بالبشر والسرور[١]. وإذا كان الجناس التام له أثر بارز ملموس في إثراء الجانب الموسيقى في النص، فإن الأنواع الأخرى من الجناس أيضاً لا ينعدم فيها هذا الجانب، وكل هذا الجمال في الشكل والنغمة والجرس مرهون بعدم التكلف واقتسار المعنى لأجل الجناس، فإن تكلف الشاعر الإتيان بالجناس وقسر المعنى من أجله قسراً أدّى ذلك إلى برود العاطفة وغموض في المعنى، ويبدو هذا جلياً عند الشيخ فضل حق الخيرآبادى إذ يقول[٢]:

هَـــلْ مِنْ مُبَلِّغٍ عَنْ وَلْهَـــانَ مُشْتَـــاقِ　　عَنَّـــا وَعَنِّيَ فِيْ أَطْـــوَاقِ أَتْـــوَاقِ

مُسَـــلْسَـــلُ الدَّمْعِ يَرْوِيْ عَنْهُ مُسْنَـــدَةً　　وَصِدْقـــاً أَحَادِيْثَ أَشْوَاقٍ بِأَسْـــوَاقِ

وفي قوله[٣]:

فُـــؤَادِيْ هَـــائِـــمٌ وَالـدَّمْعُ هَـــام　　وَسُهْـــدِيْ دَائِـــمٌ وَالْجَـــفْنُ دَامِ

فَقَـــلْبٌ مَـــا فَتِيْ بِجَـــوًى وَلَـــوْعٍ　　وَلَـــوْعٌ فِي اضْـــطِرَابٍ وَاضْـــطِرَامِ

وَدَمْـــعٌ بَلْ دَمٌ صَـــرْفٌ جَرَى مِـــنْ　　نِيَـــاطِيْ سَـــاجِـــماً أَيَّ انْسِجَـــامِ

١- التصوير البياني. د. حفني شرف، ص ٣٧٥-٣٧٦ بتصرف.

٢- حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، د. جميل أحمد ص ١٩٨ جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، بدون تاريخ.

٣- حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، د.جميل أحمد ص ١٩٨ جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، الإعلام ٣/ ١٠٦٥، آثار الصناديد ٥٧١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَطَرْفٌ أَرْمَدٌ يُؤْذِيْهِ غَمْضٌ ... وَلَيْلٌ سَرْمَدٌ سَاجِي الظَّلاَمِ

طَوِيْلٌ لاَ يُقَاسُ بِهِ زَمَانٌ ... فَسَاعَتُهُ كَشَهْرٍ بَلْ كَعَامِ

كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجَوْزَاءِ نِيْطَتْ ... بِأَجْفَانٍ دَوَامٍ بِالدَّوَامِ

حَمَامِيْ حَاضِرٌ، وَالْوَجْدُ بَادٍ ... وَجِسْمِيْ ذَابِلٌ، وَالشَّوْقُ نَامِ

أَذَابَ الشَّوْقُ أَحْشَائِيْ وَأَوْرَى ... لَظًى فِيْ أَضْلُعِيْ أَبْلَى عِظَامِيْ

سَرَى فِيَّ الْغَرَامُ فَصَارَ غُرْماً ... وَذَاكَ الْغُرْمُ مِنْ أَدْهَى الْغَرَامِ

فهذه الأبيات لا نجد فيها بيتاً يخلو من محسن بديعي، كما يُلحظ إكثار الشاعر فيها من الجناس، وهذا الاهتمام بالمحسنات البديعية، والتكلف في الإتيان بها طغى على عاطفته وأورث شعره ثقلاً في السمع، وضعفاً في المعنى.

وقد اتفقت كلمة النقاد في الهند على شدّة ولع الخير آبادي بالبديع على حساب المعنى، فقال فيه النواب صديق حسن خان: «وله نظم رائق، وشعر فائق، لولا أنه أكثر ما فيه من التجنيس الذي ينبو عنه السماع وتأباه الطباع»[1].

وهذا الحكم الصادر عن النوّاب صديق حسن خان قد وافقه فيه كل من العلامة عبد الحي الحسني والدكتور جميل أحمد[2].

ردّ العجز على الصدر:

وهو من العوامل التي أسهمت في الإيقاع الشعري لدى شعراء العربية في الهند، وهو أن تُرَدَّ أعجاز الكلام على صدوره، فيدلّ بعضه على بعض، «ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجةً ويزيده مائية وطلاوة»[3].

ويقسم ابن المعتز هذا النوع من البديع إلى ثلاثة أقسام: أولها - ما يوافق آخرُ كلمة في البيت، آخرَ كلمة في نصفه الأوّل، وثانيها- ما يوافق كلمةٌ منه، أوّلَ كلمة في نصفه

١- الإعلام ٣/ ١٠٦٤.

٢- الإعلام ٣/ ١٠٦٤، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي، ص١٩٧، ١٩٨، ١٩٩.

٣- العمدة ١/ ٥٦٠.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الأوّل، وثالثها– ما يوافق آخرُ كلمة فيه بعضَ ما فيه–[1] وقد أطلق عليه أسامة بن منقذ «الترديد» مرة و»التسهيم» مرة أخرى[2].

وقد يشترك اللفظان صورة ومعنى، أو يشتركان في الصورة مع اختلاف المعنى، أو يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق[3].

ويلجأ إليه الشاعر لإضافة عنصر موسيقي جديد يلفت الانتباه، فتصغى له الآذان، وتنفتح له القلوب، ومن أمثلته قول السيد أحمد القنوجي مخاطباً الصبا[4]:

أَهَــلْ جِئْتَ مِنْ تِلْكَ الرُّبَى بِرِسَــالَةٍ فَــإِنَّ الصَّبَا نِعْمَ الرَّسُوْلُ لِمَنْ صَبَـا

وقول الشيخ عبد المنعم الجاتغامي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[5]:

أَأُلاَمُ فِيْــهِ عَــلَى الْحَــمَامِ وَإِنَّنِيْ أَحْـبَبْتُ لَـوْ لاَقَـيْتُ فِـيْهِ حَـمَـامِيْ

وقول السيد علي التستري[6]:

أَمِــيْرُ الْهِــنْدِ لَـيْسَ لَــهُ نَظِــيْرٌ وَهَــلْ مِنْ مِثْــلِهِ فِيْـهَـا أَمِــيْرُ

وقوله من القصيدة نفسها:

كَبِــيْرٌ فِي الْـمَـعَـارِفِ وَالْـمَـزَايَـا إِذَا مَــا قِيْــلَ فِي الدُّنْيَــا كَبِــيْرُ

دَبِــيْرٌ فِي الْـمَـهَـامِ بِأَصْـغَرَيْـهِ كَـمَا الـدُّنْيَـا عَطَـارِدُهَـا دَبِـيْرُ

وقول الشيخ محمد بن حسين الأنصاري[7]:

خَـلِيْلَيَّ لَمْ يَبْـقَ الْجَــفَاءُ لِنَــاظِرِيْ بُكَــاءً فَهَلْ عَـيْنٌ تُعِــيْرُ بُكَــاهَــا

١- البديع ، لابن المعتز ٤٧-٤٨.

٢- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ٥١، ٢٧١.

٣- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، د. حفني شرف ص ٥٠ مكتبة الشباب القاهرة، ط أولى، ١٩٦٦م.

٤- الإعلام ٣/ ٨٩٧.

٥- الإعلام ٣/ ١٣٠٥.

٦- الإعلام ٣/ ١٣٠٩.

٧- الإعلام ٣/ ١-١٣٤٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقوله[1]:

دَعَــانِي مَــنْ هَوَى سَعْــدِيْ دَعَــانِيْ ... فَــدَاعِي الشَّــوْقِ لِلنَّــدْوِيْ دَعَــانِيْ

وقوله أيضاً[2]:

لَمْ يَــزَلْ سَيِّــداً حَلِيْــماً رَشِيْــداً ... فَهــوَ جُزْءٌ مِنَ الْحَــلِيْمِ الرَّشِيْــدِ

بَــدْرُ سَعْــدٍ لأَجْــلِ ذَا أَرَّخُــوْهُ ... بَــدْرُ تَمٍّ بَــدَا بِــوَقْتِ سُعُــوْدِ

ولا شك أنَّ هذه الأمثلة قد أضفى عليها هذا المحسن البديعي رونقاً وبهاءً لوروده فيها عفواً، غير متكلف ولا مجلوب.

التصريع:

وهو من أهم العوامل في الموسيقى الداخلية في الشعر العربي في الهند، ويقصد به أن ينهي الشاعر المصراع الأوّل من القصيدة بحرف الروي الذي بنى عليه القصيدة[3].

ويحسن التصريع في مطلع القصيدة؛ ليتاح للصوت مركزان يتوقف عندهما في استهلال نشيده، حتى تأنس الأذن لقرار النغم المكرر في قافيَة القصيدة، وليتميز به الابتداء من غيره إذا لم يصرع الشاعر في غير المطلع، ويعد التصريع أثراً من آثار ارتباط الشعر بالغناء، كما شبهه بعض النقاد بمقدمة موسيقية خفيفة تلهب الإحساس[4] ونرى أن معظم القصائد العربية في الهند استهلها الشعراء بأبيات مصرّعة لمعرفتهم بدور التصريع في إنشاء النغمة الموسيقية.

وقد لجأ بعض الشعراء إلى تصريع أكثر من بيت في القصيدة الواحدة، محاولة لإثراء الجانب الموسيقي وذلك على نحو ما نجد عند الشيخ أوحد الدين البلكرامي في قصيدته التي مطلعها[5]:

١- الإعلام ٣/ ١٣٤١، ١٣٤٢.

٢- الإعلام ٣/ ١٣٤٢، ١٣٤١.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٤٢.

٤- الشعراء وإنشاد الشعر، علي الجندي، ص ٣٤، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٩هـ.

٥- الإعلام ٣/ ٩٣٠، سبق ذكر هذه الأبيات في مبحث «الغزل» ص ٢٠٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مَيَّـــاسَةُ الْقَدِّ مَا مَاسَتْ وَمَــا خَطَــرَتْ   إِلاَّ وَقَلْبِيْ بِحَبْـلِ الْـوُدِّ قَـدْ أُسِــــرَتْ

فقد أتى فيها بثلاثة أبيات مصرعة، وكذلك عبد الجبار العمربوري في قصيدته التي مطلعها[1]:

لَـحَــــا اللهُ دُنْـيًــا فَتَنَّتْنِيْ بِزَهْــــرَةٍ   وَقَــــدْ أَوْقَعَتْنِيْ فِيْ بَــــلاَءٍ وَحَــــيْرَةٍ

فصرّع فيها ثلاثة أبيات متتالية أيضاً.

الترصيع:

ومن العوامل التي أسهمت في موسيقى الشعر لدى شعراء العربية في الهند ما يعرف بالسجع أو الترصيع، وقد أعجب به الشعراء ورحب به النقاد؛ لأنه يزيد موسيقى الشعر جمالاً، وهو أن يتوخى الشاعر «تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف»[2]. وقد يتوخى الشاعر أن تكون كل لفظة في صدر البيت مقابلة لنظيرتها في العجز بأن تكون على وزنها ورويها[3]وقد ورد كلا النوعين لدى شعراء العربية في الهند، فمثال النوع الأول ما قال الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي[4]:

هيفـاء ضامـــرة، لعســـاء غـــادرة   بيضـــاء ســـاحرة بالـغنج والكحل

وقوله في القصيدة نفسها:

لِلْهَــدْمِ مَـا رَفَعُوْا، لِلْخَرْقِ مـاَ رَقَعُـــوْا   لِلــنَّهْبِ مَــا جَمَعُــوْا بِالــزَّوْرِ وَالْبُخْـلِ
لِلــسَّبْيِ مَــا وَلَدُوْا، لِلْحَرْقِ مَا حَصَــدُوْا   لِلسَّلْبِ مَــا حَشَـدُوْا بِالْغَدْرِ وَالدَّغَــلِ

وقوله أيضاً في نفسها:

١- الإعلام ٣/ ١٢٦٠، سبق ذكر هذه الأبيات في مطلب «بناء القصيدة» ص٣٥٠.

٢- نقد الشعر ص ٤٠.

٣- خزانة الأدب ص ٥١٥.

٤- قصائد قاسمي ص ١٥-١٦، الإعلام ٣/ ١٢٢٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَالْكُفْرُ فِيْ خَطَرٍ، وَالدِّيْنُ فِيْ ظَفَرٍ   وَالرُّوْسُ في خَجَلٍ، وَالرُّوْمُ في جَذَلِ

أَضْحَى سُيُوْفُهُمْ، أَمْسَى مَدَافِعُهُمْ   فِي الْغِمْدِ مِنْ عَطَلٍ، وَالحَرسِ مِنْ صَحَلِ

فأتى الشاعر هنا بخمسة أبيات مصرعة من ثلاثة وخمسين بيتاً في مواضع متفرقة من قصيدته، ولا شك في أنها تزيد الموسيقى ثراءً وجمالاً لما جاءت من غير تكلف واقتسار.

ومن أمثلته أيضاً ما قاله الشيخ القاضي طلا محمد البيشاوري[1]:

عَلْيَاءُ فِيْ نَسَبٍ، غَيْدَاءُ فِيْ طَرَبٍ   لَمْيَاءُ فِيْ شَنَبٍ، كَحْلاَءُ فِي الحَدَقِ

وقوله في القصدية عينها:

اَلْبَيْنُ أَرَّقَنِيْ، وَالْوَجْدُ أَحْرَقَنِيْ   وَالْقَلْبُ فِيْ دَهَقٍ، وَالْعَيْنُ فِيْ أَرَقِ

وقلما نجد شاعراً مجيداً في الهند ينظم قصيدة ثم تخلو من بيت أو أكثر مشتمل على ترصيع، مما يدل دلالة واضحة على اهتمامهم بهذا اللون البديعي، أما أمثلة النوع الثاني فلا تبلغ مبلغ النوع الأول في الكثرة، ومنها قول الشيخ السيد أحمد بن أولاد حسن القنوجي[2]:

فَإِنَّ لَهَا بَدْرًا يُسَمَّى جَبِيْنُهَا   وَإِنَّ لَهَا شَمْسًا تُسَمَّى عِذَارُهَا

وقول الشيخ إسماعيل المراد آبادي[3]:

فَهُمْ فِيْ حِمَاهَا كَالنُّجُوْمِ إِذَا بَدَتْ   وَهُمْ فِيْ رُبَاهَا كَالشُّمُوْسِ الْمُضِيْئَةِ

فالشاعر في البيت الأول حاول في العجز أن يأتي بما يقابل الصدر في كل حرف وحركة، ومثله في المثال الثاني أيضاً إلا أن الشاعر هنا خالف في الكلمة الأخيرة بين الشطرين.

ولا شك أن هذه المطابقة والمماثلة بين الشطرين في كل حرف وحركة يستلذها السمع، ويميل إليها إذا جاءت عفو الخاطر، وهذا هو سر جماله.

١- الإعلام ٣/ ١٢٥٢.

٢- الإعلام ٣/ ٩٩٤.

٣- الإعلام ٣/ ٩١٨.



المطلب الرابع

بناء القصيدة

يقصد بالبناء الفني للقصيدة شكلها الخارجي المتمثل في المطلع أو المقدمة والتخلص والغرض والخاتمة، والوحدة الموضوعية، والطول أو القصر.

وقد تحددت ملامح النضج الفني للقصيدة العربية في العصر الجاهلي، يقول ابن قتيبة: «إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فشكا وبكى وخاطب الربع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق، وفرط الصبابة؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن النسيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب؛ لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسري الليل وإنضاء الراحلة والبعير فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافآت، وهزّه على السماع»[1].

وكان هذا هو النهج السائد في القصيدة العربية عند أغلب شعراء الجاهلية في كثير من أغراضهم الشعرية، لاسيما في غرضي المدح والفخر، إذ كانوا لا يستحسنون البدء بالغزل أو بذكر الأطلال والأحباب في الرثاء، كما كان هناك شعراء حادوا عن هذا المذهب في بعض قصائدهم، فبدأوا بالغرض الأساس مباشرة من دون مقدمات.

ولما كان الشعراء والنقاد يرون الشعر الجاهلي هو النموذج الأفضل، كانوا يحاولون -على تفاوت بينهم في القلة والكثرة- اتباع هذا المنهج في قصائدهم، ويرونه تقليدا فنّياً.

وكان الشعراء في الهند بعيدين عن الجزيرة العربية منبع اللغة العربية ومهدها، إضافة إلى كونهم من غير العرب، فكانوا يحسّون بنوع من التخلف عن الركب في قافلة الآداب العربية، ويحاولون إثبات شخصيتهم، وتأكيد تفوقهم، باتباع مناهج شعراء عصور القوة من الجاهلية وصدر الإسلام والأموي والعباسي.

١- الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص٢٧-٢٨، تحقيق: د. مفيد قميحة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.



يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يتثقفون على شعراء الحماسة، ودواوين المتنبي وأبي تمام والبحتري، والإنسان ابن ثقافته، ومجبول على تقليد من هو أفضل منه. من هنا كان الشعر العربي في الهند -في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين- متعدد الموضوعات وإن كانت هناك بعض القصائد ذات الموضوع الواحد، متبعة ذلك النهج الشكلي للقصيدة مبدوءا بالمطلع أو المقدمة ثم التخلص ثم الغرض ثم الخاتمة.

وإذا أردنا الوقوف على كل عنصر من هذه العناصر مستقلاً لنرى مدى إجادة شعراء الهند فيها أو عدم إجادتهم فلنبدأ بالمطلع.

المطلع:

اهتم النقاد بمطالع القصيد، وجعلوا من علامات حذق الشاعر إجادته للابتداء والمطلع[١] وحمدوا للشاعر مطالعه الحسنة التي تكون واضحة، سهلة المأخذ مع القوة والجزالة[٢]؛ لأن المطلع أول ما يقرع أذن السامع؛ فإن كان حسناً طريفاً كان داعية الانشراح، ومطيّة النجاح[٣].

ولاحظ النقاد مناسبة المطلع لموضوع القصيدة، فإذا كان المقام مقام حزن كان أولى بالمطلع أن ينبئ بذلك من أوّل البيت، وإن كان المقام مقام تهنئة أو مديح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به. كما لاحظوا التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعنى بينهما. يقول أبو الحسن حازم القرطاجني: «ويجب أن تكون المبادئ جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام، وجيزة، تامة، وكثيراً ما يستعملون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام، ويذهبون بها مذاهب من تعجيب أو تهويل أو تقرير أو تشكيك»[٤].

واعتنى الشعراء في الهند بمطالع قصائدهم، وحاولوا فيها الإتقان والإجادة من حيث اللفظ والمعنى، وراعوا المناسبة بين المطلع والموضوع، ومن تلك المطالع الحسنة، ما نراه عند الشيخ أبي محفوظ الكريم المعصومي في رثائه لطبيب البنغال، بدأه بقوله:

١- المثل السائر ٣/ ١٠١.

٢- الشعر الجاهلي، د.يحيى الجبوري ص ٢٤٣.

٣- العمدة ١/ ١٩٥، ت: د. عبد الحميد هنداوي.

٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني تحقيق: د.محمد الحبيب بن الخوجة ص ٣٠٥-٣٠٦، دار الكتب الشرقية، بدون تاريخ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَتَــرُوْقُ دَاكَةُ بَعْـدَ فَقْــدِ حَبِيْبِهَــا أَمْ تَشْتَفِي الْبَنْغَــالُ بَعْـدَ طَبِيْبِـهَـا[1]

فبدأ الشاعر رثاءه لذلك المرثي بداية حزنية، فلا تعجبه «داكة» إذا خلت من حبيبها، كأنَّ هذا المرثي كان هو السبب في جمال داكة وبهائها، وحب الشاعر لها، فإذا مات لم يبق فيها شيء يدعوه إلى الإعجاب بها.

كما يستنكر طلب الشفاء من البنغال بعد ذهاب هذا الطبيب الحاذق في صناعته، كأنه لم يبق بعده من يثق به الشاعر في هذا المجال.

ولم يستخدم الشاعر أسلوب النفي للإخبار عن فقدان «داكة» روعتها وبهاءها، بل أتى بأسلوب الاستفهام الإنكاري، لتأكيد الفكرة، وكأنه يرى أن جمالها وبهجتها بعد هذا الحبيب شيء منكر يأباه الذوق، وينفر منه الطبع.

ومن المطالع التي راعى فيها الشاعر المناسبة بين المطلع والموضوع، بحيث ينبئ المطلع من أوّل كلمة منه عن غرض الشاعر، ومحتوى القصيدة، مع عذوبة الألفاظ وسلاستها، قول الشيخ عبد الرحمن الغازيفوري في الغزل:

ظَعَـنَتْ سُلَيْمَى، فَالسُّــرُوْرُ قَـبِيْحُ وَالْعَـيْنُ تَـذْرِفُ، وَالْفُـؤَادُ جَرِيْـحُ[2]

استطاع الشاعر أن يعبر من بداية القصيدة عما ألمّ به من تعب ونصب، وجهد ومشقة، بسبب مفارقة حبيبته سليمى إيّاه، فقبّح الفراق في عينيه الفرح والمسرّة، وتركه جريح الفؤاد لا يستريح، وتذرف عيناه الدموع.

وقد وفّر الشاعر في المطلع موسيقى خاصة إذ أتى بأربع جمل متساوية ارتبطت أولاها بما بعدها ارتباطاً سببياً، «علاوة على ما في البيت من التصريع» المتمثل في وحدة القافية بين شطري البيت، مما زاده إثراءً في الموسيقى وجمالاً في الأذن.

ومن المطالع الجيدة أيضاً قول الشيخ محمد بن حسين الأنصاري في ذهاب أركان ندوة العلماء إلى مدراس، يقول مطلعها:

شَـكَتْ بِلِسَــانِ الْحَـالِ طُوْلَ جَفَاهَـا وَنَــادَتْ وَلٰكِنْ مَن يُجِيْبُ نِدَاهَــا[3]

١- مجلة «معارف»، ص ٣١٧، العدد ٤، المجلد ٥٩.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٧١.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٤٠.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

يصور الشاعر في هذا المطلع تلك الأحوال التي جعلت أعضاء ندوة العلماء يشدون أمراس رحالهم متجهين لمدينة مدراس النائية؛ ليستعينوا بأهل تلك المنطقة في تكميل مسيرتهم الإصلاحية، ويذكر أنهم لم يحتاجوا إلى شد الرحال إلى هذه البقعة القاصية لو كان أهل الشمال ساعدوهم، وشدوا أزرهم، ولكن تقصيرهم معهم هو السبب في اختيار ندوة العلماء هذا السفر الشاق المضني، فيلومهم على تفريطهم فيما وجب عليهم ويحثهم على النهوض مع هؤلاء العلماء، وبذل المزيد من المال والجهد والوقت ليتحقق مسعاهم بالنجاح.

المقدمة:

المقدمة هي مفتتح القصائد، وهي من الظواهر الفنية التي صاحبت القصيدة العربية على اختلاف الأعصار التي مرّت عليها، والأمصار التي انتقلت إليها[1].

وتنوعت مقدمات القصائد في الشعر العربي في الهند، فمن أهمها:

المقدمة الطللية:

افتتح شعراء في الهند قصائدهم بمقدمات طللية إمعاناً منهم في ترسم خطا الأقدمين، وجرياً في محاكاة الشعراء الجاهليين، ذكروا فيها تلك الأماكن والديار التي ذكرها شعراء العرب، وإن لم يكن لهم عهد بتلك الأطلال، ولا صلة لهم بتلك البقاع والدّيار إلا عن طريق القراءة والمطالعة في الدواوين. ومن أمثلته ما قاله الشيخ إسماعيل بن وجيه المراد آبادي[2]:

خَلِيْلَيَّ عُوْجَا عَنْ شِمَالِ الْعَقَنْقَلِ ... وَحُطَّا رِحَالَ الْعِيْسِ فِي عَضدِ عَوْكَلِ

فَنَدْعُوْ رِبَاعًا لاَ تَجُرُّ[3] دُعَاءَنَا ... لِمَا قَدْ عَفَتْ مِنْ سَجْمِ غَيْمٍ مُظَلَّلِ

عَفَا اللهُ أَهْضَابًا[4] سَعَتْ فِي خَرَابِهَا ... فَبَاتَتْ طُلُوْلًا بَادِرَاتِ التَّعَطُّلِ

١- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي ، د.حسين عطوان، ص ٢٥٦، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤م.

٢- الإعلام ٣/ ٩١٧، تاج اللغات ١/ ٦ مطبع سلطاني، لكهنؤ.

٣- هكذا في الأصل ولعل الصواب: لا تجيب . سجم: سال قليلا أو كثيرا (القاموس، مادة: س ج م).

٤- الأهضاب : جمع هضب أي مطر (اللسان: مادة : هـ ض ب).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَلاَ عوجَـــا فِي الْعـــوْجِ رُوْحِيْ فِـدَاكُـــمَا فَمَهْـــلاً وَرِفْقًـــا بِالْكَئِيْبِ الْـمُـؤَمَّــلِ[1]

فَتِلْكَ رِبَـــاعٌ عَطَّـلَـتْ عَنْ أَهِيْلِـهَـــا قِفَـــا نَبْكِ مِنْ ذِكْـرَى حَبِيْبٍ وَمَنْـــزِلِ

أَيَـــا سَـــائِقَ الأَظْعَانِ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًـــا عَـلَى مُغْــرَمٍ، صَـــابٍ، عَدِيْمِ التَّوَسُّـــلِ

فَـالْثَتْ[2] حَـمَـاكَ اللهُ عَنْ مَسْقَطِ الـرَّدَى بِسِـقْطِ الِّلـــوَى بَـيْنَ الدَّخُوْلِ فَحَوْمــلِ

وَللهِ أَيَّـــــامٌ غِضَــــارٌ مَضَـــيْنَ فِيْ غُضُـــوْرٍ وَجَـمْـدَانٍ وَحَوْمَةِ جَنْدَلِ[3]

لَحَى اللهُ دَهْــرًا بَـــاتَ فِي النَّجْدِ دَاهِــرًا فَنَـــكَّدَ عَيْشًـــا مُخْضَـــلًا بِالـــتَّفَتُّلِ

وَخَــرَّبَ دَارًا بَعْـــدَ دَارٍ بِضَيْمِـــهِ وَلَمْ يُبْـــقِ دَارِيًّـــا بِدَارَةِ صُلصُـلِ[4]

أَقُـــوْلُ لِـــبَرْقٍ لاَئِحٍ مِـــنْ أُبَـــيْرِقِ لَكَ الْـخَيْرُ، يَا بَرْقَ الأُبَيْرِقِ أَمْـهِلِ[5]

فهذه مقدمة طويلة، لكنها واضحة التكلف، خالية من العاطفة الصادقة، وإن كان الشاعر أكثر فيها من إيراد أسماء تلك الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس، بل وصل به الأمر في تقليد امرئ القيس إلى أنه ضمّن قصيدته أشطراً من معلقته، والحديث عن خراب الديار، وطمس المنازل، وعفاء الآثار قد سيطر على الشاعر، ولم يرد في الأبيات ما يدل على علاقة الشاعر بهذه الديار، وشغفه بها، وشوقه إلى الأيام السعيدة -إن كانت- التي قضاها في ربوعها.

وكأن الشاعر قصد بهذه الأبيات إبراز مقدرته الفنية على نظم أمثال هذه الأماكن، وإظهار ملكته البيانية، ولم تكن صادرة عن تجربة عايشها الشاعر، وعانى فيها الفراق والبعد؛ ولذا جاءت فاترة باردة، خالية من التأثير.

وممن افتتح قصائده بالمقدمة الطللية أيضاً السيد محمد مهدي المصطفى آبادي في

١- عوج : جبالان باليمن (القاموس المحيط: مادة : ع و ج).

٢- هكذا في الأصل.

٣- هكذا في المرجع، ولعل الصواب: دومة جندل، وهو علم لبقعة (القاموس: ج ن د ل).

٤- دارة صلصل: علم لبقعة (القاموس: ص لّ).

٥- الأبيرق، تصغير أبرق: علم لموضع (القاموس: ب ر ق).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

رثائه لشيخه المفتي عباس الشوستري، يقول[1]:

قِفَـــا بِدِيَـــارٍ دَارِسَـــاتٍ بَــلاَقِعِ عَفَتْ مِنْ رِيَاحٍ عَــاصِفَاتٍ زَعَـازِعِ[2]

فالشاعر يدعو إلى الوقوف بهذه الديار التي خربتها الرياح الشديدة، لكنها ليست بديار الحبيبة وبقاعها، كما تكون عند شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، بل يقصد بها الشاعر تلكم الأماكن التي كانت عامرة بالعلم ومدارسته ومذاكرته في حياة شيخه ويقول:

طُلُــوْل عُلُــوْمٍ أَوْحَشَتْهَــا يَدُ الْفَنَــا وَمَــا غَــابَ مِنْ آثَـارِهَـا غَيْرُ رَاجِعِ

تَعَفَّى الْعُلُــوْمُ بِـالْخُـطُوْبِ فَـأَصْبَحَتْ قِفَـارَ الدِّيَـــارِ خَـاوِيَـاتِ الْـمَـرَاتِعِ

خَــوَالِدَ صَــمَّاءَ بِالإِكَــامَ كَـمَا تَرَى أَثَـافِيَّ سُفْعـاً فِيْ فِنَـاءِ الْـمَـرَابِعِ

لَـقَدْ لَـعِبَ الــدَّهْرُ الْـمُـشِتُّ بِأَهْلِهَـا فَـأَظْعَنَهُـمْ تَبَّـا لَـهُ مِـنْ مُخَـادِعِ

فَقَـدْ ظَعَنُـوْا عَنْهَـا جَمِيْعـاً وَغَادَرُوْا مَعَـالِمَ مِنْ أَقْـلاَمِهِمْ وَالأَصَـابِعِ

بِـذَا الْيَـوْمِ قَـدْ صَـارُوْا رَهِيْنَ مَقَـابِرٍ وَبِالأَمْسِ قَـدْ كَـانُوْا رُؤُوْسَ الْـمَجَامِعِ

فهذه المقدمة وإن كانت أقصر من سابقتها إلا أنها أشد تأثيراً منها، وقد راعى فيها الشاعر المناسبة بين المقدمة والموضوع الذي هو الرثاء. فذكر فيها خراب الديار، وفراق الأحباب، وهجر المنازل؛ ليقدم بذلك لموضوع الرثاء.

المقدمة الغزلية:

افتتح بعض الشعراء قصائدهم بمقدمات غزلية، وهذه المقدمات تدور «حول موضوعين: وصف الحبيبة وصفاً حسياً أو معنوياً، والتغني بجمالها الجسدي أو النفسي، من ناحية، وتصور عواطف الشاعر ومشاعره لها، وما تجيش به نفسه من حبٍّ وفتنة ووجد، ولوعة وهيام وحنين وأمثال هذه الانفعالات التي تملأ على العشاق نفوسهم -

---

١- الإعلام ٣/ ١٣٧٣.

٢- بلاقع: ج بلقع: خال، (اللسان: ب ل ق ع) زعازع: ج زعزع: يقال: ريح زعزع: شديدة (اللسان: زعزع).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

من ناحية أخرى»[1] ومن أمثلتها قول الشيخ أحمد بن محمد الشرواني[2]:

أَرَاكَ صَدَدْتَ عَنِ الصَّبِّ ظُلْماً ... أَيَا عَادِلَ الْقَدِّ رِفْقاً وَرَحْمَا
تَرَكْتَ فُؤَادِيْ يَذُوْبُ اشْتِيَاقاً ... وَصَيَّرْتَنِيْ أَسْهَرُ اللَّيْلَ هَمَّا
أَمَا مِنْكَ لِيْ رَحْمَةٌ وَالْتِفَاتٌ ... فَقَدْ عِيْلَ صَبْرِيْ لِمَا بِيْ أَلَمَّا
وَلَوْلاَكَ مَا سَلْسَلَ الشَّوْقُ دَمْعِيْ ... وَلاَ قُلْتُ فِي الْحُبِّ نَثْراً وَنَظْمَا
أَيَا عَاذِلِيْ أَقْصِرِ اللَّوْمَ إِنِّيْ ... أَرَاكَ ارْتَكَبْتَ بِذَا اللَّوْمِ جُرْمَا
فَمَا نَالَ مَنْ لاَمَ فِي الْحُبِّ مُضْنًى ... كَمِثْلِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قِسْمَا

ولا ينسى الشاعر في هذا المقام أيضاً محاجته العقلية مع عاذله، فيطالبه بالدليل في لومه العاشق المضني، ويدعو عليه بالعدم والحرمان من رحمة الله تعالى، يقول:

وما ذا دليلك في اللوم قل لي ... فإن الهوى مذهب لن يذمّا
أراك تبالغ في لوم صبٍّ ... أحاط بفن الهوى المحض علما

ويلاحظ أن الشاعر ذكّر الحبيب على عادة الشعراء الأعاجم من الفرس والهنود. وقد ذكر بعض الشعراء في مقدماتهم ترحل الحبيبة وعشيرتها، وما آلت إليه الديار بعدهم، كما يذكرون بعض صفات الراحلة التي ركبها للوصول إلى تلك الديار، وفي ذلك يقول الشيخ محمد وحيد الدين عالي[3]:

إِذَا شَدُّوْا رِحَالَهُمُ وَرَاحُوْا ... بَدَا فِي الْقَلْبِ حُزْنٌ لاَ يُزَاحُ[4]
فَيَا لَهْفِيْ لِصَحْبٍ فَارَقُوْنِيْ ... فَكَمْ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمُ انْتِزَاحُ[5]

١- دراسات في الشعر الجاهلي، د.يوسف خليف، ص ١٤٨، مكتبة غريب، القاهرة.
٢- نفحة اليمن ص ١٤٨-١٤٨.
٣- الجواهر الزاهرة ص ٧.
٤- لا يزاح: لا يزال.
٥- انتزاح: بعد.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

مَضَــوْا وَبِهِمْ كَــوَاعِبُ نَــاعِمَاتٌ ... حِسَـانٌ خُـرَّدٌ بِيْـضٌ مِـلاَحُ[1]

تَفُـوْحُ بِهِـنَّ رَامَــةُ مِثْــلُ مِسْـكٍ ... فَـأَوْدِيَةُ اللِّـوَى ثُـمَّ الْبِطَـاحُ[2]

إِذَا أَقْـوَتْ مَنَــازِلُهُمْ وَأَمْـسَتْ ... طُلُـوْلاً قَـدْ تَعَفَّتْهَـا الـرِّيَـاحُ

وَقَفْتُ بِهَـا وَيَجْـرِيْ مِـنْ دُمُـوْعِيْ ... دَمٌ قَـانٍ عَـلَى نَحْرِيْ مُفَـاحُ[3]

وَلَمَّـا زَادَ وَجْــدِيْ زُدْتُ رَحْـلِيْ ... إِلَيْهِمْ حَـيْثُ حَـلُّوْا وَاسْـتَرَاحُوْا

وَتَحْـتِيْ نَاقَـةٌ كَوْمَـاءُ بَكْـرٌ ... شَمَـرْدَلَـةٌ، عَذَافِـرَةٌ، رِدَاحُ

فَكَـمْ قَـفْرٍ قَطَعْـتُ بِهَـا وَكَـانَتْ ... تَخِـبُّ وَلاَ يُـوَانِيْهَـا رُزَاحُ

ويحاول الشاعر أن يجعل وقوفه على الأطلال عجلاً قصيراً، فلا يدخل في وصف الديار وجزئياتها، والتغييرات التي طرأت عليها، بعد ارتحال أصحابها عنها، كما نرى ذلك عند الشعراء الجاهليين.

مقدمة في الطبيعة:

بدأ بعض الشعراء قصائدهم بوصف الطبيعة وما فيها من روعة وجمال، ممتزجة بمشاعرهم ووجدانهم، فيضفون عليها كثيرا من الصفات البشرية، ويبادلونها السرور والابتهاج، ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ محمد يوسف البنوري في قصيدة رحبّ فيها بالشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، بدأها بقوله[4]:

أَلاَ اسْتَهَلَّتْ غَوَادِي الْمُـزْنِ بِالـدِّيَمِ ... وَأَلْـبَسَتْ سُنْدُسًـا لِلْقَـاعِ وَالأَكَمِ

وَاخْضَـرَّتِ الأَرْضُ فِي زَهْوٍ وَفِي نَضَـرٍ ... وَأَصْبَـحَ الْخَـصْـبُ فِي وَشْيٍ مِنَ الـرّقَمِ

١- كواعب: النواهد، الخرّد جمع خريدة: الأبكار التي لم يمسها أحد.

٢- رامة وأودية اللوى والبطاح: أسماء أماكن.

٣- مفاح: أفاح الدّم: أي سَالَ (اللسان: ف ي ح) قانٍ: تسهيل قانِئُ يقال: شيءٌ أحمرُ، قانِئٌ (الصحاح: قنأ)، قَنَأَ من باب مَنَعَ: اشتدت حمرته (القاموس: قنأ)، مختلط (اللسان: ق ن ي).

٤- القصائد البنورية، تحقيق: د.محمد حبيب الله مختار ص ١٩٠، المكتبة البنورية، كراتشي ١٤٠٤هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَالجَـدْبُ يَشْكُرُ جُوْدَ السُّحْبِ هَاطِـلَةً ... إِذْ ظَـلَّ رَوْضًـا مَرِيْعًـا رَائِقَ السِّيَمِ

وَالْـوُرْقُ تَهْتِـفُ، وَالأَرْوَاحُ نَافِـحَةٌ ... تَشْـدُو الْحَـمَائِمُ، وَالْكَعْتَانُ بِالنَّغَـمِ

وَنَسَمْت نَفَحَـاتُ الرِّيْحِ مِنْ طَـرَبٍ ... يُحْيِي نَسَـائِمُهَـا الأَمْوَاتَ بِالـنَّسَمِ

وَالـزَّهْرُ يَبْسُـمُ وَالأَنْهَـارُ جَـارِيَةٌ ... عَـمَّ الْحُـبُوْرُ لِـمَـنْ فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

وَرْدٌ، وَآسٌ، وَقَيْصُـوْمٌ، وَعَبْهَـرَةٌ ... أَصْبَـحْنَ مِنْ فَـرَحٍ فِي حُـسْنِ مُبْتَسَـمِ

فهذا التصوير البديع لذلك المنظر البهيج ولتلك الفرحة التي شملت البيئة بجميع أجزائها وما فيها من حيوان ونبات، ورياح وأنهار، يتواءم بشدة مع ترحيب الصديق بصديقه، ويعبر عن ولعه به، وحبّه له. وممن بدأوا قصائدهم بمقدمات في الطبيعة أيضاً الشيخ عبد الجبار خان آصفي[١] في قصيدته النبوية، نختار منها قوله[٢]:

كَـمْ رَاحَـةً رَوَّحت بِالرَّوْحَـاءِ ... بِالـرَّوْحِ وَالرَّيْحَـانِ وَالنَّعْـمَاءِ

كَـانَ الرَّبِيْعُ عَـلَى الرُّبَى وَنَسِيْمُهَـا ... رَبَّتْ بَنَـاتِ الْـوَرْدِ فِي الْخَـضْرَاءِ

وَالطَّـلُّ فَوْقَ الْـوَرْدِ فِيْ أَوْرَاقِـهِ ... كَالـدُّرِّ فَوْقَ الْخَـدِّ مِنْ حَسْنَـاءِ

وَالْـوَرْدَةُ الْحَـمْرَاءُ بَيْنَ الضَّـفَّةِ الْـ ... ـخَضْرَاءِ فَـوْقَ الْحَـوْضَةِ الْبَيْضَاءِ

فَـاقَتْ خُدُوْدَ الْحِسَـانِ بِحُمْـرَةٍ ... تَحْـتَ الْعُـيُوْنِ النّـعَّسِ الشَّهْـلاَءِ

نَصَـبَتْ مَنَـابِرَ فَضْلِهَـا أَطْيَارُهَـا ... بِتَـغَرُّدِ الأَلْحَـانِ كَالْخُـطَبَـاءِ

فِيْ كَـفِّ أَمْـوَاجِ الْحِيَـاضِ صَـوَارِمٌ ... بَتَّـارَةٌ كَـاللَّـحْظَةِ الْبَـتْرَاءِ

١- هو الشيخ عبد الجبار خان بن عبد الرزاق خان، ولد عام ١٢٧٧هـ في رامفور. درس على علماء بلده ثم سافر إلى بهوفال وحيدر آباد لطلب العلم، وتوظف في دولة حيدر آباد.
من تصانيفه: مرآة العروس، آثار إقبال، تاريخ دكن، سلك غوهر، نظام سروري، كليات نظم آصفي، ديوان غزليات، شمائل الرسول، شواهد النجوم، نور الأنوار وغيرها، توفى سنة ١٣٤٤هـ (ينظر: تذكره كاملان رامفور ١٩٠-١٩٨، نقوش شخصيات نمبر ٢/ ١٢٦٤-١٢٦٥).

٢- كليات نظم آصفي ص ٢٠، عبد الجبار خان، أختر دكن بريس، حيدر آباد ١٣٢٦هـ.



فَالْهَــمُّ مِــنْ أَشْفَــارِهِمْ مُتَقَــطِّعٌ   وَالْغَــمُّ صَيْــدُ نُصُوْلِـهَــا الزَّرْقَـــاءِ

وَالسَّـــوْسَنُ الْـغَضُّ الـطَّرِيُّ لِـسَانُهُ   مُتَشَكِّـــرٌ لِلـرَّوْضَـــةِ الْغَنَّـــــاءِ

فهذه المقدمة الربيعيّة الطويلة تشتمل على تشبيهات جميلة، والمقدمة بعناصرها المختلفة من أنواع الزهور والطيور، وأمواج الحياض، والألوان المتعددة تدل على بيئة الفرح والطرب، وإن كان ولع الشاعر بمحسنات بديعية كالجناس والتدبيج قد أدّى في النهاية إلى غموض المعنى، وضعف العاطفة.

مقدمة زهدية:

ونرى بعض القصائد مفتتحة بشعر يصور ما في الدنيا من بريق ولمعان، وزخرفة وابتهاج، إلا أنها وخيمة العاقبة، تودّى في النهاية إلى متاعب لا كاشف لها إلا الله تعالى، يقول الشيخ عبد الجبار العمرفوري[1]:

لَحَـــا اللهُ دُنْيـــا فَتَنَتْنِيْ بِـزَهْـــرَةٍ   وَقَـــدْ أَوْقَعَتْنِيْ فِيْ بَــلاَءٍ وَحَـــيْرَةٍ

بِخُضْــرَتِهَـــا أَشْوَاكُ يَأْسٍ وَحَسْــرَةٍ   بِنُضْرَتِهَـــا أَسْقَـــامُ رُوْحٍ وَمُهْـــجَةٍ

غَــدَائِرُهَــا حَيَّــاتُ حُزْنٍ وَوَحْـشَةٍ   عَقَـــارِبُ أَدْوَاءٍ وَزَوْرٍ وَنَـكْـــبَةٍ

لَـــقَدْ لَدَغَتْ مَنْ كَانَ يَهْوَى وِصَالَهَـــا   فَـــلاَ زَالَ فِيْ بُؤْسٍ وَكَرْبٍ وَنَقْمَـــةٍ

فَـــلَيْسَ لَهُ رَاقٍ وَوَاقٍ وَنَـافِــــعٌ   وَلَمْ يَسْـــتَرِحْ مِنْ كُـــرْبَةٍ وَصُعُوْبَـــةٍ

زَخَـــارِفُهَا قَدْ هَيَّــجَتْ لَوْعَةَ الْهَـــوَى   فَـــأَوْرَتْ بِنَفْسِيْ وَالْفُــؤَادِ بِشُعْلَــةٍ

وبدأ بعض الشعراء قصائدهم بالكف عن الاشتغال بالغزل، وذكر النساء وتعداد محاسنهن، ودعا إلى الاهتمام بما ابتلي به المسلمون من ذل وضعف وتشرذم، وفي هذا يقول الشيخ عبد الله الجيتيكر[2]:

١- الإعلام ٣/ ١٢٦٠-١٢٦١.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٩٤.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

دَعْ ذِكْــــرَ رَبَّـــــاتِ الْكِـــلَلْ وَذَرِ الصَّبَـــــــابَةَ وَالْغَـــــــزَلْ
اَلْقَــــلْبُ مَشْغُــــوْلٌ فَـــــمَا لِلْـــعِشْقِ فِيْـــهِ مِـــنْ مَحَـــلْ

وإن كان الشيخ عبد الله الجيتيكر لم يطل في المقدمة، وانصرف عنها إلى غرض القصيدة، لاشتغال قلبه به، وتعلقه الشديد، فنرى الشيخ حبيب الرحمن العثماني قد أطال النفس في المقدمة، ودعا إلى ترك الصبابة، واللهو، وحثّ على صرف الهمة إلى طلب العلم والكمال، يقول[1]:

أَلاَ خَــــلِّ الصَّبَــــابَةَ وَالْغَرَامَـــــا وَذِكْـــرَاكَ الْحُـــمَيَّا وَالنَّـدَامَى[2]
وَحَـــانَاتِ الْمَــــدَامِ وَعَـــاكِفِيْهَـا وَكَـــأْسَ الـــرَّاحِ وَالشَّـرْبَ الْكِرَامَـا
وَجَـــامَـــاتٍ عَــلَى أَيْــدِيْ مِـلاَحٍ يَزِيْدُكَ طَرْفُهَـا السَّـــاجِيْ سِقَامَـا[3]
وَإِيَّـــاكَ الْحَـــبَائِبَ وَالْغَـــوَانِيْ تَصِـــيْرُ بِهِـــنَّ صَبًّـــا مُسْتَهَامَـــا
بُثَيْنَـــةَ وَالرَّبَـــــابَ وَأُمَّ عَمْــــرٍو وَلُبْـــنَى تُشْبِـــهُ الْبَـــدْرَ التَّمَـامَـــا
وَسُعْــــدَى لاَ تُـرِيْدُ لَهَـــا وِصَـــالاً وَلَيْـلَى لاَ تَهِيْمُ بِهَـــا هُيَــــامَـــا
وَمَيَّـــةَ لاَ تَرُوْمُ لَهَــــا ذَوَاتًـــا وَسَلْمَى لاَ تَزِيْــدُ بِهَـــا أُوَامَـــا[4]
فَتِـــلْكَ خَـــلاَعَةُ الشُّبَّـــانِ شِيْبَتْ مُجُـــوْنًا وَاجْـــتِرَاءً وَاجْــتِرَامَا[5]
إِذًا تُكْـــسِيْكَ مَنْـــدَمَةً وَخِـزْيًـــا وَفِيْ أُخــــرَاكَ تَلْـــقَ بِهَـــا أَثَامَـــا
وَهَبْـــكَ حُبِيْتَ أَطْـــيَبَ كُلِّ عَـــيْشٍ فَـــمَا عُقْبَـــاكَ إِلاَّ أَنْ تُذَامَـــا

١- معين اللبيب ص ٥٩-٦٠.
٢- الحميّا: بلوغ الخمر من شاربها (اللسان: مادة ح م ي).
٣- ساجية الطرف: فاترة الطرف ساكنته، طرف ساج أي ساكن: (اللسان: س ج ي).
٤- أُوام: حرّ العطش في الجوف (المحيط في اللغة ١٠/ ٤٦٢).
٥- اجتراء واجترام: كسب (اللسان: ج ر م).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَدَعْ عَنْكَ التَّمَادِيْ فِي تَعَامِيْ ... فَإِنَّ الصُّبْحَ قَدْ كَشَفَ الظَّلاَمَا
وَلاَ تَجْهَلْ فَإِنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ ... وَخُذْ بِالْعِلْمِ وَارْضَ بِهِ إِمَامَا

مقدمة ذاتية:

وصف بعض الشعراء في مقدمات قصائدهم تجاربهم الذاتية، وصوروا مواقفهم تجاه حوادث معينة، ومن أمثلة ذلك ما قاله السيد محمد باقر اللكهنوي[1] في مقدمة قصيدته التي مدح بها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول فيها[2]:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ حُبِّ الْحِسَانِ الْعواتقِ ... وَأَصْبَحْتُ فِيْ شُغْلٍ عَنِ اللَّهْوِ عَائِقِ
أَأَبْغِيْ وِصَالَ الْبِيْضِ، وَالشَّيْبُ شَامِلٌ ... كَفَى وَازِعاً عَنْهُنَّ شِيْبُ الْمَفَارِقِ
وَصَاحَ نَهَارُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ عَارِضِيْ ... وَحَلَّقَ غِرْبَانُ الشَّبَابِ الْغرَانِقِ

ذكر الشاعر أن قلبه قد استفاق من سكرة حبّ الغيد النواعم؛ لأن شبابه انصرم، وهاجمه الشيب. فكفه عن التمادي في اللهو والصّبا.

ونرى الشيخ إسماعيل المراد آبادي يشكو صروف الدهر، ونوائب الزمان، فيقول[3]:

لَحَى اللهُ دَهْراً قَدْ رَمَانِيْ بِغُرْبَةٍ ... وَطُوْلِ صُدُوْدٍ لاَحَ لِيْ بَعْدَ قُرْبَةِ
إِلَى اللهِ أَشْكُوْ مِنْ زَمَانٍ يَجُوْرُنِيْ ... هُوَ اللهُ مَوْلاَنَا، إِلَيْهِ لَشِكْوَتِيْ
إِذَا سَرَّنَا يَوْماً أَسَاءَ بِنَا غَداً ... وَأَلْقَى عَلَيْنَا شِدَّةً بَعْدَ شِدَّةِ
إِذَا فُرِّجَتْ آناً هُمُوْمِي فَعَادَ بِيْ ... مُصِرًّا بِضَيْمٍ لَحْظَةً بَعْدَ لَحْظَةِ

وهذه مقدمة جاءت موافقة لغرض القصيدة الذي هو رثاء الأم؛ إذ القصيدة من أول شطر منها تدلّ على الافتراق والبين، وأثره على قلب الشاعر الضعيف، وما أورثه فيه من أسًى وشجى.

١- الإعلام ٣/ ١٣٥٢.

٢- الغرانق ج غُرنوق: الشاب الناعم (اللسان: غرنق).

٣- الإعلام ٣/ ٩١٧.



مقدمة حكمية:

ونجد بعض القصائد مفتتحة بالحكمة -وهي قليلة- وخاصة في وصف الحروب، ومدح الولاة، والإشادة بالأبطال البواسل الذين أبلوا في الحروب بلاء حسناً. كما قال الشيخ يعقوب بن مملوك النانوتوي في قصيدةٍ مدح بها السلطان عبد الحميد العثماني، يبدأها بقوله[1]:

اَلْوَعْظُ يَنْفَعُ لَوْ بِالْعِلْمِ وَالْحِكَمِ ... فَالسَّيْفُ أَبْلَغُ وُعَّاظٍ عَلَى الْقِمَمِ

لَوْلاَهُ مَا بَلَغَ الدُّنْيَا لآخِرِهَا ... وَآض كُلُّ وُجُوْدُ الدَّهْرِ فِي الْعَدَمِ[2]

وَالسَّيْفُ لِلضَّيْمِ إِعْدَامٌ بِهِمَّتِهِ ... كَالْبَدْرِ يجلُو الدُّجَى بِالنُّوْرِ فِي الظُّلَمِ

هذه أهمّ المقدمات التي بدأت بها القصائد في الشعر العربي في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، وأراها جاءت ملائمة للأغراض، مناسبة للمقام، مشرقة الألفاظ، مجلجلة المعاني، يعرف بها المتلقي غرض الشاعر بمجرد الاستماع لأول بيته، ويجد المتلقى في نفسه إقبالا وإصغاء لما بعده من الأبيات، غير نافرة، ولا نابية.

ومع هذا الإحسان وتلكم الإجادة قد وجدت ابتداءات غير ملائمة للموضوع، وغير متوافقة مع السياق، فمنها بدء الشيخ حبيب الرحمن العثماني رثاءه للشيخ عبد الرحيم رائيفوري بمقدمة طللية، ذكر فيها أن خلو تلك الآثار من حبيباته أثار حزنه وشجاه، يقول[3]:

أَهَاجَكَ وَجْداً فَالدُّمُوْعُ هَوَامِعُ ... خَلاَءُ الْمَلاَهِي وَالدِّيَارُ الْبَلاَقِعُ

مَحَتْ رَسمَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ وَغَادَرَتْ ... أَثَافِيَّهَا سُفْعاً بُرُوْقٌ لَوَامِعُ

أُسَائِلُ عَنْهَا أَهْلَهَا فَتُجِيْبُنِي ... خَلَتْ عَنْ أَنِيْسٍ لَيْسَ دَاعٍ وَسَامِعُ

تَرَاهَا وَقَدْ كَانَتْ بَهِيْجًا رُوَاقُهَا ... مَرَابِعُ غِيْدٍ، لِلظِّبَاءِ مَرَاتِعُ

١- قصائد قاسمي ص ١٨، الإعلام ٣/ ١٤٠٣.

٢- آضّ مواضّه: بادر إلى الشيء.

٣- معين اللبيب ص ٦٣.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فلا أرى الشاعر مصيباً في ذكر هذه المقدمة الطللية؛ إذ لا يستحسن بدء الرثاء بالغزل، ولم يكن هذا من عادة الشعراء[1]؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والأسى.

ووجدت قصائد خلت من أي نوع من هذه المقدمات، واتسمت بالوحدة الموضوعية، حيث احتوت على موضوع واحد من بداية القصيدة إلى نهايتها، على نحو ما نرى ذلك في أغلب قصائد الشيخ عبد الحميد الفراهي، وبعض قصائد الشيخ عبد الرحمن سيوهاروي، وأنور شاه الكشميري، وحبيب الرحمن العثماني، مع أن النقاد العرب القدامى لم يستحسنوا هذا النوع من القصائد، التي لم يمهد لها الشاعر بشيء من النسيب أو الغزل، ويهجم فيها على غرضه مباشرة، وسموها مبتورة تشبيهاً لها بالخطبة البتراء التي تبدأ بدون ثناء على الله، والصلاة والسلام على النبي.

وأرى أن سيطرة الموقف على الشاعر، واهتمامه بالفكرة هي التي جعلت هؤلاء الشعراء يحيدون عن هذا المنهج المتبع في أغلب الشعر العربي القديم، والشعر العربي في الهند أيضاً؛ إذ أغلب شعر الشيخ عبد الحميد الفراهي في ذكر الحروب التي أشعلتها أوربا ضد المسلمين في ليبيا والبلقان وغيرهما، وقصائد الشيخ أنور شاه الكشميري الخالية من المقدمات في الردّ على القاديانية، وقصيدة الشيخ عبد الرحمن في مناسبة استكمال بناء قاعة دار الحديث في ديوبند، وقصيدة الشيخ عبد الرحمن سيوهاروي في ذكر الشوق والحنين إلى المدينة. كما يحتمل أن يكون هؤلاء الشعراء قد اطلعوا على ما طالب به النقاد في العصر الحديث – متاثرين بآداب الأوربية – من ترك المقدمات والوحدة الموضوعية والوحدة العضوية فحاولوا تطبيق هذ المبادئ النقدية ؛ لأن بعضهم كالشيخ عبد الحميد الفراهي والشيخ أنور شاه كانوا معروفين بسعة اطلاعهم على المؤلفات القديمة والحديثة.

التخلص:

كانت القصيدة العربية -في أكثر حالاتها- متعددة الموضوعات، متنوعة المعاني، مشتملة على عدة أجزاء من مقدمة وغرض وخاتمة، وكان الشعراء الأقدمون عند انتقالهم من موضوع إلى آخر، ومن معنى إلى معنى جديد كانوا يقطعون الكلام السابق

١– العمدة ٢/ ٨٣٧.



فجأة، ويستأنفون معنى جديداً؛ لما عندهم من شظف العيش وغلظ الطبع، ولا يبالون كثيراً بحسن الانتقال والتدرج.

ولكن لما جاء المحدثون بما عندهم من الرقة واللطافة، ولين الطباع؛ بسبب التحضر وتعود على رفاهية العيش، استكرهوا طريقة القدماء، وبدأوا يهتمون بمواضع الانتقال من جزء إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى، حتى لا يشعر السامع بالانتقال المفاجئ، ولا يتيه في تشتت الأفكار والموضوعات، بل يبقى منتبهاً للشاعر وشعره؛ لأن «الأديب الحاذق هو الذي يراعي أقصر الطرق وأسرعها إلى جذب السامع والسيطرة على أحاسيسه ومشاعره»[١].

فإن خرج الشاعر من معنى إلى آخر بلطف تحيل[٢]بأن جعل الأول سبباً إلى الثاني، فيكون بعض الكلام آخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع كلاماً ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً واحداً[٣]سمي تخلصاً، ودلّ على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه بسبب اتباعه للوزن والقافية، فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته[٤]ولذا عدّ التخلص من مستعصيات البيان[٥].

أما ضدّ التخلص فهو الاقتضاب وهو «قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه»[٦]. ومن الاقتضاب التخلص بفصل الخطاب، وهو كقول القائل بعد حمد الله: أما بعد[٧].

وقد بذل الشعراء في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين عناية خاصة بالتخلص، ومن ذلك ما قاله السيد محمد باقر اللكهنوي مفتخرا بنفسه[٨]:

١- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ، د.منصور عبد الرحمن ص ٧٩م، دار العلم للطباعة، القاهرة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢- العمدة ١/ ٣٧٢.

٣- المثل السائر: ٢/ ١٢١.

٤- المثل السائر ٢/ ١٢١.

٥- المرجع السابق ٢/ ١٤١.

٦-المرجع السابق ٢/ ١٣٩.

٧- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات أبوستيت ص ١٢٣.

٨- الإعلام ٣/ ١٣٥٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

وَمَـــا أَنَا إِلاَّ الْبَـدْرُ فِي اللَّيْلِ طَالِعــاً وَهُمْ كَالْكِلاَبِ الْعَـادِيَاتِ الزَّوَاعِـقِ[١]

فَقُـلْ لِـلأُلَى أَمُّوا اللِّحَاقَ أَلاَ ارْبِعُـوْا عَلَى ظِلْعِكُمْ فَلاَ تَدْحَضُوْا فِي المـزَالِقِ[٢]

وَقُــلْ لِلْعِدَى مُوْتُوْا بِغَـيْظِ نُفُوْسِكُمْ فَـمَا الْفَضْــلُ إِلاَّ لِلْــكِرَامِ الْـمَعَـارِقِ

وَنَحْنُ وَرِثْنَـا الْـمَـجْدَ عَنْ كُلِّ مَاجِدٍ وَآبَــاءِ صِــدْقٍ كَالشُّمُوْسِ الشَّـوَارِقِ

بَهَـالِيْــلُ أَزْوَالٌ تُنَــاخُ بِبَــابِهِمْ صُدُوْرُ الأَمَــانِيْ أَوْ صُدُوْرُ الأَيَـانِقِ[٣]

ثم انتقل إلى مدح سيدنا علي –رضي الله عنه– فقال:

وَكُـلُّ فَـتًى تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَــارِهِ ثِــمَالُ الْيَتَــامَى، مَوْئِـلٌ لِلـدَّرَادِقِ

رَبِـيْـعُ الْيَتَامَى، يُنْعِشُ النَّــاسَ سَيْبُهُ إِذَا أَخْــلَفَتْ قَطْرُ الْغُـــيُوْمِ الدَّوَافِـقِ

فأجاد التخلص، إذ لا يشعر القارئ بالطفر أو القطع المفاجئ.

واتخذ الشعراء أساليب وأدوات عدة للتخلص كالواو والفاء، ولكن، وبل، والنّداء، والاستفهام وغيرها للدلالة على ارتباط الكلام اللاحق بالسابق، وشدّة تعلقه به، وأن اللاحق مبني على السابق، ليس مبتورا منه، ومن ذلك ما نراه عند الشيخ عبد الصمد علمي في لاميته النبوية، يقول فيها في نهاية المقدمة الغزلية[٤]:

لَمْ يَنْـــفَعِ الصَّــبَّ إِذْ لَمْ يَلْقَ مَطْـلَبَهُ تَتَابُعُ السَّـــيْرِ فِي الأَسْحَـــارِ وَالأُصُلِ

وَمَطْـلَبِيْ لَـيْسَ إِلاَّ مَنْ بِمِـلَّتِهِ الْـ ـغَرَّاءِ قَــدْ ذَهَبَ الْـمَـنَّانُ بِالْـمِـلَلِ

فتخلص بقوله: «ومطلبي ليس إلا من ....» إلى مدح الحبيب المصطفى ﷺ واستخدم له حرف العطف «و» وتكرار كلمة وردت في البيت السابق.

١ – الزواعق: من زَعَقَ يزعَقُ زعْقاً: أفزعه–أما كلمة الزواعق فلم أجدها في اللسان.

٢ – أربع على ظَلَعِك: أرفق على نفسك (اللسان: ظلع) الدَّحْضُ: الزَّلَقُ (اللسان ز ل ق).

٣ – الأيانق ج ناقة (المحيط في اللغة ن و ق ٦/ ٣٥)، عالم الكتب، بيروت ط١، ١٤١٤هـ، وهو جمع أَيْنُق.

٤ – لامية العلمي مع البائية ، ص ٢، المطبع الحقاني مدراس ١٣٥٥هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ومن ذلك أيضاً قول الشيخ عبد الرحمن الغازيفوري في نهاية مقدمته الغزلية[1]:

يَـــا وَيْلَــتِيْ مَــا فُزْتُ قَطُّ بِمَقْصِدِيْ ... بَـلْ مَسَّـنِيْ مِـــنْ قَــطْعِهِ التَّـبْرِيْحُ

لَمْ يَسْمَــحِ الــزَّمَنُ الْـمُـعَــانِدُ بِالَّذِيْ ... أَغْـــدُوْ لَـــهُ مُتَــــأَسِّفــاً وَأَرُوْحُ

ثم تخلص إلى غرض القصيدة بقوله:

فَــالآنَ يَـــا نَفْــسُ اشْغِلِيْ بِثَـنَــاءِ مَنْ ... ذِكْـــرَاهُ لِلْــــقَلْبِ الْحَـــزِيْنِ مُرِيْحُ

وتخلص الشاعر هنا بالفاء.

وكذلك الشيخ عبد الرحمن السيوهاروي بدأ قصديته النبوية بمقدمة غزلية، يقول مطلعها[2]:

رَمَـــتْ إِلَيَّ بِسَهْــمِ اللَّــحْظِ عَيْنَــاكِ ... أَصَــابَ قَلْــبِيْ فَهَــذَا الصَّــيْدُ مَصْمَاكِ

إلى أن قال:

مَلَـكْتِ إِقْلِـيْمَ حُسْنٍ فَـارْحـمِيْ وَصِلِيْ ... قُلُــوْبُ أَهْــلِ الْهَــوَى طُرًّا رَعَايَـاكِ

بِحَــاجِبَيْكِ مَحَــارِيْبٌ لِسُجَّدِهَـــا ... كَـمَا بِعَيْنَيْكِ حَانَــاتٌ لِسُكْــرَاكِ

لَمْ أَنْـسَ ذِكْــــرَكِ فِيْ ضِيْقٍ وَفِيْ سَــعَةٍ ... لَـــكِنْ بِمَــدْحِ رَسُوْلِ اللهِ أَنْسَـــاكِ

فجمع في بيت واحد بين الغزل والمديح النبوي بأسلوب جميل، وتخلص بطريقة لاتشعر السامع بالانتقال لشدة تماسك المعنى، وتآلف الكلام بعضه ببعض، بسبب بناء بعضه على الآخر.

ومن التخلص الحسن أيضاً ما قاله الشيخ أحمد الشرواني في قصيدة بدأها بالنسيب يقول فيها مخاطباً حبيبه[3]:

١- الإعلام ٣/ ١٢٧١.

٢- مجلة «القاسم» عدد ذي القعدة ١٣٣١هـ، ص ٢.

٣- نفحة اليمن ص ١٤٨، وقد ذكرت المقدمة في بداية هذا المبحث ص٣٤٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَرَاكَ صَدَدْتَ عَنِ الصَّبِّ ظُلْمَا   أَيَا عَادِلَ الْقَدِّ رِفْقاً وَرَحْمَا

ثم تخلص بعد الغزل وذكر اللوام والمحاجة معهم إلى الفخر والاعتداد بالنفس وذكر بعض صفاته التي تؤهله – في نظره– لذلك الفخر، فقال:

خَلِيْلَيَّ مَالِيْ وَلِلدَّهْرِ أَضْحَى   يَرُوْمُ انْحِفَاضاً لِقَدْرِيْ وَهَضْمَا

أَلَمْ يَدْرِ أَنِّيْ شِهَابُ الْمَعَالِيْ   لَعَمْرِيَ مُنْكِرُ ذَا الْقَوْلِ أَعْمَى

ولم يحسن الشاعر التخلص من المقدمة إلى الغرض فحسب، بل أجاد في الانتقال من جزئية إلى أخرى داخل موضوع واحد أيضاً، كما فعل في الانتقال من مخاطبة الحبيب إلى مخاطبة العذّال.

وبهذا رأينا أن الشعر العربي في الهند قد اشتمل على عناية بالتخلص، وحاول الشعراء الإتقان في هذا الجانب، ليتدرج المتلقي من موضوع إلى آخر تدرجاً طبيعياً ولا يشعر بالقطع فجأة.

الخواتيم:

عُنى النقاد بالخواتيم عناية تكاد تقترب من عنايتهم بالمطالع، وذلك لأن الختام آخر شيء يبقى في السمع، فإن كان حسناً بليغاً بقي في النفس من ذلك الشعر شيء حسن، وإن كان خلاف ذلك كدّر ما قبله أيضاً.

ولذا يرى النقاد أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها[١]. وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له يجب أن يكون الآخر قفلا عليه، ولذا لابد أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه[٢].

ولم يكن النقاد يلزمون الشعراء بنهاية معينة، بل يرون أن تحديد نهاية القصيدة بيد الشاعر نفسه[٣] غير أنه يفضل أن تكون الخاتمة سارة فيما قصد به التهاني، مشتملة على معان مؤسية فيما قصد به التعازي والمراثي، وفي كل غرض بما يناسبه[٤].

١– الصناعتين ص ٥٠٣.

٢– العمدة ١/ ٣٧٨.

٣– بناء القصيدة العربية القديمة ص ٢٣١.

٤– منهاج البلغاء ص ٨٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وكان الشعراء يختمون قصائدهم بمعانٍ بديعة، أو أمثال رائعة، أو تشبهات رائقة، أو ألفاظ حسنة أو حكمة بالغة[1]. واستحسن النقاد الحكمة في الخاتمة، وعدوها دليلاً على جودة الانتهاء وحسن الختام[2] لما تتضمنه الحكمة من تجارب وخبرات تحتاج إليها الأجيال والأقوام، كما كرهوا الخاتمة بالدّعاء ورأوه من عمل أهل الضعف[3]؛ لأن الشعراء يملكون طرقا شتى للتعبير عن مغزاهم، فالانصراف عنها واللجوء إلى الدعاء للدلالة على النهاية، دليل عدم التمكن.

وأرى أن الخاتمة الدعائية كانت سائدة في الشعر العربي في الهند، ولعل ذلك راجع إلى كون أغلب الشعراء ينتمون إلى بيئة دينية ويعرفون جيداً أن الدّعاء هو أقوى سلاح المؤمن، فأهمية الدّعاء وفوائده هي التي جعلتهم يختمون به قصائدهم، وإن عدّه أهل الأدب والنقد من الضعف، ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ أنور شاه الكشميري في نهاية رثائه للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، يقول فيها[4]:

فَرَحْمَةُ رَبِّهِ أَبَداً عَلَيْهِ ... وَطَابَ ثَرَاهُ مِنْ رِضْوَانِ بَارِيْ

ومثله الشيخ ناظم الدين الندوي يدعو للملك فيصل في نهاية قصيدته الرثائية بالرحمة والمغفرة، ودخول الجنة، كما يدعو للملك خالد بعده بانتهاج سياسة رشيدة، والحفظ والنصرة، وطول بقاء ملكه وسيادته، يقول[5]:

اَللهُ يَرْحَمُهُ وَيَشْكُرُ سَعْيَهُ ... وَيَجُوْدُ مَضْجَعَهُ سَحَابٌ مَاطِرُ
نَرْجُوْ لَهُ غُفْرَانَ رَبٍّ غَافِرٍ ... فِيْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ حَيًّا يُحْبَرُ
نَرْجُوْ أَخَاهُ أَنْ يَسُوْسَ كَمِثْلِهِ ... صِنْوَانِ مِنْ دَوْحٍ يُظِلُّ وَيُثْمِرُ
اَللهُ يَحْفَظُهُ وَيَنْصُرُ جُنْدَهُ ... وَيَطُوْلُ سُؤْدَدُهُ يُطَاعُ وَيَأْمُرُ

١- الصناعتين ص ٥٤.
٢- بناء القصيدة العربية القديمة ٣٠٢.
٣- العمدة، ١/ ٣٨٠.
٤- نفحة العنبر من هدي الشيخ أنور ص ١٥٩.
٥- الزهرات ص ١٠.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ويختم الشيخ عبد الرحمن سيوهاروي قصيدته في الشوق إلى المدينة المنورة مهاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بالدعوة لها بالحفظ والرعاية، ونزول الأمطار عليها، يقول[1]:

أَيَــا مَدِيْنَةُ طِــيْبِي وَانْـعِمِيْ وَعِـمِيْ ... وُقِيْتِ شَــرًّا وَعَــيْنُ اللهِ تَرْعَــاكِ

سَقَــاكِ جُــوْدٌ مِــنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَمِـراً ... وَصَــوْبُ وَلْيٍ مِــنَ الأَمْطَــارِ رَوَّاكِ

ويدعو الشيخ أحمد الشرواني لصديقه وخدنه الشيخ إله داد بطول العيش والسلامة في نهاية قصيدته التي مدحه بها، يقول فيها[2]:

فَاسْلَــمْ وَعِــشْ مَــا هَزَّ مُضْنًى هَـائِمًا ... ذِكْــرُ الْحِــمَى وَمَرَابِــعُ الأَخْــدَانِ

وختم بعض الشعراء قصائدهم بالصلوة والسلام على النبي الكريم، ومن هؤلاء الشيخ محمد حسيني الكالفوي يختم قصيدته المدحية بقوله[3]:

صَلُّــــوْا عَلَــيْـهِ صَـلاَةً فَاحَ نَفْـحَتُهَا ... وَسَلِّمُـــوْا بِسَــلاَمٍ طِــيْبُهُ عَبَقَــا

كما ختم الشيخ أنور شاه الكشميري أيضاً قصيدته النبوية بالصلوة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، يقول في قصيدته التي مطلعها[4]:

بَــرْقٌ تَــــأَلَّقَ مُوْهِنـــا بِالْـــوَادِيْ ... فَاعْتَــــادَ قَلْبِيْ طَائِفُ الإِنْجَــــادِ

يقول في نهاية هذه القصيدة:

سُبْحَــانَ مَنْ صَــرَفَ الأُمُوْرَ وَمَا أَتَتْ ... غَـــيْرٌ عَـــلَيْهِ عَــلَى مَدَى الآبَــادِ

ثُــمَّ الصَّلَـوةُ مَعَ السَّــلاَمِ عَلَى الـنَّبِيْـ ... ـيِ وَآلِــهِ مَــعَ صَحْــبِهِ الأَمْجَــادِ

ومن الشعراء من جمع بين الدّعاء وبين الصلوة والسلام على النبي المصطفى، ومن

---

١ – القاسم، جمادى الأولى ١٣٣٢هـ ص ٨.

٢ – نفحة اليمن ١٥٢.

٣ – الإعلام ٣/ ١٣٤٧.

٤ – القاسم شوال ١٣٢٩هـ ص ٣٤، نفحة العنبر ص ١٥٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

أمثلة ذلك قول الشيخ أنور شاه[١]:

وَأَقَـــامَ رَبُّ الْـعَـرْشِ عِزَّةَ دِيْنِـهِ ... وَأَطَـالَ ظِـلَّ خِـلاَفَةِ السُّلْطَانِ

ظِـلُّ الإِلَـهِ عَـلَى الْـبَرِيَّةِ كُلِّـهِمْ ... سُلْطَـانُهُمْ عَبْدُ الْمَـجِيْدِ الثَّـانِيْ

سَعِـدَتْ مَسَـاعِيْهِ وَأَنْجَحَ جَـدَّهُ ... مَـادَامَ يَسْعَى فِيْ رِضَـى الـرَّحْمَنِ

وَالْحَـمْدُ للهِ الَّـذِيْ قَدْ خَصَّنَـا ... بِمَـزِيْدِ فَضْـلٍ مِنْهُ ثُمَّ حَنَـانِ

ثُـمَّ الصَّـلَوةُ عَلَى الـنَّبِيِّ وَآلِهِ ... خَـيْرِ الْخَـلاَئِقِ مِنْ بَنِيْ عَدْنَـانِ

وكان بعض الشعراء يحاولون أن يأتوا في نهاية القصائد ما يدل على تاريخ الحدث الذي نظم فيه الشعر، كعام الوفاة في نهاية قصيدة الرثاء، كما قال الشيخ أنور شاه في رثائه لعبد الباقر، يقول في النهاية[٢]:

وَلَـمَّـا قَضَى نَحْبـاً حَسَـبْتُ ... بِمَغْـفِرَةٍ أَوْبٌ، وَللهِ مَـرْجِـعُ

أو تاريخ الولادة مثلاً في قصيدة التهنئة عند ميلاد مولود، كما في شعر الشيخ محمد الأنصاري في تهنئة للشيخ عبد الحي عند ولادة مولود له سمي عبد العلي، يقول في آخر بيت في تلك القصيدة[٣]:

بَـدْرُ سَعْدٍ لأَجْـلِ ذَا أَرَّخُـوْهُ ... بَدْرُ تَـمٍّ بَدَا بِوَقْـتِ سُعُـوْدِ

أو وقت حصول حادث في شعر المناسبات كما نرى عند الشيخ حبيب الرحمن العثماني في قصيدة أنشأها عند استكمال إنشاء مبني خاص لدراسة الحديث النبوي سمي بدار الحديث، يقول فيها[٤]:

وَقُلْـتُ بِـرَأْسِ الْبِشْرِ يَوْمَ افْتِتَاحِـهَا ... وَثِيْقٌ مَعَالِيْهَـا أَنِيْقٌ قُصُوْرُهَـا

١- نفحة العنبر ص ١٦٥.

٢- مجموعة قصائد مرثية وقطعات تاريخ وفات ص ٤، رتبها: حبيب الرحمن عثماني، ديوبند ١٣٣٦هـ.

٣- الإعلام ٣/ ١٣٤٢.

٤- معين اللبيب ص ٤٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وكان الشعراء يصبون اهتمامهم باستخراج مادّة التاريخ، ويخصونه بفضل عنايتهم، ولذا سمّوا كثيراً من القصائد أو المقطوعات بقولهم: «قطعة تاريخ كذا» ويقصدون بها المقطوعة أو القصيدة التي نظمت في تلك المناسبة.

وكان من عادات الشعراء في نظم اللغتين الأردية والفارسية أن يذكروا ألقابهم الشعرية التي لقبوا بها أنفسهم في نهاية القصيدة، وهذا اللقب يسمى في اللغتين، «التخلص»، ونرى أن بعض الشعراء ذكروا التخلص في قصائدهم العربية أيضاً، فمن ذلك قول الشيخ طلا محمد البيشاوري في نهاية قصيدته[١]:

فَيَــا رَبِّ بِالخِلِّ الْـحَبِيْبِ مُحَمَّــــدٍ   نَــبِيِّ الْبَرَايَا، وَهُوَ فِي الْـحَشْرِ شَــافِعُ
رَسـوْلُكَ، وَهُوَ النُّوْرُ ذُو الشَّرَفِ الـسني   نَبِـيُّكَ، وَهُـوَ الــسَّيِّدُ الْـمُتَـوَاضِعُ
أَنِـــلْنَا مَعَ الأَحْبَــابِ رُؤْيَتَـكَ الَّــتِيْ   لَهَـــا فِيْ فُؤَادِ الأَصْفِيَاءِ مَطَـــامِعُ
وَأَحْـــــسِنْ إِلَيْنَـــــا يَـــا إِلَهِيْ بِرَحْمَةٍ   إِلَيْهَـــا قُلُـــوْبُ الأَوْلِيـَــاءِ تُسَارِعُ
فَبَـــــابُكَ مَقْصُــوْدٌ وَفَضْـلُكَ زَائِدٌ   وَلُطْفُــكَ مَـــأْمُوْلٌ، وَعَبْـدُكَ ضَارِعُ
وَذَنْــبِيَ لاَ يُحْــصَى، وَمَنْحُكَ مُرْتَجَى   وَجُوْدُكَ مَرْجُـــــوٌّ، وَعَفْـــوُكَ وَاسِعُ
وَأَيِّـــدْ بِنُوْرٍ كَيْ يَقُــوْلَ لَـــهُ طَلاَ   أَبَــدْرٌ بَدَا مِنْ جَـــانِبِ الْغَــوْرِ لاَمِعُ

ومن أمثلته أيضاً قول الشيخ باقر بن مرتضى المدراسي في الغزل، يقول في نهايته[٢]:

آكَـــاهْ تَنَــاهَتْ حَــــيْرَتُهُ   أَدْرِكْــــهُ إِلَهِـــيْ بِالْـــكَرَمِ

وقد ختم بعض الشعراء قصائدهم باقتباس جزء من الآية القرآنية الكريمة، وأكثره في شعر الدعوة الإسلامية، كما نرى ذلك عند الشيخ عبد الله الجيتيكر في قصيدته التي وجّه بها النداء إلى علماء الدين، وحثهم على نبذ الفرقة والخلاف، وناشدهم النهوض بما ينفع المسلمين، يختمها بقوله[٣]:

١- نشأة الطرب في أشواق العرب ص ١٠-١١، مطبع آفتاب، بيشاور ١٢٩٢هـ.
٢- الإعلام ٣/ ٩٣٣.
٣- روداد اجلاس نهم ندوة العلماء ص ٢، محمود المطابع، كانفور ١٣١٩هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَإِنْ أُرِيــــــدُ ســــوَى الإِصْلاَحِ مُتَّكِلاً عَـــلَى الْعَزِيْـــزِ، وَتَوْفِيْقِيْ بِهِ اتَّســــمَا

وكما رأينا ذلك أيضاً في قصائد الشيخ عبد الحميد الفراهي في شعر الجهاد[1]

ومن أمثلته أيضاً قول الشيخ طلا محمد البشاوري[2]:

«سُبْحَـــانَ رَبِّكَ رَبِّ الْـــعِزِّ» عَزَّ وَجَلْ عَـــمَّا يَقُوْلُ أُوْلُو الأَهْـــوَاءِ وَالنُّكُرِ[3]

ومن الطرق التي سلكها بعض الشعراء في نهاية قصائدهم التذكير والوعظ بعدم الاغترار بالدنيا، والحث على العمل للآخرة، والقيام بأداء الواجب، ومن ذلك قول الشيخ حبيب الرحمن العثماني في نهاية رثائه لشيخه محمود الحسن، يقول فيها:

وَقُـــمْ أَيُّهَا الْـوَاقِيْ لِدِيْنِكَ وَاعْتَـــصِمْ وَإِلاَّ سَتُصْبِـــحُ قَارِعًـــا مِنْ نَـــادِمِ

وَلاَ تَشـــتَرِ الدُّنْـــيَا بِدِيْنِكَ مَاجـــنًا وَلاَ تَـــكُ عَبْـــداً مِنْ عَبِيْدِ الدَّرَاهِمِ

وَلاَ تَـــكُ مُغْـــتَرًّا بِجَـاهِكَ وَالْغِنَى فَـمَـا أَنْـتَ مِـنْ رَيْبِ الْـمَنُـوْنِ بِسَالِـمِ

وَلاَ تَـــكُ مِـــمَّن يَخْتَلُوْنَ بِدِيْنِهِمْ مَتَاعًـــا قَلِيْـــلاً لَيْسَ يُغْنِيْ لِطَاعِمِ

ومنها أيضاً قول الشيخ عبد الله الجيتيكر في نهاية قصيدته التي وجّه بها النداء إلى العلماء لتدارك الأمر قبل تفاقم الخطب، يقول فيها[4]:

غَـــداً سَيُسْأَلُ كُـــلٌّ عَـــنْ رَعِيَّتِهِ فَـــمَا جَوَابُكُمْ يَـــا مَعْـــشَرَ الْعُلَمَا؟

وهذه -لا شك- نهاية مؤثرة حيث تحث المتلقين على اختلاف طبقاتهم للعمل، وتذكرهم بموقف العرض على الله تعالى في عرصات القيامة.

ومن النهايات ما ختم به الشيخ محمد بن حسين الأنصاري قصيدته التي بعث بها إلى الشيخ عبد الحي يذكر فيها شوقه إلى الفوز بلقائه ورؤيته؛ إذ لا يقرّ له قرار بدونه حتى

١- ينظر: المطلب الرابع، المبحث الأول، الفصل الثاني من الرسالة.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٥٣.

٣- في الشطر الأول اقتباس من سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

٤- الإعلام ٣/ ١١٧٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ولو كان في جنة الخلد، يقول[1]:

حَــرَامٌ عَلَيَّ النَّوْمُ حَــتَّى أَرَاكُــمُ وَلَـــوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ أَوْ جَنَّةِ الْخُلْدِ

وهذه نهاية جميلة تؤكد شدة تعلق الشاعر بالمرسل إليه، وتذكره حقوق الصداقة مع ما اشتملت عليه النهاية من مبالغة.

كما ختم الشيخ أحمد الشرواني بعض قصائده بالفخر، فيقول[2]:

أَنَــا ابْــنُ الْكَمَالِ وَرَبُّ الْفَــخَارِ فَلاَ غَرْوَ إِنْ فُقْــتُ عَرَبــاً وَعَجَمَا

مَقَــامِيْ جَلِيــلٌ، وَمَجْــدِيْ أَثِيْلٌ وَفَــرْعِيْ إِلَى مُحْتَدَى الْجُــوْدِ يُنْمَى

ومع هذه الانتهاءات الحسنة الكثيرة، هناك خواتيم لم يوفق فيها الشعراء فمن ذلك ما ختم به الشيخ ظفر أحمد التهانوي رثاء زوجه حيث يقول[3]:

ثُــمَّ الصَّلَــوةُ عَلَى النَّبِــيِّ وَآلِهِ مَــادَامَ بَهْــجَةُ لَيْــلَةِ التَّعْرِيْسِ

فإن كان ذكر البهجة والعرس يستقبح في ثنايا الرثاء، وخاصة رثاء الزوجة الذي ينتظر أن يكون أشد تحسراً، وأكثر حرارة، فإن الانتهاء بمثل هذا الكلام أشد وأنكى، وخلاف ما قرّره الذوق والنقد من أن تكون الخاتمة في المراثي والتعازي حزينة مؤسية[4].

الوحدة الموضوعية:

رأينا - فيما سبق أن أغلب القصائد في الشعر العربي كانت متعددة الموضوعات؛ وذلك لأن شعراء العربية في الهند كانوا يرون الشعر الجاهلي هو النموذج الأفضل، ويحاولون أن ينتهجوا نهجهم، ولذا جاء أغلب القصائد مشتملة على أكثر من موضوع.

لكن مع هذه الأغلبية للقصائد ذات الموضوعات المتعددة، نجد -بجوارها- جملة صالحة من القصائد- تتسم بالوحدة الموضوعية، كما رأينا في شعر الجهاد لدى كل من

١- الإعلام ٣/ ١٣٤٣.

٢- نفحة اليمن ١٤٨.

٣- معارف ٤ جلد ٦٧ ص ٣٠٧.

٤- منهاج البلغاء ص ٢٨٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الشاه عبد العزيز الدهلوي، والشيخ حميد الدين الفراهي، والشيخ عبد الحق حقي، وفي قصائد الاستنهاض بالهمم لدى الشيخ عبد الحميد الصادقفوري، وفي بعض قصائد المديح النبوي لدى الشيخ عبد الرحمن السيوهاروي، وقصائد الرثاء لدى الشيخ عبد الله الجيتيكر، والشيخ حبيب الرحمن العثماني، والشيخ إبراهيم مسقطي، وفي الغزل لدى الشيخ صدر الدين آزرده، والشيخ عبد الأول الجونفوري، وسيد أحمد حسرت، والمفتي محمد عباس، وفي شعر الإخوانيات لدى الشيخ محمد أحمد اليمني الشرواني في رسائله إلى بعض إخوانه، وفي ردّهم إليه.

الوحدة العضوية:

عرف الدكتور غنيمي هلال الوحدة العضوية بقوله: «نقصد بالوحدة العضوية في القصيدة وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر»[1].

فهذا التعريف يتطلب توافر ثلاث عناصر في القصيدة:

العنصر الأول: وحدة الموضوع.

العنصر الثاني: وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع.

العنصر الثالث: الترتيب والتسلسل في الأفكار والمشاعر.

ونجد في الهند جملة من القصائد توافرت فيها هذه العناصر الثلاثة، كقصيدة الشيخ محمد ناظم الندوي التي سماها بـ«لون من ألوان الحياة الغربية»، يقول فيها[2]:

قَدْ وَسْوَسُوْا إِلَى الشَّبَابْ ... أَنَّ التَّقَالِيْدَ السَّرَابْ

فَبَغَوْا عَلَى كُلِّ الْقَدِيْمْ ... لِيَجْعَلُوْهُ كَالرَّمِيْمْ

خَرَجُوْا غِضَابَى شَارِدِيْنْ ... وَعَلَى الْحَضَارَةِ مَارِدِيْنْ

١-النقد الأدبي الحديث ٣٧٣.

٢-الزهرات، محمد ناظم الندوي، ص٢١-٢٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

سَئِمُوا الْحَيَاةَ فِي الْمُدُنْ ... عَيْشَ التَّعَبِ بِالْمِهَنْ
عَيْشًا بَغِيْضًا بِالصَّخَبْ ... عَيْشًا شَقِيًّا بِالنَّصَبْ
عَيْشًا يُكَدِّرُهُ الدُّخَانْ ... مُتَصَاعِدًا إِلَى الْعَنَانْ
جَوًّا يُنَغِّصُهُ الضَّجِيْجْ ... وَيَرْنُقُهُ كُلُّ الْعَجِيْجْ
فَفَرْقَعَةٌ وَزَمْجَرَهْ ... فَعَقْعَقَةٌ وَجَرْجَرَهْ
يُزْعِجُهُمْ مَدُّ الصَّفِيْرْ ... يَعْقُبُهُ طُوْلُ الزَّفِيْرْ
يُقْلِقُهُمْ طُوْلُ الأَزِيْزْ ... وَيُهَوِّلُهُمْ مِثْلُ الأَزِيْزْ

خَرَجَ الْفَتَى سَبَهْلَلاَ ... مُتَمَرِّدًا وَمُضَلِّلَا
يَتَجَوَّلُ مُتَبَرِّمَا ... بِبِيْئَتِهِ وَهَائِمَا
يَأْتِيْ وَيَمْضِي سَادِرَا ... وَعَلَى الأَنَاقَةِ ثَائِرَا
قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِالْحَيَاةْ ... مَلِيْئَةً بِالتُّرَّهَاتْ
كَرِهَ النَّظَافَةَ وَالطُّهُوْرْ ... لَزِمَ الْوَسَاخَةَ فِي غُرُوْرْ
قَدْ يَرْتَئِيْ مَرْأَى الْهَمَلْ ... يَتَرَدَّدُ بِلاَ عَمَلْ
وَيَطُوْفُ مُتَحَيِّرًا ... يَبْغِي الْهُدُوْءَ مُسَافِرَا
مُتَمَشِّيًا عَلَى الطَّرِيْقْ ... مُتَهَادِيًا مَعَ الرَّفِيْقْ
مُتَجُوِّلاً مَعَ الْقَرِيْنْ ... مُتَّخِذًا سُوْءَ الْخَدِيْنْ
يَمْشِي الْهُوَيْنَى وَاجِمَا ... وَعَلَى الظُّرُوْفِ سَادِمَا
يَبْدُوْ كَئِيْبًا سَاهِمَا ... وَعَلَى الثَّقَافَةِ نَاقِمَا

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

حِيْنًا تَرَاهُ مُخَاصِرَا ... خِلاَّنَهُ وَمُسَامِرَا

مُتَكَاسِلاً وَمُهَلْهِلاً ... مُتَبَاطِئًا مُتَرَسِّلاَ

مُرَقَّعًا أَثْوَابُهُ ... يَرْثِي لَهُ أَتْرَابُهُ

مُتُوَسِّخًا وَمُرْسِلاَ ... ذَوَائِبَهُ مَعَ اللِّحَى

ضَرْبٌ عَجِيْبٌ مِنْ بَشَرْ ... يَنْفِيْهِ بَدْوٌ وَحَضَرْ

فَكَأَنَّهُ ضَبُّ الْفَلاَ ... أَوْ دُبُّ آسْتِرِيْلِيَا

أَيْنَ الْفَرَارُ يَا تَرَى ... أَيْنَ الْقَرَارُ يَا فَتَى

اِفْزَعْ إِلَى رَبِّ الْوَرَى ... حَيْثُ هُدُوْءٌ وَهُدَى

اِرْجِعْ إِلَيْهِ فِيْ أَمَلْ ... مُسْتَرْحِمًا وَفِيْ وَجَلْ

يُخْرِجْكَ مِنْ حَيْرَتِكَا ... يُؤْنِسْكَ مِنْ وَحْشَتِكَا

يُنْعِشْكَ مِنْ عَثْرَتِكَا ... يُنْقِذْكَ مِنْ حُفْرَتِكَا

يصور الشاعر في هذه القصيدة لونا من ألوان الحياة الغربية المادّية التي أقيمت على الكفر والإلحاد، والتمرد على الدين والأخلاق، والقيم والأعراف، والتقاليد والعادات، لا همّ لأصحابها في الحياة إلا الكدّ من أجلّ الحصول على حطام الدنيا ومتعها الزائلة، ولا ضابط لديهم في سبيل القضاء على حوائجهم، ولا وازع من دين أو خلق يردعهم ويمنعهم، لكن هذا الكفر بالله تعالى، والتحرر من الدين والخلق، والحرية المزعومة أوصلتهم إلى حالة يرثى لها، حيث تفككت الروابط الأسرية، وفسدت الأوضاع، وانحلت المجتمعات وأورث لديهم خواءاً روحانياً، فبدأوا يتيهون في الأرض لإشباع الجانب الروحي ويجرون في سبيله شرقاً وغرباً، ويبحثون عنه في كل



الأديان والطوائف، وصاروا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [1]، وبدأ العقلاء منهم يكرهون هذا الوضع، يصور الشاعر هذه الأحوال في المقطوعتين الأولى والثانية: في الأولى متمثلة في حياتهم الشاقة المضنية في المدن والمصانع، وفي الثانية في عدم اهتمامهم بالذات، وعدم عنايتهم بطهارة البدن واللباس والروح، حتى كأنهم خرجوا من الإنسانية وتحولوا ذئاباً وسباعاً.

وفي المقطوعة الأخيرة يدعو هذه الإنسانية الهائمة على وجهها إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى دينه الأقوم، لتخرج من متاهات الضلال، وتفوز بالأمن والاطمينان.

وتتسم القصيدة كلها بوحدة الموضوع، كما تثير نوعاً واحداً من المشاعر، وهي مشاعر الشفقة والرحمة بعباد الله الذين ضلّوا سبيل الرشاد والفلاح، كما نرى فيها الترتيب والتسلسل في الأفكار والمشاعر، بدءاً من ذكر السبب، ومروراً بشقائهم في المدن، ثم في تصوير حياتهم اللاهية العابثة، الخالية من أي هدفٍ عال، أو مطمع شريف مجيد، ثم دعوتهم إلى دين الله الذي إليه المفزع، وهو المنقذ الوحيد من هذا الظلام المطبق، والضلال المبين.

الطول والقصر:

أما من حيث الطول والقصر فكانت القصائد الطوال هي الغالبة في الشعر العربي في الهند؛ وذلك لأن الشعراء في الهند –كما يظهر– كانوا يرون التطويل – في نفسه– مفخرة.

١– جزء من الآية ١٩ في سورة الحشر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المبحث الثاني

خصائص المضمون

وفيه مطلبان :

المطلب الأوَّل : المعاني والأفكار.

المطلب الثاني : التجربة الشعرية.

المطلب الأول

المعاني والأفكار

يعد المعنى عنصراً هاماً في بناء العمل الأدبي ، بل يعد أساساً في كل الفنون ما عدا الموسيقى[1] لأنه لا يمكن أن يستغني عنه النص، ولا يمكن خلوه منه[2] كما يمثل دوراً هاماً في رفع قيمة الأدب أو وضعه لأنه يمثل العنصر العقلي في النص ومظهر فكر الأديب وثقافته ووعيه بالمعارف التي يتعرض للحديث عنها أو التي يستمد أفكاره منها[3] والمعنى الصائب العميق هو الذي يفتح بوابة الخلود لأي أثر من الآثار الأدبية، فالأدب الذي لا يقوم على أساس من الفكر العميق لا تطول حياته بل يسقط ويبطل، وينتهي به الأمر إلى الذهاب[4].

وتختلف مكانة الأفكار والمعاني من فن إلى آخر فإذا كانت تحتل مكانة الصدارة وتعلو نبضاتها في كتب الفلسفة والاجتماع والعلوم البحتة فإن العواطف تأخذ هذه المكانة في الشعر والأدب، وتقل مرتبة المعنى عنها، لأن الغرض من الشعر في المقام الأول التأثير[5] وإثارة العواطف وليس التعليم وإزالة الجهل.

ولا بد أن يُلَوِّن الشاعر أفكاره بعواطفه وخلجات نفسه، فيقدمها حية نابضة بالجمال

١- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ص ٣١.

٢- الفكرة في الأدب، د . محمد عبد الرحمن شعيب ١٠٢ مطبعة دار التأليف بمصر ١٩٧٥م بتصرف.

٣- السابق ص ٦٦ .

٤- الموشح للمرزباني ص ٥٥٦.

٥- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ص ٢٣ بتصرف.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والفكرة، ممتزجة بالمشاعر والوجدان، فالأديب العظيم حقاً هو الذي يجمع بين عمق التفكير وقوة التأثير[1].

أما الشاعر الذي يقف أمام الفكرة ويعجز عن مزجها بإحساسه يجيء شعره أقرب إلى النظم منه إلى القريض، لأن الذهنية المسيطرة على منابع الفكرة تطمس رونق شعره، والجفاف يذهب بمائه، فلا نضارة ولا شعور بالجمال[2].

ولم يغفل شعراء العربية في الهند عن الاهتمام بالمعنى، واتسمت المعاني عندهم بسمات عديدة، من أهمها :

(١) التأثر بالمعاني الدينية :

يعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أهم منابع الثقافة لدى المسلمين كما أنهما يتبوآن مكانة أدبية مرموقة لا تدانيها مكانة نص آخر.

وكان الشعراء في الهند يركزون جل اهتمامهم على مدارسة القرآن الكريم والسنة المطهرة بحكم انتمائهم إلى بيئة العلم الشرعي، بل كان فهم الكتاب والسنة هو رائدهم إلى تعلم اللغة العربية.

فلا غرو أن نرى لدى هؤلاء الشعراء وفي معاني شعرهم تأثراً عميقاً بكتاب الله- عز وجل - وحديث الرسول المصطفى - عليه أطيب التحيات وأزكى التسليمات- فقد استقوا كثيراً من معانيهم من هذين النبعين الخالدين ونظموا فيها أشعارهم، ونأخذ الآن في بيان ذلك:

(أ) التأثر بالقرآن الكريم :

نلحظ في الشعر العربي في الهند تأثراً واضحاً بمعاني القرآن الكريم، ومن أمثلته قول الشيخ أحمد بن عبد القادر الجيتيكر[3]:

أَلَيْسَ أَكْمَلَ هَذَا الدِّيْنَ رَبُّكُمُ   أَمَا أَتَمَّ عَلَيْكُمْ فَضْلَهُ النِّعَمَا

ففيه تأثر واضح بقوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[4].

١- أصول النقد الادبي ، أحمد الشايب ص ٢٣٠ بتصرف.

٢- النقد التطبيقي والموازنات ، محمد الصادق عفيفي، ص١٢٤، مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣- الإعلام ٣/ ١١٧٤.

٤- سورة المائدة : ٣.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ومثله قول السيد أبو محمد طاهر سيف الدين في مدح الرسول[1]:

إِنَّما طَـــــــــهَ أَمَـــــــــانٌ قَائِمٌ ... لِلْـــــبَرَايَا مِـــنْ بَـــــلاَيَـــا وَغِيَرْ

فالشاعر في هذا البيت متأثر بقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[2]، ومثله قول السيد محمد حسين الجزائري[3]:

وَيَطْمَــعُ الْـمَـرْءُ فِيْ أَنْ يَتْرُكُــوْهُ سُدًى ... وَلاَ يُحَـــــاسِبُهُ رَبُّ الْــــوَرَى أَبَدَا

ففيه تأثر ظاهر بقوله تعالى﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[4]، ومن أمثلته قول الشيخ طلا محمد البيشاوري[5]:

فَإِنْ رَحِمْـــــتَ عَلَى مَــــنْ جَاءَ مُفْتَقِراً ... فَـــأَنْتَ أَهْلٌ بِهِ يَــارَبِّ فَــــاغْتَفِرِ

وَإِنْ تُــــعَذِّبْ فَــــإِنِّيْ أَهْلُ ذَاكَ وَذَا ... عَـــدْلٌ قَـــوِيْمٌ بِلاَ لَـــوْمٍ وَلاَ نُكْرِ

فإن الشاعر متأثر في هذين البيتين بما جاء في نهاية سورة المائدة على لسان عيسى بن مريم- عليهما السلام- :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6]،ومن الأمثلة أيضاً قول الشيخ السيد محمد الحسيني الكالبوي من قصيدة في مدح رسول الهدى يقول فيها[7]:

يَعْفُـــوْ عَنِ النَّاسِ مِنْ حِلْـمٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... عَــــنِ الرِّقَـــابِ يَفُكُّ الغِلَّ وَالرَّبَقَا

وَيَكْــظِمُ الْغَيْــظَ عِنْدَ الْــغَيْظِ مَـرْحَمَةً ... وَلاَيَـــقُوْلُ سِـــوَى وَحْـيٍ إِذَا نَطَـــقَا

١- قصيدة أبو محمد طاهر سيف الدين ص٢، برتش انديا بريس، بومباي، التاريخ غير مذكور.

٢- الأنفال : ٣٣.

٣- الإعلام ٣/ ١٠٩٢.

٤- سورة القيامة : ٣٦.

٥- الإعلام ٣/ ١٢٥٣.

٦- سورة المائدة : ١١٨.

٧- الإعلام ٣/ ١٣٤٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لِلْمُــــؤْمِنِيْنِ جَنَـــاحُ الرِّفْقِ يَخْفِـضُهُ   مِثْـلُ الأَبِ الْبِرِّ بِالأَوْلاَدِ قَـــــدْ رَفِقَا

فنرى في هذه الأبيات تأثر الشاعر بكثير من الآيات الواردة في محاسن الرسول الكريم، ومكارم أخلاقه أو في وصف عباد الله المؤمنين بربهم المحسنين في أعمالهم ففي البيت الأول تأثر الشاعر بقوله تعالى عن هذا النبي الأمي ﷺ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

كما أنه متأثر في الشطر الأول من البيت التالي بقوله تعالى في صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وفي العجز من البيت نفسه تأثر بقوله تعالى في صفة الرسول ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3]، وفي البيت الثالث يبدو التأثر بقوله تعالى في نهاية سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وإذا كان هؤلاء الشعراء قد أخذوا معاني من القرآن الكريم ثم عبروا عنها بأسلوبهم الخاص تأدباً منهم مع كتاب الله تعالى، وإظهاراً لمقدرتهم على إبراز المعاني في قوالب من عندهم، فهناك شعراء أخذوا المعاني مع الأساليب واقتبسوا أجزاء من بعض الآيات الكريمات، لما يمتاز به النص القرآني من الأسلوب المعجز والتعبير الناصع والتصوير الرائع، فأضفى هذا الاقتباس رونقاً وبهاءً على شعرهم، ومن أمثلته قول الشيخ عبد الحميد الفراهي في آخر قصيدة في ذكر اعتداء إيطاليا على ليبيا، حاثاً المسلمين على الاستعداد للجهاد، والدفاع عن الدين والوطن، يقول[5]:

فَاحْمُــــوْا ذِمَـــــارَ الْمِـــــلَّةِ الْــــ   ـبَيْضَـاءِ كَــــالأَسَـدِ الشَّـــكِسْ[6]

١- سورة الأعراف ١٥٧.

٢- سورة آل عمران ١٣٤.

٣- سورة النجم ٣-٤.

٤- سورة التوبة ١٢٨.

٥- ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي: ص ١٦.

٦- الشكس: عسير (اللسان).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَاسْتَجْمَعُوْا عَدَداً فَمَا ... تَجْرِي السَّفِيْنُ عَلَى الْيَبَسْ

أَعْنِي الْمَرَاكِبَ وَالْمَدَا ... فِعَ وَالْكَتَائِبَ وَالْحَرَسْ

وَتَعَلَّمُوْا حِيَلَ الْحُرُوْ ... بِ لِتَغْلِبُوا الْخَصَمَ الشَّرِسْ

فَتَأَهَّبُوْا وَتَأَلَّبُوْا ... وَتَلَبَّبُوْا لِوَغًى ضَرِسْ

وَاسْتَنْصُرُوا اللهَ الْـ ... ـمُهَيْمِنَ فِي الْعَشِيِّ وَفِي الْغَلَسْ

وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ ... يَنْصُرُهُ فَلْيَحْتَمِسْ

فقد اقتبس الشاعر في البيت الأخير جزءاً من قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾[١].

ومن أمثلته أيضاً قول الشيخ ذي الفقار علي في ذكر هزيمة الروس على أيدي الجيوش العثمانية يقول فيها[٢]:

فَأَصْبَحُوْا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ... بَيْنَ الْبَلاَقِعِ وَالْغَابَاتِ وَالطَّلَلِ

فهذا جزء من قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣]، اقتبسه الشاعر وجعله شطراً كاملاً في قصيدته، ولا شك في أنَّ هذا الاقتباس يعلي من شأن الكلام الذي ورد فيه ويضفي عليه رونقاً وطلاوة.

(ب) التأثر بالحديث النبوي :

كان الحديث النبوي من تلك المصادر المهمة التي استقى منها الشعر العربي في الهند كثيراً من معانيه ، ومن أمثلته قول المفتي كفاية الله في مدح الشيخ محمود الحسن حين

١- سورة الحج ٣٩-٤٠.

٢- قصائد قاسمي ٢٢، الإعلام ٣/ ١٢٢٦.

٣- سورة الأحقاف ٢٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كان أسيراً في مالطة، يقول[1]:

أَلاَ يَـــا مَــالَـطَــهْ كُـوْنِيْ سَـلاَمَاً ... عَــلَى مَحْمُــوْدِنَــا الــرَّاضِيْ بِقَدْرِ

إِمَــامُ الْـخَــلْقِ قُدْوَتُــهُمْ جَـمِيْعًـا ... لَـــهُ كَـــرَمٌ إِلَى الآفَـــاقِ يَسْرِيْ

جُنَيْـــــدُ الْعَصْــــرِ، سِـــرِّيُّ الزَّمَانِ ... غُيُـــوْثُ فُيُوْضِهِ تَهْـــمِيْ وَتَسْـــرِيْ

فَرِيْدٌ فِيْ خَـــــلائِقِهِ الْعِــــــذَابِ ... وَحِيْدٌ فِي التُّقَى مِنْ غَيْرِ فَخْرِ

أَشَـــدُّ النَّـــاسِ أَمْثَـــلُهُمْ بَلاءً ... فَيَـــا شَمْسَ الْهُـــدَى يَا طَوْدَ صَـــبْرِ

ذَكَـرْنَـــا يُوْسـفَ الـصِّدِّيْقَ لَـمَّـــا ... أُسِـــرْتَ بِغَـيْـرِ إِسْتِحْقَـــاقِ أَسْـــرِ

فالشاعر في قوله: «أشد الناس أمثلهم بلاء» يتأثر بقول رسول الله الذي رواه مصعب بن سعد عن أبيه. قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... الحديث[2].

ومن أمثلته أيضاً قول الشيخ أحمد بن عبد القادر الجيتيكر الكوكني[3]:

غَـــدًا سَيُسْأَلُ كُـــلٌّ عَــــنْ رَعِيَّتِهِ ... فَمَا جَوَابُكُمُ يَــــا مَعــشَرَ الْعُـــلَمَا

فالشاعر متأثر بقول سيد المرسلين: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» الحديث[4].

ومن أنواع التأثر بمعاني الحديث النبوي في الشعر العربي في الهند ما نراه عند بعض الشعراء من نظم أحاديث عدة كما فعل الشيخ عبد الحميد الفراهي حيث نظم عدة أحاديث واردة في أشراط الساعة في إحدى قصائده، يقول[5]:

١- الإعلام ٣/ ١٣٣٤.

٢- أخرجه الترمذي. كتاب الزهد. باب ما جاء في الصبر على البلاء.. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٣- الإعلام ٣/ ١١٧٥.

٤- الحديث أخرجه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه.

٥- ديوان الفراهي ص٢٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَـإِنَّ الْقِيَــامَةَ قَـدْ أُزْلِفَـتْ   إِلَيْنَا فَقَـدْ جَـاءَ أَشْـرَاطُهَا
فَقَـدْ أَخَـذَ النَّـاسُ جُهَّالَـهُمْ   هُـدَاةً فَيْخِبَـطَ خَـبَّاطُهَا
فَضَـاعَ الأُمُوْرُ، وَشَاعَ الْفُجُـوْرُ   وَذَاعَ الْخُمُـوْرُ وَإِفْرَاطُهَـا

فالشاعر متأثر في هذه الأبيات بأحاديث عديدة. منها قوله : «إن الله لا ينـزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهالون يُستفتَون فيُفتون برأيهم فيُضِلُّون ويَضِلون»[1].

فكأن الشاعر نظم معنى هذا الحديث في البيت الثاني. أما البيت الثالث فورد فيه عدة أشراط للساعة، والتي وردت في قوله : « من أشراط الساعة أن يظهر الجهل، ويقل العلم، ويظهر الزنا، وتشرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء، حتى تكون لخمسين امرأة فيهن رجل واحد » الحديث[2].

وقول الشاعر «ضاع الأمور» مأخوذ من قوله: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[3].

واستمر على هذا المنوال في القصيدة كلها بذكر علامات عديدة منها اجتماع اليهود في فلسطين، وطغيان الروم وإفسادهم في الأرض، وقيام السودان لنصرة دين الله الحنيف، وغيرها من العلامات.

ونجد مثل هذا عند الشيخ حبيب الرحمن العثماني أيضاً حيث نظم مائة من معجزات النبي في قصيدته اللامية وسماها لامية المعجزات والتي بلغ عدد أبياتها أربعة وخمسين ومائتي بيت وله على غرارها بائية نظم فيها أيضاً مائة معجزة، وبلغ عدد أبياتها أيضاً مائتي بيت ونختار من اللامية هذه الأبيات[4]:

وَأَضَـا سَوْطٌ عَصَـا وَأَصَـابِعٌ   مِثْلُ مِصْبَـاحٍ لِتَمْتَـازَ السُّبُـلْ

١- أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يذكر في ذم الرأي ، عن عبد الله بن عمرو.

٢- أخرجه البخاري ، كتاب الأشربة ، باب.

٣- أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

٤- معين اللبيب ص ١٤- ١٥.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فَأُسَيْدٌ وَابْنُ بِشْرٍ إِذْ رَأَوْا ... أَنْ يَسِيْرُوْا فِيْ ظَلامٍ مُنْسَدِلْ

صَارَ مِصْبَاحاً عَصًى لِوَاحِدٍ ... يَبْصُرَانَ النَّهْجَ مَاءً وَوَحَلْ

ثُمَّ لَمَّا أَنْ تَقَضَّى جَمْعُهُمْ ... صَارَ مِصْبَاحَيْنِ مِنْهُ كَالْبَدَلْ

وَقَتَادَةُ أَضَا عُرْجُوْنُهُ ... فَمَضَى حَتَّى إِلَى الْمَثْوَى وَصَلْ

وَطُفَيْلٌ إِذْ سَرَى فِيْ ظُلْمَةٍ ... صَارَ ذَا نُوْرٍ بِسَوْطٍ مُشْتَعِلْ

كما أن أغلب من مدحوا الرسول، نظموا بعض شمائله أو بعض معجزاته في غضون قصائدهم على نحو ما نرى الشيخ رفيع الدين الدهلوي ينظم كثيراً من جزئيات معجزة الإسراء والمعراج في قصيدته المدحية، يقول فيها :

يَا أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ يَا زَيْنَ الْوَرَى ... يَا خَاتِمًا لِلرُّسُلِ مَا أَعْلاَكَا

يَا كَاشِفَ الضَّرَّاءِ مِنْ مُسْتَنْجِدٍ ... يَا مُنْجِيًا فِي الْحَشْرِ مَنْ وَالاَكَا

هَلْ كَانَ غَيْرُكَ فِي الأَنَامِ مَنِ اسْتَوَى ... فَوْقَ الْبُرَاقِ وَجَاوَزَ الأَفْلاَكَا

وَاسْتَمْسَكَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رِكَابَهُ ... فِيْ سَيْرِهِ وَاسْتَخْدَمَ الأَفْلاَكَا

وهكذا استمر في نظم كثير من التفاصيل التي حصلت في تلك الحادثة العظيمة والمعجزة العجيبة.

ويلحظ أن هذا التأثر بالكتاب والسنة كان في غرض الدعوة الإسلامية وفي مدح الرسول أكثر حظاً من غيرهما من الأغراض، لأن فيها مجال رحب لمثل هذه المعاني.

(٢) التأثر بالبيئة الهندية:

أشاد النقاد والأدباء كثيراً بقيمة التجديد في العمل الأدبي في مجال الأفكار والمعاني لما فيه من جوانب إثراء لذلك الأدب؛ حيث كان التجديد والابتكار «مظهران من مظاهر العبقرية المبدعة للفنان البارع الذي تعمق تجاربه، وتملك القدرة على الإبداع، ودليل واضح على عمق ثقافته، وكثرة ذخيرته من الأفكار والمعاني» [(١)].

١ – اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري. ص٣٣٥.



وقد ذكر صاحب الصناعتين أن معرفة أكثر من لغة تمكن الأديب من التنويع والتجديد في أفكاره ومعانيه [١] بسبب تعدد روافده الثقافية.

والشعراء في الهند حاولوا إثراء اللغة العربية بمعان جديدة لم تكن معروفة للعرب أخذوها من البيئة الهندية، ومن آدابها، وأدخلوها في شعرهم العربي، إثباتاً لشخصيتهم المستقلة في هذا الأدب، فمن تلك المعاني الجديدة قول النواب السيد صديق حسن خان في وصف حبيبته[٢]:

وَمِنْ فَمٍ أَضْيَقَ مِنْ قَلْبِ بَقَّالٍ ... وَمِنْ حَوَاجِبَ خُوْدٍ مِثْلِ أَقْوَاسِ

وَمِنْ ذَوَائِبَ قَدْ طَالَتْ إِلَى قَدَمٍ ... وَمِنْ وُجُوْهٍ مُضِيْئَاتٍ كَنِبْرَاسِ

وَمِنْ ثَدْيٍ كَحُقِّ الْعَاجِ نَاعِمَةٍ ... وَذَاتِ قُرْطٍ لَفِي الأُذُنَيْنِ نَوَّاسِ [٣]

فشبه الشاعر ضيق فم الحبيبة بقلب البقال، الذي يضرب به المثل – في شبه القارة الهندية – في البخل الشديد والشح وضيق القلب، ولم أعثر في الادب العربي على تشبيه الشيء بقلب البقال في الضيق كما أن الشاعر نعت الذوائب بالطول إلى القدم، ونعت القرط بالتذبذب والتحرك في الأذنين، وكل هذه إضافات أخذها من البيئة الهندية.

ومن أمثلتها ايضاً قول الشيخ أحمد حسين المبار كفوري[٤]:

وَيَوْمَ الْوَصْلِ غَابَتْ عَنْ فِرَاشِيْ ... كَقَرْنٍ غَابَ عَنْ رَأْسِ الْحِمَارِ

فقوله: «قرن غاب عن رأس الحمار» تعبير أردي يستخدم عند فقد الشيء وغيابه بحيث لا يبقى له أثر ولا عين[٥].

ومن المعاني الجديدة عند شعراء العربية في الهند قول السيد حيدر حسين الشيعي

١ – الصناعتين : ٨٤.

٢– نفح الطيب من ذكر المنزل الحبيب _ نواب صديق حسن خان ص ٦٣.

٣– العاج : ناب الفيل ، حق : وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من زجاج أو عاج أو غيرهما. ناس الشيء نوساً ونوساناً : تحرك وتذبذب ، يقال : ناس القرط ينوس في الأذن. (المعجم الوسيط).

٤– ديوان احمد حسين مباركفوري ص ٢٠.

٥– ينظر فيروز اللغات.. محمد فيروز الدين ١٠٨٦ أيجوكيشنل بيلشنك هاوس دهلى، ٢٠٠٠م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللكهنوي في مدح سيدنا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– [1]:

وَلاَ سَيْــفَ إِلاَّ سَيْفُهُ الْبَــاتِرُ الَّــذِيْ لَــهُ كَـثُرَ الْمَــضْرُوْبُ، قَلَّ ضَـرِيْبُ
وَلاَ يَــنْثَنِيْ بِالْـوَقْعِ قَــطُّ وَإِنَّـــهُ أَكُـــوْلُ لُحُـــوْمٍ لِلدِّمَـاءِ شَـرِيْبُ[2]
فَيَشْرَبُهَـــا فِي الْقَـحْفِ شَـوْقـاً كَأَنَّهَا رَحِـــيْقٌ لَـــهُ أَوْ لِلـــرَّضِيْعِ حَلِيْبُ
وَإِذْ يَرْتَــوِيْ مِنْهَــا تُرِيْقُ عَـلَى الثَّــرَى فَـلِلأَرْضِ مِنْ كَـــأْسِ الْكِــرَامِ نَصِيْبُ
بِمَـــوْلِدِهِ بَـيْتُ الْمُـــهَيْمِنِ قِبْـــلَةٌ لِكُــلِّ الْـوَرَى تَهْـوِيْ إِلَيْهِ قُلُــوْبُ
ومـــن حاز فضلاً صرت أنت ضـريبه وَمَـــالَكَ يَـــا مَوْلاَيَ فِيْهِ ضَــــرِيْبُ
أَيَـــا لاَئِمِيْ كُـفَّ الْـمَــــلاَمَ فَـإِنَّ لِيْ حَــبِيْبٌ لِــــرَبِّ الْعَالَمِــــيْنَ حَــبِيْبُ
فَـــيَا لَمُــحِبٍّ شَـارَكَ اللهَ فِي الْهَــوَى وَيَـــا لَلْـــهَوَى فِــيْهِ الإِلَهُ رَقِــيْبُ

والرقابة في الأدب الأردي يطلق على مشاركة عدة أشخاص في هوى حبيب واحد أو حبيبة واحدة، فكل من العشاق يبغض الآخر غيرة وحسداً[3] واستخدم الشاعر كلمة «رقيب» بمعناها الذي في الأردية وذكر أن الله يحب علياً – رضي الله عنه– ، وأن الشاعر شارك اللهَ في حبِّ علي ، فصار الله –سبحانه وتعالى– رقيبه في هذا الهوى.

ولا يخفى ما في هذا المعنى من خروج على الشرع وسوء أدب مع الله – سبحانه وتعالى– بسبب تشبيه الله تعالى بالمخلوق، ووصفه بصفة لم يصف بها الله – سبحانه وتعالى– نفسه ، ولا وصفه بها رسوله ثم إشراك الشاعر نفسه مع الله – تعالى– في حب علي ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومن المعاني التي تتسم بالجدة والابتكار أيضاً ما ذكره الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي

١– هندوستان كي عربي شاعري. د. حامد علي ص ٢٠٨.

٢– القِحْفُ: جمع قِحَافٍ: أحد أقحاف ثمانية تُكَوِّن علبة عظيمة من الجمجمة وفيها الدماغ، وما انفلق من الجمجمة ضبان، وإناء من خشب على هيئة قحف الرأس. (المعجم الوسيط).

٣– فيروز اللغات ص ٧١٤ وقد شاع هذا المعنى في الأدب الأردي ، حتى عد من التقاليد ولا نجد شاعراً أو أديباً يذكر الحب والهوى إلا مقروناً بذكر الرقيب.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في مقدمته الغزلية التي يقول فيها[1]:

قَـــدْ صَـادَنِيْ عَرَضـًا رُوْسِيَّةٌ غُـنِيَتْ	بِـحُسْنِهَـا عَـنْ جَمَـالِ الْحُـلْيِ وَالْحُـلَلِ
سَفَّـــاكَةٌ وَحَيَـــاةُ الْعَاشِقِـــيْنَ بِهَـــا	قَتَّـــالَةٌ وَهِيَ مَـــعَ ذَا مَـرْهَمُ الْـــعِلَلِ
هَيْفَـــاءُ ضَـــامِرَةٌ، لَـمْـــسَاءُ غَـــادِرَةٌ	بَيْضَـــاءُ سَـــاحِرَةٌ، بِالْـغَنْجِ وَالْكُحُلِ
كَالشَّمْسِ تَبْدُو جَهَـارًا غَــيْرَ خَــافِيَةٍ	وَلاَ تَسَــــتَّرُ بِالأَسْتَـــارِ وَالْــكِلَلِ

والجدة في بيته الأخير إذ وصف المرأة بالسفور وكشف الوجه والبروز أمام الرجال من غير حياء ولا حشمة ، بينما توصف المرأة في الشعر العربي بالحياء والخفر ، ولا تذكر إلا متحجبة، متقنعة، دلالة على عفتها وحشمتها، ولا يذكر الشعراء ظعن حبيباتهم إلا في الهوادج التي كانت قد غُطِّيت بالأثواب والأستار ستراً للنساء عن عيون الرجال، وكان الشاعر يتمنى أن يظفر ولو بنظرة واحدة إلى حبيبته ، لكن الشاعر الشيخ ذا الفقارِ يصف حبيبته على عكس ما كانت توصف به في الأدب العربي.

وقد ناسب هذا الوصف كون تلك الحبيبة من الروس الذين أغلبهم ملاحدة، ولا يعرفون شيئاً عن الحجاب، وليس عندهم ما عند المسلمين من الغيرة على المحارم والنساء.

والشيخ السيد سليمان الندوي أتى بفكرة جديدة وطريفة في وصفه الشمس عند مغيبها، فيقول[2]:

بَلْ إِنَّـــمَا الشَّمْسُ مِـــنْ أَعْـمَارِنَـا قَتَلَتْ	يَوْمـــاً، فَسَـالَ دَمٌ جَـــارٍ مِـنَ الْـــعُنُقِ
فَـذَلِكَ الـــشَّفَقُ الْـمُـحْمَرُّ مِـنْ دَمِــهِ	وَقَـــبْرُهُ لَيْــــلُهُ الْـمَــسْتُوْرُ بِالْــغَسَقِ

وهذا بلا شك معنى طريف رائع. كما أنه معنى جديد لا نجده عند الشعراء من قبل، وصل إليه الشاعر بعد تأمل طويل وتأن شديد ، كما أنه يحث القارئ على التفكير في حياته وعمره، وأن لا يضيع أوقاته سدىً.

١- قصائد قاسمي ٢٢ الإعلام ٣/ ١٢٢٦.

٢- الإعلام ٣/ ١٢٣٨.



وتطرق الشاعر السيد محمد هارون[1] إلى موضوع لا نجده عند غيره من شعراء العربية قديماً وحديثاً، وهو هجو الذباب، يقول:

نَهَارُ الذَّبِّ فِي ضُرٍّ وَبُؤْسِ   أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ يَوْمٍ عَبُوسِ

فَقَدْ يَدْخُلْنَ بَيْنَ فَمٍ وَأَنْفٍ   وَقَدْ يَخْطُرْنَ فِي شَعْرِ الرُّؤُوْسِ

وَقَدْ يَهْجُمْنَ مِثْلَ الْمُجْدِبَاتِ الْـ   ـمُغِيْرَاتِ عَلَى الْمَوَائِدِ وَالْكُؤُوْسِ

وَلاَ يَعْبُدْنَ إِلاَّ شَمْسَ وَجْهٍ   فَعِنْدِيْ إِنَّهُنَّ مِنَ الْمَجُوْسِ

وَمَا شَيْءٌ أَشَدُّ لَدَيَّ رُزْءًا   مِنْ أَيَّامِ الذُّبَابِ عَلَى النُّفُوْسِ

فهذا موضوع جديد ولاسيما قوله «ولا يعبدن إلا شمس وجه فعندي إنهن من المجوس » يتسم بشيء كثير من الجدة كما فصّل الشاعر في وصف الذباب ومضايقته للإنسان بطرق شتى ، وكثرة وقوعه على الوجه ، وتنقله بين الفم والأنف والشعر وغيره.

وإن كان المتنبي قد شبه الوشاة في قبيح صنعهم ، وإفسادهم العلاقة بين المحبين بالذباب الذي يحط على القاذورات ثم يحط على الطعام فيفسده حيث قال :

طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ   وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيْرُ[2]

إلا أن المتنبي لم يدخل في تفاصيل الوصف وذكره عرضاً في معرض التشبيه بينما الشاعر سيد محمد هارون لم يفصل فحسب بل أفرد لهذا الموضوع مقطوعة كاملة.

(٣) الوضوح وعدم العمق:

الوضوح والغموض والعمق والسطحية من المقاييس المهمة التي قاس بها النقاد المعاني عند الأدباء والشعراء وكثيراً ما أشاد النقاد بوضوح المعاني، ورفعوا قيمة هذا الوضوح لكنهم لا يقصدون بذلك أن تكون المعاني على تلك الدرجة من السذاجة والسطحية التي يتساوى معها في فهمها العالم والأمي أو المثقف والجاهل. بل

١- كليات سيد محمد هارون ٢/ ١٦٤.

٢- ديوان المتنبي مع شرح العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ٢/ ١٣٦ مطبعة مصطفى البابي بمصر ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

استحسنوا المعاني العميقة التي لا تسفر عن مغزاها لأول وهلة بل تحتاج إلى التأمل والكد والاشتياق إليها لـ «أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى»[1].

لكن من الملاحظات المهمة جدًّا على الشعر العربي في الهند أن معانيه «واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال»[2].

فهي في أغلبها معانٍ ساذجة، خالية من العمق، بعيدة عن الغموض، بل يصل كثير منها في النثرية والتقريرية والسطحية إلى حد يخرجه من دائرة الشعر، ولا يبقى فيه من هذا الفن الرفيع إلا الوزن والقافية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولعل النصوص الشعرية السابق ذكرها تشهد على وضوح المعاني وقرب تناولها؛ لذا أترك الاستدلال بأمثلة جديدة وأكتفي بمثال من تلك الأبيات السابق ذكرها والتي ذخرت بالمعاني السطحية، واقتربت لغتها من الشرية والتقريرية والمباشرة، ولذا لم تتمكن من إثارة عواطفنا إذ الشعر غرضه تحريك النفوس وإثارة المشاعر.

يقول الشيخ ضياء الدين أحمد[3] في رثاء شيخه عبد الوهاب الويلوري[4]:

يَـا مَـوْتَ عَـلاَّمَةٍ لَـمَّـا تُقَاتِلُنِيْ   يَـا نَعْيَ فَـهَّامَةٍ لَـمَّـا تُـرِيْـقُ دَمِيْ

١- أسرار البلاغة ص ١٣٩.

٢- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي د-شوقي ضيف ص٢١٩ دار المعارف الطبعة الثامنة عشرة.

٣- هو الشيخ ضياء الدين أحمد الأماني، ولد في بلي كندة في ولاية تامل نادو، وتلقى العلم في مدرسة الباقيات الصالحات بويلور، وتتلمذ على الشيخ عبد الوهاب الويلوري، تولى التدريس وإدارة كلية منبع الأنوار بـ» لال بيت» في ولاية تامل نادو.

له رسائل عديدة، منها: رسالة في تحديد جهة القبلة وقصائد بالعربية، توفي سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م (الدراسات العربية والإسلامية في تمل نادو منذ سنة ١٩٥٧، رسالة دكتوراه للباحث: محمد سليمان عمري، تحت إشراف د. بيش إمام نثار أحمد جامعة مدراس الهند سنة ١٤١٤هـ).

٤- مرثية شمس العلماء المولوي عبد الوهاب الويلوري. من تأليف المولوي ضياء الدين أحمد ص٣-٤ مدارس ، ١٣٣٧هـ.

هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد القادر الآثوري، ولد سنة ١٢٤٧هـ ودرس على الحكيم زين العابدين، ومولانا غلام قادر المدراسي، والشيخ رحمت الله الكيرانوي، وغيرهم من علماء الحرم المكي.
أنشأ مدرسة الباقيات الصالحات بويلور، وتولي فيها التدريس والإدارة، وقد استفاد به خلق كثير، توفي سنة ١٣٣٧هـ (مقدمة المرثية ضياء الدين أحمد ص ٢، مطبعة الكريمي مدراس ١٣٣٧هـ، الإعلام ٣/ ١٣٠٦).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَعْنِيْ بِــــهِ شَيْخَنَـــا الْــعَلاَّمَ ذَا عَمَلٍ	كَنْـزَ الْـمَـعَـارِفِ بَحْرَ الْعِـلْـمِ وَالحِـكَمِ
جَـدِّيْ وَمُسْتَنَدِيْ، ذَا مُرْشِـدِيْ عَضُدِيْ	مُجْــدِيْ وَمُعْتَمَــدِيْ، قَـدْ فَـاقَ بِالْهِمَمِ
اَلْـمَـــاهِرُ الْــفَطِنُ الْــقَمْقَامُ قُدْوَتُنَا	عَبْدٌ لِوَهَّابِنَـــا عَـلَـمًا مِـنَ الْـــكَرَمِ
هُــوَ الْـمُـفَسِّـرُ وَالأُسْتَــاذُ لِلْكُمَــلاَءِ	وَالْمُـــحَدِّثُ وَالنِّـــحْرِيْرُ لِلْــفَهِمِ
صَـــبِرٌ فَقِـيْهٌ فَطِـــيْنٌ فَاضِــلٌ وَرِعٌ	مُوَحِّــدُ اللهَ رَبِّيْ بَـاعِــثَ الـــرِّمَمِ
ذُو الـنُّـــوْنِ فِيْ عَمَـلٍ، نُعْمَانُ فِيْ وَرَعٍ	لُقْـــمَانُ فِيْ حِكَمٍ سَحْبَــانُ فِيْ كَــلِمِ

ونرى الشيخ الشاعر يستمر بهذه الطريقة في رثاء شيخه في قصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها سبعة وسبعين بيتاً لكنها جاءت باردة فاترة، خالية من العاطفة مع أن الرثاء يعد من الأغراض التي تمتاز بحرارة العاطفة وجيشانها، لأن الشاعر لا يقوله تكسباً وإنما وفاءً بحق المرثي.

وأرى أن هذا الوضوح الشديد البالغ حد السطحية منشؤه عدة أسباب لعل من أهمها :

١ - أنَّ معظم الذين خاضوا غمار الشعر لم يكن الشعر صناعتهم الأولى، بل كانوا منشغلين بأعمال أخرى لكسب ما يعينهم في دفع عجلة الحياة كالتدريس وغيره، فما كانوا يجدون تلك الفسحة من الوقت التي تمكنهم من تمحيص أعمالهم، وتنقيح قصائدهم والتحليق بأفكارهم، إضافة إلى فقدانهم تلك المواهب القوية الشعرية التي تؤهلهم للإبداع والإجادة.

٢ - أن كثيراً منهم أطالوا النفس في القصائد فجاوز عدد الأبيات في قصيدة واحدة عند بعض الشعراء خمسمائة بيت، وبلغ عند كثير منهم مائة بيت أو ما يقاربها، ولعلهم ظنوا أن طول القصيدة في حد ذاته ميزةٌ، ودلالة على التفوق والبراعة، ونسوا أن التطويل في القصائد مظنة الوقوع في المعاني السطحية التي لا طائل تحتها فنجد الأبيات حينئذ رصفاً من الكلمات الجوفاء[1].

ونلحظ عند بعض الشعراء نوعاً من الغموض لأسباب مختلفة، مثل استخدام

---

١ - الشعر في المملكة العربية السعودية ، خلال نصف قرن.. د. عبد الله الحامد ص ٦٦.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الشاعر بعض التلميحات التاريخية، إذ تخفى معانيها على من لا يكون محيطاً بتلك الظـروف
والأحوال ويبدو ذلك عند الشيخ أحمد الكوكني في قوله[1]:

أَيْـــنَ الصَّنَـــادِيْدُ مِنْ فُـرْسٍ وَمِنْ عَـرَبٍ ... لَمْ يَنْـجُ دَارَا، وَلاَ صَخْـرٌ، وَلاَ هَـــرِمُ

أما صخر فهو أخو الخنساء ، وأما هرم فهو ابن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى، ودارا ملك الفرس فالقارئ لا يستطيع فهم البيت، والوصول إلى معناه إن لم يكن يعرفهم ، وما كانوا يتمتعون به من منـزلة سامية ومكانة مرموقة في مجتمعاتهم ، وفي عصورهم.

وقد يستخدم الشاعر مصطلحات فن من الفنون، أو عبارات مستخدمة عند طائفة معينة ، لا يفهمها إلا أصحاب ذلك الفن أو تلك الفئة، فيقع اللبس وينشأ الغموض عند كثير من القراء، مثل ما نرى عند الشيخ حيدر حسين اللكهنوي[2]:

أَتُـرْشِـــدُ مَـنْ أَعْـــيَا الْـهُـدَاةَ رَشَادُهُ ... يَـــرَى مُوْجِبَـاتِ الْعَقْلِ مِثْلَ الـسَّوَالِبِ

فالموجب والسالب من مصطلحات المناطقة، ويراد بالإيجاب والسلب الثبوت واللاثبوت، فثبوت شيء لشيء إيجاب، وانتفاؤه عنه سلب، وقد يعبر عنه بالوقوع واللاوقوع[3].. فليس من السهل الوصول إلى معنى هذا البيت بسبب هذه المصطلحات ومن أمثلة هذا النوع من الغموض أيضاً قول الشيخ ذي الفقار علي في وصف المانجو[4]:

وَلَـئِنْ يَلُمْـــكَ الـــلاَّئِمُوْنَ فَقُلْ لَهُمْ: ... " اَلاِضْـــطِرَارُ يُبِيْـــحُ مَحْظُــوْرَاتٍ"

ومنشأ الغموض في هذا البيت هو استخدام الشاعر قاعدة فقهية «الاضطرار يبيح محظورات» فلا يفهم معنى البيت من لم يكن لديه هذه الثقافة الفقهية الأصولية[5].

١- الإعلام ٣/ ١١٧٤.

٢- هندوستان كى عربي شاعري د.حامد علي ص٢٠٨ رسالة دكتوراه في جامعة عليكرهـ.

٣- موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، محمد أعلى التهانوي ١/ ٩٦٥ تحقيق د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٤- الهدية السنية ص١١.

٥- معلوم في الفقه أن «الضرورات تبيح المحظورات».

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

التقليد والأخذ من السابقين:

تقليد السابقين ومحاكاة الأقدمين من المحتمات في كل فنّ، ولا يتأتي التجديد إلا في دائرة ضيقة، ويكون التقليد له دائماً الحظّ الأوفى والنصيب الأكبر، كما لا يمكن أن يكون التجديد مقبولاً إلا إذا كان مبنياً على ثوابت راسخة.

ومن ثم فالمعاني في الشعر أيضاً على ضربين: «ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدى به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها»[١] وهذا من «المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، فصار المعتدي مختلساً سارقاً، والشارك له محتذياً تابعاً»[٢].

وضرب ثانٍ هو «ذلك المشترك الذي لا يجوز ادّعاء السرق فيه، والمتبذل الذي ليس أحد أولى به[٣]».

أما الشعر العربي في الهند فأغلب معانيه من قبيل العام والمشترك الذي كثر تداوله واستعماله لدى الشعراء فمن ثم يصعب القول بتقليد الشعراءِ الهنود الشعراءَ السابقين في أبيات أو معان معينة.

لكنّ هناك جوانب دلّت على شيء من التأثير والتقليد في معاني أشعارهم، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

(١) التضمين:

وهو أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره وينبه على ذلك إن لم يكن مشهوراً[٤].

والشاعر يلجأ إلى التضمين «لتأييد أفكاره أو جعلها مؤثرة في عقل المتلقي ووجدانه»[٥] أو إظهارا لإعجابه بذلك الشاعر المتقدم، وقد حاول شعراء في الهند تضمين أبيات للمتقدمين.

ونلحظ أن التضمين يتنوع في العصور الأدبية المختلفة ما بين العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي. ولم أظفر بشاعر ضمّن من شعراء الأندلس أو شعراء العصور

١- الصناعتين: ٨٤.

٢- الوساطة: ١٨٣.

٣- الصناعتين: ٨٤.

٤- الإيضاح (ص٥٨٠) شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، د.سفير القثامي ص ٣٤٤رسالة الدكتوراة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المتأخرة في المشرق.

كما يُلحظ أن التضمين لم يتجاوز في معظم أحواله شطراً واحداً، ومن أمثلة التضمين قول الشيخ محمد شفيع الديوبندي في رثاء الشيخ محمد أحمد[١]:

«وَكَانَا كَنَدْمَانَيْ جَذِيْمَةَ حِقْبَةً» فَصَارَا كَأَنْ فِيْمَا مَضَى مَا تَصَاحَبَا

فالشاعر ضمن الشعر الأول من قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك ابن نويرة[٢]:

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيْمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيْلَ: لَنْ يَتَصَدَّعَا

ومن أمثلته أيضاً ما نراه عند الشيخ حيدر حسين اللكنوي في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ يقول[٣]:

وَإِذْ يَرْتَوِيْ مِنْهَا يُرِيْقُ عَلَى الثَّرَى "وَلِلأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيْبُ"

فالشطر الثاني مأخوذ من قول شاعر مجهول[٤]:

وَللهِ فِيْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ حِكْمَةٌ وَلِلأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيْبُ

ونرى الشيخ علي عباس الجرياكوتي يضمن شطراً من أبيات الإمام الشافعي –رحمة الله عليه– حيث يقول في إحدى مدائحه لسراج الدولة[٥]:

لَئِنْ تَسْمَحْ وَتُكْرِمْنِي وَتَمْنَحْ "لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيْدِ"

وبيت الإمام الشافعي الذي أخذ منه الشطر الثاني، يقول[٦]:

١- النفحات ٥.

٢- المفضليات، المفضل الضبي ص٢٦٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط. ٦، بدون تاريخ.

٣- هندوستان كي عربي شاعري ، د.حامد علي، ص٣١٨، رسالة الدكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كره بالهند.

٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ٢/٢٦٣، دار صادر، بيروت (دون التاريخ والطبعة).

٥- القصائد العباسية ، علي عباس جرياكوتي، ص ٣٧، مطبع سكندري، بهوفال ١٢٧٣هـ.

٦- ديوان الإمام الشافعي ، ص٧١ ، جمعه وحققه وشرحه: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَــــوْلاَ الــشِّعْرُ بِالْــعُلَمَاءِ يُــزْرِيْ لَــكُنْتُ الْــيَوْمَ أَشْــعَرُ مِــنْ لَــبِيْدِ

وكثر التضمين من شعراء العصر العباسي الفحول مثل أبي تمام والمتنبي وابن الرومي وغيرهم ومن أمثلته قول الشيخ علي عباس الجرياكوتي أيضاً مقرظاً على كتاب «السيرة المحمدية» الذي ألفه أحد أصدقائه، يقول[1]:

لاَ تَعْجَبُــوْا إِنْ عَلاَ كُتُبَ الَّذِيْنَ مَضَــوْا "فَــإِنَّ فِي الخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْــعِنَبِ"

الشطر الثاني مأخوذ من قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة[2]:

ومن الأمثلة أيضاً قول الشيخ عبد العزيز بن شاه ولي الله الدهـلوي في وصـف العاصمة الهندية دلهي، وإبراز محاسنها[3]:

لاَغَـــرْوَ إِنْ زَيَّنَتِ الدُّنْيَــا بِزِيْنَتِهَــا "كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَلاَ بِابْنٍ ذُرَا شَــرَفٍ"

فالعجز مأخوذ من قول ابن الرومي[4]:

وَكَمْ أَبٍ قَــدْ عَــلاَ بِابْنٍ ذُرَا حَسَبٍ كَــمَا عَلَــتْ بِرَسُــوْلِ اللهِ عَدْنَــانُ

وكان المتنبي أكثر الشعراء تأثيراً في شعراء الهند، فممن ضمن أبياته الشيخ راغب بخش البدايوني، يقول في رثاء الزعيم الكبير مولانا محمد علي جوهر[5]:

قَــضَى الإِلَـــهُ قَضَــاءً لَــنْ يُبَــدِّلَهُ اَلــذُّلُّ لِلْــوَغِدِ، "وَالــدُّنْيَا لِـمَـنْ غَلَبَا"

فالشاعر ضمن هذا البيتَ جزءاً من قول المتنبي[6]:

فَـالْـمَـوْتُ أَعْـذَرُلِيْ، والصـبر أجمـل بي وَالْــبِرُّ أَوْسَـعُ، وَالدُّنْيَا لِـمَــنْ غَلَبَــا

١- السيرة المحمدية، مولوي كرامة علي، ص:.

٢- ديوان المتنبي ١/ ٢٢٠.

٣- آثار الصناديد ص ٥٢٢.

٤- ديوان ابن الرومي - شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهنا ٦/ ١٧٩، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١م الطبعة الأولى.

٥- «الضياء» ص ٢٨، ذو القعدة ١٣٥١هـ.

٦- ديوان المتنبي ١/ ٩٤٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد ضمن هذا الجزء من البيت نفسه المولوي نذير أحمد الدهلوي أيضاً في قوله[1]:

اَلأَمْــــرُ وَالْحُــكْمُ أَيَّـــامٌ مُدَاوَلَــةٌ بَــيْنَ الْـخَـلاَئِقِ، "وَالدُّنْيَـا لِـمَنْ غَلَبَـا"

فمن ضمن بعض أبيات المتنبي أيضاً الشيخ إعزاز علي الديوبندي حيث قال في رثاء الشيخ عبد الباقر[2]:

مَـــا كُنْتُ أُحْسِـبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّـرَى أَنَّ الْبُـــدُوْرَ بُرُوْجُهَـــا الأَلْـحَـــادُ

فالشطر الأول تضمين من قول أبي الطيب[3]:

مَـــا كُنْتُ أُحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الـــثَّرَى أَنَّ الْـــكَوَاكِبَ فِي الـــتُّرَابِ تَغُـــوْرُ

كما أن الشطر الثاني أخذ فيه الشاعر المعنى من بيت المتنبي نفسه دون اللفظ.

ونرى الشيخ عبد الحميد الفراهي ضمّن إحدى قصائده شعراً من أبي العتاهية بعد تصرف يسير، وذلك في قوله[4]:

وَاسْتَجْمِـــعُوْا عَـــدَدًا فَـــمَا تَجْـــرِي الـــسَّفِيْنُ عَـــلَى الْـــيَبَسْ

فالعجز مأخوذ من قول أبي العتاهية[5]:

تَــرْجُــو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَــا إِنَّ السَّفِيْنَةَ لاَ تَجْـــرِيْ عَـــلَى الْـــيَبَسِ

وقد سبق أن رأينا تضمين الشيخ إسماعيل بن وجيه المراد آبادي عدةَ أشطر من معلقة امرئ القيس[6].

وإن كان هؤلاء الشعراء ضمنوا شعراً واحداً فهناك شعراء ضمنوا بيتاً كاملاً، ومن أمثلته قول الشيخ عبد الحق حقي الأعظمي مخاطباً الأمة الإسلامية، ومبدياً التأسف

١- الإعلام ٣/ ١٣٩١.

٢- ذكر خير مولوي عبد الباقر، رتبه حبيب الرحمن العثماني ص ٥.

٣- ديوان المتنبي ٢/ ٢٣٢.

٤- ديوان الفراهي ١٦.

٥- ديوان أبي العتاهية، تحقيق: شكري فيصل ص ١٩٤، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥م.

٦- ينظر: فصل الخصائص الفنية، مبحث الشكل، مطلب البناء الفني للقصيدة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

على حالها المؤلمة، ومحاولاً إيقاظها من غفلتها العميقة، يقول[1]:

مَــاذَا أَصَــابَكِ هَلْ دَاءُ الْفَنَــــاءِ جَرَى ... فِي جِـسْمِ شَعْبِكِ مجْرَى السُّمِّ فِي الـعَصَبِ

فَـالْجِسْمُ فِيْ شَلَلٍ، وَالْعَقْـلُ فِيْ خَـــلَلٍ ... وَالْـقَلْبُ فِيْ نَـصَبٍ، وَالـرُّوْحُ فِي وَصَبِ

أَمْ مَـــا أَصَـــابَكِ مِـنْ سُوْءِ التَّصَرُّفِ فِيْ ... تُـــرَاثِ أَسْــلاَفِـكِ الـصَّـوَّابَةِ الـنُّخبِ

"اَلْـحَـارِسِي الـدِّيْنِ لاَ يَلْــهُوْ نَهَارُهُمُ ... عَـنْهُ وَلاَ لَيْلُــهُمْ بِالنَّـــائِمِ الــرُّقَبِ"

"اَلْـحَـافِظِي الْـمُـلْكِ وَالْـحَـامِيْنَ حَوْزَتَهُ ... مِــنَ الأَعَـــادِي ذَوِي الأَضْغَانِ وَالْكَلَبِ"

فالبيتان لابن الرومي[2].

ترجمة مضمون القصائد الأردية:

من مظاهر التأثر بالسابقين لدى شعراء العربية في الهند ما نراه من قيام بعضهم بترجمة أبيات أو قصائد من عيون الشعر الأردي، إعجاباً بتلك القصائد والأبيات وما تضمنته من معان جديدة وطريفة، وإثراء لساحة العربية وآدابها بنتاج أفكار الآداب الأخرى وما خلف به أبناؤها من آيات الروعة والجمال.

ومن هؤلاء الشعراء الشيخ عبد الرحمن الكاشغري الندوي الذي قام بترجمة قصيدتي محمد إقبال الأرديتين، منهما القصيدة المشهورة «همالية» التي بدأ بها محمد إقبال ديوانه الأردي الضخم، والتي تزخر بوصف رائع لهذا الجبل الشامخ، وتصوير رائع لجمال الطبيعة، ويمتزج هذا الوصف وذلك التصوير بالتأمل في الكون، واستحضار التاريخ الغابر، واستعادة ذكريات قوافل الإنسانية تحت سفوح هذا الجبل.

وقد ترجم الشيخ الكاشغري معاني من هذه القصيدة ونظمها بالعربية، ولم يخض الكاشغري في ترجمة القصيدة مباشرة، بل بدأ بأبيات من نظمه وخالص شعره خاطب فيها أولئك السياح الذين يسافرون عبر القارات للسيّاحة والمتعة، ويغفلون عما وهب الله تعالى بلادهم من جمال الطبيعة، يقول[3]:

١- أعجب العجب من أحوال العرب ص ٢١.

٢- ديوان ابن الرومي ١/ ٢٠١، شرح محمد شريف سليم، مطبعة الهلال مصر، ١٣٣٥هـ.

٣- الزهرات ، الشيخ عبد الرحمن الكاشغري الندوي ، ص ٤٤، ومجلة الضياء، عدد شعبان ١٣٥١هـ ص ٢٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ذَرِ التِّسْآلَ وَالْقِيْلَ الْمُحَالاَ ... أُنَبِّئْكَ الْحَقِيْقَةَ وَالْمَآلاَ

أَعِرْنِيْ سَمْعَكَ الصَّاغِيْ وَقَلْبًا ... يُرَاعِيْ حَقَّ مَنْ مَحَضَ الْمَقَالاَ

أَرَاكَ تَجُوْلُ فِي الأَقْطَارِ جَوْلاً ... وَتَقْصِدُ فِي الْمَسِيْرِ "تَرَنْسِفَالاَ"[1]

وَتَرْكَبُ ظَهْرَ مَاخِرَةٍ دَفُوْقٍ ... لِتَشْرَبَ مَاءَ أُوْرُبَّا الزُّلاَلاَ

إِخَالُكَ أَيُّهَا السَّارِيْ ضَلُوْلاً ... تَرَكْتَ سَبِيْلَكَ الْوُسْطَى شَمَالاَ

شَمَالٌ قَدْ حَوَى عِبَرًا وَنُصْحًا ... وَفِيْهِ مِنَ الْعُجَابِ ذُرَى هِمَالاَ

ثم أخذ الشاعر في ترجمة جزء أو معانٍ جزئية من قصيدة، إقبال، فيقول:

هِمَالاَ، أَيُّهَا الْحِصْنُ الْمُعَلَّى ... لأَرْضِ الْهِنْدِ مِنْ أَنْ تُسْتَنَالاَ

كَفَى بِكَ عِزَّةً وَفَخَارَ نَفْسٍ ... تُبَارِيْ فِي الْعُلَى السَّبْعَ الطِّوَالاَ

بَلِ السَّبْعُ الطِّوَالُ تَخِرُّ عَجْزًا ... وَتَلْثُمُ صَلْتَ وَاضِحِكَ ابْتِهَالاَ

وبعد ذكر علو الجبل وشموخه ينتقل إلى ميزته الأخرى ألا وهي القدم، فيقول:

خَلَتْ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عُصُوْرٌ ... وَأَحْقَابٌ يُفَتِّتْنَ الْجِبَالاَ

فَمَا أَثَّرْنَ فِيْكَ وَظِلْتَ قُدُمًا ... تَذُوْدُ أَزَامِعَ الدَّهْرِ الثِّقَالاَ

مُرُوْرُ الأَبْرَدَيْنِ عَلَى التَّوَالِيْ ... أَشَابَ الْمُرْدَ وَاخْتَلَسَ الرِّجَالاَ

فَيَا للهِ، أَنْتَ عَلَى شَبَابٍ ... رَطِيْبِ الْغُصْنِ مَا غُيِّرْتَ حَالاَ

وينتقل إلى معنى جديد، فيقول إن موسى عليه السلام لما طلب من الله تعالى رؤيته في وادي سيناء على جبل الطور تجلّى سبحانه وتعالى للجبل فكان في ذاك التجلي آية واحدة فقط، أما جبل همالية فيحتوي على آيات كثيرة وآلاء عديدة تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ، فيقول:

١- اسم مكان في جنوب إفريقيا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

إِلَـهُ الْخَـلْقِ إِذْ نَـادَى كَلِيْـمًا ... تَلَقَّى مِـنْ مُنَـادِيْهِ الْكَـمَالاَ
فَكَانَ الـطُّوْرُ مَهْبِـطَ كُـلِّ سِـرٍّ ... خَـفِيٍّ مِـنْ تَجَـلِّيْهِ تَعَـالَى
لَـعَمْرُ اللهِ أَنْتَ بِـلاَ امْـتِرَاءٍ ... بَصَـائِرُ لِلَّتِي طَـابَتْ خِصَـالاَ
فَـلاَ يَرْمِي بِكَ الرَّجَـوَانِ وَاثْـبُتْ ... ثَبَـاتَ مُقَـدَّمٍ يَبْغِي النِّضَـالاَ

أما القصيدة الثانية التي قام الكاشغري بترجمتها من شعر إقبال، فهي التي خاطب بها الشاعر الشباب المسلمين، وقارن بينهم وبين أسلافهم ووجّه أنظار هؤلاء الشباب إلى صفات آبائهم، تلكم الصفات التي جعلتهم يسودون ويقودون العالم بأسره، ثم تطرق إلى ذكر واقع الشباب المسلمين في عصره، وبخهم على ما فيهم من الكسل والبطالة وحبّ الراحة، والرّكون إلى الدنيا، وعدم الاهتمام بالعلم، وعدم الالتفات إلى ما حولهم. فكان الدهر قد أزاحهم عن مكانة آبائهم السامية، وأوقعهم في حضيض الذّل والإدبار، وقد بدأ الكاشغري -كعادته في القصيدة السابقة- بأبياتٍ وصف فيها نفسه بالنصح ومحض الوداد، وفخر بموهبته الشعرية، وبيّن مذهبه الشعري وأنّ الشعر لديه أداة لنشر الفضيلة ونصرة الحق وبيان الطريق القويم، وبيّن أهمية الدين، والتمسك به في سبيل عزّ المسلمين، ثم يبدأ في ترجمة قصيدة إقبال، فيقول:

أَلاَ أَيُّهَـذَا الْمُـسْلِمُ النَّـاشِئُ الْفَتِيْ ... تَفَكَّـرَتْ فِيْ عَهْـدٍ سَعِيْدٍ مُوَافِـقِ[1]
فَلِلَّهِ عَلْيَـاءُ السَّـمَاءِ الَّتِيْ هَـوَتْ ... ثَـوَاقِبُ مِنْهَـا زَاهِـرَاتُ الْـمَشَارِقِ
فَـمَا أَنْتَ إِلاَّ ذَلِكَ الْـكَوْكَبُ الَّـذِيْ ... هَـوَى وَتَوَارَى الْيَـوْمَ فِيْ جُنْحِ غَاسِقِ

وبعد توجيه هذا الخطاب للشباب، يبدأ بتذكيرهم سيرة آبائهم، فيقول:

تَعَـلَّمْ، فَقَدْ رَبَّـاكَ قَوْمٌ أَعِـزَّةٌ ... بَهَالِيْـلُ دَاسُوْا تَـاجَ "دَارَا" الْغَـرَانِقِ
أُوْلَـئِكَ آبَـاءٌ كِـرَامٌ جَحَـاجِحُ ... أُوْلُـو الأَيْدِ وَالأَبْصَـارِ عِنْدَ الْـمَضَايِقِ

١- الزهرات ٣٣-٣٩، الضياء محرم سنة ١٣٥٢هـ، ٢-٢١.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وبعد أبيات يقول:

هُمُ فَرَشُوا الْحَصْبَاءَ تَحْتَ جُنُوْبِهِمْ   وَفَاقُوْا عَلَى أَشْرَافِ أَهْلِ النَّمَارِقِ[1]
هُمُ عَبَّدُوا طُرُقَ الْحَضَارَةِ لِلدُّنَى   تَسِيْرُوْنَ أَنْتُمْ خَلْفَهُمْ فِي السَّلائِقِ
هُمُ أَرْغَمُوْا شُمَّ الأُنُوْفِ بِضَرْبِهِمْ   رِقَابَ الأَعَادِيْ بِالسُّيُوْفِ الْبَوَارِقِ
أَيَادٍ لَهُمْ بَيْضَاءُ لَمْ يُلْفَ مِثْلُهَا   عَلَى كَاهِلٍ مِنْ جَمْعِنَا وَالْعَوَاتِقِ

ويتوجه إلى الشباب باستنهاض هممهم، فيقول:

وَلَكِنْ حُلُوْمُ النَّاشِئِيْنَ تَقَاصَرَتْ   عَنِ الْفَهْمِ أَوْ إِدْرَاكِ مَا فِي السَّرَادِقِ
نَصِيْبُكَ بِالأَعْمَالِ يَا أَيُّهَا الْفَتَى   مَقَالٌ بِلاَ جَدْوَى وَهَدْرُ الشَّقَائِقِ
دَعِ الْقَوْلَ وَاعْمَلْ وَاجْهَدِ النفس وانتبهْ   مِنَ الرَّقْدَةِ الْكُبْرَى الَّتِيْ لَمْ تُفَارِقِ

وهكذا يستمر في حثّ الشباب في السّير على آبائهم، والجدّ والمصابرة، ثم يختم القصيدة بذكر الأسى الذي كاد يمزق قلبه، فيقول:

أَلَهْفِيْ، لَقَدْ ضَاعَتْ مَآثِرُ جَمَّةٌ   يُبَكِّيْ عَلَيْهَا كُلُّ قَالٍ وَوَامِقِ
وَأَنْزَلَنَا الدَّهْرُ الْغَشُوْمُ بِحُكْمِهِ   عَلَى مَضْجَعٍ ذِيْ قِضَّةٍ لَمْ يُوَافِقِ
وَهَبَّتْ عَلَى آثَارِ عَمْرٍو وَخَالِدٍ   أَعَاصِيْرُ قَدْ أَوْدَتْ بِأَجْبَالِ طَارِقِ
فَلاَ تَسْأَلِ الدُّوْلاَتِ أَيْنَ مَقَرُّهَا؟   تَفَانَتْ بِمَا تَقْضِيْ قَوَانِيْنُ خَالِقِ
وَلَكِنَّ أُوْرُبَّا حَوَتْ كُلَّ نَافِعٍ   بِمَا كَتَبَتْ أَيْدِي الْكِرَامِ الأَصَادِقِ
فَذَلِكَ هَمٌّ بَاهِظٌ آلَفَ الْحَشَا   إِذَا مَا رَآهُ نَاظِراً كُلُّ حَاذِقِ

ونرى تلميذه الوفي الشيخ أبا محفوظ الكريم المعصومي يحذو حذو شيخه، ويترسم خطاه، فيعرب أبياتاً لشاعر أرديّ آخر، ألا وهو أسد الله خان غالب، فقام بترجمة خمسة

---

١ – في هذه الأبيات لم يتقيد الشاعر بالقصيدة الأصلية بدقة، بل عبر عن المعنى العام الذي تدور حوله القصيدة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وثلاثين من أبياته إلى العربية وصاغها في القالب الشعري، آخذاً معاني فقط، وفي الغالب نظم بيتاً واحداً لغالب، في بيتين له؛ بسبب إفعام تلك الأبيات الغالبية بالمعاني الكثيرة، ومن أمثلتها، قوله:

خُطُوْبٌ إِذَا مَا اعْتَادَهَا الْمَـرْءُ تَمَّحِي ... تَمَاماً، وَكَمْ هَانَتْ عَلَيَّ صِعَابُهَا

ويقول:

أُسَايِرُ كُلَّ مُنْشَمِرٍ قَلِيْلاً ... وَأَحْسِبُهُ سَيَهْدِيْنِي السَّبِيْلاَ
وَلَكِنْ أَنْثَنِي عَنْهُ وَلَمَّا ... أَزَلْ حَيْرَانَ لَمْ أَعْرِفْ دَلِيْلاَ

ويقول:

تُخَالِفُنِي النُّعْمَى إِلَى غَيْرِ سَاحَتِيْ ... فَأَصْبَحْتُ أَنِّيْ كُنْتُ حلف قَفَارِ
أَيَا عَجَباً جُدْرَانُ بَيْتِيْ أَمَرَّعَتْ ... مَقَامِيْ بِقَفْرٍ، وَالرَّبِيْعُ بِدَارِيْ

ويقول أيضاً:

وَغَانِيَةٍ فِيْ حُسْنِهَا ضَاقَتِ الْوَرَى ... وَمَازِلْتُ أُطْرِيْهَا بِآيِ الْبَلاَغَاتِ
إِلَى أَنْ غَدَالِيْ فِيْ هَوَاهَا مُشَارِكاً ... قَرِيْنِي الَّذِيْ أَوْدَعْتُهُ سِرَّ غَايَاتِيْ

وللشيخ المعصومي تراجم أخرى من اللغة الفارسية لكني صرفت عنها النظر لكونها تمت في بداية القرن الخامس الهجري أي الفترة التي خارج نطاق هذا الدراسة. ويلحظ أن شاعري العربية الكاشغري والمعصومي لم يستطيعا الوصول إلى درجة غالب وإقبال، في وضوح العبارة، وحسن السبك، وقوة التركيب، وإشراقة الديباجة، وإضفاء الموسيقى، وجلب الماء والرونق في صياغتها، فضلاً عن التفوق عليها.

وذلك لقصور المواهب الشعرية لدى الشاعرين المترجمين، وقد يعذران؛ لأن العربية لم تكن لغتها الأمّ، كما أنهما كانا في بيئة أجنبية بالنسبة للغة العربية، ويضاف إلى ذلك عدم الحافز المادّي، أو أيّ تشجيع ملموس، فكلاهما كان يقوم بقرض الشعر بالعربية وترجمته إلى العربية إرضاءً لنفسه، وإسهاماً منهما في خدمة لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة.



أما الشاعران الأرديّان غالب وإقبال فيعدّان من العباقرة والقمم، ولهما تأثير مشهود على الآداب العالمية، فقد ترجمت أعمالهما إلى عدّة لغات عالمية، وأثريا الآداب الإنسانية بأفكارهما، كما أطربا شعبيهما بجمال شعرهما، هذا في جانب المعنى، ومن ناحية اللفظ والأسلوب فكلاهما كان يستخدم الأردية لنظم ما تجيش به خواطره، وهي لغتهما الأصلية. كما كان الشاعر غالب يتمتع ببعض الجوائز والصّلات من السلاطين المغول والإنجليز ومن الأمراء المحلّين أيضاً مكافأة على مدحه إياهم.

المطلب الثاني

التجربة الشعرية

التجربة الشعرية «تعبير مستحدث في مصطلحات النقد الأدبي الحديث، وإن كان مضمونها لم يغب عن النقاد في النقد العربي القديم»[١].

ويقصد بها لدى النقاد «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكّر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين؛ لينال رضاهم، بل إنه ليغذي شاعريته بجميع الأفكار النبيلة، ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة، وأصول المروءة النبيلة، وتشف عن جمال الطبيعة والنفس»[٢].

وتعددت تعاريف النقاد[٣] للتجربة الشعرية إلا أنها كلّها تعني بها في النهاية معايشة كاملة لإحساس معين من بدء ملاحظته إلى تخلقه فنياً بشكله النهائي[٤] إذ العمل الأدبي ليس إلا «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»[٥].

فليست كل قصيدة جمعت أبياتها في إطار موسيقي تسمى تجربة شعرية بل يشترط لها النقاد أن تكون نابعة من نفس صاحبها ومن عقله ومن كل حواسه ودخائله النفسية

١- في ميزان النقد الأدبي، د. طه مصطفى أبوكريشة ص ١٧.

٢- النقد الأدبي الحديث، د. غنيمي هلال ص ٦٣٦.

٣- ينظر لهذه التعاريف: الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي، ص ١٤، النقد التطبيقي والموازنات ٥٨-٦٣، في النقد الأدبي الحديث د. محمد عبدالرحمن شعيب ١١-١٧.

٤- عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، د. محمد أحمد العزب، ط ١، المركز العربي للثقافة والعلوم.

٥- النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص ٩.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

والفكرية الظاهرة والباطنة، وأن يكون الشاعر قد عايشها أوضح ما تكون المعيشة، ولا بد أن تكون واضحة المعالم، متميزة الأجزاء في نفس الشاعر، كل جزء يقود إلى أخيه، ولا يمكن أن يقوم جزء تالٍ بدون سابقة، متحدة الموضوع، فلا تجمع فيها بين مضامين وموضوعات عديدة، وأن تكون معبرة عنها بوسائل الشاعر اللغوية والخيالية والموسيقية لنقل الفكرة وإثارة العاطفة وتحريك الوجدان[١].

ولا يشترط أن يكون الحدث الذي هو أساس التجربة موضوعاً أو شيئاً كبيراً، بل كل شيء في الدنيا صالح لأن يكون موضوعاً للتجربة، مهما كان لهذا الموضوع من عظم الشان أو صغره أو نفاسة القيمة أو تفاهتها[٢] بشرط أن يتوافر لدى الشاعر الإحساس والخيال اللّذان يخلعهما علي الأشياء العابرة، وأن تمتزج تلك الأشياء بالحياة الإنسانية[٣].

وإذا أردنا معرفة ما في الشعر العربي في الهند من تجارب نلحظ قلة التجارب الناضجة فيه، وذلك لأسباب عديدة كقصور المواهب الشعرية لدى كثير من الشعراء، وعدم تفرغهم للشعر، ولعل أهم سبب في ذلك هو -حسب ما ظهر لي- افتقارهم إلى صدق العاطفة في أعمالهم الشعرية، و«الأحاسيس والمشاعر هي أهمّ العناصر في القصيدة أو في التجربة الشعورية» [٤] فلم يكن الشعر لدى أغلب شعراء العربية في الهند وليد معاناة، عاشوها، ثم حاولوا التنفيس عنها في صياغة شعرية، بل أكثرهم كان ينظم أبياتاً أو قصائد ليظهر رسوخ قدميه في العربية، أو ليدرج ضمن قائمة شعرائها؛ لأن إجادة القريض - مع ما فيه من التزام بالوزن والقافية- لا تتأتى إلا مع ثقافة لغوية واسعة، وبعد اقتدار ناصية البيان، بالإضافة إلى الطبع والموهبة. وقد صرّح الدكتور ظهور أحمد أظهر في مقدمته لديوان الشيخ فيض الحسن السهارنفوري أنّ الشيخ في بعض أغراض شعره كالغزل، والفخر والحماسة، والهجاء ما كان ينطلق من صدق العاطفة ومعاناة وتجربة؛ إذ كان من أبرز رجال الدين في شبه القارة ولا يتصور منه[٥] أن يغامر

١- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف ١٣٨-١٤٠ بتصرف.

٢- مقدمة ديوان عابر سبيل للعقاد ص ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الديوان الخامس ١٩٧٤م.

٣- المرجع السابق ٣٧٨.

٤- في النقد الأدبي. د. شوقي ضيف ص١٤٦.

٥- وفي الأصل: ولا يتصور عنه.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

في شبكات الغرام أو يقتحم في نيران الحب»[1] بل كان يري أنه «فن من فنون الشعر، وغرض من أغراضه يجب أن يسهم فيه، ولا يتخلف عن غيره من الشعراء في ذلك»[2] وما قاله الدكتور ظهور أحمد أظهر عن الشيخ فيض الحسن ليس خاصاً به فحسب، بل جميع الشعراء كانوا قد نشأوا وعاشوا في البيئة نفسها، وفي الظروف عينها، ولذا فإن ما قيل عن الشيخ فيض الحسن يصدق على غيره من الشعراء أيضاً، كما أن بإمكاننا بعد التمعن في قصائد الشيخ فيض الحسن إرجاع كثير من المدائح والمراثي أيضاً إلى ذلك الشعر الذي تنعدم فيه عاطفة صادقة مخالفاً فيها رأى الدكتور ظهور أحمد أظهر؛ إذ علامات التكلف وإمارات التفعل بادية فيها.

وإذا أضفنا إلى هذا السبب سبباً آخر ألا وهو كون جزء كبير من هذا الشعر قد صدر بمناسبات معينة مثل تهنئة بالعيد، أو الزواج، أو الترحيب بضيف أو صديق، أو غير ذلك[3] وأضفنا إلى شعر المناسبات كثيراً من تلك المدائح والمراثي التي أثمرتها حاجات العيش، أو مجاملات اجتماعية، فلن يبقى من هذا العدد الكبير إلا تجارب قليلة جداً.

ولا شكّ أن هؤلاء الشعراء يعذرون في قلة التجارب الشعرية لديهم، إذ أنهم كانوا يجعلون من الشعر العربي القديم عموماً، والشعر الجاهلي خصوصاً، نبراساً لهم، يستضيئون به، ويستنيرون بنوره، ومعروف أنّه «لم يكن العرب يتصورون القصيدة تجربة شعورية»[4] ولا كانوا يشغلون أنفسهم بفكرة التجربة الشعورية كما نتصورها الآن، وكان حسب الشاعر منهم أن يطوف بأبياته حول الموضوع الذي ينظم فيه وحسبه أن يؤلف قصيدته دون أن يعنى بنظامها ودون أن يعنى بالوقوف الطويل في أثنائها يتأمل ويفحص أحاسيسه وأفكاره، بل كان الإحساس يعرض له، أو تعرض له الفكرة، فيوجز ما يعرض له من ذلك ويجمله إجمالا يفقده كل انبساط وكل اتساع وبذلك أصبحت القصائد - في أغلب أمرها- أشبه ما تكون بخطرات عابرة، وقطرات منعقدة لا تتسع دائرتها ولا تشكل ما يمكن أن نسميه حدثاً أو تجربة شعورية كاملة»[5].

١- ديوان الشيخ فيض الحسن ص ٢٨.

٢- المرجع السابق ٢٧، وفي الأصل: يساهم فيه.

٣- فعلى سبيل المثال نرى أن قصائد المناسبات في القصائد البنورية تفوق على نصفها.

٤- في النقد الأدبي د. شوقي ضيف ١٤١.

٥- في النقد الأدبي ، د.شوقي ضيف، ص ١٤١-١٤٢.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

كما أن هؤلاء الشعراء لم يكونوا على اطّلاع بما جدّ من آراء وأفكار، ودراسات وبحوث في عالم الأدب والنقد عموماً، وفي الأدب والنقد الغربيين خصوصاً، الأمر الذي ترتب عليه عدم إعطائهم هذا الجانب عناية يستحقها.

ومن أمثلة التجارب الناجحة لدى شعراء العربية في الهند ما قاله الشيخ محمد ناظم الندوي في مجاهدي فلسطين وقد قاموا بتنفيذ إحدى عمليات استشهادية، يقول فيها[٦]:

مَنْ أُجْلِيَ عَنِ الدّيَارْ ... وَعَنِ الْمَزَارِعِ وَالْعَقَارْ
وَأُذِيْقَ بُؤْسًا وَافْتِقَارْ ... وَسِيْمَ ذُلاًّ وَصَغَارْ
وَأَصَابَهُ كُلُّ الضَّرَارْ ... كَيْفَ يَقِرُّ لَهُ الْقَرَارْ
نَفَرُوا وَحُقَّ لَهُمْ نِفَارْ ... مِنْ كُلِّ صَوْبٍ بِالدِّيَارْ
قُدُماً مَضَوْا نَحْوَ الْوَغَى ... إِقْدَامَ أُسُدٍ بِالشَّرَى
لَمْ يَحْجِمُوْا دُوْنَ الْمَدَى ... حَيْثُ مَمَاتٌ أَوْ عُلَى
بِحِمًى وَطِيْسٍ لِلنِّضَالْ ... حَيْثُ تَدُوْرُ رَحَى الْقِتَالِ
لَهُمُ انْقِضَاضٌ كَالصُّقُوْرْ ... وَلَهُمْ هُجُوْمٌ كَالنُّمُوْرْ
وَطَقَاطِقُ الْبَنَادِقِ ... عِنْدَ الْقِتَالِ بِمَأْزِقِ
وَقَعَاقِعُ الْمَدَافِعِ ... فِيْ سَاحَةِ الْمَعَامِعِ[٢]
أَحْلَى لَهُمْ بِمَسَامِعِ ... مِنْ أَيِّ صَوْتِ السَّامِعِ
اَلْقَتْلُ أَحْلَى حُلْمِهِمْ ... وَالْمَوْتُ أَشْهَى سُؤْلِهِمْ
مِنْ عِيْشِ ذُلٍّ فِي الأَسَارِ ... فِيْ دَارِ هُوْنٍ وَالصَّغَارْ

٦- الزهرات، محمد ناظم الندوي، ص ٢٧-٢٨.

٧- المعامع: شدة الحرب، والجدُّ في القتال، وهيج الفتن، والتهاب نارها (اللسان: م ع ع).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَسَرَوْا إِلَى تَلْ أَبِيْبْ ... بَيْنَ الْحَدِيْدِ وَاللَّهِيْبْ

وَتَجَاوَزُوْا حَرَسَ الْيَهُوْدْ ... قُدُماً حَدِيًّا لِلْجُنُوْدْ

وَتَوَغَّلُوْا وَنَكَّلُوْا ... بِالْغَاشِمِيْنَ وَقَتَّلُوْا

رَمْيًا شَدِيْدًا بِالْبَنَانْ ... عَزْمًا قَوِيًّا فِي الْجَنَانْ

ضَرْباً وَجِيْعًا لِلطُّغَاةْ ... طَعْنًا أَلِيْماً فِي الْبُغَاةْ

قَتْلاً ذَرِيْعًا لِلِّئَامْ ... فَتْكًا شَدِيْداً بِالطُّغَامْ[1]

أَنْتُمْ قَنَابِلُ لانْفِجَارْ ... عَلَى الصَّهَايِنَةِ الشِّرَارْ

أَنْتُمْ بَنَادِقُ وَالرَّصَاصْ ... أَنْتُمْ كَتَائِبُ لِلْقِصَاصْ

لاَ تُسْلِمُوْا لِمَنْ ظَلَمْ ... هُمْ شَرُّ شَعْبٍ فِي الأُمَمْ

أَخْزَى الْبَرِيَّةِ مُنْذُ قِدَمْ ... نقضُ الْعُهُوْدِ وَالذِّمَمْ

أَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِيْنْ ... وَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَبِيْنْ

فَامْضُوْا طِرَادًا مَنْ غَصَبْ ... مِنْ أَرْضِكُمْ وَمَنْ نَهَبْ

أَنَّ الْيَهُوْدَ لاَ تَسُوْدْ ... أَنَّ الْيَهُوْدَ لَنْ تَسُوْدْ

وَلَّى الظَّلاَمُ الْمُدْلَهِمْ ... وَبَدَا الصَّبَاحُ الْمُبْتَسِمْ

بُشْرَى لَكُمْ فَتْحٌ مُبِيْنْ ... وَالْحُكْمُ فِي بِضْعِ سِنِيْنْ

إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

---

١ – الطغام: أراذل الناس وأوغادهم (اللسان: ط غ م).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فهذه القصيدة قالها الشاعر حينما بلغه نبأ تلك البطولة التي حصلت في أرض الشهداء، ومسرى إمام الثقلين، نبأ عملية استشهادية قام بها مجاهدون فلسطينيون، فتأثر الشاعر بهذا النبأ، وجاشت به قريحته، بعد ما هزّ كيانه، وألهب مشاعره، فأنتجت شاعريته هذه القصيدة الرائعة، وقد وضعها في ست مقاطع، فبين في المقطوعة الأولى تلك الأسباب التي جعلت هؤلاء المجاهدين يلقون بأنفسهم في نيران هذه الحرب، غير مبالين بها، فمن نفي عن وطنه وممتلكاته، وسلب منه كل مقومات حياته، وأذيق الذل والهوان، وأصابه الفقر والبأساء، لا يستغرب منه أن يقوم بمثل هذه المهمة، ثم يبدي الشاعر إعجابه بهؤلاء المجاهدين، من خلال ذكر صفاتهم وشجاعتهم، فهم أسود الحرب، ولهم على أعدائهم انقضاض مثل انقضاض الصقور على فرائسها، وهم يعيشون في جوٍ مفعم بآلات الحرب وأصواتها، فتعودوها وآثروا موت العزّة على حياة الذّل.

ثم انتقل الشاعر إلى وصف تلك العملية بالوصول إلى تل أبيب عاصمة الكيان الصهيوني الغاشم، مجاوزين الحراس، ونجاحهم في إتمام عمليتهم بالقتل والفتك والتنكيل بالأعداء، وكان اعتمادهم فيها على رباطة جأشهم، وقوة أعضائهم.

وفي المقطوعة قبل الأخيرة يقوّي عزائمهم ويدعوهم إلى الاستمرار في طريقهم، وعدم الاستسلام لأعدائهم الذين هم شر خلق الله، معروفين بالغدر والظلم ونقض العهود ونكث الذمم.

ويختم قصيدته بذكر ما يتجلى له من شعاع الأمل في المستقبل، بنهاية هذا الكيان الغاشم، الجاثم على صدر الأمة، وفتح المجاهدين عليه وعودة الحكم إليهم ويرى أن هذا الفتح– بإذن الله – محقق خلال سنوات قادمة قريبة.

ونرى أن القصيدة تدرج فيها الشاعر من فكرة إلى أختها، وكانت أجزاء القصيدة واضحة المعالم، في ذهن الشاعر وفي بنائه الشعرى للقصيدة، ونلحظ عاطفة الشاعر فيها قوية صادقة، نابعة من سبب صحيح غير زائف، سامية تدعو إلى نصرة المظلوم ورفض الظلم، والأخذ على أيدي الظالم، مستمرة في كامل القصيدة، متنوعة بين الإعجاب بالمجاهدين وصفاتهم وأعمالهم، والكراهة لليهود ورذائلهم، وأيضاً بين الحزن على الحاضر الأليم، والتفاؤل بمستقبل زاهر، وفتح مبين.

وقد عبر الشاعر في هذه القصيدة عن تجربة إنسانية؛ لأنه وإن كان يبدي سروره بانتصار أبناء دينه المظلومين ، على أعدائهم – مهما كان الانتصار ضئيلاً وجزئياً– إلاّ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أن الظلم والعدل قضية إنسانية تهمُّ البشريةَ جمعاء في كل عصر وحين؛ لأن بالعدل قوام الحياة ولا أدّل على كون هذه المأساة إنسانية- غير مخصصة بأبناء دين معين دون غيرهم- من قرارات مجلس الأمم المتحدة العديدة الصادرة في غضون عدّة عقود، مطالبة بمنع العدوان ووقف الاستيطان.

وقد صور الشيخ المفتي محمد كفاية الله في قصيدته «التهنئة بالعيد السعيد» تجربة نفسية ذاتية، يقول فيها[1]:

أُهَنِّيْكَ، يَا مَنْ فَازَ بِالْخَيْرِ وَارْتَوَى   بِكَأْسٍ دِهَاقٍ مِنْ مَكَارِمَ وَاسْتَقَى

أُهَنِّيْكَ، يَا مَنْ صَادَ أَفْئِدَةَ الْوَرَى   بِأَخْلاَقِكَ الزَّهْرَاءِ طَيِّبَةَ الشَّذَى

أُهَنِّيْكَ، يَا مَنْ فَاقَ بِالْفَضْلِ وَالنَّدَى   عَلَى كُلِّ مَنْ أَعْطَى وَأَنْفَقَ مَا حَوَى

بِعِيْدٍ إِذَا وَافَى أَتَى بِمَسَّرَةٍ   تَدِبُّ إِلَى أَعْمَاقِ أَفْئِدَةِ الْوَرَى

أُهَنِّيْكُمْ بِالْعِيْدِ، وَالْعِيْدُ مُعْجَبٌ   لِحُرٍّ كَرِيْمٍ فَازَ بِالْعَيْشِ وَالْمُنَى

يَعُوْدُ لَكُمْ عَوْدًا حَمِيْدًا مُبَارَكًا   عَلَيْكُمْ وَفِيْكُمْ جَالِباً لَكُمُ الْهَنَا

يَعَوْدُ إِلَيْكُمْ مِثْلُ حِبٍّ يَزُوْرُكُمْ   فَيَأْتِيْ بِمَا يَأْتِيْ الْحَبِيْبُ إِذَا أَتَى

يَعُوْدُ إِلَى مَا تَشْتَهِيْهِ وَتَرْتَضِيْ   مِنَ الْعُمْرِ بِالْخَيْرَاتِ وَالرُّشْدِ وَالْهُدَى

يَزُوْرُ الْمُحِبُّوْنَ الأَحِبَّةَ بُكْرَةً   وَيَلْتَذُّ كُلٌّ بِالْعِنَاقِ وَبِاللِّقَا

إِذَا الْعِيْدُ يَأْتِي الْمَرْءَ وَالْمَرْءُ مُحْتَظٍ   بِأَهْلٍ وَمَغْنًى أَوْرَثَ اللُّطْفَ وَالْهَنَا

وَلَكِنَّهُ إِنْ حَلَّ وَالسِّجْنُ مُوْصَدٌ   عَلى المرءِ لم يُوْرِثْ سِوَى الْحُزْنِ وَالشَّجَى

وَكَمْ بَيْنَ حُرٍّ إِذْ يُنَاغِيْ غَزَالَةً   وَبَيْنَ أَسِيْرٍ يَصْطَلِيْ ضَرْمَةَ النَّوَى

وَكَمْ بَيْنَ حُرٍّ قَرَّ عَيْنَاهُ بِالْهَوَى   وَبَيْنَ أَسِيْرٍ يَصْطَلِيْ ضَرْمَةَ النَّوَى

1- نفحة العرب، محمد إعزاز على ديوبندى ٢٧٢-٢٧٥. كتب خانه اعزازيه، ديوبند ١٩٨٣م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وَلَكِنَّنَا قَوْمٌ نُلاَعِبُ بِالظُّبَا ... وَنَقْلِي ظِبَاءً إِذْ تَدَاعَتْ إِلَى الْوَنَى

وَنَحْنُ كِرَامٌ نَمْلِكُ الْخَيْرَ فِي النَّدَى ... وَنَحْنُ لُيُوثٌ نَحْسِمُ الشَّرَّ فِي الْوَغَى

أَبَيْنَا إِبَاءَ اللَّيْثِ ذُلَّ تَعَبُّدٍ ... فَلاَ سُبَّةً أَخْزَى مِنَ الذُّلِّ لِلْعِدَى

حُبِسْنَا وَأُوْذِيْنَا بِغَيْرِ جَرِيْمَةٍ ... فَمَا ذَنْبُنَا إِلاَّ الدِّفَاعُ عَنِ الْحِمَى

وَإِنْ غَاشِمٌ عَدَّ الدِّفَاعَ جَرِيْمَةً ... فَإِنَّا نَرَى مِنْ هَذَاكَ، سُؤْدَدَ الْفَتَى[1]

وَإِنْ خَانَنَا الدَّهْرُ الْغَشُوْمُ فَلاَ تَكُنْ ... يَداً لِخَئُوْنٍ وَاقِفٍ حَقًّا إِذَا انْجَلَى

فَأَنْتَ كَرِيْمٌ ابْنِ الْكَرِيْمِ وَلَمْ نَجِدْ ... كَرِيْماً مُعِيْناً لِلَّذِيْ جَارَ وَاعْتَدَى

نَرَى الأَسْرَ لِلْحُرِّ الْوَفِيِّ كَرَامَةً ... وَإِنْ كَانَ رِجْزًا لِلْمُوَاقِعِ فِي الْخَنَا[2]

وَمَا السِّجْنُ لِلْمَظْلُوْمِ إِلاَّ عَطِيَّةً ... يَمُنُّ بِهَا الْمَوْلَى عَلَى عَبْدٍ اصْطَفَى

فَيَا رَبِّ تَثْبِيْتاً وَصَبْرًا عَلَى الْبَلاَ ... وَيَا رَبِّ عَوْنًا وَانْتِصَارًا عَلَى الْعِدَى

وَبُوْرِكْتَ فَضْلَ الدِّيْنِ[3] وَازْدَدْتَ رِفْعَةً ... وَوُفِّقْتَ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرِ وَالتُّقَى

لِيَهْنِكَ عِيْدُ الْفِطْرِ هَذَا، وَبَعْدَهُ ... تَمَتَّعْتَ بِالأَعْيَادِ مَا شَرِقَ الذُّكَا[4]

صور الشاعر في هذه القصيدة تجربة عاشها بنفسه، وعاني أحداثها في دخائله، وهي تجربة معاناة السجن – مع ماله من منزلة علمية سامية خاصة ومكانة اجتماعية وسياسية مرموقة إذ كان أحد أبرز أعضاء جمعية علماء الهند–بسبب مشاركته في حركة التحرير والاستقلال ضد الاستعمار البريطاني الغاشم.

والشاعر وإن بدأ القصيدة بتهنئة مدير السجن بحلول عيد الفطر المبارك، ورأيناه يكرر التهنئة عدّة مرات، ويدعو لمدير السجن بعودة العيد إليه مرّات إلا أن الشاعر

١– غاشم: من غشم يغشم غشما: الظلم (اللسان: مادة غ ش م).

٢– الرجز بالكسر والضم: القذر (القاموس: مادة ر ج ز). الخنا: الفحش، (اللسان: خ ن و).

٣– مدير سجن ملتان الذي كان مسجونا فيه الشاعر.

٤– نفحة العرب، إعزاز علي، ص ٢٧٢–٢٧٥، كتب خانه إعزازية ديوبند ١٩٨٣م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

يجعل هذه التهنئة ستراً لهمومه وآلامه وأحزانه، على نحو ما يقول الشاعر الأردي:

غـم كو جهبا ليا هي لبـاسِ نشـاط مـين   دنيا سمجهـرهى هي بهت شـادمان هون مين

وتظهر في القصيدة عاطفة الحزن على الغربة وفقد الأهل والأحباب في هذه المناسبة المباركة، والعيد العظيم، كما تظهر عاطفةُ الطموح والشموخ والعزّة، وعدم الرضوخ للذلة، وعدم القبول للاستعمار الغاشم، مهما كان الاستعمار جباراً عاتياً، ومهما كان الشاعر ضعيفاً مغلوباً على أمره، مبتلى بأنواع المصائب والمحن بسبب تحدّيه للاستعمار.

والشاعر وإن كان يعبّر عن تجربة شخصية ذاتية إلا أنه استطاع أن يجعل منها موضوعا إنسانياً عاماً، لما نجد له من صدى وتجاوب في نفوسنا، وكل من يمرّ بظروف مشابهة قد يستعير بعض أبياته للدلالة على نفسيته في مثل هذه المناسبة الكريمة.

سمات العاطفة:

العاطفة «من أسس التجربة الشعرية في القصيدة الغنائية»[1]، لأن الشعر «هو التصوير الخيالي للعواطف»[2]. والعواطف هي التي تكسب الشعر صفة الخلود وتجعله محبباً لدى قلوب الناس[3]. ويعرف النقاد العاطفة بأنها «انفعال نفس منظم يجتمع حول شخص أو شيء معين، وأنها تتكون عادة من اتصال الفرد بموضوع العاطفة في مواقف مختلفة، فإذا أرضت صاحبها أثارت في نفسه مشاعر لذيذة سارة وإذا أحبطت دوافعه أثارت في نفسه مشاعر مؤلمة مريرة.» [4].

والعاطفة الشعرية تختلف باختلاف ميول الشعراء وطبائعهم، كما تختلف قوة تأثير العواطف في السامع، وعلى قدر قوة العاطفة المتأججة والمضطرمة في نفس الشاعر يكون شعره أكثر قوة ونفوذاً في نفوس السامعين[5].

وقد وضع النقاد لنقد عنصر العاطفة في العمل الأدبي خمسة مقاييس، هي:

١- صدق العاطفة: ويقصد به أن تكون العاطفة منبعثة «عن سبب صحيح غير

١- التجربة الشعرية في القصيدة العربية القديمة، د.مصطفى عمر. ص ٦١ دار المعارف، مصر، ١٩٨٩م

٢- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ص ٢٣٠

٣- النقد الأدبي، أحمد أمين ص ٢٣ بتصرف.

٤- فصول في النقد الأدبي وتاريخه، ضياء الصديقي وعباس محجوب ص ٢١

٥- في النقد الأدبي عندالعرب، د.طاهر درويش ص ٢٢٠



زائف ولا مصطنع»[١] لتكون عميقة تهب للأدب قيمة خالدة، ومؤثرة في نفوس المتلقين.

٢- قوة العاطفة: ويقصد بها قدرة العمل الأدبي على إيقاظ نفس متلقيه، وإثارته وتحريكه كما يشاء ذلك العمل، فإن كان النص ثائراً صاخبا أحال المتلقي إلى قوة عاتية وشعلة ملتهبة، وإن كان متهالكا حزيناً أشعر بجلال الخطب وعظم المصيبة[٢].

وليس المراد بقوة العاطفة ثورتها وحدّتها، فقد تكون رزينةً هادئة، ومع ذلك تكون أبعد أثراً وأقوى إيحاءً لعمقها وأصالتها، فتكون أبقى وأخلد[٣].

٣- ثبات العاطفة واستمرارها: ولذلك معنيان:

١- بقاء أثرها في نفوس السامعين زمناً طويلا فتكون كالقطعة الموسيقية يسمعها السامع ثم لا تزال في أذنه بعض الأنغام، وتتكرر أمداً بعيداً.

٢- أن تكون القطعة الأدبية تثير شعوراً متجانساً متسلسلا[٤].

٤- سمو العاطفة: ويقصد به أن تثير العاطفة في القارئ المشاعرَ الصحيحةَ الساميةَ، لا المريضة والرذيلة، وترفعه إلى المثل الأعلى، لا أن تهبط به إلى الغرائز الدنيا[٥].

٥- تنوع العاطفة ويعنون به: كثرة التجارب التي تجعل في استطاعة الأديب إذا تعرض لنوع من العاطفة، أن يستوفي الكلام فيها، كما يستطيع أن ينوع في كتابته أو شعره، فيمس مشاعر مختلفة وهو في كل منها غزير[٦].

وليس جميع الأدباء أو الشعراء يستطيعون هذا، بل أعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة العواطف المختلفة لدى القراء بدرجة قوية، كالحماسة والإعجاب والشفقة والإجلال[٧].

ويعد تنوع العاطفة مظهراً من مظاهر الثراء في النصوص الأدبية؛ لأن المتلقين على

١- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ص ١٩٠

٢- دراسات في النقد الأدبي الحديث ص ١٤٥-١٤٦ بتصرف

٣- أصول النقد الأدبي ص ١٩٣ بتصرف

٤- النقد الأدبي ص ٣٢

٥- مع النقد العربي القديم في تاريخه وقضاياه، د.طه مصطفى أبوكريشة ص ١٧١-١٧٢

٦- النقد الأدبي ص ٣٣

٧- المدخل إلى النقد الأدبي د. السعيد الباز ص ٥٨، مكتبة الزهراء ١٩٩٠م


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مختلف فئاتهم، يجد كل منهم ما يميل إليه، ويتفق مع حالته[1].

وإذا نظرنا إلى الشعر العربي في الهند لنعرف مدى تحقق هذه المقاييس فيه نلحظ أن وضوح العاطفة الدينية وقوتها، وبروز الروح الإسلامية وظهورها من أهم سمات العاطفة في هذا الشعر. يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

«أما الثقافة العربية فلا يزال الشعب الإسلامي الهندي متمسكا بها، محافظاً عليها، منتجاً فيها، وتدل الآثار والقرائن على تَكَوُّن مدرسة أدبية خاصة فيها، في الأدب العربي والكتابات الإسلامية، تجمع بين البراعة الأدبية، والإشراق الروحي، والإيمان العميق، والدعوة الصريحة القوية»[2].

وأرى أن لهذه العاطفة الدينية القوية لدى المسلمين أسباب عديدة، من أهمها:

١- كون المسلمين في تلك البلاد النائية عن مركز الإسلام بين أغلبية الهندوس المشركين، المتعصبين لدينهم، والإنجليز النصارى المنصّرين الذين كانوا يسعون جاهدين في نشر ديانتهم بين سكان الهند، وكانوا يختلقون تهما وافتراءات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كانوا يثيرون الشكوك حول القرآن الكريم وعقيدة الإسلام الصّافية النقية، ليبينوا بذلك أحقيتهم وأفضلية دينهم، فكون المسلمين في صراع دائم مستمر مع هذه الطوائف المختلفة قد سَبَّبَ إذكاء العاطفة الدينية القوية لديهم، والاعتزاز بالدين الحنيف، والتمسك بكل ما ورد فيه، والاستماتة في الدفاع عنه.

٢- أغلب هؤلاء الشعراء كانوا من أوعية علوم الكتاب والسنة، وحملة الشريعة الغراء، يبيتون ويسهرون في جمعها وتحصيلها، ويكدون في نشرها، ولم تقتصر جهودهم على حجرات العلم، وزوايا المكتبات، بالتعلم والتعليم، تاركين بذلك الحياة العملية لغيرهم، بل كان لهم مواقف قيادية في التصدي لجميع تحديات العصر، فحينما نرى الشيخ محمد قاسم النانوتوى، مثلاً: يضع أساس مدرسة إسلامية في ديوبند، لتكون معقلاً للدين الحنيف وعلومه، ولتتحول بعد ذلك إلى حركة تعليمية انتشرت في شبه القارة الهندية كلّها، بل آتت ثمارها عبر القارات، في أوربا، وأمريكا، وإفريقية، وأستراليا، وأغلب بلدان قارة آسيا، نراه أيضاً حاملاً لواء الجهاد، في ساحة

١- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث ، د.سفيرالقثامي ص ٣٦٨

٢- المسلمون في الهند ص ٥٧

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

«شاملي»[١] ليقود المجاهدين الذين يحاولون طرد الإنجليز من الهند، وتطهير البلاد من عدوانهم وجورهم، ولتعود الهند دار إسلام كما بقيت قروناً طويلة متتابعة، وقد شارك الكثيرون من هؤلاء الشعراء العلماء في هذه الفريضة المقدسة، ومن أشهرهم في هذا المجال عبر الأجيال، الشاه عبدالعزيز الدهلوي، والشيخ فضل حق خيرآبادى، ورحمت الله الكيرانوي، والمفتي محمد كفايت الله، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والأخوان محمد علي وشوكت علي، وأبوالكلام آزاد[٢].

وقد تعرض أغلب هؤلاء الشعراء لمحنة السجن أو النفي من البلاد، والبعد عن الأهل والأصحاب، من قبل الحكام الإنجليز، مما غذى شاعريتهم بهذه العاطفة النبيلة، كما أيقظ لدى أتباعهم وتلاميذهم شياطين شعرهم، فنظموا فيهم وفي تلك الأحوال قصائد مفعمة بالعاطفة القوية المؤثرة.

٣- ومن أسباب هذه العاطفة الدينية أيضاً حبّ المسلمين الهنود للنبي العربيﷺ حباً أصبح لهم شعاراً وسمة، وظهر في حياتهم وأدبهم وشعرهم، فنشأ لديهم أدب زاخر قوي، ومكتبة عظيمة غنية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ووصف حليته وشمائله، ونظم سيرته، وغزواته ومعجزاته، فيه كل معجب مطرب، يثير الحنان، ويقوي الإيمان، ويدل على قوة العاطفة الدينية، والحبّ العميق المخلص، والشاعرية القوية.

وأبرز ما تتجلى فيه هذه العاطفة السامية في شعر الدعوة الإسلامية، في التضرع إلى الله تعالى، وشعر استنهاض الهمم، وشعر الجهاد، كما رأينا عند الشيخ عبد الحميد الصادق بورى[٣]، وأحمد الجيتيكر الكوكني[٤]، وعبد الحق حقي الأعظمى[٥]، وحميد الدين الفراهي[٦] وغيرهم.

١- علم على قصبة شهيرة بين دلهي وسهارنفور على بعد ١٠٠ كيلومتر تقريباً.

٢- قد سبق الحديث عن مواقف هؤلاء الأبطال القيادية في الجهاد ضد الإنجليز في التمهيد: حالة الهند السياسية، وينظر للاستزادة: علماء ميدان سياست مين، برصغير جنوبي ايشيا كه علماء كى سياسى سركرميون كا مطالعه ١٠٠٧ تا ١٩٤٧ مؤلف. د. اشتياق حسين قريشي، مترجم: بلال أحمد زبيري شعبهء تصنيف وتاليف وترجمه، كراتشي يونيورستي، كراتشي ١٩٩٤م ينظر من ص ١٧٠ إلى نهاية الكتاب.

٣- يرجع إلى المبحث الأول، الفصل الثاني ص٦٩-٨١.

٤- يرجع إلى المبحث الأول، الفصل الثاني ص٧٠.

٥- يرجع إلى المبحث الأول، الفصل الثاني ص٧٨-٨١.

٦- يرجع إلى المبحث الأول، الفصل الثاني ص٨٦-٩٥.



وقد اتبع الشعراء في إبراز هذه العاطفة عدة مسالك، فلجأ الشيخ عبدالحق حقي، وعبد الحميد الصادق بورى إلى عقد المقارنة بين ماضي الأمة الإسلامية المجيد، وحاضرها الأليم؛ ليعمقوا في نفوس متلقيهم هذه العاطفة ويقووها، بينما اتبع الشيخ أحمد الجيتيكر وعبدالحق حقي أيضاً، أساليب الندبة، والاستغاثة، وتكرار بعض الكلمات الدّالة على شدّة الحزن بسبب النكبات التي مني بها المسلمون مثل كلمات: داء، خطب، والإكثار من الاستفهام، ولا شك أن الاستفهام، وغيره من هذه الأساليب ممن وسائل التأثير والتعميق للفكرة، في قلوب المتلقين.

ونلمس بجلاء في هذا الشعر قوة العاطفة لما يحدث في نفوسنا من أثر بالغ، وتأثير قوي، كما نلمس صدق العاطفة في كون الشعراء صدروا عن تجارب عاشوها وعانوها وقاسوا مرارتها، ويتضح سمو العاطفة في دعوة هذه القصائد إلى الجدّ، والتأمل في أحداث الدهر، والعبرة بمن سلف، وطلب بذل الجهد، ودفع الكسل لنيل المعالي، والحفاظ على الشرف، كما نجدها مستمرة في جميع أجزاء النصوص، ونلمس تأثيرها ممتداً إلى يومنا هذا بعد مضي عقود من الزمن، وقد غذت العاطفة الدينية الرئيسة عواطف أخرى، كعاطفة الإعجاب بالآباء العظام، وعاطفة الإشادة بأعمالهم وأمجادهم، وعاطفة الفخر بهم، وعاطفة الأسى على حال المسلمين، والسخط على أفعالهم والعوارض التي ابتلوا بها، وعاطفة الطموح إلى تغيير تلك الأحوال السيئة والتطلع إلى مستقبل زاهر مشرق واعد.

ومن الشعر الذي اتسم بعمق العاطفة أيضاً ذلكم الشعر الذي قاله شعراء العربية في الهند في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيان شمائله، وذكر الحنين إلى دياره، مركز الإسلام، وموئل المسلمين.

ولا شك في صدق عاطفة هذا الشعر وسموها وقوتها، لأن باعثه حب النبيﷺ الذي هو من شروط كمال الإيمان، ومن نماذجه قول الشيخ عبدالرحمن سيوهاروي[١] في ذكر الشوق إلى المدينة المنورة[٢]:

١- هو الشيخ عبد الرحمن بن نور الحق، ولد في سيوهار في مديرية بجنور، في أسرة القضاة، وسافر للعلم ودرس على الشيخ المحدث أحمد حسن الأمروهي، تولى التدريس في مدرسة إسلامية في بهوفال وبقي فيها إلى أن توفاه الله سنة ١٣١٩هـ. له شعر بالعربية والفارسية والأردية. (هندوستان كى عربي شاعري ص٢٦٤-٢٦٥).

٢- القاسم، جمادى الأولى ١٣٣٢هـ ص ٥-٧

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

أَيَا نَسِيْمَ الصَّبَا مِنْ أَيْنَ مَسْرَاكِ؟ ... أَفَاقَ مُضْنَى الْهَوَى شَيْئاً بِرَيَّاكِ

مِنْ أَيِّ رَوْضِ الحِمَى قَدْ جِئْتِ عَاطِرَةً؟ ... مِنْ أَيِّ وَادِي النَّقَا قَدْ طَابَ مجْرَاكِ؟

أَهْدَيْتِ طِيْباً إِلَى مُشْتَاقِهِ سَحَراً ... وَنَفْحَةُ الطِّيْبِ مِنْ أَسْنَى هَدَايَاكِ

نَفَحْتِ رُوْحاً بِجِسْمٍ لاَ حَرَاكَ بِهِ ... أَبْقَيْتِ نَفْساً -أَطَالَ اللهُ بُقْيَاكِ-

رَوَائِحُ الأُنْسِ مِنْ مَسْرَاكِ قَدْ عَبَقَتْ ... فَشَمَّ مِنْهَا شَمِيْمُ الْبُرْءِ مُضْنَاكِ

لَعَلَّمَا سِرْتِ مِنْ أَرْجَاءِ كَاظِمَةٍ ... بِطِيْبِ طَيْبَةَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَاكِ

وَحُزْتِ أَطْيَبِ طِيْبٍ عَرْفُهُ عَبَقٌ ... وَزُرْتِ قَبْرَ النَّبِيِّ الطَّيِّبِ الزَّاكِيْ

للهِ طِيْبُ تُرَابٍ ضَمَّ عُنْصُرَهُ ... يَفُوْحُ مِنْهُ الشَّذَا كَالْعَنْبَرِ الذَّاكِيْ

إِنْ نِلْتِ طَيْبَةَ فِيْ مَسْرَاكِ ثَانِيَةً ... فَبَلِّغِيْهَا سَلاَمِيْ حِيْنَ تَلْقَاكِ

وَأَخْبِرِيْهَا أَنَّ فِيْ بُوْفَالَ مُكْتَئِباً ... لَهُ حَنِيْنٌ إِلَى إِدْرَاكِ لُقْيَاكِ

شَوْقُ الْوُصُوْلِ إِلَى مَغْنَاكِ يُزْعِجُهُ ... يَهُزُّهُ طَرَبٌ مِنْ طِيْبِ ذِكْرَاكِ

زَادَتْ شَمَائِلُكِ تَهْيَاماً بِذِيْ سَلَمٍ ... هَاجَتْ نُزُوْعاً إِلَى سَلْعٍ نَعَامَاكِ

يَظَلُّ هَيْمَانَ مُشْتَاقاً إِلَى أُحُدٍ ... يَبِيْتُ حَيْرَانَ فِيْ أَشْوَاقِ رِضْوَاكِ

نَهَارُهُ فِكْرٌ بَلْ لَيْلُهُ سَهَرٌ ... مَتَى يَكُوْنُ لَهُ حَلٌّ بِمَغْنَاكِ

لَوْلاَ الْعَوَائِقُ وَالأَقْدَارُ تَمْنَعُهُ ... لَطَارَ مِنْ أَرْضِ بُوْفَالٍ وَوَافَاكِ

يَالَيْتَ طَيْبَةَ تُؤْوِيْنِيْ وَتَرْحَمُنِيْ ... طُوْبَاكَ طِبْتِ مَأْوًى ثُمَّ طُوْبَاكِ

يَالَيْتَ لِيْ فِيْكِ مَأْوًى هَلْ أَفُوْزُ بِهِ؟ ... أَبْغِيْكِ مَأْوًى وَقَلْبِيْ فِيْهِ مَأْوَاكِ

حَسْبِيْ ضِيَاؤُكِ لاَ أَلْوِيْ إِلَى بَلَدٍ ... غَدَاةَ يُسْفِرُ عَنْ نُوْرٍ مُحَيَّاكِ

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مَـــنْ فَـــاهَ بِـــاسْمِكِ يَـــا اللهِ نَكْهَتُهُ — فَفَـــاحَ مِـــنْ فِيْهِ طِـيْبٌ حِـيْنَ سَـمَّاكِ

وَلَـفْظُ طَـيْبَةَ مَـــا أَحْـــلَى تَلَـــفُّظَهُ — وَمَـــــا حَـــلاَوَتُهُ إِلاَّ لِـمَعْنَـــاكِ

أَبْــكِي وَأَشْـــكُوْ وَمَـالِيْ مَنْ يُسَـائِلُنِيْ — كَـمْ حَرُّ دَمْعٍ جَرَى، كَمْ لَـوْعَةُ الشَّـاكِيْ

فَـجَـــذْوَةٌ مِنْ جَـحِيْمٍ كَـــبْدُ ذِيْ كَمَـدٍ — وَقَـطْرَةٌ مِـــنْ حَمِيْمٍ دَمْـعَةُ الْبَـــاكِيْ

وَالْقَــلْبُ يخفق في الأضلاع مضطربـــاً — كَـــأَنَّهُ الطَّـــيْرُ مَحْبُوْسَـــا بِأَشْـــرَاكِ

حُـــبُّ الدِّيَـــارِ أَتَى مِـنْ حُـبِّ سَـاكِنِهَا — قَلْـــبِيْ لِـحُـــبِّ رَسُـــوْلِ اللهِ يَهْـــوَاكِ

هُـــوَ الَّذِيْ جَـــاءَ بِالْـبَيْضَاءِ وَاضِـحَةً — مَحَـــا بِأَنْـــوَارِهِ ظَـلْمَاءَ إِشْـرَاكِ

أَعْـــمَتْ بَصَـــائِرَ أَهْـــوَاءٌ مُفَرَّقَةٌ — فَـــأَبْصَـــرَتْ بِهُـــدَاهُ عَـــيْنُ إِدْرَاكِ

سِـــرُّ الْـــوُجُوْدِ فَلَـوْلاَهُ لَـمَـــا وُجِدَتْ — حَدِيْقَـــةُ الْـكَوْنِ مِنْ أَرْضٍ وَأَفْـــلاَكِ

لاَ الْـــبَرُّ لاَ الْبَـــحْرُ لاَ الإِنْسَـانُ قَاطِبَةً — وَمَـا سِـوَى الإِنْـسِ مِنْ جِنٍّ وَأَمْـلاَكِ

لاَ الأَنْبِيَـــاءُ وَلاَ مَـــنْ آمَنُـــوْا بِهِمُ — مِـنْ أَوْلِيَـــاءٍ وَعُبَّـــادٍ وَنُسَّـــاكِ

لاَ الْـــعَامُ، لاَ الـــشَّهْرُ، لاَ الأَيَّـــامُ دَائِرَةً — وَلاَ اللَّيَـــالِيْ بِأَضْـــوَاءٍ وَأَحْـــلاَكِ

وَجُـــوْدُهُ جَـــادَ بِالْـمَوْجُـوْدِ وَاسِطَةً — مِـــنْ مُـــوْجِدٍ قَـــدْ دَرَاهَـا فَهْمُ دَرَّاكِ

إِنْ كُنْتَ فِي الشَّـــكِّ ممَّـــا قَـدْ نَـطقت به — حَدِيْثَ لَـوْلاَكَ يَنْفِيْ شَـكَّ شَكَّـاكِ[1]

يَـــا رَبِّ اجْعَـــلْ مَمَـــاتِيْ فِيْ مَدِيْنَتِهِ — ذَا مُنْتَـهَى أَمَلِيْ، يَـــا مَلْكَ أَمْـــلاَكِ

إِذَا أَمُـــوْتُ بِهَـــا تِلْقَـــاءَ رَوْضَتِـهِ — يَطِـــيْرُ رُوْحِي بِشَوْقٍ نَـحْوَ شُبَّـــاكِ

---

١ – ينظر التعليق على مثل هذه التجاوزات العقدية في الفصل الثاني، المبحث الثاني، نهاية المطلب الأول ص ١٠٧ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

أَيَـــــامَـــدِيْنَـــةُطِيْبِيْ وَانْـــعِمِيْ وَعِمِيْ وُقِـــيْتِ شَـــرًّا وَعَـــيْنُ اللهِ تَرْعَـــاكِ

سَقَـــاكِ جُوْدٌ مِنَ الْـوَسْمِيِّ مُنْهَمِـــرًا وَصَـــوْبُ وَلْيٍ مِـــنَ الأَمْـطَارِ رَوَّاكِ

فهذه القصيدة الطويلة التي بلغ عدد أبياتها خمسة وثلاثين بيتاً مفعمة- مع طولها- بالحنين إلى مأرز الإيمان، والشوق إلى طيبة الطيبة، وسببُ حبه للمدينة- كما صرّح به الشاعر- هو حبّ صاحب المدينة المنورة، نبينا الأمي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وتظهر عاطفة الحب والحنين في تكرار كلمات معينة، فكلمة «طيبة» استخدمها الشاعر أربع مرّات، كما كرّر مشتقاتها أربع عشرة مرة، وكذلك كلمات شوق، ومأوى، ومغنى، والكلمات الدالة على الطيب، كالعبق، وعرف، والشذا، والعنبر الذاكي، ونفحة، وفاح، أتى بها الشاعر عدّة مرات. ومن المقرر في البلاغة أن من أغراض التكرار ذكر الشوق والحنين.

كما استعان الشعراء في بيان هذه العاطفة القوية بكلمات تدل على الشوق والحنين مثل: الهيام، والنـزوع، والحنين، والشوق، والفكر، والسهر، والبكاء، والدمع، والجذوة.

وتظهر هذه العاطفة في تمني الشاعر الموت في هذه المدينة الطيبة، ودعائه لها بالسقيا.

وقد ظهرت في شعر المناسبات السياسية عاطفة السخط الشديد، والكراهية العميقة لبعض الأحداث التي حصلت في تلك الآونة كما رأينا في قصيدة أبى بكر بن كنج محمد والتي سماها بـــ «الوزارة الحمراء»[1] وقصيدة عبدالرحمن الكريادي في حريق نشب في بيت المقدس سنة ١٩٦٢م[2].

ويمتاز كثير من الشعر العربي في كيرالا بقوة العاطفة، ويحمل سمات النجاح، وخصائص الصدق؛ لأن الشعراء في هذا الجزء الجنوبي من الهند استمدوا مادة شعرهم عن تجارب حياتهم الشخصية أو الاجتماعية، وحاولوا تصوير عصرهم تصويرا صادقاً، وعبروا في شعرهم عن قضايا وأحداث عاشوها وعانوها. ولم يبق الشعر لديهم أسير التقاليد الأدبية الموروثة من الشعر الجاهلي، ولكن التعبير اللغوي يخونهم في كثير من الأحيان[3].

١- ينظر: المبحث السادس في الفصل الثاني.

٢- المرجع السابق ص٢٤٦.

٣- ينظر للاستزادة: الشعر العربي في كيرالا.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وقد ظهرت لدى بعض الشعراء عاطفة السخط على الدهر، والتبرم من أذاه، والشكوى من نوائبه، وهي عاطفة قديمة لدى الإنسان حتى ورد النهي عن سب الدهر في السنة المطهرة[1]، وممن ظهر لديهم هذه العاطفة القاضي أحمد بن مصطفى الكوبامئوي يقول[2]:

جَنَى دَهْرٌ عَلَيَّ وَأَيُّ خَانٍ رَجُوْتُ الرِّفْقَ مِنْهُ وَقَدْ أَذَانِيْ
وَبَعَّدَنِيْ عَنِ الأَتْرَابِ بُعْدًا وَبَالَغَ فِيْ هَوَانِيْ وَازْدِرَانِيْ[3]
وَلَفَّظَنِيْ بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيْهَا قَرِيْبٌ أَوْ أَنِيْسٌ أَوْ وِزَانِيْ
وَمَا لاَقَيْتُ مِنْ اِثْنَيْنِ إِلاَّ وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَتَحَاسَدَانِ

ولا شك أن الشاعر في هذه المقطوعة ينطلق من مشاكل حياته الخاصة، ويعبر عن عاطفة صادقة، فقد عانى الغربة، وتردد بين «مدراس» ومسقط رأسه، وموطن عشيرته كوبامئو عدة مرات، وتقلد مناصب عالية، وعانى من الحسّاد والأعداء، مما ولّد لديه هذا الشعور البغيض تجاه الدهر.

ونلحظ معاً أن العاطفة الدينية كانت هي الغالبة والمسيطرة على أغلب الشعر العربي في الهند، أما بقية العواطف فكانت تغذيها وتقويها أو تتفرع عنها، فالشاعر مثلاً لا يمدح الخليفة العثماني إلا من أجل مواقفه في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ولأنه رمز للقوة الإسلامية ووحدتها، ولا يمدح الولاةَ في الهند إلا لأنهم حماة المسلمين هناك، ويقومون برعاية العلم والعلماء، ويسعون لنشر الفضائل، ولا يرثون ملكاً كالملك فيصل إلا ويرثون معه جهوده التي قام بها في خدمة الإسلام والمسلمين. ولا يرثون عالماً إلا ويبكون من خلال رثائه العلم الضائع، والزهد المفقود، والورع المنشود، ولا يمدحونه إلا ويمدحون معه العلم والصلاح والتقوى ومراقبته لله، وتعبه في نشر العلم، حتى رثاء الأقارب امتزج بهذه العاطفة الدينية، فالزوجة تُرثى لأنها كانت معينة على طاعة الرب، والوالد يُرثى لأنه ربَّى أولاده على الصّلاح، وغرس فيهم حبّ العلم، وأعانهم

١- أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه ٥/ ٢٩٩، ٣١١.
٢- الإعلام ٣/ ٩٠٤
٣- ازدرى: حقَّر وعاب. (المعجم الوسيط: زرى).

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

على البر والتقوى.

وقد ظهرت في بعض القصائدَ عواطفُ لا تتسم بالقوة والصدق، وإنما يبدو فيها الضعف والزيف على نحو ما، كما نرى في الغزل لدى إسماعيل بن وجيه المرادآبادي[١] ولدى الشيخ فيض الحسن السهارنفوري[٢]، أو في شعر الإخوانيات لدى الشيخ محمد يوسف البنوري[٣] وغيره، وفي بعض شعر المديح.

وذلك لأن هؤلاء الشعراء لم يصدروا في قصائدهم هذه عن تجربة ومعاناة ومعايشة، وإنما نظموا في هذه الأغراض اتباعاً للشعراء الجاهليين، أو إظهاراً لمقدرتهم، أو مجاراةً لشعور الآخرين، ولم يكن ذلك الشعر نابعاً عن من دخائلهم وأعماقهم.

ويمكن أن يكون التطويل سبب ضعف العاطفة في كثير من القصائد، فقد تبارى الشعراء في إطالة قصائدهم حتى بلغت بعضها ٣٠٠ بيت، وبعضها ٥٠٠ بيت؛ ظناً من الشعراء أن الإطالة- في نفسها- مفخرة، ودلالة على قوة الشاعرية، ولو حملت غثاءاً، فبالغوا في الإطالة، ولم يدروا ما قيل: «إن القصيدة الطويلة تسمية متناقضة، فليست شعراً إذ لا تسودها عاطفة قوية»[٤].

●●●

١- المبحث الرابع من الفصل الثاني.

٢- المبحث الثالث من الفصل الثاني.

٣- المبحث الخامس من الفصل الثاني.

٤- أصول النقد الأدبي ص ٢٠٠.


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الخاتمة

ذكرت في التمهيد جغرافية الهند، والحالة السياسية في هذه الفترة، وبينت أن هذه الفترة كانت مليئة بالقلاقل والأحداث الجسيمة، بسبب محاولة الإنجليز القضاء على الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية، والسيطرة على هذه البلاد، وأعقب ذلك تلك الحوادثُ التي حصلت في سبيل الاستقلال عن هذا العدو المستعمر، وتبين لي أن هذه الأحداث تركت بصماتها في الشعر العربي في الهند. وبينت أن المسلمين في الهند كانوا يولون باللغة العربية عناية فائقة، درساً وقراءة، وتأليفا وكتابة، وأثروا المكتبة العربية في شتى فروعها بكتب يعد كثير منها قمة في بابها.

ـ في المبحث الأول من الفصل الأول حاولت تحديد أشهر شعراء القرنين، فظهر لي أن أشهرهم الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ فضل حق الخير آبادي، والشيخ أحمد حسن عرشي، والشيخ حميد الدين الفراهي، والشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي.

ـ في المبحث الثاني من الفصل الأول حاولت تحديد العوامل المؤثرة في الشعر العربي في الهند، وبينت أن للمدارس الإسلامية بمناهجها المشتملة على مدارسة الكتاب والسنة والأدب العربي، ولهجرة الشعراء من الجزيرة العربية وغيرها إلى الهند، ولتنقل الشعراء داخل الهند آثاراً إيجابية في ازدهار الشعر، كما كان لأجنبية البيئة، وانعدام التشجيع



والحوافز، وقلة العناية بالنقد، وقصور مواهب الشعراء، وقربهم من عصور الضعف آثار سلبية على هذا الشعر.

_ في الفصل الثاني درست موضوعات الشعر العربي في الهند ووجدت أن هذا الشعر تناول أكثر الموضوعات التقليدية في الشعر العربي كالدعوة الإسلامية، والمدح، والرثاء، والغزل، والإخوانيات، والمناسبات.

_ في المبحث الأول من الفصل الثاني أبان البحث أن غرض الدعوة الإسلامية كان أكثر الأغراض وفرة في الشعر العربي في الهند؛ وذلك لأن أغلب شعراء العربية هناك كانوا من حملة العلم الشرعي، ومن الدعاة إلى الله تعالى، وتناولوا في شعر الدعوة موضوعات متعلقة بالعقيدة كالإيمان بالله سبحانه وتعالى، ووصف الجنة والنار، وأحوال القيامة والحشر والنشر، والردّ على الفرق الباطلة، وتناولوا قضايا الزهد كالتضرع إلى الله، والتحذير من الدنيا، والدعوة إلى الاستعداد لما بعد الموت، وبينوا حالة المسلمين المؤسفة في تلك الفترة، وأدّى الشعر العربي دوره في استنهاض الهمم والدعوة إلى الجدّ والمثابرة، وحث على الجهاد، وأشاد بالمجاهدين الأبطال، ووصف قتال المسلمين لأعدائهم في شتى بقاع المعمورة.

_ في المبحث الثاني من الفصل الثاني درست المديح، فتبينت أنّه أخذ حيزاً كبيراً من هذا الشعر، كما هو في الشعر العربي عموماً، وتبينت أيضاً أن شعراء العربية في الهند أكثروا من المديح النبوي، ويمتاز هذا المديح بصدق العاطفة وحرارتها واستمرارها وتنوعها وذلك راجع إلى حب هؤلاء الشعراء الشديد لصاحب المقام المحمود. -وفي غير المديح النبوي- أبان البحث أن الممدوحين تنوعوا بين الساسة والولاة والعلماء والمشايخ وأصحاب الدين والخلق الكريم. ومُدح كل فئة من الممدوحين بما يليق بمقامه.

_ وفي المبحث الثالث درست الرثاء وبينت أن المرثيين يتنوعون بين الولاة والأمراء، والعلماء والمشايخ، والأقارب والأصدقاء، ولم نجد رثاءً للمدن والممالك الزائلة، مع أن المدن والولايات كانت تسقط في أيدي الإنجليز متتابعة، ولعل شدّة الأحداث، ومرارة الأحوال، وتتابع الأزمات حالت دون ذلك، وبينت أن الشعراء في الهند اتبعوا في رثائهم المنهج المتبع في رثاء الجاهليين بدءاً بالندبة، ثم تعداد مناقب المرثي، ثم التسلي، وقد يذكرون في باب التسلي الأقوام الغابرة ويوردون بعض الحكم والأمثال.



ـ وفي مبحث الغزل بينت كثرة الغزل لدى شعراء العربية في الهند، وأن أغلبه كان يأتي في مقدمات القصائد، وقد تُفرد له قصائد كاملة، ويتنوع بين الغزل العفيف العذري، والغزل الحسّي اللاهي، وبينت انعدام الغزل بالمذكر، بل كان بعض الشعراء يذكرون الحبيب بصيغة التذكير بسبب تأثرهم بالأدب الأردي، وتوصلت إلى أن سبب ضعف الغزل لدى البعض هو كونهم لم يصدروا فيه عن تجربة ومعاناة، بل نظموا الغزل تقليداً ومحاكاة.

ـ وفي مبحث الإخوانيات وجدت أن التهاني قد لقيت اهتماماً أكثر من التعازي، وأن الشعراء عبروا في رسائلهم عن الحنين والشوق إلى المرسل إليهم، وأنهم أخلصوا لهذا الغرض -في الغالب- قصائد كاملة.

ـ وفي المبحث السادس الخاص بغرض المناسبات أبان البحث عن مشاركات الشعر العربي الهندي القوية في مناسبات عصره سياسية كانت تلك المناسبات أو ثقافية أو اجتماعية، ووطنية كانت أو عالمية.

ـ وفي الفصل الثالث درست خصائص الشعر العربي الفنية في الهند، وظهر لي في مبحث الألفاظ والتراكيب استخدام الشعراء ألفاظاً وتراكيب دقيقة، موحية، سهلة، واضحة، وابتعادهم عن التعقيد والتقعر، وكثرة استخدام الألفاظ والتراكيب الإسلامية، وظهور ألفاظ الطبيعة بشكل ملفت، وتكرار بعض الألفاظ والتراكيب، كما ظهرت أخطاء في استخدام الألفاظ والتراكيب فيعدد من القصائد.

ـ وفي مبحث الصورة الفنية تبين لي أن الشعر العربي في الهند يزخر بصور كثيرة كلية وجزئية، يشتمل كثير منها على الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، ومن خلال تلك الصور أضفى الشعراء الحياة على الجمادات، وجسدوا بها المعنويات، وأتوا بصور حية متحركة، مستمدين مادّة صورهم من الكتاب والسنة، ثم من التراث الشعري عند العرب، وكذلك من مصطلحات علمية، وشخصيات تاريخية، وأماكن بدوية عربية.

ـ في مبحث موسيقى الشعر تبين لي أن استخدام شعراء العربية في البحور الشعرية جاء متناغما مع منظومة الشعر العربي، من حيث كثرة النظم في بعض البحور، وقلته في بحور أخرى، كما جاء استخدامهم للقوافي وحروف الرويّ -أيضاً- متناغما مع منظومة الشعر العربي من حيث شيوع استخدام بعض الحروف، وغلبة حروف الجهر



على حروف الهمس، كما ظهر الاهتمام بموسيقى الشعر الداخلية، باستخدام الوسائل البلاغية كالسجع والجناس وردّ العجز على الصدر، والإكثار من التصريع في مطالع القصائد، لجذب انتباه السامع أو القارئ، كما أبان البحث عن وجود أخطاء عديدة في استخدام الأوزان، والقوافي.

ـ وفي مبحث بناء القصيدة أبان البحث عن اهتمام الشعراء بالمطالع والخروج والخواتيم، ومجيء المقدمات على أنواع عديدة كمقدمة طللية، ومقدمة ربيعية، ومقدمة زهدية، وخلو بعض القصائد عن أيّ نوع من المقدمات، وأبان عن تنوع الخواتيم بين الخاتمة بالدعاء، والخاتمة بالحكمة وغيرها. كما أبان البحث عن تعدد موضوعات القصائد في الشعر العربي الهندي، مع وجود قصائد ذات موضوع واحد، تحققت في بعضها الوحدة العضوية أيضاً، مع الإشارة إلى غلبة الطول على القصر في قصائد الشعر العربي في الهند.

ـ وفي مبحث المعاني والأفكار تبين لي أن كثيراً من معاني الشعر العربي في الهند مستمدة من الكتاب والسنة، أو من الشعراء العرب السابقين، وأن بعض الشعراء في الهند حاولوا إثراء اللغة العربية بإدخال معانٍ جديدة فيها أخذوها من بيئتهم المحلية، كما قام بعض الشعراء بترجمة بعض عيون الشعر الأردي إلى الشعر العربي، وتبين لي -أيضاً- وضوح أغلب المعاني، وكونها قريبة التناول، وخلو الشعر العربي الهندي عن المعاني العميقة والفلسفية.

ـ وفي المبحث الأخير أبان البحث عن قلة التجارب الناضجة في الشعر العربي في الهند، وأن سببه راجع إلى زيف عواطف الشعراء، مع وجود جملة صالحة من القصائد تتسم بسمات النجاح، كما أبان أنّ وضوح العاطفة الدينية هو أبرز سمات الشعر العربي في الهند.

●●●



الفهارس

وتشتمل على أربع فهارس:

فهرس الآيات القرآنية.
فهرس الأحاديث الشريفة.
فهرس المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	١٤	١٥٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٣٤	٣٠٩
سورة النساء		
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾	٧٨	٢٤٨
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	٣٠٧
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١١٨	٣٠٨
سورة الأنعام		
﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾	١٤٥	٢٤٩
سورة الأعراف		
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	٣٠٩
سورة الأنفال		
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾	٣٣	٣٠٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	٣٠٩
سورة يونس		
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾	١٠٧	١٠٦
سورة الحج		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾	٣٩ – ٤٠	٣١٠
سورة الصافات		
﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾	١٣٩ – ١٤٥	٢٤٩



فهرس الأحاديث الشريفة


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

•••

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

فهرس المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية

(أ) المطبوعات

القرآن الكريم.

(أ)

• أبجد العلوم، سيد صديق حسن خان القنوجي ، أعده للطبع: عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة والغرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٨م.

• أبو العلاء الناقد الأدبي، د. السعيد السيد عبادة، دار المعارف، ط١، ١٩٨٧م.

• أبو الكلام آزاد، د. عبد المنعم النمر، لجنة التعريف بالإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٣م.

• اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، د. منصور عبد الرحمن، دار العلم للطباعة، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

• اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، منصور عبد الرحمن، دار العلم للطباعة، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

• الآداب العربية في شبه القارة الهندية، د. زبيد أحمد، ترجمه عن الإنجليزية وعلّق عليه: د. عبد المقصود محمد شلقامي، دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

• الأدب الهندي المعاصر، د. محيي الدين الألوائي، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

• الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، د. عمرو موسى باشا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

• أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

• الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

• الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٨، ١٩٧٣م.
• أصول النقد الأدبي، د. طه مصطفى أبو كريشة، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٦م.
• أعجب العجب من أحوال العرب في ماضيهم المنيف وحاضرهم المخيف، سيد عبد الحق حقي الأعظمي، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، البيانات غير مذكورة.
• الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى بـ«نـزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»، سيد عبد الحي الحسني، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
• أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٨هـ.

(ب)

• بحوث وتنبيهات، أبو محفوظ الكريم المعصومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
• البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٧٠م.
• البديع، ابن المعتز، تحقيق: آغناطيوس فسكي.
• البديع، أسامة بن منقذ.
• بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
• بناء القصيدة العربية القديمة.
• البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٨م.
• بين شاعرين مجددين: إيليا أبو ماضي، وعلي محمود طه المهندس، د. عبد المجيد عابدين، مطبعة مخمير، القاهرة، ١٩٦٣م.

(ت)

• تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
• تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، نواب صديق حسن خان، مطبع صديقي بهوفال ١٢٩٩هـ.
• تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١٨.
• تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٨٢م.
• تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف. (الجزيرة، العراق، إيران) دار المعارف بمصر، ط٢.
• تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، (مصر والشام).
• تاريخ الأعظمية، وليد الخطاط الأعظمي، ط١، سنة ٢٠٠٠م.
• تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، مسعود عالم الندوي، دار العربية، (البيانات الباقية غير موجودة في الكتاب).
• تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٩هـ.
• تاريخ الهند الحديث، د. عادل نعيم ود. عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي بمصر، ط١، ١٩٨٠م.
• تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، إحسان حقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م.
• التجربة الشعرية في القصيدة العربية القديمة، د. مصطفى عمر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩م.
• تصويب البيان في شرح الديوان، عبد المنعم الجاتكامي، مطبع مجيدي كانفور، ١٣٤٨هـ.
• التصوير البياني، د. حفني شرف ، مكتبة الشباب ، القاهرة ط١ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
• تقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفداء، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة من طبعة باريس سنة ١٨٥٠م، تاريخ الطبع غير مذكور.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• تنـزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.

(ث)

• الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي الحسني، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣هـ.

(ج)

• جرعة الضرب في مدح سيد العرب والعجم، محمد ناصر البلياوي، مطبعة الجامعة الملية بدلهي ١٣٥١هـ.

• الجواهر الزاهرة في مدح النبي وآله الطاهرة، محمد وحيد الدين عالي، نيشنل برنتنك بريس، حيدر آباد ١٩٥٨م.

(ح)

• حديقة الأفراح لإزالة الأتراح، أحمد بن محمد الشرواني، طبع كلكته ١٣٣٦هـ.

• الحرب العالمية الثانية، عرض مصور، رمضان لاوند، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٨٢م.

• حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، د. جميل أحمد، طبعة باكستان.

• الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

• خزانة الأدب وغاية الأدب، ابن حجة الحموي المطبعة العامرية، القاهرة، ١٢٩١هـ.

(خ)

• الخصائص، أبو الفتح بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، التاريخ غير مذكور.

(د)

• دالية العلمي مع الرائية، عبد الصمد علمي، مطبع الحقاني بمدراس.

• الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، د. ف- عبد الرحيم، مطبعة الأصيل، حلب، ١٣٩٣هـ-١٩٧٥م.

• الدر النضيد في غر القصيد، عبد الأول الجونفوري، مطبعة الآسي، لكهنؤ، بدون تاريخ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• دراسات أدبية، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي، المجلد الرابع، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
• دراسات في الشعر الجاهلي، د. يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة.
• دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات أبو ستيث.
• دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
• ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهنا، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
• ديوان أبي العتاهية، تحقيق: شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥م.
• ديوان أحمد حسين مباركفوري، مرتب: قاضي أطهر مباركفوري، قادري بريس، بومباي، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
• ديوان أصغر علي روحي، تحقيق: رانا ذو الفقار علي، المجمع العربي بباكستان، التاريخ غير مذكور.
• ديوان الإمام الشافعي، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
• ديوان الفراهي، عبد الحميد الفراهي، جمعه: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية بسرائمير أعظم كدهـ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
• ديوان الفرزدق، تقديم وشرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
• ديوان الفيض، فيض الحسن السهارنفوري، تحقيق: د. ظهور أحمد أظهر، المجمع العربي الباكستاني، لاهور ١٩٩٥م.
• ديوان المتنبي مع الشرح المنسوب إلى العكبري، ضبطه وصححه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي بمصر، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
• ديوان رطب العرب، مفتي محمد عباس، مطبع جعفري، لكهنؤ، التاريخ غير مذكور.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(ر)

• الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب، د. محمود حسن أبو ناجي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

• الروض المعطار في خير الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميدي، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م.

• رياض الفردوس، محمد حسين خان شاه جهان فوري، مطبع نولكشور، لكهنؤ ١٢٨٠هـ.

(ز)

• الزهرات، عبد الرحمن الكاشغري الندوي، تقديم: مسعود عالم الندوي، سنة ١٣٥٤هـ.

• الزهرات، محمد ناظم الندوي، دار التأليف والترجمة، كراتشي.

(س)

• سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، دار الدعوة، التاريخ غير مذكور.

• سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، دار الدعوة، إسطنبول، التاريخ غير مذكور.

• سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسائل، بيروت، ١٤٠٢هـ.

• السيرة المحمدية والطريقة الأحمدية، كرامت علي دهلوي، طبع بومباي، ١٢٧٠هـ.

(ش)

• شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٣م.

• شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

• شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، د. يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• الشعر العربي في كيرالا مبدؤه وتطوره، د. ويران محيي الدين الفاروقي، مكتبة عربنيت كاليكوت سنة ١٤٠٠هـ.

• الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي، مطبوعات تهامة جدة ،ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

• شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. أحمد كمال زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

• شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

• الشعر في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن، د. عبد الله الحامد ، نادي المدينة المنورة الادبي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• الشعر والشعراء، ابن قتيبة، شرح أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

• الشعراء وإنشاد الشعر، علي الجندي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

(ص)

• صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، اسطنبول، التاريخ غير مذكور.

• الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

• الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، د. حفني شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١، ١٩٦٦م.

• الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، مكتبة مصر، ١٩٥٨م.

• الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

• الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، عبد الرحمن نصرت، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، ط٢، ١٩٨٢م.

• الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، د. علي البطل، دار الأندلس، ط١، ١٩٨٠م.

• الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح صالح نافع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨١م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م.

(ض)

• ضياء السالك إلى ألفية ابن مالك، محمد عبد العزيز النجار، طبعة مصر، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(ط)

• طبيعة الأمثال بين العربية والإنجليزية، د. عبد الجواد محمد فاضل، ط١، ١٩٩٢م.

• الطريف للأديب الظريف، عبد الأول الجونفوري، مطبعة مجتبائي دهلي ١٩٦٤م.

(ع)

• عجب العجاب فيما يفيد الكتاب، أحمد محمد اليمني، مطبع المحمدي، بومباي، ١٢٧٥هـ.

• العروض الواضح، د. ممدوح حقّي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١٤، ١٩٧٠م.

• العقد الفريد، ابن عبد ربه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

• عقد اللآلي ونظم المعالي، سيد علي حسن بن أمجد علي، مطبع بستان مرتضوي، لكهنؤ ١٣٠٤هـ.

• علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر، ط٧.

• عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ، دارالفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م.

• العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: ت: د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

• عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية، د. محمد أحمد العزب، المركز العربي للثقافة والعلوم، ط١.

• عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ،مكتبة دارالعلوم ، ط٢ ، ١٩٧٩م.

• عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: الدكتور عبد العزيز المانع، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٥هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(غ)
• الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر، د. سعد دعبيس، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.
(ف)
• فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، دمشق، التاريخ غير مذكور.
• الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم ، عبد القاهر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م.
• فصول في الشعر والنقد، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.
• فصول في النقد الأدبي وتاريخه، ضياء الصديقي وعباس محجوب.
• فقه اللغة العربية وخصائصها، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
• الفكرة في الأدب، د. محمد عبد الرحمن شعيب، مطبعة دار التأليف، مصر ١٩٧٥م.
• في النقد الأدبي عند العرب، د. محمود درويش، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.
• في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٦٢م.
• في النقد الأدبي، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
• في ميزان النقد الأدبي، د. طه مصطفى أبو كريشة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
(ق)
• القافية في العروض والأدب، د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
• القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
• القصائد البنورية، جمعه وعلق عليه: د. محمد حبيب الله مختار، المكتبة البنورية، كراتشي، ١٤٠٤هـ.
• القصائد العباسية، علي عباس جرياكوتي، مطبع سكندري، بهوفال، ١٢٧٣هـ.
• القصائد الهاشميات، يعقوب بخش راغب، المطبع الشرواني، علي كره، التاريخ غير مذكور.
• قصائد قاسمي مطبع مجتبائي ، دهلي ، ١٣٠٩هـ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• القصيدة النعتية، أبو محمد طاهر سيف الدين، برتش انديا بريس، بومباي، التاريخ غير مذكور.
• قصيدة عربية، محمد وحيد الدين عالي ، ترجمة : الطاف حسين حالي ، حيدرآباد ، ١٩٥٩م.
• قضاء الأرب من رطب العرب، محمد شفيع الديوبندي، دار الإشاعت، ديو بند ١٣٤٨هـ.
• قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

(ك)

• الكامل في العروض والقوافي، محمد قناوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
• كفاح المسلمين في تحرير الهند، د. عبد المنعم النمر، مكتبة وهبة بمصر ١٣٨٤هـ.
• الكواكب الدرية، سيد محمد مهدي أديب، مطبع بستان مرتضوي، لكهنؤ ١٣٠٧هـ.

(ل)

• اللامية مع البائية، عبد الصمد علمي، طبع وانم باري، التاريخ غير مذكور.
• لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، التاريخ غير مذكور.

(م)

• المثل السائر، ابن الأثير، دار نهضة، مصر.
• محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.
• المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
• المدخل إلى النقد الأدبي، د. السعيد الباز، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠م.
• المديح، سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ط٢.
• مرثية شمس العلماء المولوي عبد الوهاب الويلوري، ضياء الدين أحمد، ط مدراس، ١٣٣٧.
• مرثية شيخ حسين عرب، أبو خليل محمد بن حسين اليماني، بيانات النشر غير مذكورة.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، دار الفكر، الخرطوم، ط٢، ١٩٧٠م.
• مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٠هـ.
• مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي في الهند، د. زبير أحمد الفاروقي، دار الفاروقي، دلهي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
• المستدرك في شعر بني عامر من الجاهلية حتى العصر الأموي، د. عبد الرحمن الوصيفي، نادي المدينة المنورة الأدبي.
• المسلمون في الهند، أبو الحسن علي الندوي، مكتبة دار الفتح بدمشق ١٣٨١هـ-١٩٦٣م.
• مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار الدعوة، اسطنبول، التاريخ غير مذكور.
• المصباح المنير، أحمد الفيومي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
• مع النقد العربي القديم في تاريخه وقضاياه، د. طه مصطفى أبو كريشه.
• معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
• المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.
• معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، أضواء السلف ، المدينة المنورة ، ١٤٢٠هـ.
• معين اللبيب في جمع قصائد الحبيب، جمعه: محمد إعزاز علي، مطبوعة جامعة، دهلي، ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م.
• المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط٢، التاريخ غير مذكور.
• مقدمة إعلاء السنن (قواعد في علوم الحديث)، ظفر أحمد التهانوي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م.
• مقدمة الإلياذة، سليمان البستاني، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٤م.
• مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي، د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر ١٩٧٤م.
• مقدمة ديوان عابر سبيل، عباس العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، د. محمد خلف الله أحمد، دار العلوم، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ.
• من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، ١٩٧٥م.
• المنجد في اللغة والأعلام، المكتبة الشرقية، بيروت، ط١٢.
• منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، التاريخ غير مذكور.
• الموسوعة العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة، بيروت.
• موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، محمد أعلى التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.
• موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
• الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني، طبعة محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.
• الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، ابن الجوزي، تحقيق: نور الدين جيلار، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ.
• ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، سيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

(ن)

• نشأة الطرب في أشواق العرب، محمد طلا البشاوري، مطبع آفتاب، بشاور، ١٢٩٢هـ.
• نفحة العرب، إعزاز علي، كتب خانه إعزازية، ديوبند ١٩٨٣م.
• نفحة العنبر من هدي الشيخ الأنور، محمد يوسف البنوري المجلس العلمي، دابهيل (سورت) الهند، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.
• نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، أحمد الشرواني، طبع كلكتة.
• نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، أحمد محمد اليمني الشرواني، الطبع المجتبائي، دهلي، ١٣٤٥هـ.
• النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• النقد الأدبي الحديث، د. غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
• النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٣٧٨هـ-١٩٦٧م.
• النقد التطبيقي والموازنات، محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
• نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
• النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، التاريخ غير مذكور.
• الهند في العهد الإسلامي، الشريف عبد الحي الحسني، دار عرفات، راى بريلي ١٤٢٢هـ.

(و)

• الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: عمر يحيى فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٥هـ.
• الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، طبعة عيسى الحلبي.
• وفيات الأعيان بأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، التاريخ والطبعة غير مذكوران.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(ب) الرسائل والمخطوطات

(أ)

• أثر اللغة العربية في اللغة الأردية، دراسة لغوية، إعداد: محمد قاسم خواجه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(د)

• الدراسات العربية والإسلامية في تمل نادو، محمد سليمان عمري، جامعة مدراس، الهند، ١٤١٤هـ.

• ديوان السيد أحمد عرشي القنوجي، رقم ١٤٦٢، كتب خانه شبلي نعماني، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ.

• ديوان الشاه ولي الله الدهلوي، مخطوط برقم ٣٥٨، كتب خانه شبلي، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ.

• ديوانِ حسرت، خانقاه مجيبيه فلواري شريف، بتنه.

• ديوان فضل حق الخير آبادي، رقم ، كتب خانه آزاد، جامعة علي كره.

(ش)

• شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، سفير القتامي، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٧هـ-١٤١٨هـ.

(ص)

• الصورة الفنية في المفضليات أنماطها، وموضوعاتها ومصادرها وقيمتها الفنية، د. زيد بن محمد غانم الجهني، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ.

(ق)

• قصائد بهجة الأدب، مجلدان، برقم ٣٠٥-٣٠٦، المكتبة الناصرية، لكهنؤ.

• القصيدة المدحية، ظهور الحق رامفوري، رقمها ٤٤٠٧، مكتبة رضا رامفور.

(و)

• ورقة مخطوطة، مكتبة رامفور.

(ج) المجلات والدوريات

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(ب)

- البعث الإسلامي، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، شوال ١٣٩٨هـ.

(م)

- مجلة «البيان»، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، جمادى الآخرة ١٣٢٦هـ.
- مجلة الباقيات الصالحات، الصادرة بمناسبة الحفلة المئوية.
- مجلة الضياء، جمادى الثانية، سنة ١٣٥١هـ.
- مجلة الضياء، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، ذوالقعدة ١٣٥١هـ.
- مجلة الضياء، دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، شعبان ١٣٥١هـ.
- مجلة الضياء، ربيع الآخر، سنة ١٣٥٤هـ.
- مجلة المجمع الهندي، قسم جامعة عليكرهـ، العدد الممتاز عن الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، شوال ١٤٠٥هـ - يونيو ١٩٨٥م.

● ● ●

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ثانياً: المصادر الأجنبية

أ- الأردية

(١) المطبوعات

(أ)

- آثار الشعراء،ت حافظ سيد ممتاز علي، مطبع شاه جهاني بهوفال، ١٣٠٧هـ.
- اثار الصناديد، سر سيد أحمد خان، ترتيب وتدوين: خالد نصير هاشمي، سنترل بكدبو، دهلي، ١٩٦٥م.
- آر، ايس، ايس ايك مطالعه، حارث بشير، كاسمن بكز، دلهي، ط١، ٢٠٠٣م.
- أعيانِ وطن، سيد محمد شعيب نير، آزاد بريس، بتنه، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- الأنور، عبد الرحمن كوندو، ندوة المصنفين، دهلي، ١٩٧٥م.

(ب)

- باغي هندوستان، عبد الشاهد خان شرواني، مدينه بريس، بجنور، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- براني جراغ، سيد أبو الحسن ندوي، مكتبه فردوس، لكهنؤ، ١٩٩٨م.

(ت)

- تاريخ دار العلوم ديوبند، مرتبه: محبوب رضوي، بإيماء: قاري محمد طيب صاحب، مهتمم دار العلوم ديوبند.
- تاريخ عباس، مرزا محمد هادي عزيز، لكهنوي، مطبع نظامي، لكهنؤ، ١٣٤٤هـ.
- تذكره شاه عبد العزيز، نسيم أحمد فريدي أمروهي، ط لكهنؤ، ١٩٩٢م.
- تذكره علماء هند، رحمان علي، مطبع نولكشور لكهنؤ، ١٩١٤هـ.
- تذكره كاملانِ رامفور، حافظ أحمد علي شوق، همدرد بريس دهلي، ١٩٢٩م.
- تذكرهء بى بها، سيد مجتبى حسين لوكانوي، جيد برقي بريس، دهلي، ١٣٣١هـ.
- تذكرهء مولانا محمد إدريس كاندهلوي، محمد ميان صديقي، ط لاهور، ١٣٩٦هـ.
- تراجم علماء حديث هند، أبو يحيى إمام خان نوشهروي، جيد برقي بريس، دهلي، ١٣٥٦هـ-١٩٣٨م.
- تلاشِ حق، مهاتما كاندهي، ترقي اردو بورد، دهلي، ١٩٧٣م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

- تلامذهء غالب، مالك رام، كوهِ نور برنتنك بريس، دهلي، ١٩٥٧م.

(ح)

- حجة الإسلام إمام محمد قاسم نانوتوي حيات، أفكار، خدمات، تنظيم أبناء قديم دار العلوم ديوبند، نئي دهلي، ٢٠٠٥م.
- حدائق الحنفية، حافظ فقير محمد جهلمي لاهوري، مطبع نولكشور، لكهنؤ، ١٣٠٣هـ.
- حياتِ أجمل، قاضي عبد الغفار، مدينه بريس، بجنور، التاريخ غير مذكور.
- حياة شبلي، سيد سليمان ندوي، مطبع معارف، أعظم كدهـ، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م.
- حياتِ ولي، محمد رحيم بخش دهلوي، أفضل المطابع، دهلي، ١٣١٩هـ.

(خ)

- خم خانهء جاويد، لاله سري رام، مطبع نولكشور، لكهنؤ، ١٩٠٨م.
- الدر المنثور في تراجم أهل الصادقفور.

(د)

- ديوان غالب، نيا إداره، لاهور، ١٩٩٥م.

(ر)

- رودادِ إجلاس سوم ندوة العلماء لكهنؤ، ١٣١٣هـ، أصح المطابع، لكهنؤ.
- روداد اجلاس نهم ندوة العلماء، محمود المطابع، كانفور، ١٣١٩هـ.
- رياض الفردوس، محمد حسين خان، مطبع نولكشور، لكهنؤ، ١٢٨٠هـ.

(س)

- سوانح عمري مولانا محمد قاسم نانوتوي، سيد مناظر أحسن كيلاني ، تنظيم ابناء قديم دارالعلوم ديوبند بدلهي ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- سوانح عمري، محمد يعقوب نانوتوي، مطبع مجتبائي، دهلي، ١٣٧٤هـ.
- سوانح مفكرِ إسلام حضرت مولانا سيد أبو الحسن علي ندوي، بلال عبد الحي حسني ندوي، سيد أحمد شهيد اكيدمي، رائى بريلي، ١٤٢٢هـ.
- سيرة تيبو سلطان شهيد، محمد إلياس الندوي.
- سيرت سيد أحمد شهيد، أبو الحسن علي الحسني الندوي، نامي بريس لكهنؤ، ١٩٣٩م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

• سيرت مولانا عبد الأول الجونفوري، عبد الباطن جونفوري، كريمي بريس، إله آباد، ١٣٧٠هـ.

(ش)

• شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك، عبيد الله سندهي، دينِ محمدي بريس، لاهور، ١٩٤٢م.

• شمع انجمن، نواب زوار عليخان، تصوير عالم بريس، لكهنؤ، ١٣٢٢هـ.

(ص)

• صدائى رستا خيز، أعدّه للنشر: خليل أحمد الحامدي، إداره معارف إسلامي، لاهور، ١٩٩٣هـ.

(ض)

• ضميمهء اردو كليات نظم حالي، ألطاف حسين حالي، البيانات غير مذكورة.

(ع)

• عرب اور هندوستان، خواجه بهاء الدين إكرامي ندوي، دار السلام بهتكل، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

• علامة حميد الدين فراهي ايك عظيم مفسر، ايك مايه ناز محقق ايك بلند بايه مجدد، محمد عنايت الله سبحاني إصلاحي، مكتبة الإصلاح، سرائمير، اعظم كدهـ، ١٩٧٨م.

• علماء ميدانِ سياست مين برصغير جنوبي ايشيا كى علماء كي سياسي سركرميون كا مطالعه، ١٠٠٧ تا ١٩٤٧م، د. إشتياق حسين قريشي، مترجم: بلال أحمد زبيري، شعبهء تصنيف وتأليف وترجمه، كراتشي يونيورستي، كراتشي، ١٩٩٤م.

• علماء هند كا شاندار ماضي، محمد ميان مراد آبادي، الجمعية بريس، دهلي، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

(ف)

• فرائد الدهر، كريم الدين باني بتي، مطبع مطلع العلوم، دهلي، ١٩٤٧م.

• فيروز اللغات، محمد فيروز الدين، ايجو كيشنل ببلشنك هاؤس، دهلي، ٢٠٠٠م.

(ك)

• كليات اقبال، محمد اقبال، شيخ غلام علي ايند سنز ببلشرز لاهور، حيدر آباد - كراتشي، ط٣، ١٩٧٧م.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(م)

• مجموعهء قصائد مرثيه وقطعات تاريخِ وفات، رتبها: حبيب الرحمن العثماني، ديوبند، ١٣٣٦هـ.

• مختصر تاريخ مدرسه امينيه إسلامية، دهلي، حفيظ الرحمن واصف، يونين برنتنك بريس، دهلي، ١٣٧٧هـ.

• مفتي صدر الدين آزرده، عبد الرحمن برواز إصلاحي، مكتبهء جامعة، نئى دهلي.

• مولانا باقر آكاه ويلوري، شخصيت اور فن، د. ذاكره غوث تملنادو اردو ببلي كيشنـز، مدراس ١٩٩٥م.

(هـ)

• هماري آزادي، أبو الكلام آزاد، اورينت لونك مين، ط١، ١٩٩١م.

• هند وباك مين عربي أدب، اقبال أحمد سلفي، تاج آفست بريس، إله آباد، ١٤٠١هـ-١٩٨٢م.

• هندو عرب كى تعلقات، سيد سليمان ندوي، دار المصنفين، اعظم كدهـ، ١٩٦٠م.

• هندوستان مين عربي علوم و فنون كى ممتاز علماء اور ان كي علمي خدمات، د. محمد أويس نكرامي ندوي، نامي بريس، لكهنؤ، ١٩٧٩م.

• هندوستاني مسلمان، أبو الحسن علي ندوي، مجلس تحقيقات ونشرياتِ إسلام، لكهنؤ، ١٩٦١.

(و)

• وفيات المشاهير، عبد الأول الجونفوري، جادو بريس جونفور، ١٣٢٣هـ.

(ي)

• يادكار دهلي، أحمد ولي اللهي، مطبع أحمدي، دهلي، ١٣٢٣هـ.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

(٢) الرسائل والمخطوطات

• هندوستان كي عربي شاعري، د. حامد عليخان، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عليكرهـ.

(٣) المجلات والدوريات

(أ)

• أخبار أهلحديث، دلهي، جلد٥، عدد٣٢، ربيع الثاني ١٣٧٥هـ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٥م.

• أفكار ملي، دهلي، مسلم شخصيات نمبر، يوليو ٢٠٠٥م.

(ب)

• البلاغ، تعليمي نمبر، كريمي بريس، بومباي.

(س)

• سه ماهي تحقيقاتِ إسلامي، علي كرهـ، عدد يوليو - سبتمبر ١٩٩٤م.

(م)

• ماهنامه الرشيد، لاهور، دار العلوم ديوبند نمبر، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

• ماهنامه نقوش، شخصيات نمبر، مطبع فروغ اردو، لاهور ط٢، يناير ١٩٥٦م.

• مجلة «القاسم»، دار العلوم ديوبند، شوال ١٣٣٠هـ.

• مجلة البيانات، كراتشي، العدد الخاص يناير - فبراير ١٩٧٨م.

• مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، جمادى الأولى ١٣٣٦هـ.

• مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، ربيع الأول ١٣٣٨هـ.

• مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، ربيع الثاني ١٣٣٧هـ.

• مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، عدد رمضان ١٣٣١هـ.

• مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، عدد شوال ١٣٢٩هـ.

• معارف، دار المصنفين، اعظم كدهـ، مجلد ٢٧، عدد ١ .

معارف، دار المصنفين، أعظم كدهـ، مجلد ٢٧، عدد ٢ .

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

مجلات

(أ)

- أخبار أهل الحديث، دهلي، مجلد٥، عدد١٢.

(ر)

- الرائد، دارالعلوم ندوة العلماء، لكهنؤ، عدد ١١-٢٦ صفر ١٤١٤هـ.

(م)

- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، صفر ١٣٣١هـ.
- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، شعبان ١٣٣١هـ.
- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، شهر ذوالقعدة ١٣٣١هـ.
- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، جمادى الأولى، ١٣٣٢هـ.
- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، شهر صفر، ١٣٣٧هـ.
- مجلة القاسم، دار العلوم ديوبند، صفر ١٣٣٩هـ.
- مجلة معارف، دار المصنفين، أعظم كدهـ، عدد٤، مجلد٥٩.
- مجلة معارف، دار المصنفين، أعظم كدهـ، عدد٤، مجلد٦٧.
- مجلة معارف، دار المصنفين، أعظم كدهـ، عدد٦١.
- مجلة معارف، دار المصنفين، أعظم كدهـ، عدد٧٧.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ب – الفارسية

(١) المطبوعات

(أ)

• إتحاف النبلاء في تراجم الكملا، نواب سيد صديق حسن خان، مطبع نظامي كانفور، ١٢٨٩هـ.

(ت)

• تجلي نور، سيد نور الدين زيدي، جادو بريس، حيدر آباد، ١٣١٦هـ.

(ح)

• حظيرة التقديس وذخيرة التأنيس، أبو النصر علي بن عتيق، مطبعة شاهجهاني، بهوفال، ١٣٠٧هـ.

(ك)

كلياتِ نظم آصفي، عبد الجبار خان، أختر دكن بريس، حيدر آباد، ١٣٢٦هـ.

• (ن)

• نفح الطيب من ذكر المنـزل والحبيب، نواب صديق حسن خان، مطبع صديقي بهوفال، ١٢٩٦هـ.

ج–الإنجليزية

• English Proverbs، explained by Ronald Ridout & Clifford Witting – page: 72، printed in (1)، Lebonon by Typo press – 1976.

• Encyclopedia of Britannica، 15th Edition.



فهرس الموضوعات


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً


هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً



هذا الكتاب:

يحرص مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على أن يكون قائدا للأعمال الكبرى التي تسهم في خدمة اللغة العربية في المدى البعيد، وتحقيق التكامل مع المؤسسات الدولية المهتمَّة باللغة العربية في أنحاء العالم المختلفة وتنمية التبادل المعرفي والثقافي، عبر تأسيس شراكات تعاون ونطاقات أعمال مشتركة معها.

كما ينفذ المركز برامج وفعاليات محلية ودولية، مستقلاً أو بالتعاون مع الجامعات والملحقيات الثقافية وغيرها، ومن تلك البرامج والفعاليات: شهر اللغة العربية: ويتضمن فعاليات ومناشط لغوية متنوعة لمدة شهر كامل في إحدى الدول غير العربية، وقد نـفّذ هذا البرنامج في كل من الصين، وإندونيسيا، ويعمل حاليا على الإعداد لتنفيذه في الهند.

ويأتي هذا الكتاب ضمن المسار العام الذي يؤكد اهتمام المركز بنشر النتاج العلمي المعني بالجمهورية الهندية، حرصاً من المركز على توثيق الصلات الثقافية وتجسير العلاقات مع المؤسسات اللغوية في كافة أنحاء العالم.



هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا





ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa